- **المُلَخَّص باللغة العربية:**

يَهْدِفُ هذا البحثُ إلى أن يُقدّم قراءةً جديدةً ومُغَايِرَةً– فى بعضِ مَباحثِ علمِ النحوِ وقَضَاياه المُشْكِلَةِ، ومسائلِه؛ ومدى ارتباطِ ذلك بِسِياقِ الأفعالِ الكلاميةِ، ومُسْوِّغَاتِ الاستعمالِ التداوليِّ– مثل التراكيبِ الفصيحةِ المُستعملةِ، المحكومِ عليها بالخروجِ عن الصِّحَّةِ النَّحْوِيَّةِ والنَّقَائصُرِ عنها، ومن ثَمَّ مجافاةِ السلامةِ الدلاليةِ، بكوْنِها من المُخالِفَاتِ لسَمْتِ التراكيبِ النحويةِ فى لغةِ العربِ؛ ولتهاملِها بالخُرُوجِ عن النظامِ العامِ المتجسِّدِ فى اللغةِ الفصيحةِ المألوفةِ، وعن القياسِ النحوِي، وقواعده المطَّردة؛ بالنظرِ إلى الأثرِ الإعرابيِّ الظاهرِ؛ وفقًا للعلاقةِ بين العواملِ النحويةِ ومعمولاتِها؛ وقد جعلها أصحابُ القياسِ النحويِّ ضِمْنَ بَابَ القِلَّةِ، أو النُّدْرَةِ؛ أو اللَّحْنِ؛ أو كونِها لغةً من اللغاتِ، التى تشكِّل صورةً من صور التواصل العُرفى Communicative approach.

وترتكز فكرةُ هذا البحثِ على أن للحالة الانفعالية أثرًا حاسمًا فى صياغةِ المعانى، وفى إنتاجِ هيئاتِها التركيبيةِ، وأن للأثرِ الإعرابيِّ دورًا فى تشكيلِ المعانى، وتحديدِ الدلالاتِ التركيبيةِ، التى تَعْرِضُ لذهنِ المتلقى، وأن تلك الحالةَ الشعوريةَ هى عاملٌ تداوليٌّ، تضبطُ الصورَ اللغويةَ والنشاطاتِ الكلاميةَ؛ من مستوى الصوتِ الغُفْلِ، إلى مستوى الصوتِ الإفصاحيِّ التعبيرى– مع اعتبارِ إفادتِه التداوليةِ– تصاعديًّا إلى مستوى التركيبِ، إلى النصِّ الخطابيِّ بتمامِهِ.

وهذه القراءةُ– بمنهجِها الوصفيِّ، وآليتِها التحليليةِ لبعضِ النماذجِ من التراكيبِ الانفعاليةِ– تتناصُّ مع ضرورةِ الرَّبْطِ بين استدعاءِ مُنْجزاتِ التُّراثِ اللِّسانيِّ العربيِّ ومَعْطِيَّاتِ الدَّرْسِ اللِّسَانِى الحديثِ؛ بنظرياته المتعددة المتسارعة، تلك المنهجيات البحثية التى تحرف إلى التسليم بقيام المناهج التداولية على التحوُّل إلى مدخل اللغة الانفعالية، وهى قراءة تنتقل من التبعية إلى المتابعة المعرفية، التى تقوم على الاحتفاء بمفردات لغتنا، وشمولية درسها التراثى، ويطرحُ هذا البحثُ، فيها، بعضَ الأدلةِ التى توجِّه دلالةَ هذه التراكيبَ، وترجِّحُ صحتَها، فهى– فى واقعِ الأمرِ– تراكيبُ تداوليةٌ مستعملةٌ، أُنتجت إثرَ وقوعِ طرفىْ التحاورِ التداوليِّ تحتَ تأثيرِ **الحالةِ الانفعاليةِ الإيجابية أو السلبية– وهو ما يُمكن أن نطلق عليه: بيئةَ التركيبِ–** من جانبِ المؤلفِ أو المتلقى، أو كليهما معًا؛ وهو ممَّا يحتاجُ إلى الإعمالِ الفكريِّ؛ والبحثِ عن الأسبابِ والعللِ الحقيقيةِ وراءَ إنتاجِ هذه التراكيبِ واستعمالِها؛ ليدفعَ– بهذه العللِ– تحققَ اللَّبسِ فيها؛ بين محدداتِ البعدين؛ الوجوديِّ والزمنيِّ لسياقِ الانفعالِ Context Passion .

يكشفُ البحثُ– من خلال ما طرحه من عللٍ محتملةٍ، وأسبابٍ، تبدو منطقيةً، تقفُ وراءَ انتقاءِ المؤلِّف لتلك التراكيبِ– عن:

- ضرورةَ النظرِ إلى النفسِ بوصفِها المتكلمَ الأولَ، ومن ثَمَّ بُنى الفعلُ الكلامىُّ بمستوياتِه المختلفةِ.
- إن تركيب الانفعالِ يحملُ معانىَ عميقة، وهو: أكثرُ قدرةً، فى التعبيرِ عن الفعلِ الكلاميِّ المضمَّنِ؛ بصورة تفوقُ دلالةَ التركيبِ اللغويِّ المجرَّدِ.

الكلمات المفتاحية: الانفعال –بيئة التركيب– المخالفة– القياس– التداولية– الأثر الإعرابى.

Abstract

This research aims to present a new and different reading of certain problematic topics and issues in the science of Arabic grammar, and to explore how they relate to the context of speech acts and pragmatic justifications for usage. This can be exemplified by the use of eloquent constructions deemed grammatically incorrect or deficient, and therefore semantically flawed, as they deviate from the norms of grammatical structure in classical Arabic.

These expressions are often accused of violating the general linguistic system of standard Arabic, as well as deviating from established grammatical rules and patterns, based on apparent syntactic features and the relationship between syntactic agents and their dependents. Traditional grammarians often categorized such expressions as rare, mistaken, or as dialectal variations that represent a form of customary communication.

The core idea of this study is that emotional states perform a decisive role in shaping meaning and generating syntactic structures. The syntactic impact contributes to meaning formation and the determination of structural semantics perceived by the listener. These emotional states act as pragmatic factors that regulate linguistic forms and speech acts, from the level of neutral sound to expressive, meaningful phonetic forms -progressing through syntactic structure to complete discourse.

This analytical and descriptive reading of emotionally influenced expressions draws on the need to bridge the achievements of traditional Arabic linguistics with insights from modern linguistic theory. It reflects on the shift in pragmatic methodologies towards a focus on emotional language as a gateway to understanding meaning. This reading transitions from mere adherence to traditional views to an epistemological engagement with the language, celebrating its richness and comprehensive heritage. The research presents evidence that supports the semantic validity of these constructions, emphasizing that they are in fact pragmatic structures produced under emotional influence in the context of interaction—what could be called the "environment of construction"—arising from either the speaker, the listener, or both. This necessitates deep reflection and inquiry into the real causes behind their creation and usage, to dispel confusion regarding the ontological and temporal dimensions of emotional context.

The study reveals, through logically plausible reasons for the author's choice of such expressions, the necessity of viewing the self as the primary speaker—thus speech acts are built across different levels accordingly. Moreover, emotional construction carries profound meaning and is capable of expressing implied speech acts than abstract grammatical structures.

Keywords:

Emotion – Environment of Construction – Deviation – Analogy – Pragmatics – Syntactic Impact

(المبحث الأول): أساسيات البحث.

- **موضوعُ البحثِ:**

تجدُر الإشارةُ إلى أن موضوعَ هذا البحثِ يتَّصلُ– بصورةٍ مُباشرةٍ– بأبعادِ علمِ اللغةِ النفسي، القائم على التفاعُلِ بين طرفيْ عمليةِ الاستلزامِ التحاوريّ، الذى يجعلُ من الانفعالِ النفسيّ فعلًا كلاميًا مُنْجَزًا؛ بل فعلًا كلاميًّا مؤثِّرًا فى غالبِ الأحيانِ؛ وكأنَّ الوحداتِ الصوتيةَ، والهياكلَ المقطعيةَ، والبنى الصرفيةَ، والهيئاتِ التركيبيةَ النحويةَ– وآلياتِ التلقى الدلالى والتفسيراتِ التداوليةَ فى موقفِ التواصل– ردةُ فعلٍ مُكْتسبةٌ من انفعالِ النَّفسِ، وصدى لفظيٌّ لصوتِها، وتزييدًا لحديثِها، إذ إن سياقَ عاملِ الانفعالِ يسبقُ عمليةَ إنتاجِ الصُّوَرِ اللغويةِ؛ إذا ما جازَ وصفُ اللغةِ بأنها ظاهرةٌ انفعاليةٌ تداولية، قبل أن تكون ظاهرةً اجتماعيةً مجردةً، فليس من المنطقيّ تحققُ تواصلٍ تداوليّ من دون عاملٍ من انفعالِ النفسِ، قبل تلفُّظِهَا بما يعبرُ عن انفعالِها.

ويدورُ موضوعُ هذا البحثِ حولَ فكرةِ البحثِ عن العللِ والأسبابِ وراءَ خروجِ بعضِ التراكيبِ اللغوية عن مُحددات نظرية العوامل النحوية، التى تضبطُ المعياريةَ المثاليةَ The Standard Theory، بوصْفِهَا– من باب المواضَعَةِ– بيئةً مُنْتِجَةً للصُّورِ اللُّغويَّةِ المختلفةِ والاستعمالِيَّةِ المُحْكَمَةِ فى علمِ النحوِ، ويُؤَكِّدُ أثَرُ الحالةِ الانفعاليةِ والشعورِ النفسيّ للمتكلمِ فى إنتاجِ تراكيبِه النحويةِ؛ هيئةً، وضَبْطًا، وكمِّيَّةً؛ فى محاولةٍ للربطِ بين الحالةِ الانفعاليةِ للمؤلِّف من جهةٍ، والاستعمالِ اللغويّ، والعقْلِ الجَمْعِيّ، واللغةِ التداوليَّةِ فى موقفِ الاستعمالِ، وبيئةِ التركيبِ، من جهةٍ أخرى، فى مقابلةِ القياسِ النحويّ المثاليّ(١) من جهةٍ ثالثةٍ، وهى فكرةٌ قلَّ سالِكُوهَا.

وتتجسَّدُ فكرتُه فى قولِ اللغويينَ: إن كلَّ تأثيرٍ فى دلالةِ البنيةِ العميقةِ Deep Structure(٢)– التى تعنى وصولَ المتلقى إلى المعنى المركزى، من البنيةِ اللفظيةِ للفعلِ الكلامى(٣)– ينتقلُ– من غيرِ شكٍّ– إلى البنيةِ السطحيةِ Surface Structure ودلالتِها، حيث إن أثر الفعل الكلامى Speach Act المستبطنIntrospection(٤) منعكسٌ على الفعل الكلامى المتلفَّظ به(٥) لكوْنِ البنيةِ العميقةِ غيرَ خاليةٍ من العملياتِ النفسيةِ(٦) وينعكسُ هذا الأمرُ على الهيئاتِ التركيبيَّةِ التى يُخطِطُ لها المؤلف، قبل إنتاجها، ومن ثمَّ يصنعُها، بعد انتقاءِ عناصرِهَا، التى تُظهرُ– بتنوُّعها– ما قد أصابَها من تأثيرٍ، وأنها قد جاءتْ متأثِّرةً بانفعالِ مؤلفِها.

- **إشكاليَّةُ البحثِ:**

– كوْنُ التراكيبِ اللغويةِ– التى احتوت على مخالفاتٍ للقياسِ النحويّ وقواعدِه– قد تُحْدِثُ إشكاليةً فى التفاعُلِ، والتفسيرِ والتواصُل، وتتسببُ فى مفارقةٍ تداوليةٍ فى الاستعمالِ والاتِّصالِ، فى ما يتعلَّق بارتباطِ الدَّوالِ بمَدْلُولَاتِها، فى ضوءِ الأثرِ الإعرابى، الحركى أو العلاماتى من جهةٍ، والهيئةِ الترتيبيةِ، أو النَّظْمِيَّةِ، التى عليها البناءُ اللُّغويُّ من جهةٍ أُخرى، والفكرِ الجمعيّ والدلالاتِ العُرْفِيَّةِ؛ من جهةٍ ثالثةٍ، فابتعدت عن أن تكونَ وسيطًا تواصليًّا جادًّا بين المؤلف والمتلقى.

– لعلَّ أشدَّ ما واجَه الباحثَ من عقباتٍ؛ هو: تحفُّظُهُ على هذه الظاهرةِ القياسيةِ الباهرةِ، الموصوفةِ بالضابطةِ، والواسعةِ الانتشارِ؛ حيثُ تَصِفُ بعضَ التراكيبِ العربيةِ الفصيحةِ بالمخالفةِ، فقد يُظَنُّ أنه يستهدفُ التقليلَ من شأنِها، أو وصفَ مفرداتِها بالقصورِ، أو يحمل دعوةً إلى تخطئتِها، أو اتِّهامَها بكونِها معيبةً، إذ تمارسُ فعلَ التسلُّطِ المجرَّدِ– أو الهيمنةِ الخطابيةِ– على الاستعمالِ اللغويّ، أو قد يُفهمُ– من بعضِ عناصرِ البحثِ ومفرداتِهِ– الرغبةُ فى تغييرِ بعضِ القواعدِ الكليةِ، أواستبدالِها بأخرى، لمجردِ القَدْحِ فى مُنجزاتِ النحوِ القاعديّ، فالباحثُ –وبحثُه– من ذلك بَرَاءٌ.

---

(١) فإذا ما غابت–أو تغيَّرت– هذه البيئة المعيارية، خضعت الصور اللغوية– مستويات العناصر اللغوية– لمقتضيات البيئات المتغيرة أو الحاضرة، وضوابطها.

(٢) من الجدير ذكرُه أن هذا البحث قراءة تحليلية، تستهدف إعادة النظر فى بعض القواعد النحوية الكلية الحاكمة، فى مقابلة مرويات الاستعمال اللغوى الفصيحة والثابتة؛ فى عصور التقعيد والاحتجاج اللغوى، فالأصل أنها فصيحة، لا يصحُّ وصمُها بالغلطِ، ولا وصفُ صاحبِها بالمضطر، إذ تنتصر التداوليات الاستعمالية للمرويات اللغوية المستعملة، إذ تقوم على وصف اللغة فى موقف الاستعمال؛ أمام تحفُّظها على صرامةِ المعايير والأقيسة؛ إذ إنه من الأشد انضباطًا تقديم قواعد قياسية، تروغ إلى الاتِّساع، بديلًا عن التَّسارُع بالتخْطئةِ؛ مع تغليبِ التطبيقِ والمنطقِ، ومزْجِ الفكرِ، والثقافةِ بالاستعمال، والسياق.

(٣) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إيذانة عُمان، د: أحمد على على لقم، حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، العدد الثالث والثلاثون، ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م : ٣٩٠٢

(٤) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، د: جلال شمس الدين، (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، جـ١: ١٨

(٥) ويكون الفعل الكلامى الإفصاحى التلقائى– بوصفه فعلًا كلاميًّا مقصودًا– منعكسًا فى صيحات الإنسان، ويُعد هذا الفعل الكلامى– وفق امتدادِ كتلتِه وهيئتِه– مُتَنَفَّسًا للنفس، وصُورةً فِطْرِيَّةً سَاذَجَةً نوعًا ما، إلَّا عند متلقٍّ ما، فى سياق كاشف لها، يعبِّر بها الإنسان عن انفعالاته، بصورة عفوية، نحو: بسْ، وىْ، ووا، وأخْ، وبخْ، وصهْ، ومهْ؛ وآمين، انظر: باب القابل، أوالمعرَّب، مفتاح العلوم، للسكاكى، ضبطه، وكتب هوامشه، وعلَّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م :٧٧.

(٦) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ١٥٣

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِي ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِيِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

- يرومُ الباحثُ إعادةَ قراءةٍ لبعضِ القواعدِ النحويةِ الفرعيةِ(١) والبحثَ عن عِلِّيَّةِ شيوعِ تراكيبِ الانفعالِ وتَمَكُّنِها فى الاستعمالِ– بوصف تلك القواعدِ مُجسِّدًا للغةِ فى سياقها الاجتماعيِّ الاتِّصَالِيِّ– فى زمنِ الروايةِ اللغويةِ الصحيحةِ، المنقولةِ عن عربِ فُصحاءَ، بُغْيَةَ وجودِ تعليلٍ تداوليٍّ لها، تمهيدًا لإدراجِها ضمنَ إطارٍ يستوعبُها، فى أبوابِ النحوِ المثالى، حتى نَحِدَّ من وصفِها بالشذوذِ، أو المعيْبَةِ، إذ يسبقُ التركيبَ اللُّغَوِيَّ سَبَبُه، وكأننا نتساءلُ: لماذا أخرجَ المؤلفُ العربيُّ هذا التركيبَ على هذا النحوِ، وعلى تلك الهيئة التركيبية؟ ولماذا حفظتْهُ المروياتُ اللغويةُ؟ والأمرُ بين سندانِ الاستعمالِ، والذوقِ؛ ومطرقةِ المعياريةِ النحويةِ، وما معنى وصفِ السليقةِ اللغويةِ بالراشدةِ؟، ووصفِ العربيِّ بالمُدْرِكِ؟.
- وجودُ بعضِ التراكيبِ النحويةِ والاستعمالاتِ اللغوية التى تحتاجُ إلى تفسيرٍ، وتفتقرُ إلى تعليلٍ، يربطُ بين صورتِها الكليةِ والاستعمالاتِ اللغويةِ الفصيحةِ، يُضاف إلى ذلك وجود عبارات ضمنية أحيانًا، وصريحة أحيانًا أخرى؛ تتضمنُ أحكامًا بالمخالفةِ النحويةِ على بعضِ التراكيبِ اللغويةِ، بصورةٍ لافتةٍ للنظرِ، مع وجودِ الإشكاليةِ التطبيقيةِ بين تَطْوِيعِ الشاهدِ المنقول أو المروى فى مُقابلةِ تطويعِ القاعدةِ النحويةِ الموضوعةِ على الأكثرِ.
- التقيدُ المنهجيُّ بضرورةِ الاستشهادِ ببعضِ التراكيبِ فى عصرِ الاحتجاجِ، وتَمَرْكُزُ آراءِ كثيرٍ من العلماءِ حولَ المنطقةِ الوُسْطى فى الرأى، بين التصويبِ والتخطئةِ، بنكرِ أسبابٍ وعللٍ تبدو غيرَ مقنعةٍ وغيرَ حاسمةٍ فى غالبِ الأمرِ.
- ندرةُ الدراساتِ المختصَّةِ التى تربطُ بين أبعادِ علمِ النفسِ العميقِ، وقواعدِ اللغةِ، وأصولِها، وسياقاتِ استعمالاتِها.
- محاولةُ إيجادِ تفسيراتٍ منطقيةٍ، وتقديمِ مصطلحاتٍ مُغايرةٍ لبعضِ قواعدِ النحوِ التقليديِّ، تتوافقُ وواقعَ اللغةِ العربيةِ، ومكانتَها المتفردةَ، والفهمَ الصحيحَ لنظامِها واستعمالاتِها، فى ضوءِ علمِ لغةِ الانفعال، والمنهجِ التداولى.

واستنادًا إلى تلك الإشكاليةِ البحثيةِ، يُمكن للباحثِ أن يَصُوغَ بَعْضًا من الأسئلةِ الرَّئِيسَةِ، التى يُلزِمُ نَفْسَهُ بتقديمِ إجاباتٍ عنها؛ منْ هذه الأسئلةِ ما يلى:

- **<u>التساؤلات البحثية:</u>**

- هل من الصوابِ القولُ بأن المعنى أو المقصدَ هو أفكارٌ عقليةٌ، تقعُ خارجَ نطاقِ علمِ النَّفْسِ اللُّغَوِيِّ؟
- ما المقصود بسياق الانفعال فى ما يتعلق بالمؤلف أو المتلقى؟
- هل توجد دلالات انفعالية للحركة الإعرابية؟
- ما مدى تأثير اللغة الانفعالية فى تراكيب المخالفة النحوية؟
- هل توجد قيمة دلالة للحركات الإعرابية؟ وهل توجد دلالة انفعالية لتحول المؤلف من حركة أثر إعرابى إلى آخر؟ وهل لهذه الحركات أثر فى توجيهِ المعنى وتفسيرِه؟
- ما البعد الانفعالى لأحرف اللين، وألف الإطلاق، والسكون؟
- لماذا لجأ مؤلفُ الكلام إلى هذا التصرُّف؟ وما الذى حمله إليه؟ وهل كان مقصده مخالفة القياس النحوى؟
- ما العلاقة بين القياس اللغوى والحكم بنُدْرةِ بعض الهيئات التركيبية فى الاستعمال التداولى؟
- هل يصحُّ القياس المتأخِّر ممارسة التسلُّط على الرواية اللغوية المتقدِّمة، البعيدة عن الطعن أو الاتِّهام، والموصوفة بالسلامة، وبكونها سليقة وصادرة ممَّن يُوثق فى عربيته وفصاحته؟
- ما الذى ينبغى على المؤلف أن يصنعه ليعبِّر عن انفعاله الداخلى، فى ما يتصل بترتيب الهيئة التركيبية، وتداولية الحركة الإعرابية؟ وما أثر ذلك على وصول الفكرة الجوهرية، أو المُراد التعبير عنها؛ بصورة سليمة إلى ذهن المتلقى، أو إلى وجدانه؟
- ما العلاقة بين العمليات العقلية، والنفسية، والصور اللغوية المنطوقة؟
- ما أبعادُ الإشكاليةِ اللغويَّةِ، وتعقيدات الانفعال النفسى، والمحددات العقلية؟
- هل الانفعال النفسى –الذى يضبط الصور اللغوية والتراكيب النحوية– أمر فطرى؟
- كيف يُربَط بين الجهازين العصبى والنطقى، اللذَيْن يُنتجان الصوتَ اللُّغوىَّ، ويَشْتَرِكانِ معَ النَّفْسِ فى تحديد وظيفتِهِ الدلالية؟
- هل كان سياق الانفعال وراء استعمال المؤلف لصور المخالفات اللغوية فى موقف التواصل الموصوف بالجاد؟ وهل وظَّف المؤلف سياق الانفعال توظيفًا تداوليًّا؟

---

(١) لا يقصد الباحث تدعيمَ دعوى إبطال القياس النحوى الباهر، ولا يؤيِّدها، ولا التقليلَ من قيمة نظرية العامل، ولا إنكار أثرها فى ضبط الاستعمال اللغوى، إنما يهدف إلى توسيع أبوابِها، لاستيعاب جميع ما قالت العرب؛ وإيجاد بيئة تركيبية وسياقية لما ورد من المرويات اللغوية فى عصورِ الاحتجاجِ.

- ما الإعرابُ؟ ما ماهيةُ الأثرِ الإعرابيّ؟ وهل لهما أبعادٌ تداوليةٌ فى عملية التواصُل؟
- ما مدى قبول المعيارية النحوية وذهنية المتلقى لوقوع التَّغيُّر فى الأثر الإعرابى؟
- هل يُمكن وصفُ الصور اللغوية للانفعال النفسى بالخطأ أو بالمخالفة للمنطق الدلالى أم القياس اللغوى؟
- إلامَ تشكِّل صور المخالفة للقياس اللغوى استجابة لانفعال النفس؟، أو ما أثر الانفعال على عناصر الخطاب اللغوى؟
- ما الأثر الإعرابى لسياق الانفعال؟
- إلى أىْ مدى تشكل صور المخالفة النحوية انحرافًا عن الأقيسة اللغوية؟
- هل لا تزال تداولية الهيئة التركيبية (بقاء الدلالة المقصودة) مع الحركاتِ الإعرابية فى تركيباتِ المخالفةِ النحويةِ؟
- ما مدى نجاحِ المؤلفِ فى تحويلِ الصُّورِ الكلاميَّةِ فى ضوءِ سياقِ الانفعالِ؟
- هل يُمكن وصف العلاقة بين الانفعال والتحليل اللغوى بالتعقيدComplication فى ما يخصُّ المعانى المجردة للمعيارية النحوية، أو الأحكام الصرفية؟
- هل يجوز أن نجعل سياق الانفعال دليلًا على فصاحة الصُّور اللغوية الناتجة عنه، ونصفهما بالمعجمية أو بالسلامة اللغوية؟
- هل تسببت تداوليةُ الحركةِ الإعرابيةِ فى تشويشِ دلالةِ الهيئةِ التركيبيَّةِ واضطرابها، أو تشويهها؟
- هل يُمكن النظرُ إلى التراكيبِ المخالِفَةِ للقياسِ النحوى بوصفها صورةً أخرى للمعنى، فى ضوء النظرية التوليدية التحويلية؟

- **المرتكزات البحثية:**

- يرتكز هذا البحثُ على أن مُخرجاتِ المخالفةِ اللغويةِ ليستْ بالعملِ الاعتباطيّ من جانبِ صاحبِ السليقةِ اللغويةِ، وإنما بتأثُّرِ المؤلفِ، أو المتلقى، وتراكيبهما بعاملِ الانفعالِ، وإلَّا لَمَا كُتِبتْ لها الحياةُ على ألسنةِ الفصحاءِ من العربِ واستعمالاتِهم التداوليةِ.
- لا يقصدُ الباحثُ قصرَ عمليةِ إنتاجِ المعنى على البعدِ النفسيّ الانفعاليّ، ولا مجرد اختزالها فى المقاصد النفسية، بقدر ما يُحاول إيجاد سبب منطقى لوجود مرويات لغوية، جعلها القياس النحوى فى دائرة المخالفة، إذ تتعاضد أدوات متعددة متضافرة فى حمل المعنى والتعبير عنه، وغير ذلك من الضمائم، والمحددات الزمانية والمكانية.
- النظر إلى الحكم بالتصويب أو بالتخطئة فى التراكيب اللغوية، بوصْفِه أثرًا من آثار الفعل الكلامى فى ذهنية المتلقى.
- تشمل المخالفة– بسبب سياق الانفعال– القوانين الصوتية، والأحكام الصرفية، والقواعد النحوية، بل الأبعاد الدلالية، والهيئات اللغوية المستعملة فى موقف التواصل.
- إن علة وضع القواعد النحوية الكلية تتمثل فى بناء الصياغة التركيبية التواصلية على قياس صحيح.
- يفترض الباحث أن تراكيب المخالفة النحوية هى– فى الأصل– استعمالاتٌ لغويةٌ تداوليةٌ، ارتبط وجودُها بسياقِ الانفعالِ، وقد جاءت معبِّرة عن سياقه، وأن عامل الانفعال قد ترك بصمته على الأثر الإعرابى أوعلى الهيئة التركيبية، تقديمًا وتأخيرًا.
- قد يَصِحُّ تصويبُ المُخالفةِ فى ضوءِ السياقِ الانفعاليّ– أو عاملِ الانفعالِ.
- يؤمن الباحثُ بأنه يُمكن النظرُ إلى تراكيبِ الانفعالِ؛ بوصفها أفعالًا كلاميةً إبداعيةً، وسلوكًا لغويًّا مضمَّنًا؛ يُستخدم –فى الغالبِ وبقصديةٍ– فى سَعَةِ الكلامِ.
- يُعد سياقُ الانفعالِ ترخُّصًا استعماليًّا؛ بشرط أمْنِ اللبسِ، فإذا ما تغيَّرت الدلالةُ عن المعنى المُراد زالتْ سطوةُ سياقِ الانفعالِ عن الهيئة التركيبية، وما يتَّصِلُ بها من أثرٍ إعرابيّ.
- يفترضُ الباحثُ أن لتركيب الانفعال– بأثره الإعرابى– طاقةً حجاجيةً، ترتبطُ بالتعبيرِ عن انفعالِ النفسِ، أو نسقِ التعبيراتِ الشعوريةِ، بل تعتمدُ على أثرِ عاملِ الانفعالِ؛ بوصفِه آليةً غيرَ لغويةٍ من آلياتِ الإقناعِ والاقتناعِ.
- لا يُمكن قصرُ عمليةِ إنتاجِ الفعلِ الكلاميّ المُنْجَزِ فى كونها عمليةً عقليةً، يُراغ إليها الإنسان للتعبير عن أفكاره؛ بل بكونها فعلًا تأثيريًّا، يعبِّرُ بها المؤلفُ عن انفعالاتِه الداخليةِ.

- **أسباب اختيار الموضوع ودوافعه:**

- يحاولُ الباحثُ التعرضَ لنماذجَ من التراكيبِ النحويةِ من بُعْدٍ تاريخيّ، وهو أن الروايةَ اللغويةَ تسبقُ التقعيدَ النحويَّ، وأن للروايةِ على القياسِ حقَّ الطاعةِ.
- هناك كثيرٌ من التراكيبِ النحويةِ أنتجها عاملُ الانفعالِ، فبدت–فى ظاهرها– مخالفة– للقواعد النحوية، فصار لزامًا التعرضُ لمثل هذه القضايا العميقة، بعيدًا عن التمركز حول دراسة الصيغ، والأبنية، والتراكيب السطحية فى الظواهر اللغوية، إذ إن هذه التراكيب صحيحة. وفصيحة.
- وجود فجوات تداولية بين القاعدة وسياق التكلُّم، ووضع القياسيين لكثير من التراكيب الفصيحة فى دائرة الشذوذ.
- التحفظ على وجود علاقة طردية بين المخالفة للقياس النحوى وسياق الانفعال، ومحاولة ردّ الحكم بالمخالفة لبعض التراكيب المستعملة.

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

- تحليل العلاقة بين تراكيب المخالفة النحوية وقصدية مؤلف الكلام، بُغية التقليل من سُلْطة القاعدة، وتعظيم قصدية المؤلف فى إنشاء الفعل الكلامى، من حيثُ الترتيبُ، والأثرُ الإعرابىُّ والدلالىُّ؛ وإحداث موازنة بين البنيتين السطحية والعميقة.
- محاولة توجيه بعض التراكيب النحوية التى خرجت عن القياس فى ضوء عامل الانفعال وتداولية الأثر الإعرابى.
- البحْث فى الأسباب والعلل التى دفعت المؤلف إلى مخالفة القياس النحوى.
- قلة الدراسات البحوث التى تعرضت لهذه الفكرة، بل ندرتها، وهذا من أهم ما دفع إلى هذا البحث.

- **<u>أهداف البحث:</u>**

- يدعو البحثُ إلى إعادةِ قراءةِ مفرداتِ النحوِ العربيّ التراثيّ، واستدعائِه، وحُسْنِ توظيفِه، فى موازنةٍ– لا مواجهة– مع المناهجِ اللسانيةِ الحديثةِ؛ خاصةً ما يتَّصِلُ باللسانياتِ العصبيةِ، وعلمِ اللغةِ الانفعاليّ.
- مُحاولةٌ طرح رؤية تستهدف التوفيق بين القاعدة النحوية والمرويات المسموعة من فصحاء العرب، لتخليص القواعد اللغوية والنحوية من النوادر، والحكم بعد الاطِّراد.
- يجعَل البحث عامل الانفعال تفسيراً للتراكيب النحوية التى قد تبدو مخالفة عن حيِّز الصَّوَاب النحوى.
- الكشف عن مدى تأثير الحالة الانفعالية على التراكيب اللغوية، وإخْراج بعض التراكيب النحوية من دائرة المخالفة فى ضوء تداولية الأثر الإعرابى والتحفظ على اقتصار تفسير بعض أنماط السلوك اللغوى على منهج تحليلى واحد.
- تقديم تخريجات تحليلية لبعض التراكيب النحوية، التى وردت عن العرب الأثبات الموثوق بهم، البعيدين عن الشكِّ أو الطَّعْنِ.
- الكشْف عن بعض الأبعاد الجمالية Aesthetic لقصدية استثمار مؤلف الكلام لسياق الانفعال فى التعبير عن مقاصده؛ وفى تشكيل هيئته التركيبية.
- الإقرار بكوْن سياق الانفعال فعلًا كلاميًّا، يغزو الذِّهْنَ، وله قدرةٌ تعبيريةٌ عن قوة الحدث أو ضعفه.
- إبراز دور العناصر التداولية الأخرى فى الكشف عن الفعل الكلامى المضمن، بعد فشل تداولية الأثر الإعرابى فى الإبانة عنه.
- الكشف عن بعضِ الأسبابِ الحقيقيةِ وراءَ وجودِ بعضِ التراكيب اللغوية، فة صورتها النحوية؛ التى تبدو– ظاهريًّا– مخالفة للقياس النحوى؛ وفق معيارية العلامة الإعرابية ودلالتها.
- الربط بين وجودِ بعض التراكيب النحوية فى الاستعمالات اللغوية وسياق الانفعال، فى ضوءِ التداخل بين الرواية اللغوية والتقعيد النحوى.
- وصفُ نماذج من التراكيبِ النحوية الناتجة عن سياق الانفعال بكوْنِها تراكيبَ مَقِيسة.
- يُقدم تحليلًا يقود إلى إحداث بعض التَّغْيير فى المنهجية اللغوية؛ فى ما يخصُّ صرامةَ القواعدِ النحويةِ، أو ما يُمكن أن نطلق عليه: سطوة العلامة الإعرابية.
- يدفع اتهام القاعد النحوية لبعض التراكيب بالمخالفة، وخروجها عن المألوف، معتمدًا فى ذلك على وجودها فى الاستعمال اللغوى عند العرب الفصحاء.

- **<u>أهمية البحث:</u>**

- بيانُ أثْرِ الانْفِعال على كلٍّ من المُؤَلِّف، والمُؤَلَّفِ، والمُتَلَقِّى فى إخراج الصُّوَرِ النَّحْوِيَّة، وفى هيئتها، وترتُّبِها، وتقبُّلها واحتماليَّةِ تفسير دلالتها.
- إبراز البعد التداولى فى العلاقة الرابطة بين القاعدة القياسية وسياق الاستعمال المتلفظ به.
- الإشارة إلى إمكانية توصُّل المتلقى إلى المقصد المركزى بالتحرُّك الذهنى بين عناصر الهيئة التركيبية، مع التقليل من تداولية الأثر الإعرابى.
- تأكيد انضباط السليقة اللغوية ورشادها، ودقة إدراك أصحابها ووعيهم، ومعرفتهم لكلِّ تصرُّفٍ لغويّ، بعيدًا عن الاعتباطيةِ والسَّذاجةِ.

- **<u>المادة البحثية:</u>**

- ستكون مادة هذا البحث نماذج لبعض التراكيب النحوية، التى بدتْ فيها المخالفةُ للمقيسِ من كلامِ العربِ، فى ضوءِ القواعدِ النحويةِ، وتشمل بعضَ الشواهدِ المعتبرةِ من كلامِ العربِ المنظومِ، والمنثورِ.
- مدونات الفكر اللغوى، قديمًا وحديثًا.

- **<u>الحدود البحثية:</u>**

- ستقتصر المادةُ اللغويةُ المُستشْهَدُ بها على المروياتِ الثابتةِ عن الفصحاءِ من العربِ، الموثوق فى سليقتهم، وأمانتهم فى الرواية و النقل، وضبطهم لمادة المسموع، والمنقول عن طريق المشافهة؛ لتجنُّبِ الغزوِ، والاختلاطِ، ولحنِ الألسنةِ.

- **منهج البحث:**

- اعتمد البحثُ الحالى المنهجَ الوصفىَّ، القائمَ على آلياتِ الرصدِ، والتسجيلِ، والتفسيرِ، والتحليلِ لنماذجَ من تراكيبِ المخالفةِ النحويةِ فى الاستعمالِ.

- **الفرضيات:**

- يؤمن الباحثُ بأن وراءَ صورِ المخالفةِ أسبابًا متعددةً.
- يجعلُ البحثُ سببَ الانفعالِ النفسيّ أشدَّ الأسبابِ الدافعةِ لظاهرةِ المخالفةِ النحويةِ، وتزدادُ قوةُ المُخالفةِ طرديًّا معَ ازديادِهِ.
- يَنْظُر هذا البحثُ إلى صور المخالفة؛ بوصفها قدْ بَدَتْ انحرافًا Deviation غيْرَ مَقْصُودٍ من لدنِ المؤلِّفِ؛ وهذا الانفعالُ قد يُربِكُ مؤلفَ الكلامِ، فلا يستطيعُ إحْكَامَ مفرداتِ خطابِه اللُّغوى، كما تصورُها فى عقلِه أولَ مرةٍ؛ فى ضوءِ الأقيسةِ اللغويةِ المستعملةِ فى موقفِ التواصُلِ.
- إدراكُ القماءِ أثرِ السّياقِ الانفعاليّ وربطِهم بينه وبين صُورِ التراكيب النحوية، وطرائق تفسيرها.
- إن كلَّ حدثٍ كلاميّ يحمل أثرًا انفعاليًّا، وهو تعبيرٌ خاصٌ ينتجُ عن انفعالٍ معينٍ([1]) وهو إطار من الصور والرموز والرسوم المستعملة لتبادل الأفكار والمقاصد، والمشاعر بين أصحاب النظام اللغوى الواحد، ويكون – أحيانًا– المتحكمَ فى ما يحدثُ من تغيراتٍ كلاميةٍ أو تفسيريةٍ، وهو ما أشار إليه الدكتور أحمد عبد المجيد هريدى من أن التغيُّر التاريخى للصوت على لسان الناطق قد يكون لأمر شعورى، أوغير شعورى؛ وكأن سياق الانفعال فعلٌ كلاميٌ قويٌ مضمَّنٌ، جعل من صور المخالفة اللغوية أفعالًا كلاميَّة مُنْجزة.([2])
- قد يكون إغفال الدور التداولى للأثر الإعرابى عملًا مقصودًا من لدُنِ المؤلفِ.
- وجود تحليلات مُقنعة– فى الطرح التداولى– تُحمل عليها تراكيبُ انفعاليةٌ، وُصِمَتْ بالمخالفةِ النحويةِ.

- **الدراسات السابقة:**

يقرُّ الباحثُ بوجودِ بُحُوثٍ حولَ الفكرةِ العامةِ لبحثِه، وهى أثرُ الانفعالِ على المتكلم فى إنتاجِ التَّراكيبِ اللغوية؛ بيد أنه– عند تفحُّصِهِ لعناصرِ فكرتِها– وجد تباينًا فى التناوُلِ بين رُؤْيَةِ باحثٍ وآخرَ، وبين منهجِ بحثيّ وغيرِه؛ كما اطمأنَّ إلى– أو أدرك– أن مساحةَ الرَّبْطِ، فى هذه الأبحاث– بين عاملِ الانفعالِ ووجودِ تراكيبِ المخالفةِ للقياسِ اللغويّ علمةً، والقياسِ النحويّ؛ بصورةٍ خاصةٍ– بها بعضُ الفجواتِ البحثيةِ، التى لم تُدرَسْ، وهى – فى الوقت ذاتِه– تفتحُ أبوابًا نحوَ دراساتٍ نوعيةٍ أُخرى، ممَّا يدفعُ إلى القولِ بأنه: لم تتطرقْ دراسةٌ– على حدِّ علم الباحث– بدراسةٍ مستقلةٍ، تربط بين عامل الانفعال ومخالفة القياس النحوى على صورة أشدِّ خصوصيةً، أو حاولت التعليل للمخالفة النحوية فى ضوءِ العلاقةِ بين تسلُّط العاملِ النحوى على معمولاته وأثره الإعرابى، من الحركات أو العلامات المعيارية؛ كما لم تتطرق إلى التعليل للمخالفة، وربطها بعامل الانفعال؛ والتدليل على أنها إنما جاءت ردةَ فعلٍ لانفعال النفس، بل لم أجد دراسة كان من أهدافها إخراجُ تراكيبِ الانفعالِ من دائرة الخروجِ عن القياس النحوى؛ إلَّا من باب الإشارة، أو التعريض، من هذه الدراسات ما يلى:

(الدراسة الأولى) بعنوان: السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب، د: إبراهيم سند إبراهيم أحمد، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد(٥٦)، يوليو ٢٠٢٢م.

تعرَّض فيها الباحثُ لصورِ المخالفاتِ فى المستوياتِ اللغوية، المتعددة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية؛ وربط هذا الأمر بسياق الانفعال، وقد أقام فكرة بحثه على أ، عامل الانفعال مما يُفقد المتكلمَ تركيزَه، فتصاب مخرجاته اللغوية بالخلط والاضطراب، وتوصف بالغلط، وسلق – فى أمثلته، وشواهده– بعض النماذج من المواد اللغوية المطروحة، مثل: خطابات الحديث النبوى الشريف، ، والشواهد الشعرية، وعزا المخالفة– فى تلك الصور اللغوية– إلى عامل الانفعال بصورة عامة، لكنه لم يدرس علاقة المخالفة فى التراكيب اللغوية أو النحوية، من منطلق تداولية الأثر الإعرابى، وقد أغفل التعليل لهذا الأمر، مما يُعد فارقًا نوعيًّا للبحث الحالى.

(الدراسة الثانية) بعنوان: قرينة المخالفة وتطبيقاتها فى النحو العربى، د: مُوَفَّق مجيد ليلو الحيَّاوى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الدولى الحادى عشر، نيسان(٢٠١٩م)(٣)، مارس(٢٠٢٠م)، كلية التربية، وزارة التربية، جامعة واسط، تربية محافظةً ميسان.

وقد جاءت الدراسة فى الصفحات من: ١١١حتى :١٢٨. وفيها تحفَّظ الباحث على عبارة النصب على المحل، اختصارًا للتأويل والتقدير ؛ وعدَّ قرينة المخالفة من القرائن النحوية التى تُسهم فى فهم المُراد من الكلام؛ بالإضافة إلى أنه لم يتناولْ قضيةَ العلاقةِ التداوليةِ بين هيئة التركيب، وبنيته، وبيئته، وقدرة المتلقى على استنطاقه فى ضوءِ القناعات الذاتية، والدلالات الثقافية والاجتماعية.

([1]) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى، د: عزيز كغواش، مجلة الباحث فى العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١١٢١–٢١٧٠;ISSN–١٣ (٠٢)/(٢٠٢١):٤٥٣

([2]) ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى، د: أحمد عبد المجيد هريدى، (د. ط)، توزيع مكتبة الخانجى، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م: ١٠

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِي ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِيِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

(الدراسة الثالثة): الإتباع ومخالفة القياس، رسالة ماجستير، للباحث: حمدى على بدوى أحمد، رقم: ٣٦٤، مكتبة كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠٠٦م. جاءت فى حوالى: ٥٥٢ صفحة.

تناول الباحث فكرة التغيرات الصوتية، والصرفية، والنحوية التى جاءت مخالفة للقياس اللغوى فى مستوياته الصوتية، والصرفية، والنحوية، وجاءت فى فصول أربعة:

الفصل الأول: حول أبعاد مصطلح الإتباع.

الفصل الثانى: صور المحالفة للإتباع فى المستوى الصوتى.

الفصل الثالث: صور المحالفة للإتباع فى المستوى الصرفى.

الفصل الرابع: صور المحالفة للإتباع فى المستوى النحوى.

تعرض الباحث– فى جميع فصولها– إلى صور المخالفة التى نتجت عن آلية الإتباع، بوصفها آلية لتزيين التراكيب اللغوية، أو انزياحًا إلى قوانين السهولة والتيسير، من جانب المؤلف، وأن كل ما جاء مخالفًا للقياس اللغوى فيها كان بسبب الإتباع، من باب إتباع حركة لحركة، سابقة، أو أخرى لاحقة، داخل البنية الصرفية، فيما يُسمى: حركات البنية، مما شمل صدر البنية أو حشوها، من دون التعرض لمورفيم الإعراب، وقد تعرض فى الجانب الصوتى إلى: دور الإتباع فى التخلص من التقاء الساكنين، ثم ما يرتبط بظاهرة المماثلة الصوتية، وفى الجانب الصرفى درس ما يتصل بالإعلال ، والإبدال بين المورفيمات الصرفية، مما أطلق عليه: الإتباع التزيينى، بوصفه حلية كلامية ذات أبعاد صرفية، وقد درس فى المستوى النحوى بعض المخالفات النحوية التى كان الإتباع ورغبة المؤلف فى الانزياح عن الثقل ومسبباته، وارتباط هذا الأمر، برغبة المؤلف فى إتباع سابق للاحق من جنس الحركات والعكس.

وقد اتفقت هذه الدراسةُ– مع البحث الحالى– فى فكرة المخالفة النحوية، فى صورتها العامة؛ وتلاقت فى بعضِ صورِ الاستشهادِ؛ الذى لا يعدو ورودها–فى البحث الحالى– أن يكونَ نمطًا من أنماطِ الاستشهاد بالموادِ اللغويَّةِ المطروحَةِ؛ وقد مازَ هذا البحث من الدراسة السابقة – فى أن الدراسة الأولى– قد أَرْجَعَتِ السببَ – فى المخالفةِ– إلى ظاهرةِ الإتباعِ، بوصفها عاملَ التغييرِ والتبديلِ فى الصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية، من جانب المؤلف، وشملت المستوياتِ اللغويةَ؛ الصوتيَّةَ، والصرفيَّةَ، والنحويَّةَ، أما البحث الحالى، فيُرجعُ أسبابَ المخالفةِ إلى عاملِ الانفعالِ الداخليّ بين المؤلفِ والمتلقى، وكون هذه التراكيبِ قد شكَّلَتْ ردةً لانفعال الذات/ الأنا الداخلية للمؤلّف، أو المتلقى، وأن عاملَ الانفعالِ بين بُعدين تداوليين، أحدهما: الانفعال الإيجابى، والآخرِ: الانفعال السلبى.

(الدراسة الرابعة): أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية، رسالة ماجستير، إعداد الباحثة: تسنيم محمود شفيق عطية، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، رقم الرسالة: ١٤٦١١٣١، ٢٠٢٣م، جاءت فى ٩١ صفحة.

تناولت الباحثة فكر أثر الحالة الانفعالية عند المتكلم على التراكيب اللغوية، وتعرضت فى الفصل الأول إلى أثر هذا الانفعال فى الحذف من سياق التركيب، كما فى القسم، والشرط، والنداء، والإغراء والتحذير، وفى بناء الفعل للمجهول، وفى حذف المبتدأ والخبر ...

وتعرضت فى الفصل الثانى إلى أثر هذا الانفعال فى الزيادة على التركيب، مثل الزيادة فى القسم، والزيادة بالتوكيد. أما فى الفصل الثالث فقد تعرضت لدراسة أثر هذا الانفعال فى التقديم والتأخير فى عناصر الجملة العربية. وتوصَّلت الدراسةُ إلى أن للسياق ولحالة المؤلف أثرًا كبيرًا فى إنتاج التراكيب اللغوية، وأن هذا يؤدى إلى حذف بعض العناصر اللغوية أوزيادتها، أوإلى التقديم والتأخير؛ وأن هذا الأمر يخضع لفكرة الانفعال، مما قد يؤدى إلى التحول الدلالى. وقد تلاقت هذه الدراسة مع الفكرة العاملة للبحث الحالة، وهى وجود علاقة بين الحالة الانفعالية وعملية الإنتاج الكلامية، وأن للانفعال بالغ الأثر فى التصرفات الكلامية.

إلَّا أنَّها قَدْ اقْتَصَرَتْ على التحوُّلَاتِ الصرفيَّةِ المُتَدَاخِلَةِ مع أبوابِ علمِ النحوِ، وقَدْ أغفلتْ– بصورةٍ كليةٍ– الْحَدِيثَ عَنْ أثرِ الْانْفِعَالِ فى الضَّبْطِ النَّحْوِى، وعلاقةَ ذلك الأمرِ بالتَّلَقِّى، والاتِّصَالِ، والتَّفَاهُمِ بينَ المؤلفِ والمُتَلَقِّى، وهذه أهمُ نقاطِ الاختلافِ بينها وبينَ البَحَثِ الحَالِى، وهو ما تكَفَّلَ الأخيرُ بالتَّعَرُّضِ لَهُ بالدَّرْسِ وَالتَّحْلِيلِ.

المبحث الثانى: الإطار النظرى للبحث الحالى.

يشتمل هذا المبحثُ على مطلبين، يُمكنُ توضيحُهما على النحوِ الآتى:

المطلب الأول: عامل الانفعال فى ضوء نظرية الأفعال الكلامية، وفيه ما يلى:

- **مقدمة:**

فى بَدْءِ الأمر؛ تجدرُ الإشارةُ إلى أن هذا البحث يقعُ ضمنَ مجالات علم اللغة النفسى التفاعلى؛ وهو فرعٌ ضمن فروع علم اللغة التطبيقى، الذى تتكاملُ فيه طبْعيَّةُ الانفعالاتِ الإنسانية وطبيعتُها مع تداوليةِ العناصرِ اللغويَّةِ فى سياقاتها الاستعمالية، بوصْف هذا الفرعِ مُصْطَلَحًا نَاتِجًا بين المهتمين باللغة ومدى ارتباطها بالدراساتِ النفسيَّةِ، والإدراكية، والظواهر اللغوية العصبية؛ نحو النبر، أو التنغيم، أو التقطيع، أو تشكيل بنية مقطعية معينة، أو التحويل فى الهيئة التركيبية، أو غير ذلك من الظواهر الصوتية، أوالصرفية أوالتركيبية؛ حيث أدرك النفسلغويون أن الظاهرة الكلامية لها صلاتٌ وثيقةٌ بالنفس، إذ تنعكس سطوةُ النفسِ وانفعالاتها على العملياتِ العقليةِ واللسانية، ومن ثم على طبيعة إنتاج الفعل الكلامى؛ بمستوياته المتعددة والمتباينة؛ وترتكز تحليلاتُ هذا العلمِ حولَ دوْرِ الحالاتِ العضويَّةِ والنفسية والعواطف والتعبيرات الشعورية فى إنتاج الفعل الكلامى، وإدراك معناه، كما ترتكز حولَ الردودِ الشعوريةِ، والمواقف العاطفية، والذهنية تجاه حدث ما فى موقفىْ التواصُل والاتِّصال(١) وتدرس– إلى جانب ذلك– ارتباطَ هذه العناصرِ جميعها بعملياتِ التفسيرِ والتوجيه الدلالى، بالإضافة إلى البحث عن عِلَلِ تحوُّل الفعل الكلامى المنجَز إلى فعلٍ كلامى تأثيرى، يصل إلى انتهاج المتلقى– بصورةٍ أخصّ– سلوكياتٍ إراديةٍ، تتطابق مع مضمون الفعل الكلامى فى موقف الاتصال، أو أخرى غويَّةٍ، تنتهك ضوابط الاستلزام التحاورى.

هذا من منطلق أنَّ مهمة المتعرِّض للدرس اللغوى– ولاسيما المرتبط بدراسة الانفعالات النفسية، وعلاقتها باللغة– أن يدرس اللغة؛" من حيثُ هى لغةٌ، يدرسها كما هى، وكما تظهر؛ ويصفها فى موقف استعمالها، كما تتداول عند أربابها؛ فليس للباحث فيها أن يُغَيِّرَ من طبيعتها، أو أن يقتصر على جوانب منها، من دون جوانب أخرى، مُسْتَحْسِنًا إيَّاها، ومُنَحِّيًا جوانب أخرى؛ افتئاتًا ببعضها، أواستهجانًا لها، أو لغرض فى نفسه، أو لأيِّ سَبَبٍ آخرَ مِنَ الأسباب التداولية".(٢) ومفادُ هذا الكلامِ أن عملَ الباحث اللغوى– فى المرويات اللغوية المُحْتَجِّ بها– مقتصرٌ على وصفها كما هى، عند المؤلف والمتلقى على حدٍّ سواء(٣)، وأن يُحلل تصرفاتِها، كما هى فى أصل الوضع، ويراعى الاستعمال، وبطريقة موضوعية، بما يحقق الجودة للعملية التواصلية.

- **ماهية اللغة وآلية الانتقاء فى فعل التواصُل التداولى:**

تُعد اللغةُ(٤) Langue– أو آلية التخاطُبِ القائم على الممارسةِ الذهنية الاجتماعية، التى يتواصل بها طرفا التفاعلية التداولية(٥)– ظاهرةً اجتماعيةً(٦) ورابطةً تواصُليَّة يتفاهم بها الناس(٧) وتقع فى أذهانهم، بما تحويه من دلالات ثقافية، وتفسيرات اجتماعية، ودلالة التعبيرات الانفعالية التى مصدرها من نفوسهم؛ وأدائُها– فى إنجاح هذا الاتصال– رواقدٌ من العناصر اللغوية، والسياقات الكلامية غير اللغوية، من مثل: حُسْنِ الصَّوْتِ، ودقةِ الانتقاءِ اللفظيّ، وجودةِ إنتاجِ الفعلِ الكلاميّ، وكفاءةِ أدائِه، وسلامةِ عناصرِه؛ إلَّا أن نجاح هذا العمل التداولى يقوم على الجمل التركيبية المسبوكة المحبوكة، والتامة المستقلة المفيدة، التى ترتبط بكل لفظة من ألفاظها دلالةٌ ذاتيَّةٌ واجتماعيةٌ(٨) تقوم على التداول فى موقف

---

(١) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى:٤٥٢– ٤٥٣

(٢) علم اللغة النفسى، د: عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى، ط١، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فهرسة مكتبة جامعة الملك فهد الوطنية، عمادة البحث العلمى، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ١٢

(٣) يستوى– هنا– طرفا التداولِ من المؤلفِ والمتلقى؛ فى ما يتَّصلُ بصناعةِ الكلامِ وإنتاجه، وقصديته من الأولِ، وتفسيرِه، وتحليلِه، وتقبُّلِه من الآخرِ.

(٤) يُقصدُ بذلك: رافد التداول بين المتواصلين فى موقف الاتِّصال، فى التعبير عن الأغراض، والمقاصد، والانفعالات، بين ثنائية الإفهام والفهم، حيث اللغة كيانٌ متكامل، يعتمد على تقديم الإفادة للمتلقى، فى صور لغوية، وأخرى غير لغوية، يجعل منها السياق صورًا لغوية متكلمة وذات خطاب، ويشترط فيه أن يقوم على علاقة من الترابط بعلاقة الإسناد الظاهرة Combinatorial، أو كما سمّاها بول ريكور Paul Ricoeu : الشفرة اللغوية Code. انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمى، ط٢، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م: ٢٣

(٥) انظر: اتِّجاهات حديثة فى اللغويات التطبيقية، مباحث لغوية (٤١)، د: غسان بن حسن الشاطر وآخرين، ط١، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م: ١١

(٦) يُراجع حديث د: محمد عنانى عن اللهجات الاجتماعية المعيارية وغير المعيارية، علاقة ذلك بسلطة الاستعمال. انظر: اللغة والسلطةlanguage and power –٢nd Edition، نورمان فيركلف، ترجمة: د، محمد عنانى، المركز القومى للترجمة، ط١، العدد: (٢٥٥٥)، ٢٠١٦م، القاهرة: ١٥

(٧) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية، د: صالح سليم عبد القادر الفاخورى، (د.ط) ، المكتب العربى الحديث، الإسكندرية، (د.ت) : ١٧

(٨) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى، د: عطية سليمان أحمد، ط١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ٢٠١٧م، القاهرة : ٧

الاستعمال، وتعبِّر عمَّا فى النفس([1]) من الانفعالات، والأفكار، والمعارف، والموضوعات، والقضايا؛ والعواطف، ونقل التجارب والخبرات، بعيدًا عن الأصوات المجردة، التى لا تحمل معنى حاسمًا، باستثناء الأصواتِ التعبيريةِ أو الصيغِ الإفصاحيةِ، التى قد تنوبُ عن العناصر اللغويَّةِ؛ ممَّا عدَّه اللغويون والنحاةُ جملًا مفيدةً؛ بحسب تسبيقها، وتداوليتها بين المؤلف والمتلقى.([2])

وينقُل العُصيلى تعريفَ ديفيد كريستال David Crystal لعلم اللغة النفسى، بأنه:" فرعٌ من فروع علم اللغة، يدرس العلاقة بين السلوك اللغوى، والعمليات النفسية، والعقلية، التى يُعتقد أنها تفسِّر ذلك السُّلوك".([3]) ومن المترجح أن هذا التعريف– بجمْعِه بين النفس واللغة – ينبِّه إلى دور العملياتِ العصبيةِ، والعقليةِ، والإدراكيةِ، التى تشاركت جميعُها فى إنتاجِ هذا السلوك التَّخاطُبىِّ وإنجازِه، وربما تحويله إلى فعل تأثيرى فى موقف الاستعمال، إذ لا يوجد فعل كلامى لغوى، من دون انفعال؛ فيُستشف من هذا– وفى ظلِّ محددات نظرية الانفعال النفسى([4])– أنه يُمكن النظر إلى سياق الانفعال بوصفه قاسمًا مشتركًا بين المتخاطبين، أو المتواصلين فى لغات الكائنات الحيَّة.([5]) التى تتعايش– فى ما بينها– بالتواصُل والإفهام؛ بالإضافة إلى كونها خصيصةً للكائن الحى، فى مقابلة السواكن والجمادات.

إذ إن للحيوانات أفعالًا كلامية، وانفعالاتٍ، ولغاتٍ، تتواصل بها، وتتعايش؛ ولها قدرة نوعية على الكلام([6]) بأدوات صوتية منطوقة، وحركية، وجسمية، وسياقية، وإشارات، ورموز ورموز غير منطوقة؛ إضافة إلى حوارات التفاوض، والتلطُّف، ودلائل التأدُّب؛ وغير ذلك من المُصاحبات اللغوية؛ التى تتواصل بها بيْن بنى جنسها، لكن السمات العقلية وخصائص الدماغ" تختلف فى الإنسان عنها فى أدمغة الحيوانات، إذ مَيَّز الإنسان بالتفكير، وإنتاج الكلام، وتمييزه، وفهمه؛ والقدرة على القراءة والكتابة، وصياغة مشروع التواصل وصناعته".([7])

وحيث إن اللغةَ ظاهرةٌ تداوليةٌ اجتماعيةٌ، يعتمد عليها الإنسان فى عمليات التعايش والتواصل، فلا غنى له عن استخدامها، لأنها وسيلته الاتِّصالية، وأداة التفكير لديه، ووسيلة التعلم عنده، وهى المعبرة عمَّا فى دماغه، وما يتَّصل به من جهاز عصبى، يتحكَّم فى معظم حركات الجسم، ومنها التكلم والتواصل، وهذا يؤدى إلى أن تقوم اللغة بوظيفتين؛ هما:

- أن تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية، وفى هذه الحالة يكون هدفُها توصيلَ الأفكار ونقلها.
- أن تكون أداة للتعبير عن العواطف والانفعالات، وإثارة المشاعر، والتأثير فى السلوك الإنسانى، ويُعينه على ذلك جميع ما يقوم به الإنسان من ظواهر لغوية؛ بما يتلاءم مع أفكاره وانفعالاته.([8])

وتعتمد آليةُ الربْطِ– فى هذه اللغة– على مُكوناتِها الشَّكْلِيَّةِ؛ من سطْحِ الكلام؛ الصوامت، والصوائت؛ المشتملةِ على الحركاتِ، والأصواتِ، والمقاطعِ، الكلماتِ، والتراكيبِ، والعباراتِ، والجُمَلِ([9]) وما يرتبط به من الأثرِ الإعرابىِّ([10]) وصورةِ الهيئةِ التركيبيةِ؛ من دون الاقتصار النِّسبى على الصُّور الشَّكْلِيَّةِ فى عرض المعانى فَحَسْب، بل التمحور حول فكِّ الشفرة الكلامية، من جانب المتلقى، ومحاولةِ تفسيرِها؛ باعتماد الأثرِ الإعرابىِّ، الموضوعِ على آخرِ الكلمةِ فى الهيئة التركيبية الكليَّةِ، وارتباطه بقدرة المتلقى على اصطياد

([1]) اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٩

([2]) انظر: الأساليب الانفعالية فى خطب العرب(دراسة وصفية إحصائية)، د: عاطف فضل، مجلة مقاربات، العدد الثانى– م١ – خريف، ٢٠٠٨م: ٢٦

([3]) علم اللغة النفسى : ٢٦

([4]) التى تتجاوز الاهتمام بالفكر المجرد إلى التطبيقات، وتجعل من الشاهد أوالتمثيل ركنًا مهمًّا فى صياغة مكوناتها وهيكلها. انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى–عربى(أدبيات): تصدير ٢

([5]) لا يقصد الباحث–بحال– القدح فى أقيسة النحو المعيارية وقواعده، ولا يقصد الطعن على درس القدماء فى منجزهم اللغوى، ولا يقصد– بحال– التبرير الخطأ على إطلاق المصطلح فى الفكر أوالاستعمال؛ إنما يُقدم مُعالجة، هى– فى الأصل– قراءة اجتهادية، تؤكد سبْق القدماء فى مجال اللسانيات الإدراكية Linguistics Congnitive ، والنظريات اللغوية الحديثة الوافدة، نحو اللسانيات العصبية Neuro Linguistics، ونظرية الصفر اللغوى، وقد أشار الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى إلى علم اللغة العيادى Clinical Linguistics دون أن يعرِّفه، لعله : ذلك العلم المختص بالأنماط الطبية، من مصطلحات عيادية خاصة، وما يدور على ألسنة المرضى من عبارات وتراكيب، تتصل بالجمع بين الاختصاصات الطبية والحالات المرضية، فى ضوء العلاقات الكلامية بين الطبيب والمريض، والافتراضات المنطقية والأيدولوجيات، مما يعكس سلطة الانفعال فى موقف الاستعمال، مما يجعل الانفعال مصدر سطوة المؤلف على متلقيه وقدرته على توجيه ذهنيته– والتحكم فيها بصورة غير مباشرة– نحو معنى ما، وكذلك أشار إلى وجود علم اللغة النقدى Critical Linguistics. انظر: علم اللغة النفسى : ١٩، وانظر: اللغة والسلطة: ١٦، ٧١

([6]) انظر: علم اللغة النفسى فى التراث العربى، د: جاسم على جاسم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:(١٥٤):٥٤١

([7]) انظر: علم اللغة النفسى : ١٤١

([8]) انظر: علم اللغة النفسى: ١٤٢

([9]) انظر :اللغة والسلطة : ١٩٦

([10]) يُقصد بذلك : الحكم الإعرابى للوحدات التركيبية، فى ضوء موقعيتها، وفئتها، والعوامل النحوية اللفظية والمعنوية المباشرة لها، وما ينتج عن ذلك من آثارٍ إعرابيةٍ من: الرفع، أو النَّصبِ، أو الجرِّ فى الأسماء، أو الجزْمِ فى الأفعال، الحركات والعلامات على حدٍّ سواء.

المعنى المركزى، فى ضوءِ ما أطلق عليه الدكتور محمد عنانى:" موارد الأعضاء Resources Members والذى يُشير به إلى ما يختزنه الذِّهْنُ من مَعَارِفَ وخبراتٍ؛ المجرَّد منها والمجسَّد"(١) وتُدار عمليةُ الاتِّصال بانشغال المؤلف فى صناعة البنية المشكلة للفعل الكلامى؛ التخطيط لإنتاج المعنى، وتقديم روافد للتأويلات المحتملة(٢)، أما التواصل الشكلى فيكون عبْر النطقِ بالأصواتِ والصيغ التركيبية الكلامية، عقب التخطيط لإنتاج الفعل الكلامى؛ من " أعضاء النطق لدى الإنسان، بالتكامل مع الأجهزة العصبية، فتُنتقى صور الأفعال الكلامية من جانب النفس، وتُترك من جانبِ العقلِ، فتنتقل فى الهواءِ، فتلقاها أذنُ السامعِ".(٣)

وتقع على مصطلح موارد الأعضاء مسئوليةُ التعبيرِ عن المُحددات التداولية، من مثل: الافتراضاتِ المُسْبَقَةِ(٤)، وما يتواضعُ عليه شركاءُ التواصُل سلفًا، وغير ذلك من مثل: آليات الانتخاب، والإنتاج، وسُبُل التَلَطُّف فى التعبير؛ قدر استطاعة مُستخدمىْ الخطاب التَّرسلى، واعتماد استراتيجيات التقوية الكلامية، المعتبرة فى موقف التحاوُر؛ من مثل: مبدأ التَّأَدُّبِ، واستراتيجيةِ التفاوض، والمُحاججةِ، واستراتيجيةِ استفار الحواس وترسُّلِها، واستشارِ دلالة التعبيرات الإشارية، أو الدلالات القارة للفعل الكلامى، ممَّا يتَّصل بتسييق الخطاب اللغوى، وتقبُّلِه، وتفسيرِه، فى ضوءِ المنطقية، والتوقُّع، واستفار حواس المتلقى باحتمالية الدلالة غير المتوقعة.

والذى يؤيّد ما يذهب إليه الباحثُ؛ من ضرورة أن يُحْسِنَ المؤلِّف عرضَ مَضْمُونِ فعله الكلامى؛ أنَّ كمية الفعل الكلامى وهيئته تَشْغَلَانِ جانبًا مهمًّا فى إنجاح عمليتىْ التَّواصُل والاتِّصال بين المؤلف والمتلقى؛ " يتحقق ذلك فى النظر إليها؛ بوصفها فنَّ النُّطْقِ بالكلام على صورةٍ توضِّح الألفاظَ وتكشف القناعَ عن معانيها، أو هى فنُّ التَّأْثِيرِ فى المستمع بكُلِّ حَواسِه؛ السمعيَّة، والبصرية، والشعورية ".(٥)

من هنا المنطلق فإنه لابد من التسليم بأن المُكَوناتُ اللغويَّةُ– فى جميع مستوياتها الحركية، والمبنوية Levels Of Language– قد وُجدَت يومَ أحسَّ الإنسانُ بالحاجة إلى التواصُل، والتفاعُل مع مضامين الفعل الكلامى، ومن ثَمَّ الاتِّصال، والتفاهُم بينه وبين غيره؛ من بنى جلدته من البشر، ويقوم هذا التواصُل– أوالاتِّصال– على إيقَاظِ مختلفِ الحواسِ الإنسانية إلى ما فى الخطاب Discourse من مضامينَ وقضايا، ويصوغ لهذا الغرض كلامًا مركبًا من وحدات لغوية وغير لغوية، تقوم على تنويع القوالب Moulds اللغوية والصور التركيبية للخطاب؛ من باب تنويع الشكل Form من أجل التنوع الدلالى، وهنا تبدو صورة أخرى من صورِ الترابطِ، يتحوَّلُ فيها الفعلُ الكلامىُّ، من الفعلِ المضمَّنِ الناتجِ عن فعلٍ كلاميٍّ سابقٍ– فى الغالب– إلى فعل كلامى مُنجز ومُؤثِّر(٦) حتى أن مؤلف الخطاب– فى ضوءِ خبراته التواصلية وما بينه وبين متلقيه من افتراضات مسبقة–يعبِّر بالإشارة وبالنظرة؛ إذا أعوزت الكلمة.(٧)

وحيث إن عملية الاتِّصال تتطلب مراعاة مبدأ التعاون بين المؤلف والمتلقى، فتُلْزِمُ التداوليةُ اللغويَّةُ المؤلفَ –بوصفه الباثَّ للفعل الكلامى، المبادر به– بأن يُؤدِّى حقوقَ المتلقى، فى ضوءِ نمطه، وطبيعة التلقى، وموضوع التواصل؛ ولاشك أن من حقوقه" أن يتهيأَ له– فى ما يُخَاطَبُ به– أداءٌ واضحٌ، تتميزُ مفاصلُه، ويمتدُّ رنينُه؛ ليعبِّر به عن أبعادِ معناه، كما من حقِّه أن يقدَّمَ له الكلامُ، بما يناسبُ مقتضى الحالِ، إسهامًا فى صدق التعبير وكماله".(٨) ولا يكون المعول– فى هذا الأمر– التمركز الذهنى حولَ كمِّ الكلامِ– طولًا أو قصرًا– إنما فى كيفِه، ودلالته المضمونية، وطرائقِ عرضِ مضمونِه؛ ومدى إحاطة الهيئة التركيبية بالقصد المُراد؛ وحتى يَفِىَ المؤلفُ بهذا الواجبِ؛ عليه أن يُدرك أن العلاقة بين الألفاظ والمعانى ليست بالعلاقة الاعتباطية، وأن عليه أن يحشد كل الأدوات، والأدلة، والبراهين، والعلامات، والعناصر الإيحائية، وغير ذلك من العناصر غير اللغوية، التى يُدَعِّمُ بها عَرْضَهُ لمقصده، ويقطعُ الاحتمالاتِ غيرَ المنطقيةِ عن الوصولِ إلى ذهنيةِ المتلقى.(٩)

---

(١) اللغة والسلطة :٢٦– ٢٧

(٢) انظر : الدلالات التصويرية للتكير فى العربية، د: عادل الباهى، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٩م: ١١

(٣) الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية، د: محمد سالم الرجوبى، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، السنة: (١١)، العدد(٢٠)، الجمهورية الليبية، ٢٠١٤م: ٢٥٧

(٤) قد يعبَّر عنها بمصطلح : الأفق النصى، وتشمل صورتين تداوليتين، تُعينان المتلقى فى فهم الخطاب، إحداهما: أفق النص، والذى يشمل: التراكم الثقافى الموجود المودع فى الذاكرة الوجودية، وأفق القارئ، الذى يشمل: الذاكرة الذاتية، من القناعات، والمعتقدات...والصورة الأخرى: أفق المستقبل، وهى المحددات المختلفة التى يُريد طرفا التحاور فتحها على المستقبل، كأن نضع مصطلح: فتح الذرائع فى مقابلة قاهدة: سد الذرائع، فى ضوءِ الوعى القائم على رؤية الواقع.

(٥) القرينة الصوتية وأثرها فى توجيه المعنى عند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) ، د: فراس فهرى ميران، ود: قصى سمير عبيس، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد/١٨، بابل، كانون أول/٢٠١٤م: ٧٩

(٦) انظر : المخالفة، دراسة صرفية صوتية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د: هيام فهمى إبراهيم، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م:١٥

(٧) انظر : ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى: ٧

(٨) المختصر فى أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية تطبيقية، د: محمد حسن حسن جبل، ط٢، مطبعة دار الصحابة، طنطا، ٢٠٠١م : ١٠

(٩) انظر : الدلالة الصوتية فى اللغة العربية: ٩

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

لأنَّ الألفاظَ؛ إنْ هى إلَّا أوعيةٌ للمعانى، وما هى سوى أصواتٍ، يلفظها جهازُ النطقِ؛ وتتداخل قيمتها الدلالية، بصورة تصاعدية، بين الألفاظ الغُفْل المُهْمَلَةِ، وبين تلك التى يتحقق فيها مبادئ الإيجاز، والسلامةِ، والإفادةِ، والعمق، والغموض الإيجابى، ومناسبة الألفاظ لبيئتها الجغرافية:(تسييق الخطاب اللغوى) فكثيرًا ما تسيطر على الإنسان بعضُ الانفعالاتِ الإيجابيةِ أو السلبيةِ، التى تؤثر فى تراكيبه الكلامية اللغوية، وغير اللغوية؛ وتصبح هذه الانفعالات السابقة لعملية إنفاذ التواصل جزءًا رئيسًا فيها، **بل إن عامل الانفعال** يغدو هو المشكِّلَ لها، والمُقيِّدَ لدلالتها؛ فيجوز له أن يكون من عوامل النسخ، الذى يمتلك القدرة على الإزالة ، أو التميم، أو التغيير ؛ انطلاقًا مما اُختصت به اللغة العربية من صلاحيتها للنسخ فى كثير من الأبواب والمواضع، ويكون هذا الانفعال كيانًا متداخلًا من التغيرات الثقافية، والاجتماعية، والبيئية، والذاتية، التى تتفاعل معها النفس، ويقوم البناء التركيبى وفقًا له؛ فإذا خلا هذا التركيب من أثر عامل الانفعال، صارت الصور اللغوية والتركيبية أداءً جافًّا، من دون روح.

لعل رغبة المؤلف فى نسخ الأثر الإعرابى فى بعض التراكيب– بسبب عامل الانفعال– هو ردَّةُ فعلٍ تداولية، لما اُختصت به الجملةُ العربيةُ من صلاحيتها للنسخ، وهذا يكون مقبولًا أن تكون التراكيب بمنزلة الأصوات غير المعربة؛ لأن الإعراب لا يُستَحقُّ إلَّا بعد العقد والتركيب.(١)

فيُنظر إلى المَعَالِمِ الشَّكْلِيَّةِ للكلامِ، بوصفها آثارًا لسياق الانفعال؛ تلك الآثار يلتقطُها المتلقى، لتُعِينَه فى عمليات التفسير؛ ويكون بناؤه التفسيرى لخطاب المؤلف من افتراضاتِه وتوقعاتِه، لذا يُعَدُّ مِنَ المُسَلَّمَاتِ والسُّنن– فى النظريات الاتِّصالية– أن اللغة– بمعناها المُتَدَاخِلِ والمتَّسع– هى الوعاءُ الذى يُقَدَّمُ فيه الفكرُ الذى يتداخلُ مع الانفعالِ؛ إلَّا أن الهيئةَ اللفظيةَ للغة هى الأكثرُ شيوعًا فى الإحاطة بهذا الأمر، يُضاف إلى ذلك دورُ السياقContext المُحيط فى الإبانةِ عن الفعلِ الكلاميِّ المُضَمَّنِ، قد يُحدث السياقُ مُغَايَرَةً تأْوِيليَّةً غيرَ المتوقعةِ للعناصر اللغوية، حيثُ إن العلاقة بين الانفعال– والفكر، واللغة– علاقة تأثير وتأثُّر(٢) وتكون اللغة "هى السببَ فى العلاقة التفاعلية بين الفرد والآخر".(٣) والآخر".(٣) ومن ثَمَّ فهى وسيلةُ التعبيرِ، والتلقى، والتواصُلِ، والاتِّصالِ؛ وفى أحايينَ كثيرةٍ تنفردُ اللغة بكونِها وسيلةَ إقناعٍ واقتناعٍ.

ليس من شكٍّ فى أن عملية الاتِّصال تقوم– بين أطرافها– على انتقاءِ المؤلفِ عناصرَ قصْدِه من خطابِه اللغويِّ، بما يُمكن أن نُطلق عليه: الانزياح الاستبدالى(٤) بما يتلاءمُ مع مُراده المركزى بشكلٍ بيِّنٍ من جهةٍ، ووضْع المتلقى وقدراته، وحالته النفسية، وأفق انتظاره، وعناصر التفسير، من جهة أخرى؛ فى هذه الحالة يبرُز فعل الانفعال، بوصفه تركيبًا قويًّا، يكثِّفُ عرضَ الكتلةِ الدلالية، ويُعتمَدُ– فى إدراكِ القصدِ– على التَّشَارُكِ الانفعاليِّ والتفاعلِ المباشرِ أو الضمنيِّ(٥) بين كلٍّ من المؤلف والمتلقى(٦) فالمشاركة – فى حدث حدث الانفعال– تتطلب نوعًا خاصًّا من التلقى، وسياقًا نوعيًّا فى التفسير والتفاعُل.

إذ إنَّ هذا التَّصَرُّفَ يَحْصُرُ ذِهْنَ المُتَلَقِّى فى ضرورةِ أن يتمركزَ المعنى حول تلك المعانى المترتِّبةِ على الشَّكل، الذى يُنظر إليه بوصفه بوابة نلجُ منها إلى المضمون؛ وليس هذا مقصودًا، ولا متأتيًا فى تركيب الانفعال إلَّا بحالة الانسجام مع دلالاتها الكلامية التداوليةPragmatic، المتواضع عليها، ومجاوزة قدرة المتكلم على التحدُّث؛ إلى قُدْرَتِه على تحقيق الأهداف الجادة للتواصُل والاتِّصال، أو ما يعبَّر عنه بالكفاءة Competence التواصلية، ومن ثم الاتِّصال؛ بوصف الأخير كيانًا، أو مشروعًا كلاميًّا مراوغًا، يقتضى تضافُرَ –أو تلاقىَ– أبعادٍ عديدةٍ لتَحَقُّقِه. فيمكن أن يُقال : إن سياق الانفعال هو الذى يُحدد القوة والضعف فى مضمون الفعل الكلامى، إذ يَحملُ دلالةً على التأكيد، أو المبالغةِ، أو الاعتدالِ فى الدلالةِ على معنى ما.(٧)

يُدرك طرفا الاستلزام التحاورى – فى لغةِ الاستعمالِ– أن عاملَ الانفعالِ له الدورُ الحاسمُ، فى عمليتىْ التفاعل والاتِّصال، حين نجد أحد المتخاطبيْن قد أحال الحديث إلى آخر، بإيماءة بصرية، أو إشارة جسدية، أو صوتٍ إفصاحى، أو دلَّ– بلغة الوجه، والعينين، والكتفين– على معنى الاندهاشِ أو الاستغرابِ، أو أن يجيّد انفعالَه فى قرينة لغوية، بقوله

---

(١) انظر: الجملة الاسمية، د: على أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م : ٢٤

(٢) انظر: العربية فى الدَّال اللِّسانى للصورة الإشهارية، بنيات التركيب والتدليل، د: كريمة القلى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى: ٣٨٧

(٣) العربية فى ظل وسائل التواصل الاجتماعى، دراسة ميدانية لدى طلبة الجامعة، د: ريم بلال، ود: نورية سوالمية؛ ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى: ٦٧٥

(٤) انظر: الانزياح التركيبى فى شعر محمد بن بشير الخارجى، د: فهد بن حمّاد التميمى، مجلة كلية دار العلوم، العدد: ١٤٣، يناير: ٢٠٢٣م:٤٨٢

(٥) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، د: عبد العالى قادا، ط١، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م : ١١

(٦) انظر: الطاقة الحجاجية للغة فى الإقناع عبْرَ شبكات التواصل الاجتماعى– الفيسبوك أنموذجًا، د: عرابى أحمد، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى: ٥٧٠

(٧) انظر: السياق وأثره فى توجيه المعنى من خلال التفسير البسيط للواحدى(ت٤٦٨هـ) من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة الفرقان، إيمان طه صميده محمد، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة، ٢٠٢٢م: ٥٩

لمخاطبه: إنك لم تفهمنى، رغم أن ما يستعمله هو من صنوف اللغة الواضحة، أو أن يُصدر حكمًا بناء على ردة انفعالية أصابته جراء فهمه للخطاب، كأن يقول: فلانٌ خبيثٌ، من دون أن تحمل البنية السطحية للتراكيب اللغوية أية دلالة على الخبث.(١)

ولو نظرنا إلى العملية الاتِّصالية بين المؤلف والمتلقى– بصورة أكثر تفصيلًا وعمقًا– لوجدناها تتطلَّب عملَ مجموعةٍ من الأجهزة العضوية والاعتبارية المتداخلة، من مثل: الجهاز النطقى، والجهاز السمعى، والجهاز العصبى الحسِّى، بالإضافة إلى العمليات العقلية المتمركزة فى ملكات الإدراك Perception– بوصْفِ الإدْراكِ عمليةً سمعيَّةً، وعقليَّةً، وعصبيَّةً، ولغويَّةً، ونفسيَّةً– حيث إن عملية الإدراك تتمركزُ حولَ رسالةٍ تداوليةٍ بين المؤلف والمتلقى، فى عملية دينامية.

تبدأ بإرسال المؤلف كميةً لغوية– (كتلة كلامية)– فى هيئة تركيبية، وبعض الإيحاءات المُعضِّدة، التى تُرسَلُ من جانب المؤلف إلى أُذنِ المتلقى، ومن ثَمَّ إلى مراكز السمع فى الدماغ؛ بهدف إدراك المتلقى لعناصرها الصوتية، وتحليل صيغها الصرفية، وأبنيتها النحوية، ودلالتها المعجمية، فى ضوء السياق والدلالات العرفية، حتى يتسنى فهمُها وإدراكُ معانيها، لاستخلاص مضمونِ الفعلِ الكلامى المُراد، وجوهره الدلالى.(٢)

ومن يتمعَّن دينامية عملية الاتِّصال يجد أنه يشترك فيها روافدٌ تداوليةٌ متعددةٌ، تقوم على إقناع المتلقى، ودفْعِه إلى التَّفاعُل؛ وصولًا إلى عملية الاقتناع، وتتشكل هذه الروافد التداولية من مكونين، أحدهما: العناصر اللغوية الملفوظة(اللغة اللفظية)، والآخر: العناصر غير اللغوية؛ من مثل: (اللغة الإشارية)، و(اللغة الانفعالية)، تقوم اللغة الأولى بطرْحِ الفعل الكلامى المضمن، فى صورة لفظية، مسموعة، أو مكتوبة إلى محددات البنية السطحية، فى محاولة من العناصر اللفظية إلى تغليب الفكرة المجردة، ومخاطبة اللغة والعقل، هذه مرحلة إنتاج الفعل الكلامى المتلفظ به، أو فعل القول، فى حين تؤدى اللغة الثانية دور الفعل المُساعد، الذى يُعين فى عملية إيصال المعنى المضمن، وتركزه فى ذهن المتلقى ووجدانه، وتنبيه العقل ليربطَ بين فعل القول والفعل المضمن.

فى هذه المرحلة؛ يعتمد المعنى المتحصَّل على الحركات الإعرابية، وعلى موقعية كلِّ كلمةٍ داخلَ هيئةِ التركيبِ فى غالب الأمر، ويتوقف إدراكُ المتلقى للتأويلِ المحتملِ للهيئة التركيبية على التزام المؤلف بمعيارية الحركة الإعرابى من عدمه، وكذلك التزامه معيارية الترتيب الوجودى من عدمه، لأن كلَّ تغيُّرٍ فى نوع الحركة الإعرابية يصاحبه تغيُّرٌ فى المعنى، ذلك المعنى الذى تدلُّ عليه الألفاظُ، ومعايير الشكْلِ، والكميَّة، والنظْم، والهيئة؛ مع أخذ المتلقى فى اعتباره– فى عملية التفسير – ارتباط ذلك كلِّه بالعامل النحوى وعمله، وأثره الإعرابى.(٣)

وربما يلجأ مؤلف الكلام– تحت تأثير الانفعال– إلى الخروج عن النظام اللغوى، ومخالفة القواعد النحوية؛ بل إن لغة الانفعال قد تشكِّل آلية أكثر حَسْمًا فى عرْض المعنى، وبناء مفرداته، وتشكيل هيئته، والبرهنة عليه، وتفسيره، وتقبُّله، وتقوم اللغتان–الانفعالية، والنحوية– بعمليةِ تقريبِ المعنى، وجَعْلِهِ مَنْطِقيًّا قابلًا للتداول، وتأتى اللغة الثالثة– **<u>التى تمزج بين لغات النَّفْس، والعقل، واللغة</u>**– لتزيد الشحنة الدلالية، ونقل الفعل الكلامى المضمن من الحيز المجرَّدِ إلى كَوْنِهِ كِيَانًا مُتَحَرِّكًا، ونَشَاطًا سُلُوكِيًّا مَلْمُوسًا؛ إذ تُضيف هذه اللُّغَةُ مُخَاطَبَةً دِلَالِيَّةً جديدةً، تزيدُ من روافدِ اقتناعِ المتلقى، وهى مُخَاطَبَةُ نَفْسِهِ، قبل استثارةِ الحواسِ، وتحريكِ العقلِ، وقبل انتقاء العناصر اللغوية المُعبرة، لتقدَّمَ له مَعْنًى مَنْطِقيًّا.(٤) انطلاقًا من أن المعانى تقومُ فى الأنفس؛ قبل أن تُبَاشَرَ المُحدداتُ العقليةُ، والضوابطُ اللغويةُ وأعرافُها المتواضعُ عليها، ويكون موقفُ الانفعالِ مكتسبًا قوته من سياقه التداولى، الذى ورد فيه، بل يصير صوتًا من أصوات المعنى، التى يُستدل بها عليه(٥) ويكون هو الداعى إلى صياغةِ الوحداتِ الصرفيةِ– بعد انتقائِها– فى هيئة تركيبية محددة.

وهناك أمر آخر، وهو أن الإنسان– فى امتلاكه مهارات التواصل، ومقومات العملية الاتِّصالية– يحوز ذلك بصورة تصاعدية؛ لارتباط ذلك بحالة نموٍّ معرفيةٍ ونفسيةٍ، فيبدأ بإدراك أهمية المورفيمات، والفونيمات التواصلية، وأن كل وحدة صوتية، أو قالب صرفى أو تركيبى يحمل جانبًا تواصليًّا، انطلاقًا من تفاوت قوة التراكيب الخطابية بين متلقٍّ وآخر، ومن ثقافة إلى أخرى(٦) وقد يستطيع الإنسان تمييز دلالته، وقد أثبتت الدراسات أن الصيغ اللغوية وغير القياسية تُكتسب قبل المعيارية القياسية؛ واستدلت على ذلك بأن جموع التكسير فى اللغة العربية تُكتسب قبل الجموع السالمة، استنادًا على مبدأ الشيوع والاستعمال.(٧) ويكون التعبير عن الانفعال فطرةً موروثة، وتكون الأفعال الكلامية المنجزة–

---

(١) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ٣٢

(٢) انظر: علم اللغة النفسى: ١٨٣–٢١١

(٣) انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، فارس على مسلم السعود، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، العراق، ٢٠٠٨م/٢٠٠٩م :٢١٨

(٤) انظر: العربية فى الدال اللسانى للصورة الإشهارية، بنيات التركيب والتدليل :٣٩٠

(٥) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية: ١٢

(٦) انظر: اللغة والسلطة : ٧٤

(٧) انظر: علم اللغة النفسى: ٢٣٤

أغلبها– طبيعية مقصودة، ويكون بعضها بأثرٍ من التعلم من البيئة الكلامية أو التفسيرية، فى هذه الحالة يتشكل الفعل الكلامى وفقًا لقصد المؤلف وحالته، الطبيعة النوعية لكل جماعة لغوية فى تعبيراتها عن انفعالاتها.(١)

- **سياق عامل الانفعال وأثره التداولى فى الفكر اللغوى:**

فى الحقيقة؛ لم يغفلُ القدماءُ من اللغويين والنحاة جانبَ تمامِ الدلالةِ فى الفعل الكلامى(٢) وإتّصافِ تركيبِه الدالِّ بالإفادةِ، والاستقلالِ، وجودة السبكِ والحبكِ، فقالوا: إن أفضل الكلام المسبوك المحبوك، الذى تترابط عناصرُه بعلاقة الإسناد، فيصل حد الاصهار، وتصير هذه العناصر كتلةً كلاميةً واحدةً، بوصفها علاقة الإسناد، أو الاصهار من أدوات الربط الشكلى والدلالى؛ بل إنهم قد عقدوا روابط بين صورة التركيب، ودلالته، فى ضوء ارتباطه بسياق الانفعال وعامله؛ فقد أشاروا– فى مدوناتهم– إلى تمركز الهيئة التركيبية للفعل الكلامى حول المعنى المُراد منها، وتقديم المؤلفِ لمتلقيه معوناتٍ لغويةً وغيرَ لغويةٍ، ممَّا يُعينُه على تحقيق حُسن العرض لقصده، وإيصاله إلى المتلقى بصورة مُركزة، ومُكثفة، ومُحيطة بجميع عناصر الدلالة الكلية للتركيب، السطحية والعميقة، حتى فى حالة انكسارِ البعدِ التداوليِّ للأثر الإعرابى. فى إدراكٍ– منهم– أن ذهنَ العربيِّ أو حسَّه قد يُشكلان مفرداتِ المعنى، كما أكدوا ضرورةَ احتياطِ المؤلفِ لمعناه؛ بأن يوازنَ بين عناصرِه اللغويَّةِ، وعدمِ الإخلالِ بالمعنى(٣) مع الإشارة إلى متلقيه بأنه لم يُرد– قاصدًا– إحداثَ فجوةٍ تداوليةٍ بين صورة المعنى فى ذهنية الاستعمال، وتداوليته، والقاعدة القياسية، بل إنه لم يُرد مطلقًا إهدار القيمة الدلالية لتزاكيبه.(٤)

وفى سبيل امتلاك اللغة لمهارات التعبير عن الأغراض والمقاصد، فى ضوء ثلاثية؛ المعيارية الضابطة، والاستعمال، والدلالات الاجتماعية Social Significance المتواضع– أوالمتعارف– عليها فى عمليات التلقى Reception والتفسير ؛ بوصف جميعها ساحاتٍ ثقافية، تقوم على التفاعل فى إنتاج الفعل الكلامى، فإنها تضعُ لنفسها نظامًا، يكفل لها بقاءها، بوصف هذا النظام بالكيان الكلّى، الذى يضم كيانات فرعية، نحو: القوانين الصوتية، والأحكام الصرفية، والقواعد النحوية، بعيدًا عن العشوائية والتخبُّط.(٥) ويكون ويكون الفعلُ الكلامىُّ المُنْجَزُ – فى هذه الحالة– استجابةً لعامل الانفعال، بعقد موازنة بين صورته والصورة القياسية، بعد إجراء تعديلات فى الشكل والنطق.

ولئن كان التلقى يشكل إطارًا مفتوحًا ، تتعدد فيه القراءات وطرائق الاتّصال فإن اقتناعَ الباحثِ يدفعه إلى أن يتبنَّى القول بأن سياق الانفعال قد يغدو أن يكون قاعدةً جزئيةً ومنطقيَّةً من قواعدِ التأويلِ والتداولِ بين عناصرِ موقفِ الاستلزامِ التحاوريِّ، فى مسائلَ معينةٍ، ومن ثمَّ يَصِحُّ جعلُها من حُرَّاسِ المعنى؛ فيكونُ سياقُ الانفعالِ من العلل التى تُعين المتلقى فى الكشفِ عن المعنى، وسببًا فى إيصالِه إلى ذِهْنِهِ، ويؤيد هذا الرأى عدمُ إغفالِ القدماء لأثر سياق الانفعال وعامله فى صنعِ القواعدِ النحويةِ، وتخصيصهم لذلك أبوابًا نحوية(٦) نحوية(٦) تعتمد على الربط بين صناعة الفعل الكلامى– الذى تدل عليه التزاكيب الكلامية– والتأثُّر الانفعالى لدى كلٍّ من المؤلفِ والمتلقى.(٧)

وفى أحيانٍ كثيرةٍ تكون سُلْطَةُ الانفعال مُضَمَّنَةً فى ظاهرة لغوية مقصودة من جانب المؤلف، لاسيما فى قصديته إحداثَ ظواهر صوتية أو صرفية، كالنبر، أو التنغيم، أو الوقف بالنقل، أو التقطيع الدلالى، أو المناسبة الصوتية، أو اللفظية، أو يقصد إحداث مخالفة نحوية، أو تزكيبية، أو الإبدال الصرفى، أو القلب المكانى للصوائت أو الصوامت، وغير ذلك من الظواهر الكلامية التى تحمل بُعدًا دلاليًّا، أو تداوليًّا، حيث إن العرب لم يتكلموا بشىء إلَّا لنيتهم بعلم المخاطب له، وأن فى كل قالب دليلًا على معنى.(٨)

فهذا سيبويه(ت١٨٠هـ)؛ يكاد يصرحُ بأن عامل الانفعال هو العامل الأقوى فى إنتاج الدلالة وصياغتها، بل يعده سببًا من أسباب الثقيل الكلامى، من جهة الكم لا الكيف، فيجترئ المؤلف– اعتمادًا على دلالة سياق الانفعال– التعبير عن المعانى الكثيرة بالقليل من العناصر اللفظية؛ إذ ينوب عامل الانفعال عن الكثير القوانين اللغوية، مثل: التكرير، وزيادة روافد التوكيد، والزيادات الصرفية، من السوابق واللواحق، وغير ذلك مما يصنعه المؤلف ليؤكد فعله الكلامى، يقول سيبويه، فى– هذا باب ما يُضمَر فيه الفعل المستعمل

---

(١) انظر : اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى:٢٦–٢٧

(٢) حيث أنكر العلوى على مؤلف الكلام خروجَه على أصل الوضع، فى دلالة الألفاظ على معانيها، إذ فى عدم التزامه قاعدة التمام إخلال منه بالمقصود، ويتوقف مقدار إخلاله بقدر ما أصابه من الوقوع فى الخطأ، وقد اشترط أن يكون إيراد الألفاظ محققًا للإفادة، أو ما أطلق عليه: الدلالة الوضعية، وتعنى: الإفادة من غير زيادة ولا نقصان؛ مشيرًا إلى العلاقة العكسية بين الدلالة الوضعية والدلالة الكلية. انظر: الطراز ، لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، جـ١: ١٨٠–١٨٤

(٣) انظر : الخصائص، لإمام العربية، أبى الفتح، عثمان بن جنى، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، (د. ط)، المكتبة التوفيقية، العراق، جـ٣: ٧١– ٧٤

(٤) انظر : مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف، بين الغلط والتأويل، د: سيف الدين طه سالم، مجمع اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى، مجـ٣٨، ع ٨٦، شعبان/ حزيران، ٢٠١٤م: ١١٠–١١١

(٥) انظر : مخالفة الترتيب وأثره فى العلاقات النحوية، د:عبده مروعى حسن هبه، مجلة كلية اللغة العربية، بإيتاى البارود، العدد: (٣٦)، الإصدار الثالث، أغسطس ٢٠٢٣م: ١٨٧٣

(٦) راجع– فى هذا الصدد– كلام سيبويه فى: هذا باب اللفظ للمعانى، وهذا باب ما يكون للفظ من الأعراض، وهذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، الكتاب، ج١: ٢٤ – ٢٦

(٧) انظر : السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتزاكيب، د: إبراهيم سند إبراهيم أحمد، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد(٥٦)، يوليو ٢٠٢٢م: ٥٣

(٨) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية، د: محمود عبد السلام شرف الدين، ط١، دار مرجان للطباعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، القاهرة: ١٦٩

إظهاره فى غير الأمر والنهى: " ومنه: أن ترى الرجل أو تُخبر عنه؛ أنه قد أتى أمرًا قد فعله، فتقول: أَكُلَّ هذا بُخلًا؟! أى: أتفعل كلَّ هذا بُخلًا، وإن شئت رفعته؛ فلم تحملْه على الفعلِ، ولكنك تجعلُه مبتدأً".(١)

غير خافٍ ما يتضمنه كلامُ سيبويه من الإشارةِ إلى وجودِ عاملِ الانفعالِ، وأنه عاملٌ معنويٌّ، وغيرُ لُغَوِيّ؛ إذ إن الأصلَ– فى قوله: أَكُلَّ هذا بُخلًا؟!– انفعالُ المؤلفِ برؤيةِ الرجلِ البخيلِ، وأن الرائى قد استكثر هذا البُخْلَ، عندما رأى صاحبَ البخلِ، فأرادَ توبيخَه، وإعلامَه أن رؤيتَه هى سببُ انفعالِه، وهنا؛ تحسُن التفرقةُ بين الضابطِ الإعرابيّ للفعلِ الكلاميّ التركيبيّ ومُقتَضِيه، فالمقتضى للإعراب ليس هو العامل(٢) فى حقيقة الأمر، إنما الإعرابُ من أشكالِ تَحَقُّقِ العاملِ؛ وكأنَّ هذا العاملَ يستدعى وظيفةً نحويةً، تعبر عن انفعالِ وتأثيرِه؛ يكون أولهما الأقوى، ويكون ثانيهما تابعًا له، وليس من شك فى سبْقِ الانفعالِ لعمليةِ إنتاجِ الفعلِ الكلامِ فى مختلفِ مستوياتِهِ، إذ المقتضى ينبغى أن يكون هو العامل.(٣)

ولم يقتصر العرب فى تعبيرهم عن المقاصد فى العناصر اللغوية، إنما افترضت وجودَ صورةٍ سابقةٍ للمعنى، لا تستطيعُ الألفاظُ ولا الهيئاتُ التركيبيةُ– فى حالتها الشكلية– التعبير عنها؛ وهذا معناه أن الجهازيْن العصبى والنطقى يَضعان صورة انفعالية فى مقابلة الصورة القياسية، أوالثوابت Constants التى قرَّت، فى اللاوعى، يصبح فيها المخ– لا العقل– عاجزًا عن التفكير، فى مُقابلة بروز صورة الانفعال إلى جهاز النطق والسياق، وألزموا مؤلف الكلام بأن يُحقق المعيارية النحوية فى مخرجاته اللغوية، التى تُراعَى فيها قواعد النحو، ولكتمال المعانى واتّساقها؛ والنَّزاء، والتَّنوُّع اللفظى والتركيبى.(٤)

وقد أشار ابن جنى إلى وجود تحرُّكٍ نفسيّ، يتوازى مع ذلك التحرُّك اللفظيّ؛ يقول: ووجْه ذلك أن العرب؛ إذا أخبرت عن الشىء– غير معتمدته، ولا مُعتزمة عليه– أسرعت فيه، ولم تتأنَّ على اللفظ المعبر عنه..ويتضمن كلامه أن هذا التصرف اللغوى–الذى يُبيحه النظام اللغوى لمؤلف الكلام؛ وفق مقتضيات القصد، والمحددات السياقية– مردُّه إلى انفعال النفس، تهاونًا بالحال، وتغافلًا عن الإجابة، واعتماد المقال... ويتوقف طول الأصوات وقصرها على قوة المعانى المعبَّر عنها أو ضعفها، ونتلمس أثر البعد النفسى فى الكمية الصوتية، فى ما رواه من قصة المرأة التى قالت لزوجها: لا تضربه؛ ليس هو ابنَك، ومدَّت فتحةَ النون جدًّا، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل.(٥)

ومن العجب أن يجعل أصحاب القياس تلك التراكيب من باب الغلط، بل الأعجب أن تكون الغَلَبَةُ– فى الاحتجاج– للأكثر، وطرْح الأقلّ، رغم شيوع تراكيب فصيحة فى الاستعمال والتداول الكلامى الفصيح، لذا يجدر القول بأن النظرة النحوية القياسية كانت ضيقة فى توجيهاتها، منحرفة فى أحكامها، قاصرة فى قواعدها؛ لذا يُعاب فى المنطق أنْ قدَّس القياسيون قواعدَهم، وتسارعوا فى وَسْمِ ما خرج عنها بالغلط، أوالتوهُّم.(٦) وغلَّبوا صوت القياس على صوت سائر القرائن، ولعل السبب وراء ذلك فى وجود كثير من الشواهد الشواهد التى شكَّكَت العلماء فى الاحتجاج بها(٧) خاصة أن لمثل هذه الشواهد نظراء فى النصوص الثابتة الموثوق فى فصاحتها.(٨)

والدليل على ذلك، أننا نرى كثيرًا من التراكيب المخالفة للقواعد النحوية فى شعر الفحول من الشعراء؛ نحو زهير، ولامرئ القيس، والنابغة، وغيرهم من أصحاب الفعل الكلامى الشعرى الإبداعى، من الجاهليين والمخضرمين، ومن أتى بعدهم؛ حتى نهاية عصر الاحتجاج، ودخول اللحْنِ ميدانَ الفصيحِ من الكلامِ، والذى صُنعَ الإعرابُ ليُصلحَه، ويقوّمَه، والرأىُ– فى وجهة نظر الباحث– أن مثلَ هذه الأخطاءِ إنْ هى إلَّا صورةٌ لغويةٌ لوقوعِ الشاعرِ تحتَ تأثيرِ الانفعالِ الطارئ– إذ إن أثرَ عاملِ الانفعالِ يزولُ بزوالِ سببه المقصود– بحدثٍ ما– ظاهرًا كان أم خفيًّا– عدل المؤلف وقفًا له– قاصدًا، وليس من دون إرادةٍ– عن الصورةِ النحويةِ المثاليةِ، التى عليها قواعدُ القياسِ الفصيحِ، من أجل هذا الأمر كان العربُ يعمدون– فى أحايين كثيرة– إلى قلبِ الألفاظِ، وإزالةِ الكلامِ عن مواضعِه، من دون التمركز حول الصواب أو الغلط؛ يقول السكاكى فى هذا المعنى: " ثم إذا

---

(١) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م جـ١: ٢٥٧ – ٢٥٨

(٢) يُقصد بذلك: العوامل اللفظية والمعنوية.

(٣) انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى : ١٨١

(٤) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى–عربى(أدبيات))، د: محمد عنانى، ط٣، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣م: ٦٩

(٥) انظر: المحتسب، فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى، تحقيق: على النجدى ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، جـ٢: ٢٠٨–٢١٠

(٦) يُقصد به: هى القوة المخيلة من قوى النفس، وهى التى يُتصور بها المحسوسات فى الوهم، أو تخيُّل الشىء على غير هيئته. انظر: دراسات فى معانى القرآن للفراء: ١٥٤، وانظر: مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل: ٩٦، وانظر: أحكام التوجيه والتقويم النحوى عند الفراء، شادى محمد عيسى الغول، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠١٧م: ١٢٦

(٧) انظر: الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه، د: خديجة الحديثى، مطبوعات جامعة الكويت، رقم: (٣٧)، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م : ١٠٣

(٨) انظر: المثال المخالف للقاعدة فى كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح للجرجانى: دراسة وتحليل، محمد أحمد العمرى، AQU Journal.of ArabicLanguage and Literature. Vol.٢.No.١, ٢٠٢١.٢٢٧٤٧/aqujall.٢.١٢٢١; ١٠.٥(june٢٠٢٣)DOI، مجلة الجامعة القلسمية، م٢، ع١، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م: ١٦٦

كان حاصلَ الاستدلال، عند رفع الحُجُب، هو ما أنت تُشاهد بنور البصيرة، فوحقِّك؛ إذا شبَّهْت قائلًا: خدُّها وردةٌ، تصنع شيئًا سوى أن تُلْزِمَ الخدَّ ما تعرفُه يستلزمُ الحمرةَ الصافيةَ؛ فيتوصلُ – بذلك – إلى وصْفِ الخدِّ بها".([1])

ومن يُطالعُ حديثَ العالمِ الفذِّ عبد القاهر الجرجاني: (ت٤٧١هـ) يُدرك سبقَه لبول ريكور ([2]) Paul–Reekor فى إقرارِ الأخيرِ بأن النَّفْسَ هى المتكلمُ الأولُ، لأن الكلامَ قائمٌ فى دواخلِها، لا فى العقلِ، أو اللغةِ، وأن الفعلَ الكلامىَّ ينشأُ بعدَ مُنازعةٍ، أو مُقَالعةٍ، أو مُقَاوَمةٍ، أو مُزاحمةٍ تبادليةٍ بين خياراتٍ لغويةٍ، وهيئاتٍ تركيبيةٍ؛ سطحيةٍ، أو عميقةٍ، بسيطةٍ، أو مركبةٍ، عنيفةٍ أو تبادليةٍ بين النفس والجهازين العصبى والنطقى، إذ النفس هى من يُحدد المكان الذى يخرج منه الصوت، وهى المقيِّدة لدلالته، إيجابًا وسلبًا.([3]) وأن تأويلات المتلقى للخطاب اللغوى، ينبغى أن تنبثق من إدراكه المحدداتِ النفسيةِ ولدلالة التعبيرات الانفعاليةِ للمؤلف، وأن ذاته الانفعالية هى المحدد للاختيارات الكلامية وانتقاءاتها، وبأنها المكوِّنُ الرئيسُ للهيئة الترتيبية والنَّظْميَّةِ للتراكيب النحوية، وأن عمليةَ الانتقاءِ تسبقُ عمليةَ التلفُّظِ بالفعلِ الكلاميِّ، يقول عبد القاهر، فى هذا المعنى:" وإذا كان هذا كذلك، فينبغى أن يُنظَرَ إلى الكلمةِ قبلَ دخولِها فى التأليفِ، وقبل أن تصير إلى الصورة التى بها يكون الكلم إخبارًا، وأمرًا، ونهيًا، واستخبارًا، وتعجُّبًا؛ وتوَخّى فى الجملة معنى من المعانى، التى لا سبيل إلى إفادتها إلَّا بضمِّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة؛ هل يُتصوَّر أن يكونَ بين اللفظتين تفاضُلٌ فى الدلالةِ؛ حتى تكون هذه أدلَّ على معناها الذى وُضِعَتْ له من صاحبتها، على ما هى موسومةٌ به".([4])

وهذا معناه أنه على الرغم من أن أداة الدلالة الصغرى هى الكلمة المفردة([5]) بوصفها جزءًا من الدلالة الكلية التى تعبِّر عنها التراكيب؛ فإن لكلِّ صوتٍ – خرج من الإنسان – مغزى، سواء قُصِدَ به تكوينُ إفادةٍ، أو كان مقصودًا به غيرُ ذلك، بأن كان صوتًا إفصاحيًّا، تُستنبط دلالتُه من طبيعته الذاتية، وبيئتِه، وسياقِ التَّلفُّظِ به، أو كان صوتًا غُفلًا، قُصِدَ به مجردُ مطلِ الحركةِ، امتدادًا لاستحضار الفيوض الدلالية غير المحددة، ويستوى – فى هذا الأمر – الصيحاتُ غير الإرادية عند الفزع، والأنين عند التوجُّعِ، ويُقال مثل ذلك عند الإفراطِ فى الانفعالِ الإيجابيِّ من مشاعر الفرح، والسرور ...([6])

ويؤصِّلُ موفقُ الدين بن يعيش(٦٣٤هـ) لقوةِ تأثيرِ عاملِ الانفعالِ فى إنتاج الفعل الكلامى، الذى يُنْبِؤ لفظُه عن حُلولِه، نحو : " ضرب، وقتل؛ ألا ترى أن الضرب والقتل يقتضيان مضروبًا ومقتولًا؟ فيجعل من أثر الفعل على الجوارح هو الأصل فى إنتاجه، ويقسّمه إلى علاج وغير علاج؛ فالعلاجُ: ما يُفتقر فى إيجاده إلى استعمال جارحة، أو نحوها؛ نحو: ضربتُ زيدًا، وقتلت بكرًا، وغير العلاج ما لم يفتقر إلى ذلك، بأن يكون مما يتعلق بالقلب، نحو : ذكرتُ زيدًا، وفهمتُ الحديثَ، وذلك على حسب ما يقتضيه ذلك الفعل؛ نحو: أكرمتُ زيدًا، وشربتُ الماءَ، وأرِنى أخاك الماءُ.... وكلُّ واحدٍ من أفعال الحواس يقتضى مفعولًا ممَّا تقتضيه تلك الحاسة؛ فالبصرُ يقتضى مُبْصرًا، والشمُّ يقتضى مشمومًا، والسمع يقتضى مسموعًا، فكل واحد من أفعال هذه الحواس يتعدى إلى مفعول؛ مما تقتضيه تلك الحاسة، تقول: أبصرت زيدًا؛ لأنه مما يُبصر، ولو قلت : أبصرتُ الحديثَ أو القيام لم يُجز، لأن ذلك ممَّا ليس يُدرك بحاسة".([7])

يُشير كلام ابن يعيش إلى إدراكه لدوْر الحواسِ فى نقل العناصر اللغوية الرسالة اللغوية، وأن سياق الانفعال قد يُحوِّل الفعلَ من اللزوم إلى التعدى، إذ يُشير إلى أن الفعل سمع، مما يتعدى لمفعولين يجب أن يكون الثانى منهما ممَّا يُسمع، نحو: سمعت زيدًا يقول ذلك؛ ولو قلت: سمعت زيدًا يضرب؛ لم يجز ؛ لأن الضرب ليس ممَّا يُسمع؛ فإن اقتصرت على أحد المفعولين، لم يكن – فى الغالب – إلَّا ممَّا يُسمع، نحو: سمعت الحديث والكلام، مع وجود قرينة، تدل على أن المراد ممَّا يُسمع، نحو قول القائل: سمعت زيدًا يقول، والتقدير : يقول جملة، وهى مما يُسمع.([8]) ومن استقراء أشعارِ العربِ؛ نجد الشعرَ قد حوى منتهى حكمهم، يتغنون به، ويحفظون أنسابهم فيه، ويصفون أحداثهم به، وتُعرف مآثرهم([9])

([1]) مفتاح العلوم : ٥٠٥

([2]) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ٧ وما بعدها.

([3]) انظر: أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيسِ، أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسَّان الطيَّان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمه اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٥٧

([4]) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانى، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، (د.ط)، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٤م : ٤٤

([5]) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ٢٣

([6]) انظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية تطبيقية: ٥٢

([7]) انظر: شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن على بن يعيش، المتوفى سنة ٦٣٤هـ، إدارة المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، (د.ت)، جـ٧ : ٦٢

([8]) انظر: شرح المفصل، لابن يعيش، جـ٧ : ٦٣

([9]) انظر: الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه : ١٠٠

وتُعلَم لُغاتُهم من خلاله(١) فيتخيرون الألفاظ والتراكيب الأكثر ملاءمة للأحداث الكلامية، التى تنسجم مع حالتهم النفسية والانفعالية، ويحشدونها فى صورهم الشعرية، ويبنونها فى فى هيئات تركيبية، تتناسب مع تجربتهم الانفعالية؛ بجعلها تَشِعُّ بدلالاتٍ وإيحاءاتٍ تكاد تكون صدى للنفس الإنسانية فى انفعالاتها المختلفة، بين الانفعالين؛ الإيجابى، الذى يتناسب مع قصدية المؤلف، والسلبى، الذى لا يشعر معه المؤلفُ بانتهاكه لقواعد اللغة التى يستعملها.(٢) فالشعرُ – لذلك – إحساسٌ نطقٌ.(٣)

ويتضمن كلام العلوى(ت٧٤٩هـ) إشارةً إلى إمكانية إتمام عملية التواصل بين المؤلف والمتلقى بالقرائن الحالية من دون الإعراب، وكأنه يؤصِّلُ لوجودِ دلالةٍ لعاملِ الانفعالِ؛ وأن الآثارَ الإعرابيةَ للعواملِ النحويةِ ما هى إلَّا مفرداتٌ شكليةٌ، إلَّا أنه يستحسنُ أن تقومَ عمليةُ الاتِّصالِ على تمامِ الدلالةِ، وعلى جَرْيِ الكلامِ على قوانينِ الإعرابِ، يقول: " قوله: الواحد منا يكون لاحنًا، ولا يخلُّ بشىءٍ من مقاصدِه فى خطابِه، قلنا: هذا فاسدٌ؛ فإن المقاصدَ، وإن كانت مفهومةً بالقرائنِ فى بيانِ الفاعلِ والمفعولِ، لكنَّا نريد – مع فهم المعانى بالقرائن الحالية – أنه لابد من جَرْيِهَا على القوانينِ الإعرابيةِ، وعلى ما هو معهودٌ من ألسنةِ الفصحاءِ".(٤) وهذا الكلام يحمل تقريرالعلوى أن المعانى النفسية هى السابقة للألفاظ؛ بالتقرير والثبوت، وأن الألفاظ هى التابعة للمعانى؛ لهذا فإن مؤلف الكلام يُطلقُ الألفاظَ والعباراتِ، والتراكيبَ على وفق ما يقعُ فى النفسِ من الحقائقِ والمعانى.(٥)

تُشير الباحثة تسنيم محمود شفيق عطية إلى أنه: تتوقف عملياتُ التلقى على ترتيبِ الهيئةِ الكلاميةِ الحاملةِ للقصدِ، بما تتصف به من مرونةٍ فى الكميَّةِ والهيئَةِ، إذ تعتمدُ بدايةُ الدلالةِ الكليَّةِ على المذكورِ أولًا، وينبنى على ذلك تتابع الدلالات بتتابع الهيئة النظْمية، وليس من شك فى أن ترتيبَ العناصر اللغوية يرتبط بالحالة الانفعالية للمتكلم، فالمذكور أولًا هو أقربُ الدلالاتِ من نفس المؤلف، وردةٌ كلاميةٌ لانفعاله، والمذكورُ متأخرًا هو أبعدُ المؤثراتِ الدلاليةِ من نفسه، وهذا تدل الموقعية على انفعال معين، يوحى بوجودِ دلالاتٍ معينةٍ، ترتبطُ بهذه التصرفات اللغوية، فما قدِّم كان أهم، وما أخِّر كان أقلَّ أهميةً.(٦) من أجل ذلك؛ قد يُخالفُ المؤلفُ الترتيبَ الأصليَّ للتركيبِ النحويّ، فيقدِّمُ ما الأصلُ فيه التأخيرُ، ويؤخِّر ما الأصلُ فيه التقديمُ، معتمدًا على تمام الدلالة والمعنى الأصلى المُراد، بالإضافة إلى قصدية معانى أخرى أعمق، وأغراض بلاغية، وأبعاد تداولية تجعل موقف الاستعمال فى التداوليات المرتفعة.

ويتضمن كلام المستشرق الألمانى برجشتراسر G.Bergsreasser إدراكه دور عامل الانفعال فى صناعة الهيئة الكلامية، وأنه قد يُوجد فيه ما يبرر لمخالفة القياس النحوى؛ فقد أوضح أن " المرء كثيرًا ما يخطئ فى النطق، ويلفظُ بشىءٍ غير الذى أراده، وأكثر ما يكون هذا؛ إذا تتابعت حروف متشابهة؛ لأن النفس يوجد فيها، قبل النطق، تصورات الحركات اللازمة لترتيبها، ويصعب عليه إعادةُ تصور بعينه بعد حصوله، بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأُ؛ إذا أسرع الإنسان فى نطق جملة محتوية على كلماتٍ، تتكررُ فيها حروفٌ متشابهةٌ".(٧)

- **عامل الانفعال والأفعال الكلامية:**

مفهوم الانفعال:

من الجدير بالذكر أن الانفعال حالة نفسية ذهنية تنظم حركة المشى، أو العمل اليدوى، أو ما يصدر من جانب الإنسان من صيحات أو ألفاظ أو تراكيب؛ كما يضبط تعبير الإنسان عن ألمه أو فرحه، ويكشف عن الخوف أو الرغبة، أو استعماله الأفعال الكلامية فى الاتِّصال بينى جنسه.(٨) وهو: سلوكٌ ضاغطٌ، وحالةٌ نفسيَّةٌ أو ذهنيةٌ، تعبِّر عن الانفعالات الإيجابية أوالسلبية، بوصفِ تلك الحالةِ النفسيةِ أو الذهنيةِ ردةَ فعلٍ لمثيراتٍ خارجيةٍ أو داخليةٍ ذاتيةٍ، لذا يجعل واطسون Watson الانفعال وسيطًا بالغَ القوةِ بين

---

(١) انظر: تأويل مُشكل القرآن الكريم، لأبى محمد ، عبد الله بن مسلم، بن قُتيبة(ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر ، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م: ١١

(٢) انظر: رثاء الأخ، عند دُريد بن الصمة والخنساء(دراسة موازنة)، د: سؤدد يوسف عبد الرضا على الحميرى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى:٥٢٤

(٣) انظر: تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، جـ٣: ١٥

(٤) الطراز، جـ١: ٢٨

(٥) انظر: الطراز، جـ١: ١٨٧

(٦) انظر: أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية، إعداد الباحثة: تسنيم محمود شفيق عطية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، ٢٠٢٣م:٦٦

(٧) التطور النحوى للغة العربية، برجشتراسر، محاضرات ألقاها فى الجامعة المصرية، عام ١٩٢٩م، أخرجه، وصحَّحه، وعلَّق عليه، د: رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة،١٤١٤هـ/١٩٩٤م : ٣٤

(٨) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٢٩

الاستجابة والتغيُّر، يصلحُ أن يكونَ من الدلالاتِ الضمنيةِ أو الظاهرةِ، التى يتبادلُها أو يتداولُها المؤلف والمتلقى، أو يرغب أحد الطرفين فى تشكيل فعل الآخر وبناء ثقافته(١) فتختلفُ حالتا إنتاج الفعل الكلامى بين اللغة المعيارية والتأثر الانفعالى.(٢)

ويتقل الدكتور عطية سليمان أحمد تعريف مجمع اللغة العربية الانفعال المصرى للانفعالEmotin بأنه:حالة وجدانية، تصاحبها أنشطة غُدِّيَّة وحركية انفعاليةEmotinality خاصية للشخص الذى يستجيب بسرعة وقوة للمواقف الانفعالية، وكأن الانفعال شعور، يصحبه إفراز الغدد، يدل على حدوثه.(٣) لأن الانفعال من العوامل التى قد تؤثِّر فى نُطق الحركة الإعرابية، وفى رسْمِها، مما ينعكس على قيمتها الدلالية للتركيب، مستأنسًا– فى ذلك– بأن الكثير من الصور الكلامية والتعبيرات اللغوية إنما هى مشحونة بانفعالات نفسية خفية؛ تشكل فائضًا فى المعنى Meaning المُراد، وتدعم هذه الفكرةُ البحثيَّةُ تقديمَ مُعالجةٍ تُبرِزُ العلاقةَ بين سياقِ الانفعالِ، والضبطِ الإعرابيِّ، وبيان أثر قرينة الأثر الإعرابى، قبلَهُا، أو ضبط انفعال– بوصفها القرينةَ الأكثرَ خطورةً وأهميةً– فى قدرة المتلقى على فهْم المُحْتوى المضمونى للتراكيب النحوية؛ فى ضوء نظرية الأفعال الكلاميةSpeach Act Theory، وتتجلى خطورة قرينة الإعراب حين تلتبس الدلالة، ولا تقوى القرائن اللفظية والمعنوية على التمييز بين معنى وآخر.(٤)

وهو: ظاهرة وجدانية غير موصوفة بالتداول بين الأفراد جميعًا(٥) يُسْتثَارُ فيها منتجُ(٦) الخطابِ اللغويِّ، أو متلقيه، ويمْتلئ بها وجدانُه، وتسيطر– من ثَمَّ– على العقل بجهازه العصبىNervous System؛ وهو يشكِّل الشرطَ– أو الطابع– النفسىَّ لوجود الفعل الكلامى، وهو رُوح الخطاب فى دلالته الكلية؛ ويقع على سياق الانفعال عبء توجيه المتلقى نحو معنى مُراد؛ ويصير سياق الانفعال قاعدة من قواعد التوجيه الدلالى للمعنى، ومن قواعد الاستدلال عليه، بين الإيجاب والسلب، إما بالتكرير أو بالتشويش على معلنٍ أُخَر(٧) أو بعبارة أخرى: تحويل الانفعال النفسى إلى تصوُّرٍ عقلى، ومن ثَمَّ إلى هيئة لغوية تركيبية(٨)، وتعود عملية توليد الصور اللغوية وتحويلها، وصناعة الكلام وإنتاجه إلى الجانب النفسى. ولا يُمكن للمتلقى– تحت وطأة الانفعال– أن يردَّ ذلك الألم القاسى المفاجئ، أو أن يمنع هذا الألم الغامر المباغت؛ فى هذه الحالة ينفوَّه الإنسان بأصوات لا يفهمها المتلقى على أنها دالة على الانفعال نفسه.(٩)

فى الحقيقة، إننا إذا سلمنا بأن عاملَ الانفعال عارضٌ طارئٌ غيرُ مقصودٍ، وأنه يؤثر فى عدم استقرار الشعور النفسى عند المؤلف، وأن التراكيب اللغوية التى ينتجها المؤلف تُبين حال نفسه بين انفعال الاستقرار وعدمه، وأن عناصره اللغوية والتركيبية تتباين تبعًا لذلك، فإن الباحث يُشير إلى أن العربى الأول لم يكن ساذجًا فى استخدام عناصره اللغوية، فهو المالك لزمامها، يقصد كل ما يخرج من فيه، المعبر عن حال نفسه. وكأنَّ فعلَ الانفعال مثيرٌ ضَاغِطٌ، يستمد قوتَه من اتِّساق العمليات العقلية والشعور النفسى، وحالة الاتساق – هذه– تؤثِّر فى تغيُّر الحالة النفسية للمؤلف، ما ينبنى عليه القول بأن الانفعال حالة طبعيَّة يَلْزَمُ المُبْدِعَ لإخراجه صورةٌ لُغَوِيَّةٌ نوعية، وهيئة تركيبية خاصة، مما فى مستوى المشافهة أو الكتابة، ويُحسب لأبى عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) إذ تشكَّل حلقة الوصل بين الرواية الشفوية والرواية الكتابية"(١٠) فإذا ما أراد التعبير عن حدَثٍ فكريٍّ، أو حالةٍ ذهنيَّةٍ؛ تشكَّلت فى دماغه صورةٌ ذهنيَّةٌ Schema، يراها الأنسبَ فى التعبير عن مقصده، متلمسًا أنه قد يحدث اضطراب فى جهازه الصوتى، متأثِّرًا باضطرابِ جهازِهِ

---

(١) انظر: الرد بالجسد وخطابات أخرى، د: محمد كريم الساعدى، ط١، مكتبة دراسات فكرية، دار نينوى، دار الفنون والآداب، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، البصرة- الجزائر: ١٢

(٢) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ٥٧

(٣) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :١٥

(٤) انظر: قيمة الحركة الإعرابية، على ضوء جدل اللفظ والمعنى، أ: ملّاوى صلاح الدين، مجلة المخبر، أبحاث فى اللغة والأدب الجزائرى، قسم الأدب العربى، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد الثالث، (٢٠٠٦م) : ١٥٨

(٥) انظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة(عرض، وتقديم، وترجمة)، د: سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، ومؤسسة سوشبريس، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ١٦٧، وانظر: علم اللغة النفسى:١٠٣

(٦) يؤمن الباحث بأن إنتاج الفعل الكلامى ليس بالعمل الأُحادى، إذ تشترك فى إنتاجه روافد عدة، ممَّا يَصِحُّ أن نسميه: فعل (اللا) كلام، إذ إن كل فعل كلامى هو ردة فعلٍ فكرية أو انفعالية لفعل كلامى– أو لفعلٍ لا كلامى– آخر، مضمَّنًا كانَ أم ظاهرًا. انظر: موت النص، جدلية التحقيق والتخييل فى النص الشعرى، فى ضوء النقد الأدبى القديم والشعراء النُّقَدة، د: محمد أبو الفضل بدران، حولية الآداب و العلوم الاجتماعية، الرسالة رقم: (٢١٦)، الحولية الرابعة والعشرون، مجلس النشر العلمى، الكويت، ١٤٢٤هـ/١٤٢٥هـ، ٢٠٠٣م/٢٠٠٤م:١٣

(٧) انظر: موت النص، جدلية التحقيق والتخييل فى النص الشعرى، فى ضوء النقد الأدبى القديم والشعراء النُّقَدة: ٣٢

(٨) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ٤٧– ٤٨

(٩) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٣٠

(١٠) أبو عمرو ابن العلاء ناقدًا، د:أحمد أحمد مجاهد مجاهد، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، العدد(٣٤)، الإصدار الثانى– أكتوبر (١٤٤٢هـ –٢٠٢١م) : ٨٠١

العصبيِّ؛ مِمَّا قد يُلْجِئُهُ إلى ابتداع هيئة تركيبية غير مستعملة، أو يؤدِّى إلى ضَعْف التركيز فى توزيع الحركات أو العلامات الإعرابية Inflection فى ضوء القياس المعيارى Norm.(١)

يعد عامل الانفعال من أدلة الحركة الجسمية والنفسية؛ كما أن الحركة الإعرابية قرينة حاسمة لضبط الدلالة أو تغيُّرها، أو قُبْحها، أو عذوبتها، فكلما كانت الحركةُ النفسيةُ منضبطةً ازدادت عذوبةُ الكلامِ، واتَّضحت معانيه، حتى أنه يُمكن الربطُ بين الإعرابِ وسياقِ الانفعالِ، فيُقصد به إخضاعُ العلاقة بين الدال والمدلول إلى الواقع الداخلى، الذى تتحكم فيه قوة الانفعال، ونسبته، وطبيعة تلقيه، وسلطة الأنا الانفعالية، ولا يكون المقصود به انفصام العلاقة بين اللغة والواقع الداخلى والخارجى؛ على سبيل الإطلاق، بل التقييد، إذ إن فرديناند دى سوسير Ferdinand de Saussure يعرِّف العلامة اللغوية بأنها: علاقة بين الدال والمدلول، أو بين التصوُّر والصورة السمعية، من دون إحالة إلى الخارج؛ إذ إن هذا الانفصام يشكل قيْدًا تداوليًّا، ويَصِم الأنظمة اللغوية بالانغلاق، وعدم الاكتمال؛ فيُهمل الشكلُ المكتوبُ بما فى أصواته وعناصره من أثر الإعراب، وتعزِّز دلالات الإيحاءات Connotation، والعناصر الإشارية، وأمارات العين والجسم، والافتراضات المسبقة، وغير ذلك من الوسائط المادية الدالة على المعنى المعبرة عنه.(٢) وغَيْرِ ذلك من من الأنماط التركيبية ذات المقدرة النوعية فى التعبير عن المعانى العميقة.

وليس صحيحًا إطلاق الادِّعاء بأن " الانفعال حالة نفسية، يُثار فيها المتكلم؛ فيخرج عن تركيزه الذهنى، واللغوى، مما يؤدِّى إلى ارتكابه مخالفة للقياس والخروج عليه... وأن الإنسان العاقل قد تُثيره بعض المواقف؛ فلا يستطيع أن يُكمل الكلمة، أو الجملة، أو ينطقها بصورة غريبة، أو بصورة خاطئة، تخرج عن القياس الذى ارتضاه علماءُ العربيةِ؛ فنجد المتكلمَ قد يستعمل كلماتٍ جديدةً، أوغريبةً فى وزْنها؛ بسبب سلوكه الانفعالى.(٣) وهو– أى : الانفعالُ القَوِىُّ المؤَثِّرُ فى هيئةِ التَّراكِيبِ، وصورتِها النظْمِيَّة؛ بما فيها من آثارِ الإعرابِ، وهذا الأمرُ يُوجد ارتباطًا بين الانفعال والمعنى؛ إذ بصير الانفعال جزءًا من مكونات المعنى(٤) والباعثَ له– بما يمتلك من قوة نفسية ضاغطة على الجهاز النُّطْقى للمؤلِّف، حتى أنه يؤثِّر فى العمليات الإدراكية له– على تمحْوُر هيئة الأصوات وكميتها، والبنى الصرفية، وصورها، بل جملة التراكيب النحوية وضبطها، والتفاوت فى مستويات دلالة المفردات فى سياقاتها(٥) كذلك حركة الأجسام، وتعبيرات الوجه، والدلالات الإشارية حول التعبير عن الانفعالات الداخلية، لذا قد نسمِّى العناصر اللغوية والإشارية بالكيان الانفعالى المتكلم. أو بالهيئة الكلامية الشكلية المستدعاة استجابة لحدث انفعالى معين؛ وهنا يصبح الفعل الكلامى الملفوظ به دليلًا على الانفعال، متأثرًا به؛ فى ضوء المحددات العقلية، والأنساق الثقافية، والأبعاد السياقية.(٦) فيتشكل من الانفعال تركيب نشط Active Clause ذو قيمٍ دلاليةٍ إيجابيةٍ، أو سلبية، تُبالغ فى استضاءة المقاصد المضمنة، وتتجنَّب التناقضَ القائم– أو المُجافاةَ– مع العلامات الشكلية؛ فى ما يخصُّ الدلائل المعنوية والخواص الجوهرية على المعانى والمقاصد.

- عاملى الانفعال فعلى كلامى:

ينبِّه الفعلُ الكلامى المُنْجز (بصوره المتعددة) إلى رغبة النفس فى التعبير عن أنشطتها الداخلية، وتتجلى هذه الرغبة النفسية فى تقييدها الصور اللغوية والأنماط التركيبية المعبرة عنها، ولا تنحصر هذه الحالة فى الشكل اللسانى، ويكون دليل التسليم بكون الشخصِ منفعلًا؛ مُتحقِّقًا من ثلاثيةِ الشكل، والإدراك، والسياقات المحيطة، السطحية والعميقة، بل إن التداولية الجادة لتُعْلِى من شأن الانفعالات النفسية، والتعبيرات العاطفية، وقدرة أحد الطرفين–من خلال التراكيب– على الغوص فى أعماق النفس لدى الآخر؛ بل إن جل النجاح فى أن يُخضع معطيات الحواس والواقع لسيطرة المشاعر والخيال، وتُخرج منها بالحدس– أو بالفطرة والسليقة، المتوافق عليها فى أغلب شواهد العرب وأمثالهم– ما يُخالف Contrast ما تبصره العينُ، وتسمعه الأذنُ.(٧) ولا يخلو الخطابُ– بوصفه فعلًا كلاميًّا؛ منطوقًا، فى الغالب أو مكتوبًا فى بعضِ صورِه– من احتوائه، بل تشكُّله، من من التَّأثِّراتِ الصَّوْتِيَّةِ النَّفسِيَّة، ذاتِ الارتباطِ برغبة النفس فى إنتاج أنماط كلامية تصاعدية، بوصفها ظواهرَ مُهِمَّةً فى فهم المقاصد(٨) ويكون تركيبُ الانفعالِ من نفسِ المؤلفِ إلى ذهْنِ المتلقى.(٩)

---

(١) انظر : السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب: ٤٧– ٤٨

(٢) انظر : نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى:١٠–٣٠

(٣) السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب :٤٦–٤٧

(٤) انظر : العربية فى الدال اللسانى للصورة الإشهارية، بنيات التركيب والتدليل :٣٨٧

(٥) ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى:٨

(٦) انظر : علم اللغة النفسى فى التراث العربى:٥١١

(٧) انظر : المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى– عربى(أدبيات): ٧٩

(٨) انظر : علم اللغة النفسى: ٦٥

(٩) انظر : مفهوم المخالفة،(حقيقته– انواعه– حجيّته)، وليد بن إبراهيم بن عبد الله الخليفة، المجلة العربية للنشر العلمى، AJSP، العدد العشرون، حُزيران–٢٠٢٠م : ٤٧١

ويُمكن للباحثِ الافتراضُ بأن سياقَ عاملِ الانفعالِ– بوصفه فعلًا كلاميًّا مضمَّنًا، وسابقًا للفعل الكلامى المُنجز(١) ومرآة لما فى النفس– قرينةٌ دالةٌ، تقوم على إزالة الشك، والتضييق الدلالى، كما أن لعامل الانفعال أمارات لغويةً وغيرَ لغويةٍ، لا تنفصلُ بنعتِ المتلقى نتاجَها من التزاكيبِ النوعيَّةِ بالصوابِ أو بالخطأِ؛ فهو من القرائن التى تُضاف إلى القرائن المعنوية، التى تقوم بتوضيح الدلالات المضمنة، أحيانًا من خلال المطابقة للأثر الإعرابى، وإثباتها من خلاله، أكثر من قصر دلالتها على هيئتها التركيبية، أو الأبعاد المعجمية والأنظمة النحوية، وفى أحيان أخرى تقتضى سياقات الانفعال إبرازَ الدلالة، مع كسْر تداولية الأثر الإعرابى، يُمكن أن ندرجها ضمن الأفعال الكلامية الموصوفة بالتفاوت فى القوة، التى تُسهم فى إنتاج الكلام، وتحديد معناه، وتقييده من لدن المؤلف، وفهمه، وتخصيص احتمالاته الدلالية من جانب متلقيه، فى هذه الأثناء يحسُن وصفُ سياقِ الانفعالِ بأنه فعلٌ تأثيرىٌّ مراوغٌ، يتعذر نقلُه إلى حيز فعل التلفظ، حيث إنه قرينة خفية، وهو أقل جدية– فى قصديته– من الفعل الكلامى المتلفَّظ به.(٢)

وتبرُز دقيقةٌ؛ مؤدَّاها البحثُ عن كيفية وصول الصور اللغوية المُنتقاة من المؤلف إلى سمْعِ متلقيه، ومن ثم تبدأ عملياتُ التلقى، والتفسير، والفهم، والتداول، والتواصُل، والاتِّصال؛ إذ يُجمع علماء النفس على أن ثمة صعوبة تتحقق فى الفصل بين عمليات السمع، وعمليات الإدراك، وعمليات تذكُّرِ المعنى واستحضارِه، وفهمه، حيثُ لا يصلُ المعنى إلى ذهنِ المتلقى مُجَزَّءًا؛ من الأصوات، أو المقاطع، أو المقاطع الصَّمَّاء(٣) والكلمات، والتزاكيب؛ التى ينتج عنها دلالة صمَّاء، متفاوتة القوة فى الدلالة، والتوقع، والتفسير؛ بل إن أفق أفق انتظار المتلقى قد لا يُدرك التزاكيب وفق الهيئة الترتيبية التى أرادها أو أخرجها المؤلف، حيث إن لكل هيئة تركيبية دلالات نوعية، فتكسر دلالة الأثر الإعرابى(٤) ويُضاف إلى هذه الآلية المحددات التالية:

- سرعة الأصوات فى نطق المؤلف لها، وتتابعها وتدفقها.
- الاختلاف فى طبيعة نطقها، ودلالتها.
- طبيعة سماعها، وتلقيها، وإدراكها.
- بعض الكلمات والجمل لا تُسمع كاملة فى موقف التحاور.
- أشار الدكتور العصيلى إلى أن الإدراك يسبق الإصدار للصور اللغوية عند الأطفال.(٥)

هذا، وتربط الدراسات اللسانية الحديثة– فى الظاهرة التواصلية– بين الخطاب اللغوى وسياقه، من جهة، وصورِ العناصر اللغوية فى هيئتها الإفرادية، والتركيبية، فى معيَّةِ العمليات النفسية، والعصبية، والعقلية الإدراكية، الضابطة لما يُريد المؤلفُ أن يتكلَّم بها، فى موقف التواصلِ من جهةٍ أخرى؛ وبين النفس، والعقل، واللغة من جهة ثالثةٍ؛ وكأننا نتساءل: ما الصور اللغوية؟ وما الهيئات التركيبية التى تُخرجها النفس حين تنفعل؟ وتغْو محددات علم اللغة النفسى– بوصفه محورَ الدراسات اللغوية الحديثة، التى تحاول سبْر دلالات الأشكال اللغوية والغَوْص فى جوانبها العميقة(٦)– الإطارَ الناجعَ فى تحليلِ مختلفِ الظواهرِ اللغويةِ، وفهمِها فى موقبِ الاستعمالِ(٧) لاسيما حين نعدُّ كلَّ مشاركٍ – فى موقبِ التداولِ– فعلًا كلاميًّا، يقدمُ صورةً من صورِ الفعلِ الأساسِ.

فإذا ما عُقدت ضفيرة متكاملة من القرائن، التى تُسْتَدْعَى لتحديد دلالة الفعل الكلامى المتلفظ به، يصير عاملُ الانفعال أحد مصادر الدلالة المقصودة، و أحد روافد المقاربات التأويلية، ويغدو ضابطًا لعمليات التفكير– بل جزءًا منها– ومُلزمًا للعناصر اللغوية والهيئات التركيبية بأن تتطابق مع مادة الفكر الجمعى – الوجود الذهنى للدلالات المحتملة– المتواضع عليه، الذى يتحكم فى بناء العناصر اللغوية الخارجية والداخلية، مُعبِّرًا عمَّا يجُول فى النفس، وقد يختلف معناها – بعد ذلك– عن المعنى الأصلى، الذى كانت قد وُضعت له؛ بل قد يحار المتلقى فى ردّها إلى أصلها(٨) وتتحقق وصاية المعنى الذهنى والضواغط النفسية على الرافد الثانى للتعبير عن المقاصد، وهو الرافد اللغوى.(٩)

---

(١) ذلك الحدث اللغوى المتشكل من الأفكار، والتصورات الذهنية، والانفعالات النفسية. انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق، أ.د/سليمان عباس عبد، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من ١١–١٣ نوفمبر، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، ٢٠١٧م:٦

(٢) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى: ٤٦

(٣) وهى– عند هرمان ابنجهاوس Herman Ebbinghaus– وحدات لفظية، ليس للناس بها خبرة سابقة من قبل، وهى مقاطع عديمة المعنى، ودلالة المقطع الأصَمِ، فى ما يُمكن أن يُثيره فى الذهن الذهن من المعانى. انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ٢٧–٢٨

(٤) انظر: علم اللغة النفسى:٢٠٥

(٥) انظر: علم اللغة النفسى: ٢٠٦–٢١٠

(٦) انظر: علم اللغة النفسى:٥

(٧) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى: ٤٥٢

(٨) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى– عربى(أدبيات): ٧

(٩) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٥

وفى مقابل الاستعانة بعامل الانفعال فى انضباط الفهم؛ تُسْتَدْعَى إساءةُ الفهم– فى عدم قدرة المتلقى على الجمع بين رافدىْ القصد الذهنى، والدلالة المُستدعاة؛ من تضافُر عناصر الهيئة التركيبية على مستوى الشَّكْلِ؛ يقوِّى هذا القولَ رأىُ ريكور بأن اللغات لا تتكلم، بل يتكلم الناس، ولكنهم لا يستطيعون التكلُّم من دون لغةٍ، وشفرةٍ، ونسقٍ موجودٍ قبلها، وسيظل موجودًا بعدَها، ويكون الفاعلُ الواقعة اللغوية (أنا/الفاعلة) وليس من شكٍّ فى أنَّ لـ: (أنا/الفاعلة) كيانٌ من كياناتِ النَّفْسِ فى المقام الأول، بل أدقُّها وأوضحُها، فهى الذات الداخلية التى تفعل، وتتحققُ ثنائيةُ تَطَابُقِ– أو تَنَاسُبِ– الهيئة التركيبية المنتقاة مع الموقف الانفعالى، ومُطابقة المتلقى مع الوظيفة الإقناعية.(١)

ويرتبط باعتماد الافتراضات المسبقة– فى ذهنية كلٍّ من المؤلف والمتلقى– كون المعنى الكلى للفعل الكلامى المستنبطن فى سياق الانفعال،" هو– فى الأصل– نتيجة تفاعل بين ثلاثية، النفس، والفكر (مخزون العقل)، واللغة التداولية ممزوجه برافد الحس، ويتولد عندما تمزج ما فى النص بما يُوجد من قبلُ داخلَ المفسرِ، ويُقصد به افتراضاتُ المفسرِ وتوقعاتُه القائمةُ على المنطقِ السليمِ".(٢) فالنفس هى مصدر الفعل الكلامى؛ فالكلمة – فى الحقيقة الوضعية– هى صوت النفس، لأنها تلبس قطعة من المعنى، فتختص به على درجة قد لحظته النفس فيها، من أصل الوضع، حين فصلت الكلمة عن هذا التركيب، وصوت النفس أول هذه الأصوات الثلاثة، وهو السببُ فى استجماع الكلام، ودليل الاتصال بين الألفاظ وصوت النفس، وكأن الكلام هو إرادة النفس.(٣)

أو بعبارة أخرى يرتبط المعنى المضمَّن بالافتراضات المسبقة" مع القيم المحددة لمعايير التغيير ؛ بالنسبة لبنية كلٍّ من: التراكيبِ العميقةِ، والسطحيةِ، والمنطوقةِ، والمنطقيةِ؛ وارتباط ذلك بمدى قدرة طرفى الخطاب على استخدام اللغة التداولية فى عمليات التعبير، والتفكير، والتأويل، والتفسير، والمقاربة المنطقية".(٤) يدعو ذلك إلى القول بأن عملية إنتاج الفعل الكلامى– وصناعته، بوصفه صناعةً، وواجبات المؤلف– ينبغى التخطيط لإنجازها، وما يرتبط بذلك من تَسْبِيق الدلالة، ومن ثَمَّ التَّسْوِيقِ للفعلِ الكلاميّ؛ فيبرز ما يُمكن أن نسميه: إدارة الفعل الكلامى، وسياسته، وإدارة الانفعالات، وسياستها(٥) وتحويل فعلها من فعل مضمَّن إلى مُنْجَزٍ، إلى فعل تأثيرى، فنشاطٍ سلوكيّ، وهذا العملية لا تتم فى منطقة معينة من العقل الإنسانى بصورةٍ مفردةٍ، إنما يتشارك فى إنجازها؛ البعدُ النفسىُّ، والمحددُ العقلىُّ، بالإضافة إلى الأبعادِ التداوليةِ لعلوم اللسان؛ تقف وراء ذلك الأمر مجموعة من الدوافع، وأنماط التفكير، والتذكر، والتعلم، والتفسيرات المتحملة، وينتج عن ذلك انتقاء المتلقى وحدات كلامية، وهيئات تركيبية، وموازنته بين البنيتين السطحية والعميقة، ويغلب على عملية الانتقاء الطابعُ النفسىُّ، وبعدها يبدأ دورُ علمِ اللغةِ.(٦)

ممَّا يؤكِّد– بالضرورة– وجودَ روابطٍ قويّةٍ بين هيئَةِ التراكيب، وما تؤدّيه من معانٍ، حيثُ لا هيئة تركيبية من دون فكرة، ولا فكرة من دون مرجع من النفس تعود إليه، فكأن الإطار اللغوى، يسبقه تصوُّر ذهنىُّ، ناجم عن انفعالٍ نفسيّ، وقد نقلت الصورة اللغوية أثر الانفعال النفسى إلى التصوُّر الذِّهنى(٧) انطلاقًا من القول بأن كل رسالة Message لغوية، لغوية، يسبقها وجود نفسى، وهو الفكرة التى يقوم عليها البحث الحالى.(٨) فكما يُوصَفُ العنوان بأنه كاشفٌ للنص الأدبى، يَصِحُّ أن يُوصَفُ الانفعالُ بأنه: مُعينُ الدلالة، والكاشف عن المعنى المركزى، مهما حاول المؤلف تسويره عن ذهنيات المتلقى(٩) ويوصَفُ بأنه المُمَهِّدُ للفعلِ الكلاميّ المضمَّنِ، وإشباعٌ له، ودليلٌ عليه، يقومُ على التخطيط للفعل الكلامى وصناعته، وتسهيل تلقيه بهدف الاستراجِ الشعورى والدلالى، واستدعاءِ ذهنيَّةِ المتلقى ونفسِه إلى سياقِ الفعلِ الكلامى، بصورةٍ جزئيةٍ أو كليةٍ؛ ويمنح التركيب النحوى ثباتًا وقوّة(١٠) فيفهم المعنى الكلى من خلاله، وقد يكون سببًا للتَّعْرِيض بالفعل الكلامى؛ وإلباسه ثوب الصورة الموازية، ليغنو من الحجج والأدلة التى يجلبها المؤلف، ليُبْرِهِنَ بها عن الفعل الكلامى المضمن(١١) مقتصدًا فى الوقت، والجهد، وفى اجتهاد المتلقى فى البحث عن هذا المعنى، وتتبعه، والكميَّة اللغوية اللازمة لإنجازه؛ بكفاءة، وشمولية؛ من

---

(١) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ١٤–٤٣

(٢) اللغة والسلطة: ١١٣

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، جـ٢: ١٧٦

(٤) انظر: نظرية النحو الكُلِّيّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية))، د: حسام البهنساوى، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، القاهرة:٥٨

(٥) انظر: فاعلية برنامج تربوى متعدد الأنشطة لتوعية طفل الروضة بفهم وإدارة المشاعر والانفعالات لديه، د: مها أحمد الرزّاز، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال، جامعة المنصورة، المجلد الرابع– العدد العدد الثانى، اكتوبر: (٢٠١٧م):٤٢٩

(٦) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى: ٧

(٧) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٢١

(٨) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى: ١٢

(٩) الدلالات التسويرية للتكير فى اللغة العربية: ١١

(١٠) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية: ٥

(١١) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية: ١١

دون إفراط، ولا تفريط، فيكون كالمحفِّز للمتلقى على إدراك المعنى، وكالمعين فى محاولة المتلقى تفسير الدلالة المستبطنة؛ من خلال النموذج اللغوى المعروض على ذهنيته ونفسه، باعتماد موازنة تداولية بين النموذجين القياسى والانفعالى.(١)

مثلما يُفهمُ من كلامِ ابن قتيبة:(ت٢٧٦هـ)، والسكاكى:(ت٦٢٦هـ) من ضرورة أن يُسبق المعنى البعيد:(المستبطن) بأوضاعٍ مقيّدةٍ، أو يكون سياق الانفعال– فى هذا الشأن– إضافة مقصودة من المؤلف، وزيادة منه؛ قاصدًا معنى ضمنيًّا، تجعله أقرب حصولًا من المعنى القريب(الملتفظ به) فقد جعله ابن قتيبة مما يكمل به نقص الكمية الكلامية،" على حسب الحال، وقدر الحظ، وكثرة الحشد، وجلالة المقام"(٢) وقد جعل السكاكى سياق الانفعال على رأس الآليات التى تستبد فى الحصول على المعنى، انطلاقًا من أن انفعال النفس يستلزم فعلًا كلاميًّا أو حدثًا سلوكيًّا، وأن ما عداها تستمد منها بالارتداد إليها.(٣) فيتضافر سياق الانفعال ومبدأ الإسقاط للتقليل من الدور التواصلى والتداولى للصورة القياسية القياسية للأثر الإعرابى، إذ يستغنى الأخير عن قواعد بنية العبارة أو التركيب بصورة كلية، ويشمل هذا الاستغناء المكملات الكلامية والظروف، وغض الطرف عن الأثر الإعرابى فى عملية الاتصال، إذا ما تصور وجود عنصر من هذه العناصر فى موقع معين، بأن تجعلها التداولية فى موقع الفراغين الشكلى والدلالى.(٤)

وانطلاقًا من قوة سياق الانفعال، والنظر إليه بوصفه مرجعيةً الإنتاج والتَّشَكُّلِ للصورة– أو الرسالة– اللغوية؛ يتأتى له التغافُلُ عن تداولية الحركة– أو العلامة– الإعرابية، وتتأكد سطوتُه فى فعلىْ التواصُل والاتِّصال بين المؤلف والمتلقى، حيث ينشأ عنه بقاءُ أثره على الحركة الإعرابية؛ بغضِّ الطرف عن معيارية حركة الإعراب وقوتها، وخضوعها للمحددات القياسية، التى تجعل الذهن يقفز من الشَّكْلِ المَبْنَوِيِّ إلى المعنى، بل تدفعه إلى الانتقال من المعنى المتعجِّل إلى المعنى السِّيَاقى.(٥) وتكون علة وجود الأثر الإعرابى الناتج عن سياق فعل الانفعال وقوته أقوى منه حال خضوع عناصر الهيئة التركيبية للقياس المجرد، بل قد يكون العامل غير مؤثِّر فى صورة المبنى، ولا هيئة التركيب.(٦)

ويكون التَّسَلُّطُ سِمَةً تعود إلى فعل الانفعال، الذى يتمثَّل فى تقييده للفعل الكلامى، وفى قدرته على فرض آلية صياغة المنتج اللغوى، كمية، وهيئة، ودلالة، بالإضافة إلى كونه مستحضرًا لآلية تفسيرية مقيّدة للمتلقى، من حيث الهيئة، والتقسيم، والترابط، والتنظيم، والترتيب(٧) وليس من سمات هذا التسلط إحداث مصادمات شكلية ولا دلالية مع قواعد نحوية، أو مواضعات معيارية، إلَّا أن سياق الانفعال لا يسمح للقواعد النحوية أن تهدّدَ تراكيبَ لغويةً، شاعت دلالتُها فى الاستعمال، وقوَّت قيمتها التداولية فى ذهنية الدلالات الاجتماعية، والمحددات التفسيرية.

ووفقًا لذلك؛ فإن الأصل أن تبنى العلاقةُ بين المؤلف ومتلقيه على التفاعل والتشارك فى التحاجُج بينهما، وليس على سلطة طرَفٍ من أطراف الاستلزام الحوارى، وهذا معناه: إنه لا يُوجد محتوى كلاميٌّ دالٌّ – تداوليًّا– من دون ضاغطٍ، أو مُحفِّزٍ، أو مثيرٍ من الفكر أو النفس؛ لذا فالعلاقة بين اللغة علمة، وهيئاتها التركيبية من جهة، وعمليات التفكير العقلى والبواعث النفسية من جهة أخرى؛ هى علاقة انعكاسية، فكأن الأطر اللغوية تكبِّر ما يدور فى الفكر أو النفس، وبخاصة إذا سَلَمْنَا أن السياقات اللغوية، على مستوى الفعل الكلامى ذى المعنى الصَّريح البسيط السَّلَاَج، أو المعنى المستبطن، والمُسْتَنْبَط من السياقات غير اللغوية بالإشاريات، والإيماءات، والإيحاءات، والتلميحات، والظواهر الصوتية غير اللغوية المصاحبة للفعل الكلامى، هى أدوات إفهام، وفهم، وتواصُل؛ بين مُؤلِّفٍ ومتلقٍّ، يُراد للأخير فهم قصد ما، أو فكرة بعينها، أوالتشارك فى انفعال شعورى مُعين، وتصير مفردات الأثر الإعرابى مُعينات ثانوية للمتلقى فى إدراك المعنى الانفعالى.

- من الآثار التداولية لعامل الانفعال:

من المعلوم أن النحو العربى يتشكل من مجموعة من العلاقات المتداخلة المتكاملة، التى يحكمها نظام علم، يحوى جميع القواعد النحوية المتواضع عليها من لدن العلماء، والتى تدور حول جميع مستويات اللغة؛ من مستوى، الصوت، والمقطع، والعبارة، والتركيب، والجملة، والفقرة، والنص بتمامه، هذه القواعد الكلية تستهدف صياغة الفعل الكلامى المركب، وتوجيهه، وتتبنى التعليل لتأويلاته المحتملة، وتوجيهاته، وتفسيراته، فى موقف الاستعمال.(٨)

---

(١) انظر: اتجاهات حديثة فى اللغويات التطبيقية، مباحث لغوية (٤١) : ١٩

(٢) تأويل مُشكل القرآن الكريم : ١٣

(٣) انظر: مفتاح العلوم، باب : فى معرفة الطريق إلى النوع الأول وكيفية سلوكه:١٤، وانظر: باب التقسيم، والسبر، والاستقراء، والتمثيل: ٥٠٤–٥٠٥

(٤) انظر: نظرية النحو الكُلِّيّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية):٢٣

(٥) انظر: قرينة المخالفة وتطبيقاتها فى النحو العربى، د: موفق مجيد ليلو الحيَّاوى، بحوث المؤتمر العلمى الدولى الحادى عشر، نيسان(٢٠١٩م)(٣)، مارس(٢٠٢٠م)، كلية التربية، وزارة التربية، جامعة واسط، تربية محافظة ميسان:١٢٠

(٦) انظر: الخصائص، جـ١: ١٢٨–١٢٩

(٧) انظر: اللغة و السلطة: ٢٩

(٨) انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى: ١٢ المقدمة.

حيث إن المؤلف– فى إنجازه الفعل الكلامى المتلفظ به– يعبّر عن قصدِه، وفِكْرِه، أوعن حالةٍ شعوريةٍ، أوعن انفعالٍ ما، يرغبُ فى إبلاغِه لمتلقيه؛ لا يقصد– بذلك التصرف– التعبير عن خضوعه للقاعدة النحوية؛ وينبغى له– حتى يُنجز هذا البعد التعبيرى– أن يمزج هذه الآلية العقلية ببعد شعورى، مظهرًا غلبة عامل العاطفة؛ إيمانًا منه بالدور الحاسم للمشاركة الحسية والانفعالية بين المؤلف والمتلقى فى توضيح أبعاد الفعل الكلامى، وتقبله وتفسيره، والحصول على اللذة من خلاله، اعتمادًا على تحقق الفهم، وسلامة الأداء اللغوى من جهة؛ وإمتاع الحسّ، ومراعاة الذوق الاجتماعى؛ من جهةٍ أخرى؛ إذ يتوقفُ مدارُ إدراكنا للبعدين الدلالى والتداولى للتراكيب، على ما يبُثُّهُ المؤلفُ من جوانب نفسية، تجعلُ المتلقى يشعرُ بها، ويتفاعلُ معها.

ويعبّر المؤلف عن مقصده بصور كلامية متعددة، أقلُّها– وأضعفها– الروافد اللغوية المتلفَّظ بها؛ فى إطار تداوليّ بين الحقيقة والمجاز، وتُغْنِى قرينةُ الانفعالِ– فى هذه الحالة– عن كثيرٍ من القرائن اللفظية والمعنوية– أو ما يُطلق عليه: السياق الصغرى، والذى يُقصَدُ به: عدم وجود قرينة دالة، تفيد بأن المعانى الاحتمالية كلها مُرادة للقائل(١)– لتشمل غياب قرينة الإعراب أو خفاءها، أو تسبُّبها فى اضطراب الدلالة أو فسادها، وإفشال الاتِّصال التداولى؛ فى ضوء العلاقة الطردية بين ذهنية المتلقى، باقتراضاتها المسبقة وهيئة التركيب المُلْقَى إليها، التى تتأتى دلالتها من صورة العنصر السابق، وعلاقته بالمسبوق، ويكون فعل الانفعال قاسمًا دلاليًّا تداوليًّا مشتركًا بين المؤلف والمتلقى، رغم ما بين ذهنيتهما من اختلافات ثقافية وأدوات استدلالية، إذ ليس من المنطق التسليم بتمركز البشر حول تفكيرٍ واحد، أو رؤية واحدة.(٢) وقد وُضعت القرائن اللغوية وغير اللغوية للتفاهم بين أطراف الموثق التحاورى؛ إلَّا أن بعضها قد يختفى، وقد يظهر بعضها الآخر؛ وبتقدير ظهورها أو خفائها ينضبط فهم المقصود من الكلام أو يختل.(٣)

وحتى يؤكِّد المؤلفُ مضمونَ خطابِه، يستخدم بعضًا من استراتيجيات التقوية الكلامية، من مثل السياقات غير اللغوية، منها: لغة الإشاريات، وحركة الوجه ولونه، وانقباضه حال الخوف، وتقشعريرة جلده، واصطكاك ركبتيه، وارتعاد فرائصه، وارتعاش مفاصله، ليقوى لدى المتلقى سلطة انفعال الخوف لديه، ومثل قولهم فى الغضب: قطَّب وجهه، وزوى ما بين عينيه، وانتفخت أوداجُه، وتربَّد فوه، واحمرَّت عيناه، وغير ذلك من التراكيب التى تُشير إلى انفعال النفس.(٤) وتتم عملية التواصل وإنتاج الكلام– تحقيقًا لاتصال تفاعلى جاد– جاد– من تضافر مجموعة من الأجهزة الكلامية؛ وعندما تُصاب هذه الأجهزة، أو يعتريها ضاغط؛ تبدأ المشاكل اللغوية، حيث يُصبح الكلام على هيئة جمل قصيرة، وتختفى القدرة على النظم Syntax، ويتحقق ارتباك الاتصال؛ لاسيما أن تلَف منطقة بروكا Broca–الموجودة فى النصف الأيمن من المخِّ– ومنطقة فرنك Wernik، الموجودة فى النصف الأيسر من المخ؛ يُحدث ارتباكًا فى إنتاج الكلام، بيد أنه يظل لدى الإنسان قدرات ممتازة للفهم والتواصل، وإنتاج صور لغوية مُرتَّبة نحويًّا– القواعد الداخلية Internal Ruls– مع احتمالية تحقق الصعوبة فى الفهم، وهو جانب نفسى، فى المقام الأول؛ قبل أن يكون إدراكيًّا– لبعض الصور الكلامية؛ بسبب وجود كلمات لا معنى لها، أو لاستخدامهم كلمات غير مناسبة، أو لوجود معانٍ غير دقيقة.(٥) وتتيح اللغة للمؤلف– فى حواره التخاطُبى– أن يتصرَّف– فى عناصره التخاطبية– وفق ما يُحقق يُحقق التمام الدلالى، ووضوح المعنى، وجودة الهيئة لبلاغه، وإن اقتضى السياق مخالفة القياس اللغوى أو النحوى، وفى ضوء ما" تستلزمه شاعريةُ اللغةِ من الشعور، والخيالِ الخصب، والحالة النفسية".(٦)

ويؤمن الباحث بمبدأ الحرية الكلامية مع مراعاة القصدية والضبط العصبى، والوعى والإدراك، والمسئولية التداولية، فاللغوى حرٌّ فى انتقاء عناصره اللغوية؛ بطريقة أو بأخرى، وفق قائمة من التعبيرات؛ وليس معنى ذلك أن ثمة طريقة أفضل من أخرى، أو أن نظامًا نحويًّا صائبًا، وآخر خاطئًا.(٧) والاستعمال–فى غالب الأمر– مُقَدَّمٌ على التقعيد، لأن المرويات اللغوية– الثابتة والموثَّقة، والموثوق فى مستعمليها– مقدَّمَةٌ وجودًا، واستعمالًا على القياس؛ وبالسماع، والاستعمال، والأدلة العقلية– فى معيَّة القياس(٨)–

---

(١) انظر: السياق وأثره فى توجيه المعنى من خلال التفسير البسيط للواحدى(ت٤٦٨هـ) من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة الفرقان: ٦٠

(٢) انظر: جغرافية الفكر، ريتشارد إى. نيسبت، ترجمة: شوقى جلال، سلسلة عالم المعرفة، الرسالة: ٣١٢، فبراير: ٢٠٠٥م، المجلس الوطنى للثقافة و الفنون والآداب، الكويت: ٧

(٣) انظر: الإحكام فى أصول الأحكام، لعلى بن محمد الآمدى، علَّق عليه، الشيخ: عبد الرازق عفيفى، ط١، دار الأصميعى للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، جـ١: ٣٩ – ٤٠

(٤) انظر: مطالعات فى اللغة والأدب، من قلم: خليل السكاكينى، (د.ط)، (د.ت): ٥

(٥) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ١١

(٦) مخالفة القياس الصرفى عند ابن سنان فى سر الفصاحة بين معيارية اللغة وشعريتها(دراسة جمالية)، د: نجلاء محمود حسين أحمد، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٣٨، ٢٠١٩م، جـ١: ٦٥٨

(٧) انظر: نظرية النحو الكُلّيّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية: ١٧

(٨) غير مُنكَرٍ ما للقياس من دَوْرٍ فى بناء الغالب الأعمّ من العناصر اللغوية، والهيئات التركيبية، إذ يقوم عليه أخذ جزء كبير من اللغة، بالإضافة إلى ما يُحدثه الأثر الإعرابى–حركة أو علامة– فى تقييد تقييد الدلالة وحسْم أبعادها التداولية، ممَّا يتوقف عليه– إلى حدٍّ بعيد– الأنشطة الكلامية والتواصلية.

تُضْبَطُ Controls المستويات اللُّغويَّةُ على اتِّساعها، الصوتى، والصرفى، والتركيبى، والدلالى، والتداولى، وتُحَدَّدُ أبعادُ نظامِها اللغوى، وتُصاغ قوانينُها، وتُبنى هيئةُ وحداتها وتراكيبها، ويُؤَطَّرُ إِذَاقَتَهَا، بوصْفِهَا كيانًا متعددَ الأَنْظِمَةِ، مُتَّسِعَ الدلالات والتفسيرات، متشعب الرؤى، وهو ما أطلق عليه الدكتور محمد عنانى مصطلح : علم اللغة الحقيقى.(١)

إلَّا أن الأمر يستلزم امتلاك المؤلف لمهاراتٍ نوعية؛ فى التدليل على جمالية التنوع الأدائى للمعنى الواحد ومدى تقبُّله، كأن يكون على دراية بمكونات اللغة من الأعراف، والقواعد، والقوانين، والمواضعات، والدلالات الاجتماعية(٢)، والجغرافيات السانية، ومحددات البيئة النفسيرية– أو ما يُمكن أن نُطلق عليه: جغرافية الفكر – وطبيعة الافتراضات المسبقة، المفترض صدقها وثباتها، بعيدة عن الاضطراب، والأدوات الحجاجية والتفاوضية، وسبل التلطف والتأدُّب فى التعبيرات الكلامية، والاعتماد – فى إيصال الفعل الكلامى المضمَّن– على تعبيرات ما وراء الخطاب اللغوى، واستراتيجيات التقوية الكلامية، وآليات حرية الكلام(٣)، وضوابط الخطاب الاستلزامى، ودرجات الإعلامية الكلامية بين الارتفاع والانخفاض، والصفات الصوتية للعناصر اللغوية، والخصائص الأسلوبية وتداوليتها، وسياقات الزمان، والمكان، ومعايير الذوق والأبعاد الاجتماعية، ومحددات التذوق، وبواعث الإمتاع للنفس والشعورى، أوالنفور الحِس، أو نَبْوِ الذوق عن التكلُّف؛ وتلكم أمور فطرية، ودقائق لطيفة، تتوقف على قوة الإدراك، والإحساس، والتذوق، وضعفها؛ والمؤلف– فى سعْيِهِ إلى عرْض قصده– أن يتخيَّر ما" يتلاءم مع غرضه، ويتناسب مع مقصوده، ويتدخل فى هذا الاختيار حالتُه النفسية، وشعورُه، وخيالُه؛ حتى يستطيع التعبير عمَّا يُريد، من دون التقيد باللغة المعيارية، وقوانينها، ويبنى كلامَه على ما استعملته العربُ فى كلامِها ونظمِها.(٤)

مما يؤصِّل القول بأن الرسالة اللغوية للمؤلف تحمل معنى يتوازى مع معنى آخر، وإن كان من باب التخييل؛ بحيث إن كل كلام يسبقه فعل كلامى متخيَّل، وهو ما أطلق عليه أستاذنا الدكتور محمد أبو الفضل بدران: مرحلة ما قبل النص، إذ إن هذا النص السابق هو ما يُشكِّل بداية مرحلة المعاناة فى تشكيل الكلام الجديد(٥) الذى لا يعتمد فيه المعنى التداولى على العلامات الشكلية فحسب، إنما يعتمد على ضفيرة متداخلة من البنية الشكلية والسياقاتِ المقيِّدةِ للمعنى؛ إذ المعانى التداولية مُستفادة من واقعية الشواغل النحوية.

يترتب على سلطة الانفعال أن أصبحت اللغة النحوية المنضبطة لاحقةً له، وهذا معناه أن اللغة الانفعالية أسبق من اللغة النحوية فى الوجود؛ استئناسًا بأن اللغة الانفعالية أسبق فى ظهورها عند الطفل من اللغة الانفعالية، ويكون شكل الوحدات اللغوية وتكوين التراكيب الشكلى هو الفارق بين اللغتين؛ والفكرة تخرج واضحة متماسكة مترابطة، ثم تبدأ اللغة النحوية ذات القواعد المنظمة، بحيث قد يعبِّر المؤلف عن انفعالاته بلغة غير مألوفة، إذ إن لغة الانفعال عند المتكلم تختلف عن لغته فى غير الانفعال.(٦) وتتجلى لغة الانفعال فى أن وحداتها اللغوية وهيئاتها التركيبية تأخذ شكلًا جديدًا، ويصيبها تَغَيُّرٌ كبيرٌ، فقد يُحذَفُ أحدُ الأحرف، أويُعَوَّضُ عنه بتشديد ما قبله، أو قد يغيَّر الأثر الإعرابى، بين تبادلية الرفع، أو النصب، أو الجر، أو تختلط المعانى والحروف، أو تتداخل الدلالات، وتصبح لغتُها الانفعاليةُ سليمةً، وصحيحةً، وغيرَ مرتبكةٍ، إذ إنها تغدو بقصديةٍ ووعيٍ، فيقوى لدى المتلقى تنبُّهُ المؤلفِ لما يصنعُ.(٧) ويكون المُراد بقصدية المؤلف أنه لا يكون مُضطرًا إلى ذلك اضطرارًا سائغًا، بضاغط من الأنظمة الضابطة لبناء الكلام، إنما يكون مدار الأمر على اختياره وميله (٨) وليس صحيحًا القول بأن المؤلف تحت سياق الانفعال يفقد تركيزه فى أدائه اللغوى علمة، والتزامه بالأثر الإعرابى للوحدات التركيبية بصورة خاصة؛ فيخرج فيخرج عن أصل القياس؛ مُتوهمًا صحةَ ما ينطقه من أبنية وتراكيب، فيقيس قياسًا خاطئًا، وهو يظن أنه قياسٌ صحيحٌ؛ كما أنه ليس صحيحًا الاِدِّعاء بوقوعه تحت دائرة الخطأ أو التوهُّم(٩) فقد جاء مصطلح التوهم مرادفًا لمصطلحىْ التخييل والتمثيل، وهما يحملان دلالة انفعالية، وفيهما دلالات نوعية، تشير إلى كون الفعل الكلامى–قبل النطق به– عائدًا إلى خواطر القلب والحالة النفسية للمؤلف أو المتلقى.(١٠)

---

(١) انظر: اللغة والسلطة: ٢١

(٢) انظر: السياق وأثره فى توجيه المعنى من خلال التفسير البسيط للواحدى(ت٤٦٨هـ) من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة الفرقان: ٣١٤

(٣) انظر: اللغة والسلطة : ٩٢

(٤) مخالفة القياس الصرفى عند ابن سنان فى سر الفصاحة بين معيارية اللغة وشعريتها(دراسة جمالية) جـ١: ٦٦٩

(٥) انظر: موت النص، جدلية التحقيق والتخييل فى النص الشعرى، فى ضوء النقد الأدبى القديم والشعراء النَّقَدَة:١٤

(٦) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٣٣

(٧) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى:٣٣–٣٤

(٨) انظر: الانزياح التركيبى فى شعر محمد بن بشير الخارجى : ٤٨٤

(٩) انظر: السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب: ٥٠

(١٠) ذكر ابن منظور أن الوهم من خواطر القلب، إذ للقلب وهم، وتوهَّم الشيء: تخيَّله وتمثَّله، كان فى الوجود أو لم يكُن. انظر: لسان العرب،لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، (د. ط)، دار المعارف المصرية، (د.ت)، القاهرة ، جـ٦: ٤٩٣٤، مادة: (و، هـ، م).

يقتضى هذا الأمر إبراز دور سياق الانفعال بوصفه وسيطًا Medium إيجابيًّا غير متنازع عليه، بين الواقعة اللغوية ومعناها، وبوصف سياق الانفعال بكونه سادنَ المعنى، إذا يُبرز المعنى الذى يعنيه المؤلف، ويخصِّصُ دلالة الهيئة التركيبية، ويقوِّى ما يقصد أن يقوله المؤلف؛ ويصبح المعنى بين تعقُّل صوريٍّ، قارٍّ فى الشكل، وآخر مضمون، قرَّ فى مُعينات الكشف عن القصد، يسهم فى توضيح المعنى، ويأتى على رأس تلك المُعينات: أمارات الانفعال، وكأن الانفعال أمرٌ مجهول تكشفه العلامات اللغوية فى هيئتها التركيبية، بالإضافة إلى الأمارات المعنوية المُحِيطَةِ.(١) ويغدو عامل الانفعال من أسباب تمكين المعنى فى النفوس، وتأكيد كونه معلومًا فيها، فلا يقع فيه شكٌّ.(٢)

- السلطة التداولية لعامل الانفعال:

يكتسب عاملُ الانفعالِ قوتَه الذاتية والتداولية فى نفس المتلقى؛ بجعل المعانى والأشياء تبدو حسنة أو قبيحة، حيث إنه من المعانى التى تحتاج هيئة قوية لعرضها، وقدرة خصبة على الاحتجاج ليظهر موضع الإثارةِ، ويُغمض موضع التقصير، بغية إفهام المتلقى وإقناعه.(٣) وتجدر الإشارة إلى أن بلومفيلد(L. Bloomo.fielled)(١٨٨٧) من أوائل من من أدركوا العلاقة بين علمىْ اللغة والنفس؛ فقد مزج دراسة اللغة بمعطيات علم النفس؛ بل إنه قد جعل الانفعالات النفسية هى الطريقة المثلى لدراسة الصور اللغوية ودلالتها.(٤) لا لا يُمكن– بحال– أن تنفرد قرينة الإعراب وحدها بتحديد المعنى المُراد من الصور اللغوية؛ والأقيس – فى ضوء نظرية الفعل الكلامى– أن يُنظر إليها؛ بوصفها مجرد قرينة، فأحيانًا ما تكون قرينة الأثر الإعرابى (قرينةً فارغةً) لا يُمكن التعويلُ عليها وحدها– أو المغالاة فى تقديرها– فى تحديد الدلالة فى سياقها؛ حين لا يكون المعنى فى حاجة إليها، فى ما يتَّصل بأمْن اللَّبْس، أو وضوح المعنى؛ ومعرفة القصد المُراد؛ وتتفاوت قوتها فى الدلالة على المعنى وتحديده؛ بحسب سياقات الإلقاء والتلقى، فى موقف تواصلى يقوم على اختيارية الاستعمال، وتداولية التواصل، من دون القفز من المبنى إلى المعنى، وتغدو حبة عقد قوية، ودالة من دول المعنى، إذا سلمنا بتوقف المعنى على بناء من القرائن المتضافرة؛ المقالية، والحالية(٥) لبنى صوره اللغوية على سمت ما بنته العرب، روايةً، وسماعًا، وقياسًا، واستعمالًا؛ وهنا يَعْظُم دورُ القرائن المعنوية.

ومن بينها: قرينةُ الانفعالِ؛ التى قد تكون من قرائن الأحوال المُغْنِيَةِ عن ذكْر صور لفظية من الفعل الكلامى، تؤيد الدلالة الكلية، وتتطابق معها، وتكون سببًا من أسباب ظهور الدلالة المركزية، مع الاختصار والإيجاز الكلامى، واقتصاد المَجْهُودَيْنِ الصوتى واللغوى؛ الناجمين عن الإطناب لتقوية مضمون الفعل الكلامى؛ فيتوصل به إلى تقليل كمية الفعل الكلامى المتلفظ به، وإلى تكثير المعنى الظاهر أو المستبطن؛ أو تجسيد صورة من صور الاستعمال التداولى بين المؤلف والمتلقى(٦) فيكون الانفعال من صور الاستخفاف، بآلية الإيجاز الكلامى، الذى تذهب النفس فيه كل مذهب حتى تُركَه.(٧)

من ثَمَّ يعود إليها القدر الحاسم فى إنتاج الدلالة، وتقويتها، وضبط تلقيها، وتفسيرها، بالتَّضَافُر مع مثيلاتها من القرائن اللفظية.(٨) بل قد يُعتمد عليها– وحدها– فى الإبانة عن المعنى؛ قبل دلالة الهيئة والترتيب، وقبل الإعراب، وإن وُجدت قرائن أخرى؛ وظواهر صوتية، وصرفية، يُمكن أن يُستدل بها على الفعل الكلاميِّ المُضَمَّن.(٩) حتى أننا قد نصِف الانفعالَ بأن له اليدَ الطُّولَى على مُجريات التواصل والاتِّصال، بل الضابط والمشكِّل للأداء اللغوى للمؤلف؛" حيث إن اللغة اللفظية ليست وحدها التى يستخدمها مؤلف الكلام فى التعبير عمَّا يدور فى ذهنه من أفكارٍ؛ وما تمور به نفسه من خلجات وانفعالات، وإنما يحتاج إلى أكثر من لغة فى التعبير عن نفسه".(١٠) لذا كثيرًا ما نجد بعض التراكيب اللغوية ذات الأثر الانفعالى، أو ما يُمكن أن نطلق عليه: التراكيب الانفعالية.(١١)

صار من اللازم الإشارة إلى أن عدول المتلقى إلى تركيب الانفعال يشكل مطلبًا غير لغوى، بل هو مسلقة دلالية بين النفس واللغة، ليس هذا فحسب؛ إنما يُجاوز الأمر إلى كون تركيب الانفعال محددًا للهيكل الكمِّى للعناصر اللغوية، زيادةً أو نقصًا؛ وللصور الشكلية للتراكيب النحوية، فقد يُحدد الجذور المعجمية المستخدمة، وكذلك يتحكم فى الموقعية

---

(١) انظر: نظرية التأويل، الخطاب، وفائض المعنى: ٣٩

(٢) انظر: الطراز، جـ٣: ١٤٥

(٣) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية :١٨

(٤) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى:٤٥٤–٤٥٥

(٥) التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية، د: أحمد سعد محمد، ط٤، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م: ٩٣

(٦) انظر: مفتاح العلوم : ٢٢٤–٢٢٨

(٧) انظر: الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية)، د: مختار عطية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.ط) : ٣٨

(٨) انظر: قرينة المخالفة وتطبيقاتها فى النحو العربى :١١٢–١٢٠

(٩) نحو استشار المؤلف للظواهر الصوتية فى تقييد الدلالة، كما فى قول القائل: أنا لصٌّ؛ بنبرة استفهامية، مما حول المعنى إلى ضده، فانقلب المعنى من إقرار إلى إنكار. انظر: مطالعات فى اللغة والأدب: ٥

(١٠) انظر: علم اللغة النفسى فى التراث العربى:٥٥٥

(١١) انظر: السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب:٢٣

النحوية للعناصر اللغوية وضبطها الحركى. فالتعبير النفسى لدى الإنسان يقوم على أساس نزعات نفسية وانفعالية، تختلف من فرد إلى آخر؛ إذ إن السلوك اللفظى يرتبط بنظرة المؤلف إلى الأشياء والمفاهيم، وانفعال النفس على ضوء ذلك كله.(١) لذا قد تَتَرَخَّصُ عمليةُ الاتِّصالِ فى مدى تحقق المخالفة ومدى عدولها عن المعيارية النحوية؛ إذا عُرف القصدُ المُرَادُ.

لا يُنْكَرُ تركيز المعيارية اللغوية– بمستوياتها المختلفة– على الصور الشكلية لعناصر التواصل اللغوية، ضبطًا، وهيئة، وموقعية، واستعمالًا، ونفسيرًا؛ والتى يُعَبَّر عنها بقول النحاة: يَجِبُ كذا، بالإيغال فى التمسك بالمعيارية؛ والاتِّهام بالمخالفة لكلِّ ما خرج عن ضوابطها، ولهذا السبب؛ فإن كثيرًا من اللغويين والمفسِّرين يَرْكَنُونَ إلى الشكل وحدَه فى الإحاطة بالدلالة، والتحكُّم فيها؛ بعيدًا–نسبيًّا– عن المضامين العميقة، التى تقف خلف الأبنية الصرفية، والتراكيب النحوية، والتفسيرات الاجتماعية، من حيث الشكلُ.(٢) وفى محاولة المؤلف الخروجَ من ضيق المعيارية وصرامتها انحراف إلى تراكيب تحمل تأويلات متباينة، مما يفتح باب الخلاف النحوى، ويشكل أثرًا سلبيًّا من آثار الالتزام المعيارى، والذى قيَّد إبداعَ النُّحَاةِ، وإيمانَهم بالثَّقَافَةِ.

ويستأنس الباحث بما قدَّمَه علماؤنا الأوَّلُون؛ من إسهامات تتصل بعلم اللغة النفسى– تصلُح أن تكون نواةً لنظرية متكاملة العناصر(٣)– فى ما يخصُّ علم النفس اللغوى، (Psycholinguistics)، فلم تكن عناصره ولا مفاهيمه ومصطلحاته بالجديد الوافد إلى غير أرضه؛ فقد جاوزوا– فى درسهم– حدَّ الإشارة والتنبيه، أو كون إسهاماتهم مبثوثة ومبعثرة – هنا وهناك– فى مؤلفاتهم ومدوناتهم البحثية؛ بل قدَّموا –وبدقة– درسًا نوعيًّا لأثر سياق الانفعال فى تشكيل العناصر الكلامية، فى أحاديثهم عن الأثر الدلالى والتداولى لصكِّ الوجه وتمعُّره فى توجيه عمليات الاتصال بين المتخاطبيْن، ويدَّعى الباحث إن درسهم– وآراءهم– يُعد نواة لتشكيل نظرية مستقلة فى علم اللغة الانفعالى؛ على نحو ما نراه عند الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، وعبد القاهر الجُرْجانى(ت٤٧١هـ)، وجار الله الزمخشرى(ت ٥٣٨هـ)، وأبى يعقوب السكاكى(ت ٦٠٦هـ)، والفخر الرازى(ت ٦٢٦هـ) وغيرهم.

من المهم التأكيد أن علم اللغة النفسى يشكِّل رابطًا بين السلوك اللغوى للإنسان، وما يتَّصل به من انفعالات نفسية، تُلْجِئُ مؤلفَ الكلام إلى أن يروغَ إلى بِنَىً صرفيةٍ، وتراكيبَ نحويةٍ؛ قدْ يكون مُدْرَكًا لأبعاد دلالتها–إذ إنَّ التعبير عن المقاصد يقْتضى تحقق معيار القصدية الدلالية– فى ضوء التلقى، واحتمالية قَبول نفسيراتها، واستساغتها من جانب الذوق الاجتماعى، فى هذا المَوْضع يعمَد المؤلف إلى الانتخاب Selection بين محتملات لغوية ودلالية عديدة، ويكون الانفعال سببًا مباشرًا لعمليات الانتخاب، ومقاومة الوحدات اللغوية، والاستبدال Substitution فى ما بينها، وقد يُتَلَفَّظُ بها بصورةٍ تلقائية عفويَّةٍ، استجابة لمثير ما.(٤) بل من المحتمل أن يشكِّل الانفعال رافدًا ضمن روافد التسويق الضمنى للمعنى، والدعاية له– إن جاز لنا استعمال مثل هذا التعبير – ويُقصد بذلك نيابة تركيب الانفعال عن عناصر اللغة الملفوظة، ودلالة العناصر الإشارية، وغير ذلك من الروافد التعبيرية غير اللغوية؛ إذ يتضمن تركيب الانفعال تفاعلًا بين العناصر السابقة جميعها، هنا يسد سياق الانفعال فراغًا تداوليًّا– وفق آلية ملء الفجوات– فى سلسلة روافد الكشف عن المعنى الحقيقى، بحيث يتمكن المتلقى من استنباط المعنى من الهيئات التركيبية، اللغوية، والإشارية، والسياقية. إذ يسيطر الانفعالُ على العقل، فى هذا الموضع يصير الانْفعال فعلًا كلاميًّا، له السَّطوة على ما يعبِّر به عن هذا الانفعال، من أصوات، وبنى صرفية، وتراكيب نحوية.(٥) بمعنى أن البساطة اللغوية تقابلها بساطة نفسيَّة؛ وأن الجمل الأصلية(النواة)(Kernal) ليست بسيطة من الناحية اللغوية فحسب، إنما من الناحية النفسية – أيضًا(٦) ويكون حرى بالباحث الإشارة إلى أن الصورة البصرية لتركيب

---

(١) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى:٤٥٣

(٢) انظر: علم اللغة النفسى فى التراث العربى:٥٠٥

(٣) حرى بالباحث التأكيد أن مفردات الدرس اللغوى القديم ومدوناته تثبت إحاطة أصحابه بأبعاد علم لغة الانفعال، وبحسبهم فى ذلك: استخدامهم كلمة ضرورة، فقد ألفوا لذلك مؤلفاته: كما فى كتبهم الموسومة بكثير من العناوين، التى تتحدث عن الضرائر الشعرية؛ إذ يؤمنون بأن كل تصرف من الشاعر – بصورة خاصة– إنما يقصد به وجهًا، وهو إما لباعث فكرى، وإما لباعث نفسى، وكلا الباعثين لانفعال لنفس المؤلف؛ ليشيروا بكلمة ضرورة إلى أمر ما قد ألجأ المؤلف إلى هذا الصنيع من دون غيره، فقد حملت عبارات كتاب سيبويه أوجهًا عديدة، فى ما يتصل بالبنية الثقافية، والعقلية العربية الإسلامية، التى تمثلت فى مرويات العرب الفصحاء، الموثوق فى فصاحتهم، وكونهم أصحاب سليقة لغوية، تلك المرويات تدفع إلى ضرورة إعادة قراءة المحددات المعيارية للقياس النحوى، وتأملها، بهدف إحداث بعض التوضيح والضبط لبعضها، لاسيما حكم أصحابها على بعض الهيئات اللغوية المتقدمة بالندرة، بتقييدها بقلة الاستعمال، أو مجرد كونها ضربًا من ضروب التمثيل المتعددة أو أمثلة التدريب، التى كثيرًا ما تحفظ، ولا يُقاس عليها، وقلتها لا تستوجب الحكم بكونها رديئة؛ على إطلاق الحكم النحوى، وإن انعقد إجماع اللغويين والنحاة على أن مدار السلامة أو الفصاحة على كثرة الاستعمال، وهذا الرأى هو ما تابعه بول ريكور، فى إشارته إلى أن المسلمات اللغوية نمط كلى من التفكير. راجع رأى أد: سليمان عباس عبد، انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٤٠، وانظر: الوقف الصرفى، ما يوقف عليه وما لا يُوقف عليه، د: محمد خليل الزَّرُّوق، ط١، ١٩٩٩م (قورنجى)، منشورات جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية، بنغازى، ليبيا، ٢٠١٧م: ٢٤٦، وانظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى: ١٠

(٤) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ٧٩

(٥) انظر: علم اللغة النفسى فى التراث العربى: ٥٠٨

(٦) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ١٩٨

الافعال تمثل حوارًا داخليًّا لفعاليًّا، وعدولًا من المؤلف عن البنية القياسية، لإحداث بُعْد تداولى معين، ويغدو هذا الأمر صورة محوَّلة، فى ضوء ما تُنادى به المدرسة التوليدية التحويلية.([1]) وهنا تتمحور العناصر اللغوية حول شكلها الخاص، وتصير وسيطًا ناجعًا بين الأحداث، والعقول، والافعالات، والأشياء، التى تُشير فيه الوحدات اللغوية المختلفة إلى وحدات العالم الداخلى ومفرداته، وعناصر المجتمع الخارجى والإحالات إليه([2]) وفى سياق الافعال تعبِّر العلامات اللغوية الشكلية عن علامات الافعال وقوته، بل يصبح الافعال المشترك بين المؤلف والمتلقى أداة من أدوات الاتِصال، بغية تقويل الخطاب واستنطاقه.

يُشير ابن جنى إلى أن الكلام منتج افعالى، يعكس ما بداخل النفس، وهو دليل على ما فيها من أفعال كلامية مضمنة، يقول فى هذا المعنى: "والذى يدل على أنهم قد أحسُّوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان:

أحدهما: ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها من استخفافها شيئًا أو استثقاله، وتقبُّله أو إنكاره، والأُنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو العجب من قائله؛ وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس، فى إشارة منه إلى تعظيم حال افعال النفس فى إنتاج العملية الكلامية ورعايتها.

الآخر: ما يحضر من المرويات اللغوية التى تبدو مخالفة لقياس النحو، وساق لذلك أمثلة، منها:

- تعليل الأعرابى لتأنيث المذكر – فى قوله: فلانٌ لغُوب، جاءته كتابى، فاحتقرها– بأنها صحيفة.
- التعليل لعمل اسم الفاعل النكرة غير المنون عمل فعله، بأن المتكلم قاله على الإرادة، فى قوله– تعالى:" وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ ".([3]) وهو يقصد: سابقٌ النهارَ، بتنوين القاف مع ضمها.
- كون الفعل الكلامى عند العرب طبعًا واستعمالًا، وليس بقواعد ولا بقياسٍ؛ كما فى تعجب الأعرابى، وإقراره بتغير جهة الكلام، فى قول مخاطبه، كيف تقول: ضربت أخاك، فقال: كذلك، قال: أفتقول: ضربت أخوك؟، فقال: لا أقول أخوك أبدًا؛ فقال: كيف تقول: ضربنى أخوك، قال: كذا؛ فقال: ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبدًا؟، فقال: أيش ذا! اختلفت جهتا الكلام.([4])

ويحوِّل سياقُ الافعال إلى شفْرة دلالية مضمَّنة، ورسالة لغوية مقصودة، فالمؤلف يُحاول أن يسوق تجربته النفسية إلى متلقيه، إذ لا يُمكن بحال– ترك التعبير عن الدلالة الكلية– للعناصر اللغوية، واللفظية منها بصورة خاصة، بحيث تنجح الرسالة المُبلَّغة فى إضفاء وجودٍ فعليٍّ على العناصر اللغوية، التى يُرسلها المؤلف المنفعل إلى متلق– قد يكون رهينَ أثرٍ انفعاليٍّ– ويعنى بها شيئًا معيَّنًا، إذ يُحاول– باستثمار سياق الافعال– أن يعبر عن الفكرة الكاملة للتركيب، وتكون هذه الرسالة –أو الواقعة– اللغوية بهذا المعنى رسالة شعورية؛ وفق دوافعها وبواعثها، وهنا يُمكن وصفها بالفعل الكلامى العارض.([5]) ويكونُ التحوُّل إلى دلالة تركيب الافعال– مع كسْر أثر الإعراب، وقد كان العرب يترخصون فى الأثر الإعرابى، ويجردونه من قيمته الدلالية، حين ينتفى الإلباس، ويرتفع الإشكال([6])– مهارةً مُضافةً، يمتلكها المؤلفُ، وقدرةً منه على استثمار آليات التبادل، فى إنجاز هيئة تركيبية دالة فى خبرها، ومعبِّرة عن الافعال فى سياقها. بعبارة مجملة يُمكن القول بأن المصفى الافعالى، والذى تتحكم فيه الحالة النفسية– أو التجربة النفسية– من توترات، أو دوافع، أو مستويات الثقة والاتِّزان، فينتج الصواب الافعالى الواقعى فى محاذاة بناء الصواب النحوى.

ونحو ذلك من العوامل النفسية التى تتحكم فى أجهزة النطق المختلفة، فتتحكم فى الجهاز الصوتى، تضييقًا، أو اتساعًا، أو انقباضًا، أو انبساطًا؛ ففى الراحة النفسية، وقوة الدافع، وارتفاع الثقة بالنفس يتسع المصفى الافعالى، ويتقبل التدخل اللغوى، ويفهمه، ويُدركه؛ وفى حال التوتُّر، وضعف الدافع، وفقدان الثقة بالنفس؛ فإن هذا الجهاز يضيق، وينغلق، فلا يقبل تدخلًا لغويًّا؛ وإن قبل شيئًا منه، لم يفهمه، فيقع سوء الفهم، بانغلاق الذهنية وتمركزها حول الفهم الحرفى، بسبب اختلاف الثقافات والمعتقدات، والمعارف، والهُويَّات، والجغرافيا اللسانية؛ والمواقع الاجتماعية، والافتراضات الأيديولوجية، وطبيعة الفعل الكلامى التداولى، والأنماط الخطابية، ومن ثم تفشل عمليتا التواصل والاتِّصال.([7])

([1]) انظر: المدرسة التوليدية التحويلية، مبادئها، وتطبيقاتها فى النحو العربى، د: حليمة الخيرونى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى:٢٤٦

([2]) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى:١٠

([3]) سورة يس: ٤٠

([4]) انظر: الخصائص، جـ٢: ٢١٦– ٢٢١

([5]) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى: ٢٦–٣٤

([6]) انظر: قيمة الحركة الإعرابية، على ضوء جدل اللفظ والمعنى : ١٥٧

([7]) انظر: علم اللغة النفسى: ٢٨٨ –٢٨٩

هذه الانتهاكات تُعد– من الوجهة المعيارية Normative– مخالفة للقياس اللغوى والنحوى، فتخرجُ عن موقعِ الاستعمالِ، وتغدو من الصور الشاذة المبتذلة المرذولة المهجورة؛ إذ إن العلماء قد قبلوا ما وافق أصولهم، وأدانتهم العقلية والنحوية؛ ولو بالتأويل العقلى المغلوط، أوالاحتمال المعيب، وداروا بهذا التأويل حول فكرة الرد إلى الأصل؛ أما ما أباها فقد رفضوا الاحتجاج به، ووصفوه بالشذوذ.(١) فى ما أطلقوا عليه: دائرة الاهتمام التأويلى، التى أثارها بول ريكور فى تساؤلاته الفلسفية.(٢)

وممَّا ينبغى التنبيه إليه أنه قد تغدو قوة القياس افتراضًا مسبقًا ضابطًا لعملية التواصل بين المؤلف ومتلقيه، ويكون من المستحسن –عند مؤلف الكلام– أن يُعلِّلَ لمخالفته القياس اللغوى؛ بحرصه على أداء معناه الذى يُريده، وإتمامه بالصورة التى تتأتَّى له ويقصدها؛ فهو يُحاول إخضاع التراكيب والبنى لمعنى انفعالى قد غزاه، وهو يريده. إذ إن تركيزه موجه إلى إتمام العملية التواصلية بينه وبين المتلقى، وهو الذى يوجه الفكر إلى أداء المعنى بصورة لغوية معينة.

فى هذا الموضع؛ قد يصحُّ أن يكون سياق الانفعال سببًا فى إيجاد بعض الهيئات التركيبية المولدة Coinages، إذ يشكل صورًا متعددة للتراكيب النحوية الحاملة للقصد، أقلها صورتان تركيبتان، تقبلان التفسير؛ وتقرُّ كلتاهما فى ذهْن المؤلف، إحداهما محكومٌ عليها بالخطأ، وتنزوى بعيدًا عن إدراك المؤلف للقياس الموضوع وضوابطه، وتغزو الدماغ Brain مع جهازىْ النطق والأعصاب– وفق آلية العلاقة بين الأعصاب والقدرة على التصرفات المختلفة فى إنتاج اللغة– وتقترب إلى مراكز اللغة، ومراكز الإدراك، محملة بانفعال نوعى، غلب المؤلف، فأراد أن يحوّله إلى فعل كلامى متلفَّظٍ به، راغبًا فى الرَّبْط بين الهيئة التركيبية لكلامه وسياق انفعاله، ويُمكن وصف مثل هذه الهيئة التركيبية –باعتماد فعل الانفعال– بالواقعية، أو الحقيقية، والأخرى التى يُمكن وصفُها بالافتراضية؛ تتمثل فى تصوُّر المؤلف للنسق المثالى، الذى يجب أن يجرى عليه التركيب، وفق معايير النحو وضوابطه، وتكون غائبة.(٣) فى الحالة الثانية تصبح هيئة سياق الانفعال حاضرة، وتحل محل النسخة القياسية، وفق قدرة المؤلف على إنجاز عملية التبادل Paradigmatic.(٤) ويروغ المؤلف إلى إحدى الصورتين وفقًا لما يحدث داخله من تغيرات فسيولوجية، وعصبية، والتى تتحول إلى تغيرات سلوكية، يكون الفعل الكلامى الكلامى برمته ضمن ما تشمله هذا التغيرات.(٥)

إذ تُشكِّل الصورة الأولى المستعملة والمقصودة من التراكيب الانفعالية جانبًا نفسيًّا؛ وكأنَّ تركيبَ المخالفةِ– الانزياح عن الأصل– يكوِّنُ ذِهْنَ المتلقى بالتركيبِ القياسى، المُخَطَّطِ له، باستقراء دلالة الأثر الإعرابى وتداوليته– التى تحدد العلاقة بين الدال ومدلوله، فى ضوء الترابط الذهنى والنفسى، وتضع ضابطًا لتشكيل هيئة التراكيب اللغوية– بوصفها تأليفًا دلاليًّا سياقيًّا فى المقام الأول– وإبراز علاقتها بالقياس النحوى.

واستكمالًا لسطْوة الفعل الانفعالى يستدعى المؤلف ما يتداعى إلى ذاكرته الآنية من التراكيب النوعية، ويصوغ بنية معناه داخليًّا؛ ويُخضِع قضايا العقلِ واللغةِ لهذه السطوة الانفعالية؛ ليستكمل بها تعبيره عن حالته الانفعالية(٦) وقد يُجرِى المؤلفُ بعضَ التعديلات الشكلية أو النظْمية على حاملات القصد الصريح أو المضمَّن، ويشملُ هذا التغييرُ صورةَ الأثرِ الإعرابىِّ، بصورِهِ المختلفة، أو نسخَ الحركةِ الإعرابية، بصورةٍ خاصة، أو اختزالَها فى سياقٍ أو لهجةٍ، بصورةٍ أكثرِ خصوصيةً؛ إذا سلمنا بأن " المعنى فكرة وبنية فى عقل المتكلم، وهى فكرة محددة، توجّه المتكلم فى صياغة جُمَلِهِ، وبخاصة التراكيب الحرة"(٧) ولا يحدث تغيُّر المعنى فى ذهن المتلقى لحدوث تغيُّر فى الحركة الموضوعة.(٨)

وطالما أن البنية السطحية قد اعتراها خللٌ فى الترتيب؛ بالانزياح عن قرينة الرتبة، بأى صورة من الصور التحويلية، أو أصاب البنية النحوية تغيُّرٌ فى الأثر الإعرابى، فإنها لا تكون تمثيلًا صادقًا للعلاقات النظْمية، وتعجزُ ذهنيةُ المتلقى عن إدراك المعنى المركزى Core–meaning، من خلالِ هذه البنيةِ السطحيةِ المشوَّهةِ، وباستخدام القواعد النظمية القياسية.(٩) ولتستطيع ذهنية المتلقى إدراك القصد المركزى؛ ينبغى لها " إدراكُ كيفية تشكُّلِ المعنى على السطحِ أولًا، والنظر فيما بين المفردات من العلاقات؛ بوصفها مجسّدةً للنشاطِ العقلى، ثانيًا.(١٠)

---

(١) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى، د: فاضل صالح السامرائى، (د.ط) مطبعة الرشاد، دار النذير، بغداد، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م: ٤٠

(٢) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى:٧

(٣) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٢١

(٤) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى :٩

(٥) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى : ٢٣

(٦) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ٧٢

(٧) انظر: نظرية النحو الكُلِّيِّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية) :١٩

(٨) انظر: الأساليب الانفعالية فى خطب العرب(دراسة وصفية إحصائية) : ٣٧

(٩) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ٥٧

(١٠) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إياذة عُمان : ٣٩٠٢

ويُدخلُ المؤلفُ تداوليةَ الحركاتِ الإعرابيةِ ضمنَ هيئتِه التركيبيةِ الانفعاليةِ، التى يضعها الانفعال– وبقصدية المؤلف– على آخر كل عنصر لغوى أو بنيوى من العناصر التركيبية للقصد، ليجعل لها دورًا فى التعبير عمَّا يقصده المؤلف، وفى القيمةِ الدلاليةِ التى يتحصلُ عليها المتلقى، إذ لا يوجد انفعال من دون وعى ولا قصد؛ ويتدخل فى إنشاء الانفعال، وفى تحديد قوته أو ضعفه عوامل من البنية الذهنية لكل من المؤلف والمتلقى، وطبيعة الحدث المؤثِّر، وأبعاده الزمانية والمكانية، ومردوداته النفسية، والطابع النفسى لجماعته اللغوية، والتفسيرات المعرفية لكلٍّ من المؤلف والمتلقى؛ فى ضوء التأويلات الاجتماعية العرفية والمستعملة، والمحتملة، المتوقعة، وغير المتوقعة؛ وهى التى تضبط مسألة الصواب والخطأ، ويغدو لكل صورة ضوابط دلالية تتسارع إلى ذهن المتلقى، فى ضوء القواعد النحوية وتداولية الحركة الإعرابية.([1])

ويشغل الفعل الكلامى التأثيرى للانفعالى– بوصفه من القرائن السياقية المعنوية– حيّز المحرك للعمليات العقلية التى تسبق صدور الوحدات اللغوية، وغير ذلك من التراكيب والعناصر اللغوية المنطوقة أو المكتوبة ([2]) ناهيك عن كون اللغة الانفعالية تسبق اللغة العقلية، ومن ثم الأدوات اللغوية وغير اللغوية؛ وأن الفكرة الذهنية الجوهرية تنطلق من حدث الانفعال([3]) فتكون صرامةُ القياسِ، وتمكين مفرداته، وتقويتها؛ فى الاستعمال والتواصل([4]) مما يدفع المؤلف إلى إنتاجِ صورٍ، وتراكيب لغويةٍ وغيرِ لغويةٍ.

وتصير قواعدُ ذلك القياس– فى سبيلِ المرونةِ التى تفتقرُ إليها التعبيراتُ الانفعاليةُ– ضربًا من ضروب التحجُّر Fossilization؛ أو حكمًا قاسيًا على الاستعمال، وقيْدًا له؛ فى ضوء التزام الاستعمال باستقامة القاعدة النحوية وتسلطها، وسيطرتها على الاستعمال، وقهْر تراكيبه اللغوية؛ من أجل ذلك لم ينجح ذلك التسلط فى حفظ الألسن وعصمتها من الوقوع فى اللحن وفشوه بين الناس، بل وقف– أحيانًا– عائقًا فى طريق التصرفات الكلامية الجميلة، وحال دون تعبير المؤلف عن أدق معانيه وانفعالاته، وهذا تنتفى قصدية مخالفة المؤلف للقياس اللغوى، أو القول بخروج المؤلف عن النظام العام للغة، الذى ترتكز قوتُه على تماسك عناصره، واتّساق مكوناته، وفى قدرة أربابه على إنتاج وحدات لغوية وهيئات تركيبية، تقوم على التوالد غير المتناهى، والتنوع فى الأبنية الدلالية، والهيئات الكلامية.

فى هذا الموضع، تبدو الصرامةُ فى ضرورة التزام قواعد اللغة– والقواعد النحوية بصورة أشد خصوصية– وأقيستها قيْدًا أمامَ تعبير المؤلفِ عن انفعاله، بصورةٍ حقيقيةٍ وجادةٍ ومرنةٍ، بوصف الانفعال فعلًا كلاميًّا، يحقق تواصلًا اجتماعيًّا بين أبناء اللغة، ويكون المقصود بمصطلح المرونة: أن يأتى المؤلف بالألفاظ والتراكيب بغير الهيئة التى أوجدتها القواعد النحوية فى النظام اللغوى، إلَّا أنها شائعة فى الاستعمال على ألسنة الفصحاء؛ وهذا يسِمُ النظامَ اللُّغويَّ– والقواعد النحوية بصورة خاصة– هذه العناصرَ اللفظية والتراكيبَ النحويةَ، بمخالفةِ القواعدِ القياسيةِ المتواضعِ عليها، إذ يؤصِّل القياس النحوى القول بأن العلامة الإعرابية تقوم بدور الحارس الدلالى للتراكيب، والمقيد لضوابط التواصل التداولى، قدر ما بين شركاء موقف التواصل من افتراضات مُسْبَقَةٍ ومُواضَعَاتٍ دلاليةٍ، وغير ذلك من ضوابط الاستلزام التحاورى.

- أنماط الكلام الانفعالى:

يذكر الدكتور أحمد عبد المجيد هريدى أن الصور اللغوية تتأثر بعوامل جسمية، وعصبية، واجتماعية، ونفسية، وجغرافية؛ كحضارة الأمة، ونظمها وعاداتها، وتقاليدها، وعقائدها، وثقافتها الفكرية، ومناحى وجدانها ونزوعها، وبيئتها الجغرافية. إلى غير ذلك.([5]) وهذا التأثير فى ضوء الانفعال يتخذ تارة منحى التفاعل Interaction الإيجابى، ويتخذ من جهة أخرى منحى سلبيًّا، يؤيد هذا الرأى أن الكلام الخاص بهيجان النفس– عند برجستراسر– جنسان:

(أحدهما): متكون من كثير مما يُتكلم به بين الناس، فى مساعيهم اليومية، وتعاطيهم شئون الحياة.

([1]) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى : ٢٠

([2]) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى:٤٥٣

([3]) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٣٢

([4]) لا يروم الباحثُ– مُطلقًا– الطعنَ فى القواعد الكلية للقياس اللغوى أو النحوى، فى مستوياته جميعها؛ إذ يقرُّ بأنها منوطة بضبط الاستعمال، وأحيانًا كثيرة تُعنى بضبْط التواصل، وأبعاد التفكير والتفسير فى عمليات التلقى، فيؤمن الباحث بأن الفكرة التى قام عليها القياس النحوى– فى جوهره– لم تكن لتقتصر على مجرد مُعالجة الأخطاء اللحنية فحسب، ولا وضع تقعيد شكلى للمنجز الكلامى وهيئاته المتعددة والمتباينة، ولا الوقوف عند الشكل المثالى للنمط الإعرابى؛ بل تجاوزت ذلك إلى مُعالجة قضايا الدلالة، وتداولية التواصل بين أطراف الخطاب؛ اللغوى وغير اللغوى.

ويؤيد الباحث ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور: سليمان عباس عبد فى أن سيبويه لم يكن ليطلب–من منجزه النحوى– مجردَ تعريف المتلقى بالقواعد العربية فى الخطاب اللغوى، ولا أن يُمرّن طلابه على صياغتها؛ نُطقًا وكتابة؛ احترازًا من الوقوع فى اللحن، بل كان يهدف إلى وصف القواعد الكلية للغة العربية وصفًا علميًّا، ليدلل على ارتباطها، بوصفها صورة تواصلية متداخلة، تشكل أبعاد علم اللسان العربى، صيانةً وضبطًا. انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٣

([5]) انظر: ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى:٨

(والأخر): هو إلهام الشعر، إذ فيه ميل إلى هذا الكلام الخاص بهيجان النفس، من تزك الربط، واستعمال أشباه الجمل، وغير ذلك؛ وفى هذا التقسيم إشارة إلى استعمال قوالب الأضداد، أو إلى اضطراب دلالة التراكيب بين وجود الشيء ووقوعه أو عدم تحقق ذلك، ومثل ذلك ما يدل التراكيب الدالة على الهُتاف، والنداء، والندبة، وغلبة النصب فى استعمالاتها. ([1]) ويشير ريكور إلى أن للمعنى مظهرين، هما:

- الأول: المعنى الذى يُريد نقله قائل الخطاب.
- والثانى: المعنى الذى ينقله الخطاب فعلًا.

ويرى أن المعنيين ينطويان– معًا– على ما هو تعقُّل صورى، وما هو تعقُّل مضمونى، أى: جدل المعنى Meaning Controversial، الذى يُودِعه الناطقُ فى نُطْقه، والاسراب اللغوى، الذى تُمليه قوانين اللغة الداخلية، مع احتمالية وجود فائض دلالى يجاوز حدود الدلالة الكلية المتأتية من العناصر اللغوية.([2])

وتكون الهيئة التركيبية الناجمة عن الانفعال كلًّا مترابطًا متشابكًا، لا يُمكن فصل عنصر من عناصره اللغوية وغير اللغوية؛ وتغدو كل علامة من علامات التركيب جزءًا من مجموع أجزاء المعنى المُراد، ولا يُمكن أن نقر بوجود معنى ما، طالما أن الانفعال النفسى قد ألزم العناصر اللغوية الصمت، بخلاف ما إذا جعلها تكشف عن انفعال النفس، فى هذا الموضع يُمكن للمتلقى أن يقر بوجود معنى ما، بل يُمكنه الادلاء بتفسير نوعى من لدنه. نستنل– من الكلام السابق– أن العملية الكلامية فى ضوء السياق التداولى تمرُّ بمراحل، هى:

أولًا: مرحلة نفسية: وهى مرحلة الانفعال النفسى التى تتشكل فيها بؤرة المعنى المُراد التعبير عنه، أو إيصاله إلى المتلقى.

ثانيًا: مرحلة ذهنية (عملية التخطيط للفعل الكلامى): يعمد فيها المؤلف إلى التفكير فى تحديد العناصر، والعلاقاتRelations، والروابط اللغوية، والسياقية؛ والتخطيط لإدارة فعله الكلامى؛ ليعبّر بالقوالب اللغوية عن فعل الانفعال، ويبقى فعل الانفعال صامتًا، تكشف عنه– وتسنفزه إلى الظهور– الروافد اللغوية، وغيرها؛ من إيماءات، أوإشارات، وغير ذلك من الدلائل الصامتة.

ثالثًا: عملية انتخاب وموازنة (عملية صناعة الفعل الكلامى): يوازن فيها المؤلف بين القوالب، والصور، والتراكيب، فى ضوء الاستدعاء الجيد لبيئة الانفعال إلى الذاكرة، وإجراء عمليات: الإدراك، والعدول، والترتيب، والهيئة، والكمية، وغير ذلك من التصرفات الكلامية، التى يُراد منها تحديد الذهنية، للتعبير عن شيءٍ نوعى.

رابعًا: عملية الصياغة والتشكيل(عملية إنتاج الفعل الكلامى): ويُقصد بذلك: مناسبة الألفاظ، والجمل، والهيئات المنتخبة لمعانيها، فى ضوء تداولية الأثر الإعرابى، وجدّيَّة التواصُل الاجتماعى، مع تجنُّب اعتباط العلامة، وعشوائية الدلالة.

خامسًا: عملية التلقى والتفسير (الفعل الكلامى التأثيرى): وتعنى: اعتماد طرفى التواصل الاحتمالات التفسيرية، فى ضوء الافتراضات المسبقة، وقبولها فى ضوء المواضعة الدلالية. ومن ثم فلا ضيْر فى أن يؤكِّد الباحثُ أن فعل الانفعال وتسيق دلالته الكلية، هما ما يُكْسِبان مؤلفَ الكلام العناصرَ اللغويَّةَ المحْتملة والمنتقاة؛ التى يستعملها فى التعبير عن انفعالاته، فيصبح هذا الانفعال الضابطَ النسبىَّ بين المؤلف والمتلقى فى عمليات الإنتاج، والاستعمال، والتلقى، والإفهام، والفهم؛ والتعبير، والتفسير، والتحول من الفعل التأثيرى، إلى الفعل السلوكى؛ كما أن هذا الانفعال يغدو المحدِّدَ لضبْط العناصر اللغوية المُستعملة، فيُهمل الوظيفة الدلالية للقواعدِ النحويةِ، وينتهكُ السلامةَ الدلاليةَ.

- الصواب الانفعالى:

يؤكِّد علم اللغة النفسى أن النطوق الطبعية الانفعالية تشكِّل صورًا مختلفةً عن الصورة القياسية؛ بيد أنها ليست بالصور الخاطئة، لاسيما إن كانت فى موقف الاستعمال، ونجحت فى تحقيق إفهام وتواصل بين طرفىْ التداولى اللغوى، أو جمع بين المتخاطبين افتراضاتٌ مسبقةٌ حول موضوع تلك الجمل الخطابية المستعملة، بل إن هذه الصور الطبعية، إن احتوت على بعض الأخطاء القياسية، فإنها تحمل وظيفة دلالية، وبعدًا تداوليًا أعمق؛ إن سلمنا بوعى المؤلف بعناصره البلاغية وقصديته فى ذلك، بالإضافة إلى كونها صورة أخرى لصورة النسق التركيبى المحكوم بالقواعد، وهى موصوفة بالصواب الانفعالى([3]) حيث إن الدلالة المضمنة فى الفعل الكلامى لها جانبان، أحدهما: يتمثل فى الهيكل البنائى المعيارى، ويُعنى به أصحابُ القياسِ، والآخر نفسى، يتوقف الحكم فيه على المهتمين بالعلوم النفسلغوية، ويكون المعول فيه وصول القيم الدلالية بين عناصر الاستلزام التحاورى بصورة سليمة وتامة.

([1]) انظر: التطور النحوى للغة العربية :١٢٨

([2]) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ١٤

([3]) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ :٧٦

حيثُ إنه من الممكن النظر إلى تراكيب الانفعال بوصفها من الفجوات التداولية التى لم يُدركها النحاة؛ باستقرائهم الناقص لكلام العرب، وأنهم قد عمَّمُوا قواعدَهم، استئناسًا بما جمعوه، إذ من المحال استقراؤهم جميعَ ما قالت العربُ، مع الإقرار بالتباعد الجغرافى والتباين الثقافى، وتداولية اللكنات المحلية، والتأثيرات الزمانية؛ قدمًا، وحداثةً، واختلاف الاستعمال اللَّهَجى ، إن صحَّ استعمالُ كلمة لهجة–لغة محلية– فى هذا الموضع، هذا الأمر يدفع إلى القدح بتمسك النحاة بقطعية قواعدهم، وسلامتها من الخلل والاضطراب.([1])

([1]) انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى : ١٤٩ – ١٥٠

المطلب الثانى: بين السماع والقياس فى ضوء عامل الانفعال:

فى أحايين كثيرةٍ يتعارضُ السماعُ والاستعمالُ مع القياسِ؛ وفى هذه الحالة يُوجِبُ ابْنُ جِنِّى النطقَ بالسَّمَاعِ، كما يُوجبُ قبولَ المسموع المستعمل، على ما جاء عليه، ويُلزِم المُسْتَعْمِلَ بتركِ القياس النحوى، إذ يصير التزامُه ضَرْبًا من التَّكَلُّفِ، حتى أنه يُغَلِّبُ الاستعمالَ الشاذَّ على المقيس المطَّرد، فالأَوْلَى تغليبُ ما كثُر استعمالُه، وما تكلَّم به الفصحاءُ من العربِ فى موقبِ الاتِّصالِ، وإن لم ينْتَهِ قياسُهُ إلى ما انتهى استعمالُه.(١) ويلوّح ابن جنى إلى دَوْرِ عاملِ الانفعالِ فى صياغةِ الهيئةِ التركيبيةِ، التى عدَّها وعاءً للمعنى، وكاشفةً له، ودليلًا عليه، فى تعليقه على قول عُمارة– وهو أبو العباس المبرد– حيث كان يقرأُ قولَه –تعالى:" لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ".(٢) بنصب الراء من النهار، فى غياب تنوين القاف من قوله– تعالى: (سابق)، قال أبو العباس: فقلت له: ما أردتَ؟، فقال: أردتُ: (سَابِقٌ النَّهَارَ). فقلتُ له: فهلَّا قلتَه؟، فقال: لو قلتُه لكان أوزن، فقوله: أوزن؛ أى: أقوى، ولأمكن فى النفس، أفلا نراه؛ كيف جنح إلى لغة، وغيرُها أقوى– فى نفسه– منها.(٣) ويتضمن هذا المبحث النقاط التالية:

– دليل السماع:

يُعد السماعُ الأصلَ الأولَ فى معرفةِ المستوياتِ اللغويَّةِ، والاستدلالِ عليها، فعليه بُنِيتْ أكثرُ قواعِدِهَا، ومكوناته تشهد للغة بالبكارة، والصحة، والسلامة الدلالية، ومفرداته موضع احتجاج، ودليلٌ حِجِّيَّتِهِ يَكْمُنُ فى كونه الصورةَ الأولى التى تواصلَ به أربابُ اللغةِ العربيةِ، وقد اشترط القدماء– لقبول ما يُحتجُّ به أو ردّه– شروطًا؛ قيَّدوها بفصاحة الكلمة، وخلوها من التعقيد والتنافر، والوحشية، والابتذال، كما قيدوها ببلاغة المتكلم، وسلامته من العيوب النطقية، واشترطوا أن تكون فى زمنٍ محددٍ، ومكانٍ محددٍ، وقبائلَ معروفةٍ ومحددةٍ(٤) وأناسٍ مشهودٍ لهم بالثقةِ والفصاحةِ، حتى أنهم قد أنْهَوا زمن الاحتجاج عند إبراهيم بن هرمة، فكل ما جاء بعده؛ وإن ورد عن عربيٍّ فصيحٍ، فإنه لا يُقبلُ، ولا يُؤخذُ به؛ لأنه ورد عن المولَّدين(٥) الذين أجمع القدماء من أصحاب القياس على ألَّا يُحتج بكلامهم، إذ فشا فيه الفسادُ واللحْنُ. (٦)

ويُرْجِّحُ البحثُ الحالى القولَ بحِجِّيَّةِ السَّماعِ الموثَّقِ فى المرويات اللُّغَوِيَّةِ السابقة على مُفرداتِ القياسِ اللاحقة، والمُتَواضَعِ عليها؛ فى ضَوْءِ أحكامِ الكمِّ، وشيوعِ المسموعِ اللغويِّ فى الاستعمالِ(٧) إذ دليلُ السَّماعِ والمُشافهةِ اللفظيةِ مُقَدَّمانِ على أدلةِ القِيَاسِ الموضوعةِ(٨) فالسماعُ كثيرًا ما يُبطِلُ القياسَ، لاسيما مع كونِ معيارِ النحوِ فكرةً متواضَعًا على قواعِدِها فى الأغلبِ، وهى فكرة حداثية نسبيًّا على وجود المرويات اللغوية، يقومُ فيها القياسُ على الأدلةِ العقليةِ، ويعتمدُ الاحتجاجُ فيه على الأكثرِ من الأمثالِ العربيةِ، والشواهدِ الشعريةِ، وغيره ممَّا قالتِ العربُ من المولدِ اللغويةِ المطروحةِ فى حياتهم اللغوية.(٩)

وفى هذا دليلٌ على علْمِهم بمواقعِ الكلام، وتأمُّلِهم إيَّاها، وإعطائهم كلَّ موقعٍ حقَّه من الإعرابِ(١٠) وربْطِهم ذلك الموقعِ بدلالةٍ ما، فهم يعطون لكل موقعٍ نحويّ أثرًا إعرابيًّا ودلالةً خاصةً، وهم حريصون على هذا الأمر، لا يُلقون الكلام مرسلًا من دون رأيٍ أو قصدٍ، أو توجيهٍ معينٍ؛ وقد أقرَّ السابقون بناءَ القياسِ على الكثيرِ المطَّردِ فى السماع والاستعمال، من بابِ الاستئناس، أو الاستحسان، أوالاقتراض؛ رغم إقرارهم بأن للعربية لغاتٍ أخرى، قد لا تكونُ أكثرَ شهرةً ممَّا قاسوا عليه، وأخذوا منه قواعدَهم، وقد صنعوا أبوابًا حول أنه لم يصلْ إلينا كلُّ ما قالت العربُ، بل رأوا أنه لم يصلْ مما قالت العربُ إلَّا القليلُ.(١١) وذكر سيبويه أن مدار الاستحسان والتقبيح– فى: هذا بابُ أى– على ما

---

(١) انظر: الخصائص، جـ١: ١٢٠ – ١٢٤

(٢) سورة يس، الآية رقم: ٤٠

(٣) انظر: الخصائص، جـ١: ١٢٤

(٤) انظر: تاريخ آداب العرب، جـ١: ١٠٤

(٥) استقر رأى العلماء على عدم الاحتجاج بالمولَّد؛ لأن التوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعرٍ تقدَّمه، أو يزيد فيه زيادة، وهذا ليس فيه اختراعٌ، ولا إبداع، ولا أصالة؛ إذ هو– فى الأصل– مقتدٍ بغيره. انظر: تاريخ آداب العرب، جـ٣: ٤٢

(٦) انظر: العلامة الإعرابية بين القدماء والمحدثين(دراسة فى أساليب: النداء، والتعجب، والمدح والذم، والإغراء والتحذير) د: ابتهال محمد على البار، وهند على محمد الغامدى، بحث على شبكة الألوكة، قسم الكتب، نسخة مبدأفة: ٢٧٩

(٧) انظر: أحكام التوجيه والتقويم النحوى عند القراء: ٩

(٨) تتعدد الأدلة التى– بناءً عليها– وضع اللغويون والنحاة قواعدهم، فمنها: السماع، والنقل، والقياس، والإجماع، والاستصحاب، والاستحسان...

(٩) انظر: المقتصد فى شرح التكملة، لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق، د: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدويش، ط١، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ١٤٧

(١٠) انظر: الخصائص، جـ١: ٧٩ – ٨٠

(١١) انظر: مخالفة القواعد النحوية المشهورة فى بعض لغات العرب، د: رمضان خميس عباس قسطاوى، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد (٢٤)، ٢٠٠٥م: ٤٥١

استحسنته العرب وأجازته، أو استقبحته؛ وعلى ما استقرَّ عند المتخاطبين، من كوْنِ بناء التراكيب على الوصل؛ إذ فيه يُضمرُ المؤلف فعلَه الكلامى المقصودَ(١) فَالْقَوْلُ مَا قَالَتِ الْعَرَبُ، وَفَوْقَ الْقِيَاسِ أَمْ خَالَفَهُ، تستوى التراكيب فى فصاحتهم، وتتبادل آثارهم الإعرابية، فالضمة فى قولهم: اضرب أيُّهم أفضلُ بمنزلة الفتحة فى قولهم: خمسةَ عشرَ، وبمنزلة الفتحة فى الآنَ؛ حين قالوا: من الآنَ إلى غدٍ، واستدلوا على ذلك بجريانه فى الاستعمال، وإن قلَّ، فقد يكون تغير الأثر الإعرابى دليلًا على ندرته فى الاستعمال، قَالَ سِيبَوَيْهِ:" وَلَوْ قَالَتِ الْعَرَبُ: اضْرِبْ أَيٌّ أَفْضَلُ، قُلْتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ مُتَابَعَتِهِم؛ من أجل ذلك لم يُجز سيبويه أن يكون المستعمل فى التداول من المنكر فى الوحدات الكلامية فى ضوء الدلالات الاجتماعية، والحياة الذهنية، والعرف، والذوق، لذا لا يُقال: أَمْسَكَ على أَمْس، ولا على أقول: أيقول، ولا سائر أمثلة القول، ولا على الآنَ أنَك".(٢)

ذكر الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أن السماع دليل فصاحة، ولا يؤخذ فيه إلَّا بأقوال الرواة، الذين جمعوا اللغة من مظانها الأولى، وهى: البوادى، ونقلوها عن أهلها؛ والضابط فى اعتماد المسموع والحكم بفصاحته هو كثرة استعماله على ألسنة العرب، ودار فى أكثر لغاتهم، وأن أكثر العرب فصاحة، هم الأرحاء، الذين التزموا الأصول اللغوية، وقيدوا جغرافيتهم اللسانية بأن لم يخرجوا من دورهم؛ فصاروا كالأرحاء على أقطابها، وتجلت قوة المسموع عنهم فى عزلتهم، وتجنبهم المخالطة....

معنى هذا أن انزياح المؤلف عن الصور اللغوية بسبب المخالطة التامة الدائمة للأعاجم– فى الاستعمال– هو محفوظ كما جاء فى استعمالاتهم؛ وهو على هيئته للحد بين من تُرضى عربيته، ومن لا يُوثق بلغته؛ حتى أنهم قد نَصُّوا عَلَى أَنَّ نُطْقَ مَنْ تُرْضَى عَرَبِيَّتُهُ، بِالشَّاذِّ الَّذِي يُخَالِفُ قِيَاسَهُمْ، لاَ يُخِلُّ بِفَصَاحَتِهِ. لأَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَدَ بِهِ معنى، وذهب به مَذْهَبًا، أَوْ نَحَا من خلاله نَحْوًا مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي يُتَأَوَّلُ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الْجَادَّةَ عَلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ، فَيَكُونُ مَا شَذَّ مِنْ مَنْطِقِهِ مَأْمُونًا عَلَيْهِ مِنْ فَسَادِ الْمُخَالَطَةِ؛ وَلِهَذَا يُلْحِقُونَهُ بِقِيَاسِ الْقَرِيحَةِ الصَّحِيحَة.(٣) من أجل ما سبق قُدم السماعُ على القياس، وصار دليلًا قويًّا من أدلته.

- القياس النحوى:

تتمركز الدلالتان المعجمية واللغوية للقياس فى إعمال المتعرض للبحث الاتِّصالى فكرَه، واستدعاءَه الخبراتِ، والتجاربَ، والنظائرَ، والأشباهَ، لقياس مِثْلٍ، وتقديره على نظيره– أو نظرائه– وتدور مادتُه، (ق و، س)، أو (ق ي س)، حول: تقدير الشيء على مثاله، وردّه إليه؛ ومماثلته به، ومُشابهته له(٤) فى ضوء القاعدة، ودليل السَّماع، ووصف الاستعمال؛ واعتماد المواضعة الدلالية؛ ليُسقط المتلقى محددات سابقٍ على مكونات لاحقٍ، فيقيس متأخرًا على متقدمٍ؛ ويغدو الأثر الإعرابى– من صور الحركات الإعرابية الأصلية أو العلامات الإعرابية الفرعية– محورَ التقعيدِ فى معطياتِ النحو المثالى Systematic Grammar؛ بأن يكونَ الأثرُ الإعرابىُّ مصدرَ التعقيد، والضابط للترتيب، والمحدد للشكل النظْمى، والمقرب للاحتمال الدلالى، والتأويلى.

وتقوم فكرة القياس على أن للعاملِ النحويِّ أثرَه من الحركاتِ والعلاماتِ، التى تدلُّ على المعانى، بل إن هذه المعانى الكليةَ تدور بدوران هذه الحركات، وتلك العلامات، وتتغير بتغيُّرهما، لتؤدى مهمةَ " الضبطِ الصوتيّ، والنطقِ الصحيحِ، والأداءِ الفصيحِ السليمِ للكلامِ العربيّ بعامةٍ، على نهج ما كان العرب الفصحاء يفعلون" (٥) وهذا الأمرُ هو الباعثُ الباعثُ على القولِ بخطورةِ قرينةِ الإعرابِ، كما نرى فى تحوُّلِ الفاعلِ إلى موقعِ المفعولِ والعكس، فقد تبع تبديلَ الحركةِ تبديلٌ فى المعنى، وصار لكلِّ حركةٍ قيمةٌ دلاليةٌ، وأخرى تداوليةٌ، ولعكس كلُّ هذا على محددات الاتِّصال، هنا تبرز الوظيفةُ التواصليةُ للإعراب، ويُستدعى مصطلح النحو التواصلى؛ الذى يعمل على التفريق بين معنى وآخر، فلا يستطيع المتلقى حَسْمَ القيمةِ الدلاليةِ للتراكيبِ، كما هو الحالُ فى تركيب ابنة أبى الأسود الدؤلى: ما أجمل السماء، من دونِ وضعِ الأثرِ الإعرابيّ على مورفيماتِ الإعرابِ فى هذا التركيبِ، ومن دونَ إبرازِ لدَوْرِ الحركاتِ الإعرابيةِ فى هذا الحسم الدلالى، فتَرْكُ التركيبِ غفلًا يُوقعُ ذهنيةَ المتلقى بين تداوليةِ التَّعَجُّبِ، والاستفهامِ، والنفى؛ فتقومُ الحركاتُ الإعرابيةُ بالحسم الدلالى، واستجلاء أغراضِ المؤلفين، بديلًا عن تفريغِ ذهنيةِ المؤلفِ، وهذا أمرٌ فيه من، المراوغة، والعسرِ، والمشقةِ ما فيه، أونحصل على مقاربة تأويلية للمعنى باعتمادِ التَّشْبِيقِ التركيبى فعلًا كلاميًّا موازيًّا للبنيةِ السطحيةِ، ومُعينًا للمُتلقى على استنباطِ المقاصدِ.(٦)

ويُقْصَدُ بالقياس النحوى: الرجوع، والاحتكام إلى مجموعةٍ محدَّدةٍ من القواعدِ والأحكامِ الكليَّةِ، والقوانينِ النحويةِ، المُستنبطةِ من كلامِ العربِ الفصحاءِ– الموثوقِ فى فصاحتِهم، والمستشهدِ بكلامِهم– والمستخْلَصِ من تَوَاتُرِ الظواهرِ الكلامية، المنقولةِ بالسَّماعِ والمُشافهةِ من المرويات اللغوية، وقد صار هذا القياس" حكمًا على الاستعمال، له عليه حقُّ

---

(١) انظر: الكتاب، جـ٢: ٦٩– ٧٠

(٢) انظر: الكتاب، جـ٢: ٣٩٨– ٤٠٣

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، جـ١: ١٠٦

(٤) انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٧٩٣– ٣٧٩٤، مادة: (ق ي س)

(٥) المختصر فى أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية: ٩

(٦) انظر: العلامة الإعرابية بين القدماء والمحدثين(دراسة فى أساليب: النداء، والتعجب، والمدح والذم، والإغراء والتحذير): ٢٨٩

التوجيهِ والاعتراضِ؛ والتصويبِ والتخطئةِ (١) وأحكامُه مبنيةٌ على الأغلبِ الواردِ فى استعمالِ من يُوثق بعربيته فى عصور التوثيق، من الأمثلِ والشواهدِ المتواضعِ على الاحتجاجِ بها، فصارت نماذجه المعيارية أكثرَ دورانًا على ألسنةِ العربِ.(٢)

وقد قرَّت قواعده فى الاستعمالات المثالية، وصارت ضابطًا للحياة الذهنية للتراكيب اللغوية، وليس من شك فى أن معرفة شركاء الاتِّصال لمعطياتِ علمِ النحوِ يُعد من الأمورِ المهمةِ فى إنجاحِ عمليةِ الاتِّصالِ، وفَهْمِ مقاصدِ أطرافها؛ إذ تقوم مفرداتُ القياسِ النحوى بوضع إطارٍ تنظيميٍّ للمقاصد، من حيثُ الترتيبُ، والعلاقاتُ التركيبيةُ، ومعياريةُ الأثرِ الإعرابيِّ وتداوليتُه، وتصبح هذه الأدواتُ جميعُها من مُعينات الإبانةِ عن المعانى المضمَّنةِ، من دون الاكتفاء بالمعانى المتداعية من البنية السطحيَّة.

ويُحمد لأربابِ القياس أنهم لم يجعلوا قواعد القياس جامدة صلدة، فى جميع صور الاستعمال، فقد أكَّدوا مرارًا أن التأويل مرتبطٌ بالسياق والبيئة التركيبية؛ فقيَّدوا العلاقة بين الدال ومدلوله بطبيعة موقف التخاطُب؛ مؤكدين أن العرب– فى تواصلهم بسليقتهم الراشدة، وفى صياغتهم أفكارهم، ومشاعرهم– قد صاغوا قوالبهم الكلامية، وهيئاتهم التركيبية، فى ضوء انفعالاتهم، ومخزون ذهنيتهم، وفى صورٍ أقرب ما تكونُ إلى حديثِ النفسِ، فبدوا سابقين لما تُنادى به الطروحُ اللسانيةُ الحديثةُ؛ فى إشارة منهم إلى أن الفعل الكلامى هو من النفس لا من اللغة المنطوقة المجردة، خاصة حين نُدرك أن اللفظ هو الصورة الخارجية للدلالة.(٣)

وكانت الأيدلوجية الثقافية التى قام عليها الدرس اللغوى دينيَّة مَحْضَة، تقوم على معتقد صادق، تروم– بصنيع رجالاتها– عِصْمَةَ لسانَ العربِ من الوقوع فى اللحْن، وإعانةَ الأعاجمِ على محاكاةِ فصاحةِ العربِ، والجريان على سَمْتِ كلامِهم وتصرفاتِهم(٤) فاتَّخَذَتْ قَوَاعِدُهُمْ القياسيةُ من الاستشهادِ– بالأكثرِ من الشواهد والتمثيل به– مُرْتَكَزًا رئيسًا فى صناعةِ التقعيدِ النحوى، والحكمِ بالصوابِ أو بالخطأ، أو القبولِ، أو الردِّ؛ وجعْله حُجَّةً نحويةً، أو صرفيةً للإقناع، وسبيلًا للاقتناعِ، رامت تلك القواعدُ ضبطَ الاستعمالِ اللغويِّ، وحفظَ الأصولِ اللغويةِ الثابتةِ؛ بما وَضَعَتْهُ من القوانين، والقواعدِ، والأحكامِ، التى ساندتها المرويات اللغويةُ، من الشواهد المسموعةِ(٥) والمنقولة بين الفصحاء الثقات، والتى تشكِّل لبَّ هذه القواعدِ، والأحكام فى أعصُر الاستشهادِ اللغويِّ، بيد أن اتفاقهم حول هذه القواعد لم يكن على إطلاقه، إذ لم يُحيطوا فى أقيستهم كلَّ ما ورد عن العرب؛ من مرويات كلامية– فى الاستعمال– إحاطةً تامةً، بل تباينت رؤاهم حول المسألة النحوية الواحدة، واختلفوا حول المادة اللغوية المستشْهَد بها، من حيث كونُها، من القراءات القرآنية، أم من الأحاديث الشريفة، أم كانت شعرًا، أم نثرًا؛ وفى منهج الاستشهاد بحسب الرؤية، والمعتقد، ومعايير التوثيق، وبحسب بُعدِ الزمان والمكان؛ ومصدر الرواية، حتى وجدنا مؤلفات فى ما شجر بينهم من اختلافات، وخلاف.(٦)

وقد مرَّ القياس النحوى– ليُحْكِمَ سيطرتَه على الاستعمالاتِ الكلاميةِ فى اللغةِ العربيةِ– بمراحلَ ثلاثٍ، استهدف اللغويونَ والنحاةُ استقراءَ كلامِ العربِ الفصحاءِ، ووصفَه، وضبطَ الاستعمالِ فيه؛ وفق قواعدَ قياسيةٍ محددةٍ ومنضبطةٍ" فاعتمدوا معيارىْ الكثرةِ والقلةِ ضابطًا رئيسًا، فى بناءِ قواعدِهم" (٧) فى محاولة منهم للربط بين هيكلِ البنيةِ ودلالتِها، ويُحمدُ لهم صادقُ الجهدِ المبذولِ فى الربط بين التغيُّرِ الحاصلِ فى الحركاتِ، وأثرِ ذلك على ثبات المعنى أو تغيُّره، ومدى قدرةِ ذهنيةِ المتلقى على إدراكه، فى ضوء السياقات الشكلية والمُعينات غير اللغوية، وسياقاتِ القراءة المتعددة، والمتباينة.(٨) وقد أُخذَت أكثرُ مكوناتِ القواعدِ النحويةِ Grammatical والقوانينِ اللغويةِ، من سليقةِ العربِ وفطرتِهم التى جُبِلُوا

---

(١) انظر: العلامة الإعرابية بين القدماء والمحدثين(دراسة فى أساليب: النداء، والتعجب، والمدح والذم، والإغراء والتحذير):٢٨٣

(٢) انظر: مفتاح العلوم، باب: علم النحو، ما هو؟ : ٧٥ وانظر: مخالفة القياس بين المعيار اللغوى والذوق البلاغى، د: على بن خليفة بن على السلطان، مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع(٧)، تبوك، المملكة العربية السعودية، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م: ١٩١

(٣) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ٢٥–٢٨

(٤) انظر: ما خالف القياس فى عقود الزبرجد للسيوطى(ت٩١١هـ)، دراسة نحوية، د: زهراء سعد الدين شيت، مجلة آداب الكوفة، العدد(٥٧)، صفر ١٤٤٥هـ/أيلول ٢٠٢٣م : ٩٧

(٥) جدير بالذكر أن الباحث لن يجعل من الشواهد القرآنية هدفًا لتمثيله؛ إذ إن لها خصوصيةً، ومناسبةً، وأسبابًا سياقيَّةً، إذ إن جمل القرآن وتراكيبه موصوفة بالعصمة من الوقوع فى الخطأ، فى حين إن قواعد النحو وأحكامه لا تتمتع بتلك الخصيصة؛ لذا لا يجوز تسليط قواعد النحو على الجمل القرآنية، ولا الطعن عليها بادِّعاء مخالفتها لقواعده، إذ لا يجوز حمل التراكيب القرآنية على ما فيه انتهاك من التراكيب اللغوية.

(٦) انظر: منهج الاستشهاد النحوى بكلام العرب، دراسة تحليلية نقدية، د: حسب الدائم آدم جرَّام، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد(٤٥) العدد: (٣)، ج(٢)، يوليو: ٢٠٢٣م: ٦٨٣

(٧) انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى :١٤٢

(٨) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى، د: خديجة زيار الحمدانى، ود: نافع علوان بُهلول الجبورى، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد: ٧، العدد: ٣، لسنة: ٢٠١٢م: ١

عليها([1]) والتى يعبّر بها أصحابها– بصورة عفوية– عمّا يريدون من أفكار، وانفعالات، وتجارِب؛ ومعتقدات، أو بعبارة مقتضبة، يعبرون بها عن أحداثهم التداولية، وكأن اللغة إنما جاءت للتعبير عمّا يدور فى النفس والعقل من أغراضٍ، ومقاصدَ، وانفعالاتٍ.([2]) لذا لم يكن العربُ فى حاجةٍ إلى ما يُلَقِّنُهم أصولَ لغتِهم و قواعدَها.([3])

استندت تلك المراحل الثلاث– فى أُوَلاها– على: تقديم السماع على القياس، ثم تلا تلك مرحلةٌ ثانية؛ ضُبِطت فيها القواعدُ النحويةُ بالسماع والقياس معًا، ثم جاء بعقب ذلك مرحلةٌ ثالثةٌ، غُلِّب القياسُ، وجُعِلَ من قبل علماء القرون الثلاثة الهجرية الأولى– بالنظر إلى أدلته التطبيقية المستنبطة، من القرآن الكريم، وقراءاته، والثابت من متون الحديث الشريف، والطروح اللغوية فى كلام فصحاء العرب المنظوم والمنثور– مِعْيَارًا حاكمًا للمنطوقات اللغوية وضابطًا للاستعمالات الكلامية، من حيث الأصواتُ، والبنى الصرفية، والتراكيبُ النحوية، والتفسير الدلالى، وصار جزءًا من الأصول اللغوية، والقوانين الصوتية، والقواعد النحوية، والأحكام الصرفية للنظام اللغوى.

ويجبُ التأكيدُ أنهم– فى صياغةِ أصولِهم القياسيةِ علمة، وبناءِ قواعدِهم النحويةِ خاصة– قد راعوا المعنى، وقدَّموه على اللفظ؛ وارتكزت محاولاتهم– جميعُها– على أصولٍ منهجيةٍ، وعلميةٍ، واصطلاحيةٍ، وموصوفة بالمنطقية النسبيَّة، التى وازنت بين التطبيقِ، والاستحسانِ، والاستقراءِ الناقصِ على الأكثر، ليس التام القائم على استيعاب جميع المواد اللغوية الفصيحة، تلك الأصول المنهجية هى التى قام عليها علمُ النحو، وانبنت منها القواعدُ، وتفرعت عنها الأقيسةُ([4])" وتُستخْرَج فيها الجزئياتُ من الكليات، ثم طُبِّقت الكليات على الجزئيات؛ ثم جاء دور التبويب والترتيب، ثم عمليات التحليل".([5]) وكان الهدفُ الرئيسُ– من وضعِ الأقيسةِ اللغويةِ، والقواعد النحوية– هو تقويمَ الألسنِ حولَ تداوليةٍ إعرابيةٍ واحدة، تكون بمنزلةِ وسيلةٍ عرفيةٍ ضابطةٍ لحُسْنِ الاستعمال، وجودة إنفاذ الفعل الكلامى، مع سلامة التأليف، نتج عن ذلك، قولهم: إن الشيء قد يكون شاذًّا فى الاستعمالِ غيرَ شاذٍّ فى القياس، وقد يكون الشيء شاذًّا عن القياس غيرَ شاذٍّ فى الاستعمالِ؛ لكثرة ذلك على ألسنتهم، ومرد قوله إلى كثرة استعمالهم له.([6])

هنا ينبغى الإشارة إلى ما أَطلق عليه الفراء(ت٢٠٧هـ): القياس الذهنى، محاولًا به توجيهَ المسموع، الذى خرج عن القواعدِ النحويةِ، التى قررها العرب فى استعمالهم، وفق خصوصية اللغة أو القياس الاستعمالى، الذى يُراد به انتحاءُ كلامِ العربِ، عندما يطرد استخدام التركيب، تدعيمًا للمسموع، وتقوية له.([7])

وقد وجد اللغويون المحققون بين القدماء تعددًا للرؤى، وتباينًا فى منهجية التوجيه، فى تناولهم لمسائل اللغة؛ فقد جعل جمهورُ اللغويين والنحاة من (البصريين)، ويمثلُهم: الخليل بن أحمد الفراهيدى(ت١٧٥هـ)، ومن بعده تلميذُه سيبويه(ت١٨٠هـ)؛ حين ارتضوا الأصل فى التقعيد المعتمد؛ بالقياس على ثنائيةِ الكثرةِ، والاطِّراد، والاستفاضةِ، والبُعدِ عن حدِّ القلة لديهم، وأن يكونَ صادرًا عن بيئةٍ اجتماعيةٍ أكثر عراقةً، وأوسع معرفةً باللغة([8]) وأشد ضبطًا فى الفصاحة من غيرها؛ فبنوا قواعدهم على التضييق([9]) وردُّوا غير ذلك، مما انتهك انتهاك قواعدهم، ونظروا إليه، بوصفه من الشاذ، أوالنادر، أو ما خرج عن الأصل، وأتى مخالفًا له، أو ممَّا جاء للضرورة، أو ممَّا جعله كثيرٌ من نَقَدَةِ الشعر ضربًا من التخبُّط اللغوى من تأثير سطوة شياطين الشعر، وقد فسَّروا– بهذه المرويات– سببَ الاضطرارِ، وقد أُجْبِر المبدعون عليها؛ وقد أخرجه البصريون من بين شواهد الاحتجاج، وفعلوا ذلك كلَّه، حتى تستقيمَ لهم قواعدُ القياسِ، لذا كثُر لديهم القولُ بالشذوذ، وعدم الاطِّراد، وحَمَلوا كثيرًا مما خالف قواعدَهم الموضوعةَ على المَجاز، وكثُر فى تقعيدهم التأويلُ، رُغم ما فيه من الضعفِ والتفاوتِ، وأخذوا الأوسعَ روايةً، والأقوى قياسًا.([10])

إلَّا أن (الكوفيين)– ويأتى على رأسهم: الكسائىُّ(ت١٨٩هـ)، والفراءُ(ت٢٠٧هـ)– قد اعتمدوا– فى وضعهم قواعد الفصيح– على الشَّاهد الواحد، وانتصروا للمرويات اللغوية المسموعة، وتوسَّعوا فى الأخذ عن القبائل العربية([11]) واستأنسوا– فى تقعيدهم– بالرواية اللغوية وحجيّةِ مروياتها، وأنها من كلام العرب([12])" فالنطق على لغة من لغات العرب–

([1]) انظر: المدرسة النحوية فى البصرة والكوفة، عمر منشور الهيئة العربية الدولية للتربية والتعليم–iJATL. VOL.٠٢. No.٠٢.Juny– des ٢٠١٨. ISSN; ٢٩٤٥– ٤٨١٣. E Universitas . Nurul jaded. (UNUJA) .Paiton. ISSN;٢٥٤٩–٣٦٨X;٥٣

([2]) انظر: السلوك الاشفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب:١٦

([3]) انظر: الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه: ٧

([4]) انظر: الفكر النحوى لدى الفراء، دراسة وصفية تحليلية، محمد عبد الله سليمان، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين،١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م: ٣٠

([5]) مُطالعات فى اللغة والأدب: ١

([6]) انظر: المقتصد فى شرح التكملة: ١٩٧ – ١٩٨

([7]) انظر: أحكام التوجيه والتقويم النحوى عند الفراء :٤٦– ٤٧

([8]) يُراجع باب التطور فى التأليف النحوى من أوليته إلى عصر الزمخشرى. انظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى:٢٤–٣٥

([9]) انظر: المدرسة النحوية فى البصرة والكوفة: ٥٩

([10]) انظر: مخالفة القواعد النحوية المشهورة فى بعض لغات العرب: ٤٥٦

([11]) انظر: الخلاف النحوى بين مدرستىْ البصرة والكوفة، فى موقفهما من السماع فى اللغة، د: سامى عوض، وخالد عبد الرحيم، ضمن بحوث مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، م(٣٣)، ع(٢)، سورية، ٢٠١١م: ٧٤

([12]) انظر: طبقات النحويين واللغويين، لأبى بكر محمد الزبيدى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف المصرية، القاهرة، (د.ت):٣٩

وإن كان منفردًا– مُصيبٌ غيرُ مخطئ" (١) وإنْ كانت مثالًا واحدًا، وظلَّ الفريقان يختلفان حول التوسعة والتضييق، حتى أننا لم نَجِدْ رأيًا حاسمًا فى كثير من القضايا اللغوية والمسائل النحوية. ثم ألفينا نظرات توفيقية، تُحاول المزْج بين رؤية الفريقين، فرأينا: المدرسة البغدادية– أو المدرسة التوفيقية، ويمثلها أبو إسحق الزَّجَّاج(ت٣١١هـ)، وابن جنى(ت٣٩٢هـ)– ثم برزت ملامحُ الخصوصية فى الرؤية والمنهج، كما نجد ذلك فى ظهور المدرسة المصرية، وكان على رأسها: أبو الحسن؛ على بن إبراهيم بن سعيد الحوفى المصرى(ت٤٣٠هـ)، ثم المدرسة الأندلسية، ويُمثِّلها ابن مالك(ت٦٧٢ هـ) وقلَّما نجد من بين هؤلاء المتقدمين من تَجَوَّزَ فى الاعتدادِ بالرِّوَايَةِ اللُّغَوِيَّةِ.

مِنْ هُنَا؛ صارت تِلْكَ الْقَوَاعِدُ، والأحكام النحوية، وقوانينها الشكليَّة مِعْيَارًا صارمًا للحكم بالصَّوَابِ أَوَ الْخَطَأِ على مختلفِ المنجزاتِ التخاطبيةِ، وسبيلًا لقبول التركيب أو ردّه؛ أو الإقرار باستقامته الدَّلالية، أو جنوحِه إلى استحالةِ تحققِ السلامةِ الدلاليَّةِ؛ وتجلَّت صرامةُ هذه القواعدِ فى فرْضِها أنظمةً لغويَّةً، وأُطُرًا حاكمةً، وعددًا من القوانين المستنبطة؛ وحددت مجموعة من النعوتِ الكلاميةِ فى ضبط الاستعمال والتداول؛ نتج عنها إقصاءُ كثير من المنجزات الكلامية– أوالحكم بالخطأ، على مثل هذه الهيئات الكلامية، المُنْتَجَة فى مَوْقَفِ التَّداوُل– عن نطاق علم اللغة النفسى، أو إخضاعها– فى التحليل– لأبعاد المنهج النَّفْسِى فى زاوية معينة من زواياه، مما حثَّ العلماء للبحث عن العلل والأسباب التى تقف وراء صناعة التراكيب النحوية.

– العلل القياسية:

قامتْ فكرةُ استنباطِ المحدداتِ القياسيةِ وضوابطُها المعياريةُ على أن ترْكَ القياس لا يتأتى– ولا يُتَرَخَّصُ فيه– إلَّا لِعِلَّةٍ وَدَلِيلٍ؛ من سَمَاعٍ، أو إجْمَاعٍ، أو استحسانٍ؛ بالإضافة إلى كَوْنِ الاستعمالِ المترخَّصِ فيه ضمنَ دائرةِ القياسِ، يرتبطُ بِهِ؛ إذ إن للقياس على الاستعمالِ حَقَّ الطَّاعَةِ، من أجل ذلك قَيَّدَ اللغويون والنُّحَاةُ دوائرَ الترخُّصِ فى مجموعةٍ من العِلَلِ– كما ذكرها الدكتور محمود عباس– وهى:

أوَّلًا: العلل الفاعلية(٢):

وذكر من تلك العِلَلِ: كثرةَ الاستعمالِ، والاستثقالَ، وصيانةَ اللَّهَجَاتِ، والمشابهةَ Similarity، والحملَ على النقيضِ، والاستغناءَ، والاستصحابَ، والاستحسانَ، والتَّوَهُّمَ، والضرورةَ الشعريةَ.

ثانيًا: العلل الغائية:

وذكر منها عِلَلَ: التخفيفِ، ولُبْسِ اللَّبْسِ، والمبالغةِ، والإتْبَاعِ، والاختصارِ، والإشباعِ، والتوسُّعِ، والحفاظِ على لفظِ الأمثالِ، وتجنُّبِ التقاءِ الساكنين، وتكريرِ الأمثال(٣) وتجنُّبِ كَثْرَةِ التَّغْيِيرِ، أوالتَّحْوِيلِ Transposition.(٤)

ويبدو أن جميع العلل السابقة ترتبط– إلى حد كبير– بانفعال النفس، ورغبة الأنا الداخلية(الذات المنفعلة) فى إبراز حضورها فى حدث الفعل الكلامى، مُضمَّنًا قبلَ أن يكونَ مُتلفظًا بِهِ، إذ إن الروافد اللغوية ما هى إلَّا تعبيرٌ عن انفعالِ النفسِ، لذا ذهب ابن قتيبة إلى القول بأن العلل وراءَ كلِّ تصرُّفٍ لغويٍّ إنما يكونُ للتقويةِ والإفهامِ، بغيةَ التخفيفِ والاختصارِ، والإيجاز، مع الإجادة؛ يروغ فيه المؤلفُ إلى التفنن؛ لعلمِه أن " افتنانَ المتكلمِ والخطيبِ فى الفنون، وخروجَه من شىءٍ إلى شىءٍ أحسنُ من اقتصارِه فى المقام على فنٍّ واحد".(٥)

وتقوم فكرةُ القياسِ النحويِّ على محددات نظرية العوامل النحوية؛ التى وُضعت؛ لتكونَ فى مواجهةِ اللبس المُتسبِّب فى تحقيق اضطرابِ عمليتىْ التواصل والاتِّصال؛ وعدم ثبات معناهما التداولى؛ بحيث تُنتهك السلامة التداولية بين الحركة الإعرابية والهيئة التركيبية.(٦) ولابد هنا من إيضاح أن تلك الأُطُر النظرية كانت البؤرةَ التى تشكَّل– فى ضوئها– ضوئها– كيانُ النحوِ العربيِّ، بوصفه أداةً لغويةً ضابطةً، وموصوفةً بالصرامة فى كثيرٍ من حالاتها– رغم ما تُوصف به اللغةُ العربيةُ، بكونِها لغةً بالغةَ المرونةِ(٧)– وموضوعةً

---

(١) انظر: مخالفة القواعد النحوية المشهورة فى بعض لغات العرب: ٤٥٦

(٢) من الجدير ذكره أن هناك كثيرًا من العلل التى تضبط الصياغة والتفسير بين المؤلف والمتلقى؛ نحو: الدلالات الاجتماعية للاستعمال، والمواضعات، والافتراضات المسبقة، واستدعاء المعانى، وتداعيها، وتفاوت القوة الدلالية بين استعمال وآخر.

(٣) نحو ما صنع الحس اللغوى فى التخلص من كثرة الراءات، فجعل: ذُرِيرة، ذُرَيَّة، على زنة فُعَيْلَة؛ حيث إنه لما كثرت الراءات، أبدلوا الآخرة ياءً، وأدغموا فيها ياء فُعَيْلَة التى قبلها.انظر: المحتسب، جـ١: ١٥٦–١٥٧

(٤) انظر: علل مخالفة القياس فى الدرس الصرفى: ١٢٨–١٥٥

(٥) تأويل مُشكل القرآن الكريم: ٢٣٥

(٦) سيكتفى الباحث بتحليل بعض الشواهد والمسائل النحوية فى ضوء نظرية العوامل، وفق المنهج البصرى.

(٧) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى– عربى(أدبيات): ٢٤

وموضوعةً بهدف أمن اللبس، والاحترازِ من وقوعِ ذهن المتلقى أسيرَ الفيوضاتِ الدلاليةِ غيرِ المنتهيةِ، أو سوءِ الفهم، واضطرابِ التواصُلِ(١) بوصْفِ أمنِ اللبسِ أهمَ المعاييرِ التواصليةِ، التى ينبغى مراعاتُها فى الإفهامِ والتفاعُلِ؛ وذلك فإن الحركة– أو العلامة– الإعرابية لا يسوغ طرحُها إلَّا فى ضرورة الشعر، عند أهل البصرة(٢) حين ينبنى خطأُ التأويل، أوالفهم على خطأ فى السماع، أو النقل، أو الناقى.

- أدوات القياس النحوى:

ارتكزتْ هذه الأداةُ الضابطةُ– أى: القياس النحوى– على رافدين، أحدُهما: شكلىٌّ؛ يبرزُ فى قرينةِ العلامةِ الإعرابيَّةِ، التى تقوم على الصوائت والصوامت، والآخر: مضمونىٌّ؛ جسَّده اطِّرادُ الدلالةِ بين الدالِ ومدلولِه، أو العاملِ مع معمولِه أو معمولاتِه، فى ما يخصُّ الإفهامَ، والفهمَ، وما يتصل بمجرياتِ التواصُلِ الناجحِ، والتمحورِ حولَ قدرةِ المتلقى على تعرُّف قصدِ المؤلف.(٣) هذا المقصد؛ بالإضافة إلى ما يُشير إليه مفهومُ الصفر اللغوى Zero–linguistic – Concept والسانيات العصبية؛ من قدرة الدماغ على إنتاج عدد غيرِ مُتَنَاهٍ من الجملِ المعبّرةِ عن المعنى الواحد، ممَّا يتعذَّر معه إثباتُ الإحصاءِ النهائى، أو التسليم بمحدوديةِ التنوعِ، والتضييق الشكلى والهيكلى فى الجمل والهيئات التركيبية المُنْتَجَة للقصد الواحد.

وتقوم نظرية الصفر اللغوى على مفردات النحو الكلى، الذى يُتيح التنوع والتباين اللانهائى من الكلام الإنسانى، ويكون إنتاجه من دون حدود يُمكن تعيينُها(٤) بعيدًا عن أى منهج بنيوى يفترضَ وجودَ شبكةٍ محدودةٍ ونهائيةٍ للمخرجاتِ الكلامية، فى ضوءِ ثنائيةِ التتابعِ والتبادُلِSyntagmatic And Paradigmatic.(٥) لهذا؛ فقد تتلاقى الفكرة الجوهرية لنظرية الصفر اللغوى واللسانيات العصبية مع دعاوى وجود فكرة معجم لغوى غير نهائى، وكلتاهما أُطُرٌ نظريةٌ، وأفكارٌ كليةٌ، تفتقر إلى التوضيح، والتفسير لما فيها من نقاط عميقة وغامضة Ambiguous.

ولم يكن من الغرابة أن نجد حديثاً مفصَّلًا عمَّا يُمكن أن نسمّيه: النحو التداولى– أو نحو الاستعمال– فى حديث سيبويه– فى : هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة(٦) عن استحسان التركيب أو استقباحه، أو إمكانية تحققه أو استحالتها، أو محددات قبوله، أو لواعث رده، حيث يُراد منه التعليل للأنماط اللغوية والهيئات التركيبية المنافظ بها فى سياق التواصُل، والبحث عن تفسيراتٍ مقنعةٍ لبقائها، فكثيرًا ما نجد التطبيقات النحوية تميلُ– فى الاستعمال– للمثل القاعدى، وأحيانًا تنحرف عن هذا المثل النحوى– المستَشْهَدِ به لتقريب فكرة القاعدة وغايتها الضابطة، أو لأن الاستعمال قد استحسن التزامَها، بوصف هذا المثل استعمالًا تداوليًّا، وإن كان من باب المثل أو الشاهد المصنوع، أو المفترض، أو المُجتلَب للتدريب؛ لشرح القاعدة وتقريبها فى ذهن المتلقى، أو مُحَاجَجَتِه به، أو إيضاح مفرداتها، بغرض التدريب، أو الضبط لفعل الاستعمال الكلامى، أو كان بغرض الإقناع– إلى الخضوع للسياقات المحيطة والقرائن الصارفة إلى غير المثل المعيارى؛ فعلى الرغم من عدم جواز الصرف فى بعض الأسماء، نحو: عمر، فإن براجستراسر يرى أن هذا الأمر من غرائب اللغة العربية وميزاتها، وبعض أسباب تذوقها؛ بدليل انصرافه فى بعض الأشعار القديمة، والشعر كثيرًا ما يُحافظ على القواعد القديمة، لذا يقرر أن الأصل فى مثل هذه الأسماء الانصراف.(٧)

أما القياس اللغوى: فهو القواعد اللغوية التى وضعها العلماء؛ فى ضوء الحكم بأكثرية الاستعمال، بهدف استنباط الأصول والأقيسة لضبط أداء الفعل الكلامى للمؤلف، وتتوقف قياسية الاستعمال الكلامى– فى تقيُّدها– على تلك القواعد الموضوعة؛ معنى هذا أن الإعراب مجلوب من خضوع القياس للعامل اللفظى، أو المعنوى، أو الحكمى، أو

---

(١) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان: ٣٩٢٥

(٢) انظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى: ١٧٩

(٣) انظر: قرينة المخالفة وتطبيقاتها فى النحو العربى:١١١

(٤) انظر: نظرية النحو الكُلّيّ و التراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية): ١٨

(٥) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى:٨

(٦) انظر: الكتاب، جـ١: ٢٥–٢٦

(٧) انظر: التطور النحوى للغة العربية: ١١٨

التقديرى.(١) وقد أكَّد ابن جنى(ت ٣٩٣هـ) وعبد القاهر الجرجانى(٤٧١هـ) معرفة العرب بالعلل الكلامية، وأن النحاة ساروا على نهجِ العربِ، واستنبطوا العلَلَ من خلال سماعهم، وقياسهم على هذا المسموع، فوافق هذا ما قد أراده العربُ أنفسُهم.(٢)

وفى هذا الأمر تقْيِيدٌ للنظام اللغوى؛ إذ إن الأنظمة اللغوية العميقة تعتمد– فى الكشف عن المعانى الحقيقة– على الباطن، بوَصْف هذا الجزء الداخلى هو الذى أنشأ المعانى، وليس فى الأنظمة اللغوية قواعد تقصر المعانى على الخارج، أوالصور الشكلية، إذ الصور الشكلية امتدادٌ للنسق الداخلى للنفس.(٣)، ينعكس هذا الأمر فى ما أطلق عليه العلماء: العلماء: البنية السطحية، والبنية العميقة؛ فى هذه الحالة يتحقق المعنى من رباعيةٍ متضافرةٍ، تتشكل من النفس، والانفعال، والعقل، والحقيقة والمجاز، والتى تعد–جميعُها– مكونات لفظية، وتصويرية، وانفعالية، وذهنية توفر المتلقى بيئة إقناعية للمعنى الفعل الكلامى المضمَّن.

وقد ارتبط بسطوة القياس وجود مسألة اللاحين –من قبل اللغويين أو النحاة– القُرَّاء، أو وصف الأفعال الكلامية للمؤلف بالغلط أو القبح، والراوى اللغوى بعدم الدراية، أو التوهُّم، وضعف الأمانة فى بعض الأحيان؛ وهنا يُحمَلُ الاستعمالُ على الخطأ، وقد أشار سيبويه إلى هذا الأمر فى قوله:" واعلم أن نلسًا من العرب يغلطون، فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيدٌ ذاهبان، وذاك أن معناه معنى الابتداء، فيُرى أنه قد هُمْ".(٤) من هنا يُمكن الربط بين بعض التطبيقات النحوية، من حيثُ الشكلُ والمضمونُ، وقدرة المتلقى على تحليل عناصر الهيئة التركيبية، بُغية فهم الدلالة الكلية لها، بالنظر إلى العلاقات الطردية، أو الانعكاسية بين الحركات الإعرابية، وترتيب عناصر الهيئة التركيبية. فى مقاربة تداولية بين المعنى المُراد والتأويل المحتَمل والملائم، بحيث لا يقصر الأحكام النحوية على التطبيقات فى حيز القاعدة المعيارية، أو الخضوع المطلق للقياس من دونِ دليلٍ، بل يُعظِّمُ من قوة الروايةِ اللغويةِ، ويوثِّقُ الثابتَ فى الاستعمال التواصلى بين أرباب السليقة اللغوية، التى يُستعاض عنها بقرينة الإعراب، حال غيابها.

إذ يقتضى المنطقُ Formal Logic أن تَرُدَّ الروايةُ اللغويةُ قياسَ القاعدةِ الموضوعةِ، لسبْق الأولى وسلامةِ مؤلفِها وفصاحتِه، ولقيام العلماء بفحْصِ المرويات وتمحيصها؛ حتى استقامت مفرداتُها وروافدُها؛ ولتأخُّر القياس، وتبايُنِ الروى والتحليلاتِ Analysis بين أصحابه، يقوِّى هذا الأمرَ اتِّفاقُ اللغويين والنحاة على أن اللغة أُخِذَتْ بالسليقةِ، لذا كان من المنطق أن تسيرَ القواعدُ النحويةُ فى ضوء الثابت الفصيح من المرويات اللغوية:" إذ كان عماد العرب فى الكلام مبنيًّا على الفطرة السليمة، يشب الكلام منهم مملوءًا بالعباراتِ الصحيحةِ، سمعها من أهله وبيئته؛ فتجودُ ملكتُه بالتراكيبِ السليمةِ والعباراتِ المنسجمةِ؛ لذا صار كلامهم مرجعًا أسلسًا فى وضع القياسات اللغوية والقواعد النحوية".(٥) إذ" لم يكن يكن العربى يتكلم وفقًا لسنن مقررة، أو قواعد موضوعة؛ بل كان الحسُّ الصادقُ هو الذى يضبطُ لسانَه، فحينما نراه يخرجُ عمَّا قرره النحاةُ، باعتباره أصلًا، فيُخالف هذا الأصلَ، فلا شكَّ أن هذا الخروج لعلة ما ".(٦)

إلَّا أنه من الأهمية أن يُشير الباحث إلى أن القياس اللغوى لدى القدماء– فى تنبِّيه الآليةَ الوصفيةَ فى درس المواد اللغوية المطروحة والمستعملة– يتباين فى تعاطيه المسألة النحوية– بل المشكلة اللغوية– الواحدة، بحسب المرجعية والمعتقد، لذا فهو ليس بالشيءِ الثابتِ المستقيمِ، إذ إنه قد يُسخ، بتداولية مصطلحِ النسخِ بين التغيير، أو التتميم، أو المحو والإزالة، وقد " لاحظ النحاةُ أن من أهم سمات اللغة العربية صلاحيتُها للنسخ فى مختلفِ عناصرِها؛ من حيث العدول عن الترتيب الأصلى للتركيب، وقبول عامل النسخ، وتغيير الأثر الإعرابى".(٧)

وهذا ما يُشير إليه كلام ابن جنى، يقول: "واعلم أنك؛ إذا أدَّاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيءٍ آخر على قياس غيره؛ فدعْ ما كنتَ عليه، إلى ما هم عليه؛ فإن سمعت من آخر مثل ما أجزتَه، فأنت فيه مخيَّرٌ، تستعمل أيهما شئت؛ فإن صحَّ عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت ، كنت على ما أجمعوا عليه ألبتة، وأعدتَ

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن القدماء قد أدركوا كوْنَ قرينة الإعراب من القرائن المعنوية الدالة على المعنى، وكأنها رافد تداولى يُعين المتلقى على إدراك الدلالة الكلية للتركيب، إذ الإعرابُ–عندهم– شطرُ المعنى، بالإضافة إلى إشارتهم للقرائن الكلامية المصاحبة، من مثل قرائن: العلامة، والرُّتبة، والصيغة، والبنية، والإعراب، والظواهر الصوتية المصاحبة، وغير ذلك من القرائن التى تُعين المتلقى على فهم الخطاب الكلامى، وهى غاية المتلقى من قراءته، السطحية أو المضمونية. انظر: الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية : ٢٥٩

(٢) علل مخالفة الأصل فى الإعراب: ٦، وانظر: الخصائص، جـ١: ٢١٠–٢٢٥ باب: فى أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليهم، وحملناه عليهم. وانظر: المقتصد فى شرح التكملة، جـ١: ١٨٢

(٣) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ١٠٣

(٤) الكتاب، جـ٢: ١٥٥

(٥) انظر: المدرسة النحوية فى البصرة والكوفة: ٥٤

(٦) علل مخالفة الأصل فى الإعراب، د: أحمد علوان، ط١، بيلومانيا للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م، القاهرة:٢

(٧) الجملة الاسمية : ٢١

ما كان قياسُك أنَّك إليه لشاعرٍ مولَّدٍ، أو لساجعٍ، أو لضرورةٍ؛ لأنه على قياس كلامهم.([1]) وهذا–لا شك– ضربٌ من ضروب الاستقباح للقياسات التى تُعارض الاستعمل والاطِّرَاد، إذ يكون التَّسَلُّطُ للاستعمال على القياس؛ إلَّا أنه تسلُّطٌ غير متكافئ، من جانب المتعصبين لغلبة القياس على الاستعمال.

ويستأنس الباحث فى القول بالتسلط الدلالى والتداولى لسياق الانفعال، وعلى اضطرابِ الدِّلالةِ الكليَّة حال غيابه بما أورده الأستاذ خليل السكاكينى، فى إشارتِهِ إلى إن بعض زنوج إفريقيا؛ إذا غابت الشمسُ، سكتت جلبتُهم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يتفاهموا بالكلام وحده، وبسبب ظلمة الليل لا يستطيعون أن يستعينوا بالإشارات وحركات الوجه؛ بل إنك– اليوم– لا تجد أحدًا يتكلم من دون أن يستعين بالإشارات وحركات الوجه على تقوية معناه أو إيضاحه، أو استدعاء الانتباه إليه؛ مما يدل على أن اللغات على ارتقائها واتِّساعها لا تزال ناقصة... من هذا نعلم أن ألفاظ اللغة ليست هى اللغة نفسها، بل هى جزء منها، وهناك قرائن أخرى، تتمثل فى: الإشارات، وحركات الوجه، وطبقة الصوت، وهذه الضوابط جميعها ترجع إلى انفعال النفس.([2]) وقد وجدنا هذا المعنى عند ابن جنى، الذى نقل – عن بعض مشايخه– قولهم:" أنا لا أُحسن أن أكلِّم إنسانًا فى الظلمة".([3]) فى تعظيم منه لدلالة الإشارة عن دلالة العبارة، والتعبير عن الانفعال الداخلى للذات المتكلمة.

- الإعراب وأثره:

اللغة العربية لغة معربة، اعتمد أربابُها–فى اتصالهم– على سجيتهم، ومعرفتهم للمواقع الكلامية، وارتكزت قيمُها الدلاليةُ والتداوليةُ على علل عقلية، ومنطقية، واستعمالية؛ فكان ذلك مبررًا لوجود الحركات الإعرابية، التى تعد من القرائن الشكلية التى مازت بها المعانى، وتختلف هذه الحركات الإعرابية باختلاف موقعية العناصر التركيبية، وفق العوامل القاعدية المباشرة لها، التى تضبط قيمتَها الدلاليةَ، لذا تساير هذه الحركاتُ القيمَ الدلاليةَ والأبعادَ التداوليةَ، فيصيبها التغيُّر والتبدُّل، فى ضوء المُراد بها من المعانى والمقاصد.([4])

والإعراب – انطلاقًا من مادته اللغوية واصطلاحه– هو: من الوسائل والتصرُّفات اللغوية الشكلية التى تُعين طرفىْ الاتِّصال على صياغة القصد، والإبانة عنه وتفسيره، وهو من الخصائص البارزة– والقديمة– فى اللغة العربية([5]) والتى مازت من غيرها من اللغات، إذ يشكِّل الإعراب جملة القواعد والقوانين الضابطة لها ولاستعمالاتها ([6]) وقد فقدت بعض بعض الساميات، نحو الأكادية، رافد الإعراب، منذ أقدم العصور، فكان ضابطُ الإعرابِ فى العربية بديلًا شكليًا عن رشادِ السليقة اللغوية، التى تجسد رشادُها فى قدرتها على إنجاز الاتصال الناجح فى مختلف مواقف الاستعمال([7]) وتقوم آليةُ الانتقاءِ التركيبى– التى يقوم بها المؤلف– على قاعدة مركزية، وهى أن" المتكلم هو الذى يقولُ الكلماتِ، ويضمُّ اللفظةَ إلى الأخرى؛ وهو الذى يرفع، وينصب، ويجرُّ، ويجزم"([8]) انطلاقًا من إيمانه بأن الحركات هى جوهرُ الإعرابِ، الذى يعنى– فى جانبٍ كبيرٍ منه– الإبانةَ عن المعانى؛ بأن يصنعَ تركيبًا ذا وظيفة تعبيرية حجاجيَّة وإقناعية؛ فكما أن" الإعرابَ من عملِ المتكلمِ؛ فإن الضمةُ، والفتحةُ، والكسرةُ، وما يُعرب به من العلامات الفرعية؛ والسكون؛ إنما أوردها المؤلفُ للدلالةِ على معنى يُريدُه".([9])

وقد أشار عبد القاهر الجُرجانى(ت٤٧١هـ) إلى أن العربَ لم يكُنْ قصدُهم أن يدُلُّوا على أغراضِهم، وجميعِ شأنِهم، وتسجيلِ أحداثِهم بالإعرابِ، فى مقصوده الشكلى فحسب، سواءً بالحركاتِ أم بالحروفِ، إنما ارتكزوا على قرينتىْ الاستعمال وعلم المخاطب فى إدراك المقاصد الكلامية، وإنفاذ عملية الاتصال بين المؤلف والمتلقى؛ لذلك قالوا: أبلك، فى كل حال، وكانوا يعتمدون على شيوع السليقة اللغوية ورشادها، وسياق الاستعمال؛ وغير ذلك؛ فى تمام الدلالة ([10]) لذا يُعد الإعرابُ عاملًا معنويًا، وحالةً شكليَّةً تطريزية، تحمل بُعدًا دلاليًا، تقوم عليه صحةُ الشكل– فى الغالب– بحسب القرائن المتضافرة([11]) وهو من قرائن تحديد الدلالة؛ والإفصاح عنها، وإبانتها، بالتضافر مع غيره من القرائن الأخرى، من أهمها: قرينةُ التنسيقِ الدلاليّ، وطبيعةِ موقفِ التواصلِ، وتداوليته؛ وهو السبب الرئيس الذى دعا العلماء إلى البحث عن سببه– أى: سبب الإعراب– وصياغة نظرية العوامل الإعرابية برمتها.

([1]) انظر: الخصائص، جـ١: ١٢٤

([2]) انظر: مطالعات فى اللغة والأدب: ٥

([3]) انظر: الخصائص، جـ٢: ٢١٨

([4]) انظر: دراسات فى علم اللغة: ٢٠٠

([5]) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية: ١١

([6]) انظر: دراسات فى علم اللغة: ١٩٣

([7]) انظر: الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية: ٢٥٩

([8]) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية): ١١٧

([9]) انظر: العلامة الإعرابية بين القدماء والمحدثين(دراسة فى أساليب: النداء، والتعجب، والمدح والذم، والإغراء والتحذير): ٢٩٠

([10]) انظر: المقتصد فى شرح التكملة: ٤٠٢

([11]) انظر: الطراز، جـ٢: ١٦٨

ويُستأنَسُ بالإعراب فى التعبير عن المعانى وإيضاحِها، وفى التمييز بينها؛ وهو– فى الحياة الذهنية اللغوية– أثرٌ شكلى دلالى عرفى لنظرية العوامل النحوية(١) يُفرِّق به المتلقى بين علاقاتِ الوحدات التركيبية ودلالتها؛ فى مواقعها النحوية المختلفة(٢) ولا يتسَنَّى للمتلقى السطحى– حال غياب قرينة الأثر الإعرابى– أن يتحصَّل على الدلالةِ المركزيةِ لمؤلفِ الكلامِ بتمامِها؛ بسببِ ما يُحْدِثُهُ غيابُها من تَفَكُّكٍ الدلالةِ، واضطرابِها، وحطاتِها، وما ينجمُ عن ذلك من تحققِ اللَّبْسِ، ووقوعِ ذهنيةِ المتلقى تحتَ تسلُّطِ الغموضِ السلبيِّ، والتعمية الدلالية، وتسببها فى تضليل ذهنية المتلقى، وتعميةِ التواصُلِ، وفَشَلِ الاتِّصالِ. وهذا قد يُحَدُّ من القول بسطوةِ الإعرابِ، إذ هو : بابٌ إنما يُصلحُه، ويُفسِدُه معناه؛ فكل ما صَلُحَ به المعنى، فهو جيِّدٌ، وكلُّ ما فسد به المعنى؛ فمردود".(٣) والإعراب– بما له من افتراضاتٍ مسبقةٍ، شكَّلت فكرًا جمعيًّا للاستعمال والتواصل– يستطيع فكَّ غموضِ المعانى، وقد أشار عبد القاهر إلى هذا المعنى بقوله: " إذ كان قد عُلم أن الألفاظَ مُغلقةٌ على معانيها، حتى يكونَ الإعرابُ هو الذى يفتحُها؛ وأن الأغراضَ كامنةٌ فيها، حتى يكونَ هو المستخرجَ لها، وأنه المعيارُ الذى لا يتبينُ نُقصانُ كلامٍ ورُجحانُه حتى يُعرضَ عليه، ويكونَ المقياسَ الذى لا يُعرَفُ صحيحٌ من سقيمٍ؛ حتى يُرجَعَ إليه".(٤)

- حدُّ الإعراب:

يهدف مؤلف الخطاب– من وراء الإعراب– إلى أمن اللبس، وتجنُّب الغموض(٥)؛ وهو– أى: الإعرابُ: نِظَامٌ شكليٌّ عُرْفِيٌّ يُعَدُّ ممَّا خُصَّتْ به لغةُ العربِ من دون أخواتها، فظاهرة الإعراب فى العربية أكثر وضوحًا من غيرها، لتستبينَ به المعانى وتتَّضِحُ المقاصدُ؛ فى ضوءِ الشكل– الحركات، أو العلامات– والحكم، والأقلب، والقياس، والاستعمال، والشيوع، يُضبَط به نظام ترتيب الوحدات الصرفية فى هيئتها التركيبية، وفق دلالتها الكلية، ويتعرَّف المتلقى– بمقتضاه– على بعض المعانى؛ فى القراءات المتعددة للخطاب اللغوى الواحد، بالموازنة بين البنيتين؛ السطحية والعميقة.(٦) إذ تتوقف دلالة الهيئة التركيبية على معياريْ الترتيب، والأثر الإعرابى، اللذيْن يجمعان المعنى الكلى العام، ويقوِّمَانِه فى ذهنية المتلقى بصورة تقريبية أتم إلى الاحتمالية الدلالية المقبولة؛ لاسيما مع قيام الأثر الإعرابى بدور الرابط–أو الإسناد– الشكلى والمضمونى بين عناصر الجمل والتراكيب.

ويستخدمه المؤلفُ للإشارة– به– إلى فعلٍ كلاميٍّ مضمَّنٍ، أويستثمرُه المتلقى فى استنباطِ المعنى المضمَّنِ والاستدلالِ عليه؛ يقوم على المواضعةِ، والأعرافِ اللغويةِ، والافتراضاتِ المسبقةِ، والدلالاتِ الاجتماعيةِ، والثقافيةِ الضابطةِ لتفسير المُرادِ من العناصر اللغوية، يروغ إليه المؤلف بهدف تزيين خطابه اللغوى، بالإضافة إلى كونه رابطًا لعناصرِ التركيبِ، وضابطًا لدلالاتِه الكليةِ، لاسيما إذا كان إعرابًا منضبطًا– بعيدًا عن الإعرابِ المشوَّشِ– فيقع على الإعرابِ المنضبطِ عبءُ تأديةِ الوظيفةِ الدلاليةِ، وقد يُعين المؤلفَ فى إنشاء هيئات تركيبية سلَفَجة– للوهلة الأولى– غير مستعملة فى بيئة لغوية نوعية؛ ليعبِّر بها عن انفعالِه، فتكون تراكيبُ المخالفةِ النحويةِ تراكيبَ قد خرجت عن المألوف فى الاستعمال، والشائع المستخدم من الكلام.

تُشير ماهيةُ الإعرابِ إلى الإبانةِ والتعبير السليم عمَّا فى النفس، وتتوقف الدلالة كثيرًا عند الإعراب، وأقلبه، وما يتصل بذلك من حركات إعرابية، إذ إن تغيُّر الإعراب يؤدى – لاشك– إلى تغير الدلالة، وإلى تغيُّر البعد التداولى، فى موقف الاستلزام الحوارى؛ بالإضافة إلى أن تغير الحركة الإعرابية التى تلحق آخر الأسماء المعربة المتمكنة يؤدى – أيضًا– إلى تغير الدلالة أو اضطرابها، أو التباسها؛ أو إلى عدم قدرة المتلقى على التوصل إلى المعانى المُرادة، لذا قالوا: الإعراب شطر المعنى؛ إذ إنه من السنن النحوية أن الإعراب قد دخل الكلام لمعنى(٧) فكأن الحركات الإعرابية تضبط هيئة المعنى(٨) وتقف خلفه؛ ما بين التصويب أو التخطئة، والترجيح، والاستبعاد، والقبول والرد؛ والاستقامة والإحالة؛ مهما اختلفت موقعيتُها(٩) ويُقصد بأثر العوامل على معمولاتها: ما اصطلح عليه من الحركات– أو العلامات– الإعرابية، الظاهرة، أو المقدرة، وهى: الضمة، والفتحة،

---

(١) انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى :٢١٠

(٢) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية):٤٦٦

(٣) التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية: ١٠٧

(٤) دلائل الإعجاز : ٢٨

(٥) انظر: تأويل مُشكل القرآن الكريم : ١٤

(٦) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ٥١

(٧) انظر: قواعد التوجيه النحوى وأثرها فى الخلاف بين النحاة، دراسة فى كتاب الإنصاف، إعداد: حميدة مصمودى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م: ٤٢

(٨) يُراجع حديث الإمام السكاكى عن إقراره بدلالة معنى على معنى، انظر: مفتاح العلوم: ٣٥٨

(٩) انظر: الخروج عن القياس فى بعض التراكيب اللغوية فى القرآن الكريم، باسم يونس البديرات، وحسين محمد البطاينة، كتاب المجمع، العدد(٨) ، (٢٠١٤م): ٢

والكسرة؛ من الآثار الظاهرة التى تجلبها العوامل النحوية، وتلحق تلك الحركات آخر الأحرف المشكلة للوحدة الصرفية الأصلية؛ بعيدًا عن السوابق أو اللواحق؛ ممَّا ليست من أصل البنية.(١)

واستكمالًا للماهية التداولية للإعراب يرى الأستاذ الدكتور حُسام البهنساوى أن من واجبات المعرب– حتى يتجنَّبَ تعقدَ الإعرابِ– ألَّا يقيدَ بالقواعدِ النمطيةِ؛ بل عليه أن يعكس واقعَ التراكيبِ، ويسأل عن الكيفية التى يُمكن أن تحدَّدَ بها هذه القواعد، فلا يتأسس الإعرابُ على القواعد إطلاقًا، بل ينبغى أن يؤسس على الخصائص المعجمية، ومبادئ النحو الكلِّيِّ، الذى يُعنى بإبرازِ الدلالةِ، أكثر من عنايته بالأطر الشكلية للتراكيب اللغوية(٢) يؤيد هذا الأمر عدمُ وجودِ الآثارِ الإعرابيةِ فى بعضِ اللغاتِ؛ بل إنه قد تختلف القواعد الإعرابية فى شموليتها الصور اللغوية والتركيبية؛ لذا فإن" الحركات– والعلامات– دليلٌ على الإعراب".(٣) والإعرابُ دليلٌ على المعنى،" والمعنى المُنتَجُ يعكسُ أشكالَ الفكرِ الإنسانيِّ، والانفعالاتِ النفسيةِ".(٤)

ويهدف وضع العلماء للأثر الإعرابى– فى آخر الوحدات التركيبية– إلى تيسير النطق، ووصل الكلام بعضه ببعض، وإلى سهولة انتقال النَّفَسِ– فى جهاز الصوت– بين الحركات الإعرابية؛ مع احتفاظها بالتعبير الدلالى، تبعًا لموقعيتها، وللعلاقة بين العناصر النحوية التركيبية(٥) فإننا حين نتأمل بعض الصور اللغوية، بوصفها فعلًا كلاميًّا مُتلفَّظًا به؛ نجدها صورًا كلامية، تعبِّر عن حالة النَّفْسِ وانفعالِها، قبل تَشَكُّلِهَا فعلًا كلاميًّا، إذ توصف اللغة بأنها كيانٌ نفسىٌّ بالدرجة الأولى(٦) وكأن الانفعال فعلٌ كلامى سابقٌ، خضعت فيه الصور اللغوية لقياس الانفعال، لا لقياس القواعد والأحكام" التى تكون معزولة عن السياق، مجردة بصورة رياضية، لا يقوم الكلام إلَّا باتِّخاذها منهجًا ومعيارًا".(٧) ومعيارًا".(٧)

وهنا وجب التفرقةُ بين تركيبين، يجسدان الأدائين اللغوى Performance والنحوى لمؤلف الكلام، (أحدهما): يقوم على غَلَبَةِ القياس، والمواضعة، والاستعمال، و(الآخر): يقوم على سطْوة الانفعال الآنى، وعدم تلاشيها، التى لا يُمكن أن تحل محلها الأشكال اللغوية، ليكون فعل الانفعال هو: (بيئة الهيئة التركيبية)، والمتحكم فى قواعدها، حيث إن لكل انفعال بنيةً، ولكل دلالةٍ بنيةً، بل قد تتعدد البنى وتتبلين، وتتمحور حول فعل كلامى مستبطن، مما لم يكن فى مقدور ذهنية المتلقى تجنُّب أثره؛ بل إن هذه السطوة الانفعالية قد تُمارس فعلَ التسلُّط فى الفعل الكلامى المتلفَّظ به، الذى غايتُه اقتناعُ المتلقى، فهى التى تُحدث التَّغيُّرَ فى شكل الصور اللغوية، وهيئتها، وضبطها النحوىWord Formation، والكلام السالف الذكر يؤكد التشارك بين الانفعال واللغة، التى يمثلهما عاملُ الإعرابِ، فى ضبط الأثر الإعرابى للوحدات التركيبية؛ حتى أن الدكتور إبراهيم سند إبراهيم يذهب إلى أن عامل الانفعال قد يكون من مُسبِّبات الحسْم التداولى لعدم الاستقرار فى التفسير النحوى للتراكيب، وقد يؤدى إلى وجود بعض الرؤى التوفيقية بين الآراء المتباينة، والتعليلات النحوية المختلفة(٨) حتى نكاد نرى من اللغويين مَنْ يجمعُ بين رأيين فى المسألة النحوية الواحدة، على نحو ما رأينا من تباين رؤى اللغويين حول المسالة الذنبورية، ومسألة الكَحْل، لذا فتركيب الانفعال تركيب نفسلغوى، قد خُطِّطَ له من لدن المؤلف؛ وتُسند إليه عمليات التفسير عن كيفية حدوث الكلام، وهو من التراكيب اللغوية المعتبرة، فى ضوء العلاقة بين العقل والشعور ؛ وهذا معناه أن النظريات النفسلغوية لا يُمكن أن تسلم بوجود إطار غير مرن من القواعد النحوية للغات، كما أنها لا تسلم بإمكانية أن يقتصر المتعرض للتحليل اللغوى على إحدى طرق التحليل، من دون أخرى.(٩)

وقد وُضع الإعراب– من جانب المؤلف– للتفرقة بين المواقع النحوية، والتمييز بين المعانى المختلفة، من خلال الحركات أو العلامات الإعرابية، مما تواضعت على دلالته الذهنياتُ الذاتيةُ، والثقافية، والاجتماعية(١٠) حتى أنهم يُطلقون عليه:" وليد التركيب، وهو انعكاس لمعانٍ تحدث فى الكلام مصاحبةٍ لعمليةِ التركيبِ؛ لأن هذه المعانى – التى يُتخذ الإعرابُ عنوانًا لها– هى معانٍ تركيبيةٌ، تتعاقبُ على الاسم الواحد، كالفاعلية، والمفعولية، والإضافة؛ لذا فهو يدلُّ على أن اختلافَ أواخر الكلمات يكون تبعًا لاختلاف العوامل

---

(١) بإدخال نحو: امرؤ وابنم فى هذا الحد، على الرغم من تغير آخر الأحرف وما قبل الآخر؛ مع تغير عامل الإعراب، فى الحالات الإعرابية الثلاث، انظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: العرب: ٥٩–٦٠

(٢) انظر: نظرية النحو الكُلِّيّ و التراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية) :٥١

(٣) الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية : ٢٥٩

(٤) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان :٣٩٠٢

(٥) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى :١

(٦) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٥

(٧) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٣٠

(٨) انظر: السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب:٢٤

(٩) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ١٥٢، جـ٢: ٧٥

(١٠) انظر: الخصائص، جـ١: ٥٨

النحوية والمعانى التداولية المتعاقبة عليها".([1]) وقد عدَّ العلماء هذه الآثار من قرائن المعنى، حتى أنهم بوَّبُوا النحو فى ضوئها.([2]) ولعل فى جعْل الأثر الإعرابى للعوامل فى أواخر أواخر الكلمات المتصرفة بُعدًا تداوليًّا، وهو الاحتفاء بالعلاقة بين المؤلف والمتلقى، ومراعاة الأول لأفق انتظار الثانى، و ما بينهما من افتراضات مسبقة، بالإضافة إلى مراعاة آليات الحجاج التلطُّفى، وقد عبر السيوطى عن هذا المعنى بقوله: " لو جُعل الإعراب وسطًا لم يدرِ السامعُ أحركة إعراب أم حركة بناء، فجُعل الإعراب فى آخر الاسم؛ لأن الوقف يُدرك، فيسكن، فيُعلم أنه إعراب ، فإذا كان وسطًا لم يمكنْ ذلك فيه".([3])

وتتجلى أهمية قرينة الإعراب – من حيثُ التحديدُ الدلالى والتداولى– فى " انتقال الأسماء من النصب إلى الضم إلى الكسر ؛ بحسب مواقعها من الجمل، فلو قلنا: جاء محمدٌ؛ بالرفع، فإن الحركة تدلنا على أنَّ محمدًا هو القائم بالفعل، أما إذا قلنا: رأيتُ محمدًا، فإن الحال تتغير، وتنتقل معنى الكلمة من الفاعلية إلى المفعولية".([4])

ويبدو – من وجهة نظر الباحث– أن الإعرابَ: عمليةٌ نفسيةٌ ذهنيةٌ، يتحدد أثرُها وقيمتُها الدلاليةُ بما تُريده النفس المنفعلة؛ مجاوزةً –أحيانًا– التقيُّدَ الصارمَ ببعدىْ الذهن واللغة، بوصفهما من المحددات التواصلية، وهو نظام ومنهج يُستخدم فيه الأثر الإعرابى ليعبر عن نطابقة الصورة التركيبية للدلالة الانفعالية للنفس، بعيدًا أو قريبًا –نسبيًّا– عن المعنى المحتمل، من الصورة الشكلية للتركيب النحوى، فإذا كان الإعرابُ أصلَ المعنى، فإن الانفعال فرع من فروعه؛ وهنا يبدو ارتباط البُعْدَيْنِ الدلاليّ، و التداوليّ، وفق المستويات اللغوية التصاعدية، فى موقف التخاطُب، ومحددات عمليتىْ الإفهام والفهم؛ بوصف العمليتين تشكلان جانبًا من الجوانبِ النفسيةِ، بدءًا من المستوى الصوتى، مرورًا بالمستويين الصرفى، والتركيبى؛ وصولًا إلى المستويين الدلالى والتداولى، وتكون روافد الاستعمال وضوابط التواصُل هى الأساس المحدد لعمليتىْ الإفهام، والفهم، والقصدية، والتقبُّل.

- **الإعرابُ المشوَّشُ:**

يقصد بهذا المصطلح: نظام إعرابى لم يصل إلى حد الانضباط التام، وهو أسلوب تُضبط فيه أواخرُ الكلمات أو ترتَّب هيئتها، بصورة تبدو غير متوازنة، وغير جامعة، مما قد ينتج عنه، عدم وضوح العلاقة بين الدال والمدلول، وتشويش الدلالة، واضطرابها، وغموض القصد؛ نظير ذلك النوع من الإعراب: ما أورده الفراء(ت٢٠٧هـ)([5]) من جواز كتابة بعض الأسماء الستة بالواو مطلقًا، نحو: (أبو)،" قال: بلغنى أن كتاب على بن أبى طالب– رحمه الله– كان مكتوبًا : هذا كتابٌ من على بن أبو، كتابها أبو، فى كل الجهات، وهو تُعرب فى الكلام؛ إذا قُرِئَت".([6]) ولعل فى حديث عبد القاهر عن اختلاف الأثر الإعرابى لاختلاف الدلالة مبررًا لقولهم : إنهم قد جعلوا اختلافَ الحروفِ بمنزلةِ اختلافِ الحركاتِ بدلالةٍ مقصودةٍ، حتى أنهم جعلوا اللجوءَ إلى التنوين لعلةٍ ثلاث، إحداها صوتية، من مثل من نوى فى تخلصهم من الثقل الناشىء من التقاء الساكنين، والأخرى دلالية، بأن يرغبَ المتكلمُ فى إضافةِ معانٍ جديدةٍ إلى الدلالةِ الأوليةِ لبنيةِ الوحدةِ الصرفيَّةِ أو التركيبيةِ([7]) أما العلة الثالثة فجعلوها علامة على وسم النكرة، وتعظيم مدلولها، ودفع ذهنية المتلقى للتوقف حول دلالتها، كأن القالب النكرة صار بالتنوين معرفًا، وأنه كثيرًا ما يكون أكثر نجاعةً فى الإشارة إلى الاندماج الدلالى والتَّمكُّن مع الاسم، فيكون الأقربَ تداوليةً فى عملياتِ التواصُلِ والاتِّصالِ.([8])

من أجل ذلك؛ لم يصرح ابن جنى بمخالفة كثير من التراكيب اللغوية للقياس النحوى؛ بل أرجع الفصاحة فى تلك الهيئة التركيبية إلى النظر فى فصاحة المؤلف المعتادة منه، ويكون المعولُ– فى هذا الشأن– كامنًا فى علاقة هذه التراكيب بالقياس والاستعمال والتداول؛ أو أن تكون تلك التراكيب النحوية قد وقعت من لغة، قد طال عهدُها، وعفا رسمُها، وتأثَّرت معالمُها، فاضمحلَّت؛ وأن ما جعلها تُدرج ضمن أبواب المخالفة هو تَشَاغُل الناس عن تلك اللغة، وما يرتبط بذلك من موت أربابها من العرب، وجعل من ذلك وقوع التباين فى اللغات التى أُخذ منها القياس، وما فى لغة حمير من بُعد عن لغة لبنى نزار، وما يتبع ذلك من وقوع التخالف بين الأمثلة اللغوية، بالإضافة إلى ما أورده عن حماد

([1]) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية): ١٠٧

([2]) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إياذة عُمان: ٣٩١٨

([3]) الأشباه والنظائر فى النحو، جـ١: ٩٧

([4]) الدلالة الصوتية فى اللغة العربية: ٤٩

([5]) قد يَرِدُ فى البحث ما يفيد وجود اطبعتين لمؤلَّف يحمل الاسمَ ذاتَه، وهنا يجدر التنبيه إلى أنه قد يكون: لما فى الأخرى من ملحقات مستقلة، وزيادات، مثل تعليقات المحقق وشروحه، أو عزو بيت إلى إلى قائله لم تكن الأخرى قد عزته، أو وجود بعض الشواهد فى الثانية لم ترد فى الأولى، أو لاختلاف المحققين، نسخ التحقيق، أو وجود أجزاء للمؤلف الواحد.

([6]) معانى القرآن، للفراء، تحقيق، د: عبد الفتاح شلبى، سلسلة، تراثنا، جـ٣: ١١٤

([7]) انظر: المقتصد فى شرح التكملة : ٣٩٨– ٤٠٢

([8]) انظر: الدلالات التصويرية للتكير فى اللغة العربية: ٢١

الرواية؛ من أمر النعمان وقيامه بدفن كثيرٍ من أشعار العرب تحت قصرِه، وكذلك تنقُّل أحوالِ اللغاتِ بين أهل البصرةِ وأهل الكوفة، فجعل كل ذلك سببًا لقبول الفعل الكلامى والاحتجاج به.(١)

- الأثر الإعرابى – الحركة أو العلامة الإعرابية:

ينبغى الإقرار – أوَّلًا– بأن قرينة الحركة– أو العلامة– الإعرابية تُعَدُّ من القرائن الشكلية التى تدل على دقة الدرس اللغوى القديم وإبداع أربابه، وتفوقهم فى الربْط النظْمى والتنظيمى بين الدلالة والأثر الإعرابى، ومن ذلك ربطهم الدلالة – وتعلُّق وحدات الهيئة التركيبية، بعضها ببعض– بالأثر الإعرابى فى الغالب من الحالات، وذلك حين تختفى القرائن اللفظية والمعنوية التى تساعد المتلقى فى فهم المعنى، وتدل على القصد المُراد؛ الذى يُشير إلى الدلالة المستخلصة من المضمون الفعلى الذى ينقله الخطاب اللغوى، أو الإشارى، أو السياقى.(٢)

وفى الحقيقة؛ إن الأثرَ الإعرابىَّ– الذى تُحدثه العوامل النحوية– سمةٌ تركيبيةٌ ظاهرة، تتفاوت– فى شكليتها– بحسب تفاوت القابل، أو العامل النحوى، إلَّا أن يمنعه من ذلك مانعٌ؛ كأن يكون أخر الكلمة المعربة حرفَ علة، فيكون ذلك الأثر تقديريًّا، وهنا يقع على الأثر الإعرابى عبءُ رعاية دلالة الهيئات التركيبية، على تفاوتها بحسب المواضع، وفق ثلاثية: القابل، والفاعل، والأثر(٣) وهذا الأثر الإعرابى قد أوجده العامل النحوى، اللفظى، أو المعنوى، وهو: عبارة عن آثار ظاهرة تكون على آخر حرف فى الكلمة الصحيحة المتمكنة المعربة، ويُردُّ ظهورها إلى قوة مورفيم الإعراب وقدرته على تحملها فى النطق، من دون عوائق صوتية؛ ويكون هذا الأثر مقدرًا على آخر أحرف الكلمة المعتلة، ويُشير إلى أن آخر الكلمة– لاعتلاله– لا يستطيع حمل أثر الإعراب ظاهرًا، فيصير مقدرًا، تعذرَ نُطقُه، وثُقُلَ التصريحُ به، وهو حركاتٌ وحروفٌ، ويقصد بكونه مقدرًا: ما تعتقده منويًّا فى آخر الكلمة.(٤) ومرد الظهور والتقدير فى اعتماد الأثر الإعرابى إلى طبيعة النطق، وصفة المنطوق، وماهية العضو الناطق، حيث تحدث الحركة باهتزاز الوترين، من غير انسداد فى أجزاء الجهاز الصوتى(٥)

وتنقسم هذه الآثار الإعرابية إلى قسمين، أحدهما: العلامات الأصلية، وهى حركات، تشمل: الضمة، والفتحة، والكسرة، والسكون، والآخر: العلامات الفرعية، وهى الحروف، مثل: الألف، والواو، والياء، وثبوت النون وحذفه، وغير ذلك مما تواضع على كونه علاماتٍ فرعية للإعراب.

وتتوقف القيمة الدلالية للأثر الإعرابى، من الضمة، أوالفتحة، أوالكسرة، أو السكون، فى الأسماء، أو فى الأفعال على" حركة الأعضاء النُّطْقِيَّةِ، أثناء التلفظ بها، وبحسب وضعيتها النطقية"(٦) وحركة الشفتين وشكلهما؛ من حيثُ الضمُّ، أو الانفراجُ، ووضْعِيَّةُ اللِّسانِ وحالتُه، واتِّساعُ مجرى الهواء أو ضيقُه، ونوعُ العُضْوِ النَّاطِقِ، وصفاتُ الحركةِ المنطوقةِ، وطبيعةُ مخرجِها، وطريقةُ خروجِها، ومقدارُ الجهدِ والوقتِ المبذولين فى النطق بها، والمساحةُ الصوتيةُ المستغرَقةُ للمنطوقِ به، طولًا أو قصرًا، وكيفيته، ومهما يكن من أمر فإن المؤلف– لاسيما العربى–" يميل إلى الخفة؛ فالكلمةُ العربيةُ خفيفةٌ جميلةٌ، تنبو عن الثقل، والتنافر، وتستكره التعقيدَ، والخللَ، والعلامةُ الإعرابيةُ جزءٌ من الكلِّ، الذى لا ينفصلُ عن بعضه، فإن غيابَ العلامةِ الإعرابيةِ يكونُ مؤشِّرًا على ضعفِ اللغةِ، ومنذرًا بهلاكها، وهى– أى: العلامة الإعرابية– تؤدى وظيفة تداولية، كالرأس، والجسد".(٧) وليس من شكٍّ فى أن الحديث السابق يؤكد القيمة التداولية والاجتماعية للغة، إذ من دونها لن يحدثَ ثمت تواصلٌ بين البشر، ولا اتصالٌ، مما ينبِّه إلى أثرها الحاسمِ فى حياةِ الإنسانِ.

من الجيد الإشارةُ إلى أن مفرداتِ الأثرِ الإعرابيِّ من الصوامتِ والصوائتِ، تتفاوتُ فى قوتِها، ممَّا يؤصِّل لوجودِ تفاوتٍ فى إدراكِها من جانبِ المتلقى؛ فالصوائتُ أسهلُ فى إدراكها من الصوامتِ؛ لكون الأولى مجهورةً، وتمتلك وضوحًا سمعيًّا وشدة، وتصْدُرُ مصحوبةً برنينٍ ذى ترددات مرتفعة، مما يُسهِّل تمييزها وإدراكها، أما الصوامت فهى أقلُّ وضوحًا منها، وفى درجات وضوحها السمْعى، ويتوقف التمييز بين كليهما على علاقته بالجانب العصبى.(٨)

---

(١) انظر: باب فى ما يرد عن العربى مخالفًا لما عليه الجمهور. الخصائص، جـ١: ٣٢٨ – ٣٣٢

(٢) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى: ١٤

(٣) انظر: مفتاح العلوم، باب فى الأثر، وهو الإعراب، وفصل: ما يفتقر إليه علم النحو: ٧٦، ١٣٧ – ١٣٨

(٤) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إياذة عُمان : ٣٩١٤

(٥) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية: ١٤١

(٦) الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية : ٢٦١

(٧) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إياذة عُمان : ٣٩٢٠–٣٩٢١

(٨) انظر: علم اللغة النفسى: ٢٠٧

وفى موازنة عجلى بين الآثار الإعرابية، من جنس الحركات الأصلية؛ نجد أن الضمَّةَ أثقلُ الحركاتِ، وهى أصيلة فى المرفوعات، وقد أخذت لقبها وقيمتها الدلالية من خصائصها، وصفاتها ومخرجها، إذ هى من الضم والانغلاق(١) "وهى: علامة العُمْدِ فى الكلام، وتدلُّ على الضيقِ وقِلَّةِ التَّمَكُّنِ".(٢) كما أن الضمةَ تدلُّ على التَّقْيِيدِ والإلزامِ، فى حين تدلُّ الفتحةُ على الاستحبابِ(٣) ومعلوم أن الفتحة أخفُّ من أُختيها؛ الكسرةِ والضمةِ، وهى أصيلة فى المنصوبات من الفُضَل، كما أنها إلى السكون أقربُ، ولذا نجد أكثر ما جاء مبنيًّا من كلام العرب، كان بناؤه على الفتح، فى أبواب كلامية عديدة، جاء على رأسها أبواب الفضلة، مثل: بعض الشواغل النحوية، من جنس المفاعيل؛ وبعض أحرف العطف، والاستفهام، وكذلك لام الابتداء، ولام التوكيد الداخلة على الفعل المضارع، وبعض الظروف، وما بُنى على فتح الجزئين، والفعل المضارع المباشر لنون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة، واسم لا النافية للجنس حال إفراده، وهذه الشموليةُ لكثير من الأبواب النحوية، كانت طلبًا لخفة الفتحة، وليَحدُثَ تعادلٌ فى الاستعمال.(٤) وتأتى الكسرة علامة على المجرورات فى الأسماء، ولا وجود لها فى معيارية معيارية الأفعال، إلَّا فى الكسر العارض لنون الوقاية، فى الضمير (نى)، التى تأتى لتقى الفعل الكسر، وهى أصيلة فى الإضافة والغالب من المكملات الكلامية، ومثل ذلك يُقال فى العلامات الفرعية من كون الألف أخف من الواو والياء، ولكل من الحركات والحروف صفات، وخصائص، ومخارج، وقيمة دلالية تتصل بجميع ما سبق.

ويتشكل الأثر الإعرابى فى نظام اللغة العربية من: الضَّمَّة، والفتحة، والكسرة، والسكون، وهى: حركات وعلاماتٌ شكليَّةٌ لمعانٍ تركيبيةٍ كليةٍ، ونلحقُ قالبين نحويين، الأول: الاسمَ المتمكنَ، وتعبرُ فيه عن تداوليَّةٍ ذهنيَّةٍ، هى: الفاعليةُ، والمفعوليةُ، والإضافةُ، وعلاقةُ التبعيةِ، وتنقسم فيه– أى: فى الإعراب– الحركةُ أو العلامةُ إلى حركة إعرابية وحركة غير إعرابية، والثانى: أن تلحق الفعل المضارع الذى يُشبه الاسم؛ ما لم تلحقه نون التوكيد المباشرة، الثقيلة أو الخفيفة، وكذلك ما لم تلحقه نون النسوة، إذ– فى هذه الحالة– يغيبُ عنه الإعرابُ، وينتقل القالب النحوى إلى حيز القوالب المبنية.

وتقع الحركة الإعرابية أخر الكلمة، فى ما أُطلق عليه: مورفيم الإعراب، بينما تلحق الحركة غير الإعرابية صدر القالب الصرفى، أو تأتى فى حشْوه، وهذه الحركات موضوعة لمواقع نحوية، تشغلها الوحدات التركيبية المجتلبة لهذه المعانى(٥) وقد تتغير تبعًا لتغيُّر موقعية الوحدات التركيبية، وتغيُّر دلالتها.(٦) وتبرز تداولية الأثر الإعرابى فى الوصل بين عناصر التركيب المشكِّل للمعانى، مما يُعد ممهدًا صوتيًّا ودلاليًّا، يُستعان به على وضوح المعنى، وكشف المعانى المُستبطنة.

هذا، وتبايُن دلالة الحركة الإعرابية، وقيمتها التداولية فى صدر البنية الصرفية عنها فى حشو، أو فى آخرها، إذ تؤدى هذه الحركةُ– حركات داخل البنية– معانىَ دلاليةً، طالما جاءت فى صدْر البنية أو حشْوها، من قَبْلِ حرفِ الإعرابِ، مثل ما تُشير إليه كسرةُ ما قبل الآخر(٧) فى نحو: مُسْتَخْرِجٌ، بكسر الراء؛ من الدلالة على من قام بالفعل؛ فى حين حين يؤدى الفتح– فى هذا الموضع– إلى الدلالة على من وقع عليه الفعل، كما فى مُسْتَخْرَجٌ، بفتح الراء؛ وما يترتب على ذلك من اختلاف المعانى تبعًا لاختلاف الحركات فى بنية الكلمة؛ بعيدًا عن الأثر الدلالى لمورفيم الإعراب، وفى مواضع كثيرة؛ تحمل الحركةُ فى آخر البنية الصرفية دلالةً نوعيةً، كما هى الحال مع تاء الفاعل المثنّاة، بوصفها من الحركات الفرعية، فبالضم للدلالة على الفاعل المتكلم، وبالفتح للدلالة على الفاعل المخاطب، وبالكسر؛ للدلالة على الفاعل المخاطب المؤنث، فصارت الحركة الإعرابية دليلًا على المعانى؛ فالرفع للدلالة على الفاعل(الضمة علم الإسناد)، والنصب(الفتحة علم الفضلة) للدلالة على المفعول، والجر(الكسرة علم الإضافة) للدلالة على الإضافة.(٨) وهذا معناه أن دلالة الحركة فى صدر البنية، تبايُن دلالتها فى حشوها، وتباين دلالتها فى آخرها.

---

(١) ذكر ابن منظور أن الضم، هو: من ضمُّ الشيء إلى الشيء، وتدور دلالته حول: القبض، والأخذ، والازدحام، والضيق، والهُزال، وفى بعض معانيه من التفرق، والاختلاف، والحزم للأشياء، انظر: لسان العرب، جـ٤: ٢٦٠٨–٢٦٠٩، مادة: (ضم، م).

(٢) انظر: الدلالة المعنوية للحركات العربية: ٢٥٠

(٣) انظر: التوجيه البلاغى للقرءات القرآنية: ٩٨

(٤) انظر: الدلالة المعنوية للحركات العربية، د: محبوب الرحمن صافى، ود: مشتاق حقيار، مجلة ريحان للنشر العلمى، www.rjsp. org، بتاريخ: ٢٨–٠٣–٢٠٢٣: ٢٤٨

(٥) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية): ١٧١

(٦) انظر: المخالفات النحوية فى الأمثال والأقوال، د: مختار عبد الرحيم عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، بقنا، العدد(١٠)، ٢٠٠٨م: ١٨٠٣

(٧) فقد كرهوا أن تنطرف الواو، بعد متحرك، وأن تأتىَ فى آخر الاسم المتمكّن؛ فأبدلوا من الضمة الواقعة قبل الواو كسرةً، لتنقلب ياءً مثلها، كما فعلوا بكلمة: القاضُو، أبدلوا من الضمة كسرة، ومن الواو ياءً، ياءً، لأنه ليس فى الأسماء المتمكنة ما آخره واو بعد متحرك، فى قول الشاعر:

لَا صَبْرَ حَتَّى تَلْحَقِى بِعَنْسِ	أَهْلِ الرِّيَاطِ الْبِيضِ وَالْقَنَسِ.

انظر: المفصَّل فى علم العربية: ٤١١

(٨) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى: ١

وقد أشار سيبويه إلى أثر الحركة الإعرابية فى تقييد الدلالة وتوجيهها؛ وفى التعبير عن المعانى والانفعالات النفسية، وأن فى ارتقاء المؤلف لها جنوحًا إلى الاستخفاف؛ إذ بدأ بالفتحة، وهى أخف الحركات، والألف أخفُّ من الواو والياء، قال: "وزعم الخليل أن الفتحة، والكسرة، والضمة، وهن يَلْحَقْنَ الحرف، ليُتوصَّل إلى التكلُّم به، والبناء هوالساكن الذى لا زيادة فيه؛ فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو".(١) يُضاف إلى ذلك ما قرره السيوطى(ت٩١١هـ) من أن الإعراب يكون بالحركة أوبالحرف، وأنه داخلٌ للدلالة على المعانى، وأنَّه حركات وأحرف داخلةٌ على الكلام، بعد اكتمالِ بنائِه، وتوضعُ على آخر حرف من الاسم المتمكن، والفعل المضارع، وقد جُعل الإعراب فى الكلام، ليُتبئَ عن المعانى، وقد استخدمها النظام اللغوى بغية التوسع فى المعانى.(٢)

- الحالة الإعرابية(الموقعية النحوية):

يقصد بالحالة الإعرابية:" ما يترتَّبُ على أثر العامل من الحكم الإعرابى، والأثر الشكلى الذى يثبت للكلمة، من الرفعِ، أو النصبِ، أو الجرِ فى الأسماء، أو الجزم فى الأفعال، بحسب ما يقتضيه العاملُ النحويُّ اللفظىُّ أوالمعنويُّ، وما يتبع ذلك العامل من تغيُّرٍ فى شكل القالب النحوى وصورته، وهو داخلُ تركيبٍ، سواء كان هذا التركيبُ ملفوظًا به كلُّه أو بعضُه؛ أو لم يبقَ منه إلَّا كلمةٌ واحدة بضبطٍ إعرابيّ مُعينٍ، وتُشير إلى نوعٍ خاصّ من التركيب".(٣)

وهذا معناه: أن الإعرابَ هو الذى يرتبطُ بالمعنى، فيُفَرِّقُ به بين معنى وآخر، وبه تمارُ الشواغلُ النحويَّةُ، وتتحدد مواقعُها، ويقومُ المؤلفُ– فى ضوئها– برَصْفِ العناصرِ اللغويةِ وتوزيعها فى التراكيبِ، وفق قانون الرتب المحفوظة، والرتب غير المحفوظة؛ بحسْب حالتِها الإعرابيةِ، وموقعيتِها النحويةِ، والدلاليةِ التى تشغلُها تلك الحالةُ النحويةُ تتلبسُ بالعلامةِ الإعرابيةِ، وإن تغيَّرت موقعيةُ العناصرِ التركيبيةِ، لكن النسبة بين العناصر النحوية تظل ثابتةً، فى ما أسماه الدكتور: محمود عبد السلام شرف الدين: التركيبَ الداخلىَّ، الذى يقوم على أساسِ وجودِ تعالقٍ دلاليّ بين العناصرِ اللغويةِ.(٤)

ويتَّصِلُ بقيامِ العلامةِ الإعرابيةِ– بحراسةِ العلاقةِ بين الهيئاتِ اللغويةِ وتداوليةِ التواصُلِ والاتصالِ– قيامُها بتقديمِ مُعيناتٍ شكليةٍ ومضمونيةٍ؛ يتجنَّبُ بها وقوعَ سوءِ الفهمِ(٥) ويُتَوَقَّى ويُتَوَقَّى اللَّحْنُ– بسكونِ الحاءِ(٦)– وارتباكُ التواصُلِ، بقصْد فهمِ الكلامِ الجزئىِّ، أوعلى مستوى النص بتمامه، لذا يَنْظُرُ المحققون من علماء اللغة التداوليين إلى قرينةِ الإعرابِ بوصفِها أخطرَ القرائنِ الضابطةِ أوالمقيِّدةِ، فى ما يتصلُ بأمنِ اللَّبْسِ أو تَحَقُّقِه؛ أو ظهورِ المعنى، أو خفائِه؛ بل إنها قد توَدِّى– مع غيرِها من القرائنِ اللفظيةِ أو المعنويةِ– دورًا تداوليًّا أشدَّ خطورةً؛ حين تكونُ سببًا فى تغييرِ الدلالةِ أو اختلاطِها، أو "قلبِ المعنى عن جهتِه، وإزالتِه عن طريقِه"(٧) أولإحداثِ تناقضٍ بين المعانى الشكليةِ، والمقاصدِ المضمنةِ والمُرادةِ من الكلامِ والهيئاتِ التركيبيةِ أو تقليبها تبعًا لتقلُّبِ الحركاتِ(٨) إلَّا أنها ليست بالقرينةِ الوحيدةِ التى يتوقفُ عليها تحديدُ المعنى المركزىِّ، حيثُ تتضافرُ المواقعِ النحويةِ معها، ولا يمكنُ تعيينُ المعنى الأدق إلَّا بتحريكِ الأواخرِ بحركةِ الإعرابِ(٩) وهنا يجعلُ سياقُ عاملِ الانفعالِ من قرينةِ الحركةِ الإعرابيةِ قرينةً مرنةً، تتوقف مرونتُها عند اجتلابِ الفوضى التداوليةِ.(١٠).

---

(١) انظر: الكتاب، جـ٤: ٢٤١– ٢٤٢

(٢) راجع باب الإعراب ومباحثه. انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، جـ١: ٨٥–٩٨

(٣) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية): ١٠٥

(٤) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية): ١٠٥

(٥) إذ أحيانًا يصير من العسير الإبانة عن المعانى بإغفال جانب الإعراب، ويؤكِّد ذلك قول المهلهل، عُدى بن ربيعة التغلبى، من بحر الكامل، يرثى أخاه، من قصيدة: (تَبِّتُ أَنَّ النَّارَ):

تَبِّتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُقِّدَتْ	وَلِمُتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ لِمَجْلِسُ.
وَتَكَلَّمُوا فِى أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ	لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبِسُوا.

والشاهدان فى ديوان المهلهل، قصيدة رقم:(١٥) فلو قرأنا لفظة(المجلس) بالجر على الإضافة، بدلًا من رفعها، وكذلك لفظة (تنبس) بالجر، واستبدال ياء الغيبة بتاء الخطاب؛ فإن معنى الكلام يختل اختلالًا بينًا، وينقلب من المدح إلى الهجاء. انظر: ديوان مُهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمة، (د.ط)، (د.ت) : ٤٤، وانظر: الإعراب والمعنى وعلاقتهما بظاهرة تعدد الاحتمالات فى التوجيه النحوى، عمر مفتاح سعد، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد(٢٦)، السنة(١٣): ٢٨١

(٦) ذكر ابن منظور أن : اللَّحَن، بفتح الحاء، الفِطنة، واللَّحْن، بسكون الحاء، الفطنة والخطأ سواء؛ قال: وعامة أهل اللغة على هذا؛ قالوا: الفطنة بالفتح، والخطأ؛ بالسكون، قال ابن الأعرابى: اللَّحَن – أيضًا– بالتحريك: اللغة، وقد روى أن القرآن نزل بلَحنِ قريش، أى: بلغتهم. انظر: لسان العرب، جـ٥: ٤٠١٣، مادة: (ل،ح،ن).

(٧) مثَّل ابن قتيبة لذلك، بقولهم : رجل لُعْنَةٌ؛ إذا كان يلعنه النماس، ورجل لُعَنَةٌ؛ إذا كان هو الذى يلعن الناس. تأويل مُشكل القرآن الكريم: ١٤

(٨) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى:٤

(٩) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ٥٧

(١٠) انظر: مخالفة الترتيب وأثره فى العلاقات النحوية:١٩٣٠

- قرينةُ الإعرابِ بين ثنائيةِ الخطورةِ و الكَسْرِ فى التواصُلِ التداولى:

يُمكن للمتعرض لدرس التراكيب النحوية اعتبارُ الأثر الإعرابى قرينةً من القرائنِ النحويةِ اللفظيةِ، التى تعدُّ من القرائن المهمة، حيثُ تُعين المتلقى على استجلاء معانى التراكيبِ النحويةِ، وتجنُّبِ القبحِ فى التلقِّى(١) حيث تُباشرُ الحركاتُ البنيةَ الصرفيَّةَ فى أولها، وفى أوسطها، وفى آخرها، والموضعان (الأول والوسط) يتغير بهما معنى الوحدات الصرفية، الصرفية، وتختلف تداوليتهما فى الذهنية الاجتماعية، ويختصان بعلم التصريف؛ إلَّا أن موضع أخر البنية ليعدُّ أشدَّ خطرًا، إذ تعلو الحركةُ مورفيمَ الإعرابِ، ويصير لها قيمةٌ دلاليةٌ(٢) ينبنى عليها موقعُ التواصُلِ؛ ويتوقف عليها نجاحُ الاتِّصالِ، وكأنها لم تَصِرْ – وحدها – معيارَ الضبطِ للعلاقة بين الألفاظ، والتراكيب، ودلالتها، فاختلافها يؤدى – من من عير شك – إلى اختلاف الدلالة، ومن ثم الحكم بنجاح التواصل من عدمه؛ إذ جُعلت حركات الإعراب أدلة على المعانى، فقالوا: " ضرب زيدٌ عَمْرًا؛ فدلُّوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به".(٣)

وقد يكون غيابُ قرينة الإعراب أو زوالها سببًا فى إبطال المعانى، رغم كونها أمرًا عارضًا، يتغير، ويتبدَّل بحسب تغيُّر الأوضاع اللغوية للعناصر الكلامية وعواملها المؤثرة فيها، إلَّا أن هذا التغيُّر لا يُضارع تغيُّر الألفاظِ، إذ إن تغيُّر الألفاظِ هو تغيُّرٌ للمعانى فى ذاتِها، أما تغيُّرُ الإعرابِ فهو عارضٌ شكلىٌّ، مقصود به التتمة، والتكملة، فى التحسين والكمال، ولا ينخرم المقصودُ إن هو لم يحصُلْ.(٤)

ويُستدل بالحركات على المعانى، لذا يُضمِّنُ المؤلفُ قصدَه المستبطنَ فى آثارِه الإعرابيةِ، التى يضعُها على عناصره التركيبية، وكأن حركات الإعراب نائب للمؤلف(٥) فى التعبير عن انفعالاته؛ " لذا لم يختلف النحاة فى أن المُحدث لهذه الآثار؛ إنما هو المتكلم، فهو الذى يرفع، وينصب، ويجرُّ، ويجزم".(٦) ولا أدلَّ على خطورة الأثر الإعرابى فى التعبير عن الانفعالات الذاتية؛ من حديثِ ابنةِ أبى الأسودِ، إذ تحتمل الصياغةُ – من دونِ الإعرابِ – احتمالاتٍ إعرابيةً ونفسيةً متباينةً، إذ قالت لأبيها: ما أَجْمَلَ السَّمَاء! لأن الصيغة التركيبية واحدة، ولايمكن التفرقةُ بين المعانى المختلفة فيها إلَّا بالإعراب، فلو نصبت السماءَ! لكانت متعجبة، ولو رفعتها؛ ما أجمل السَّمَاءُ؛ لبدت نافية لمضمون التركيب، وإن جَرَّتها، فقالت: ما أَجْمَلُ السَّمَاءِ؟ كان الجرُّ استفهامًا عن مضمون الفعل الكلامى فى التركيب(٧) حتى أنه يُمكن القول: إن اللبنة الأولى فى إنشاء علم النحو كانت بسبب عامل الانفعال الذاتى، وأن الأساس فى إنشاء هذه الهيئة التركيبية هو عامل الانفعال والتأثُّر النفسى، وقد عبر – فى المثال السابق – عن أسبقية عامل الانفعال فى أسلوب التعجب – على سبيل التمثيل – تقدُّم (ما) النكرة العامة، والحاملة لمعنى التعجب، والدالة على انفعال يوحى بالدهشة، الذى يُصيب الذات الداخلية المنفعلة المتعجبة، قبل حدوث ما يترتَّب على هذا الانفعال، وكأن الانفعال فعل كلامى مضمَّن، وكأن جملة التعجب فعل كلامى منجز، فلو جردنا تركيبَ التعجب من (ما) الدالة على الانفعال، وقلنا: أجملَ السماء، لم تَكُنْ ثمةَ جملةٌ، ولم يتشكلْ ثمةَ كَلَامٌ يحسُنُ السكوتُ عليه، فجملة التعجب، هى: انفعال بالاندهاش، وتحتاج إلى مُسبِّبها، إثر تَشَكُّلِ فجوةٍ تداوليةٍ، تتكفل ما (الانفعالية) بسدِّ تلك الفجوة.(٨) لذا قدموا الـ(ما) وحمَّلوها عبءَ التعبيرِ عن مُسببات انفعالِ التعجبِ.

---

(١) روى عن العرب استقباحُهم اختلاف حركات حرف ما قبل الروى؛ إذا كان مقيَّدًا، وهو المسمى: توجيهًا، نحو قول رؤبة:

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِى الْمُخْتَرَقْ،

ففتح ما قبل القاف، ثم قال:

أَلَفَ شَتَّى لَيْسَ بِالرَّاعِى الحَمِقْ،

فكسر ما قبلها، ثم قال:

سِرًّا وَقَدْ أَوَنَ تَأْوِينَ الْغُقْقْ،

فضم ما قبلها. فكرهوا وقوع اختلاف وقوع الحركة على القاف، لأن الحركة مجاورة للقاف. فاستقبحوا اختلاف التوجيه. انظر: المنصف، جـ٢:

(٢) فقد تنوب الضمة القصيرة عن الواو، وتحمل دلالة الاستغناء عن الواو، كما فى قول الشاعر:

وَإِذَا احْتَمَلْتَ لِأَنْ تَزِيدَهُمُ نُقًى قَرُّوا (فَلَمْ يَزْدَادُ) غَيْرَ تَمَادِ. انظر: الدلالة المعنوية للحركات العربية: ٢٥١

(٣) التوجيه البلاغى للقراءات القرآني: ٩٢

(٤) انظر: الطراز، جـ١: ٣٠

(٥) انظر: دراسات فى علم اللغة: ٢٠٢

(٦) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان: ٣٩٠٣

(٧) انظر: الطراز، جـ١: ٢٨ – ٢٩

(٨) انظر: الأساليب الانشغالية فى خطب العرب(دراسة وصفية إحصائية): ٢٩

وأحيانًا تتخلى العلامة الإعرابية عن الأثر المعيارى، حيث لا يلزم التركيبَ وجودُ العلامةِ الإعرابيةِ المقيدةِ لأحد المعانى، إلَّا فى حالة بروز اللبس، وحاجة التركيب إلى العلامة الإعرابية بوصفها مميزًا شكليًّا لأحد المعانى، وتكون كلُّ القرائنِ المحيطة والمتضافرة مما يُسهم فى تحديد المتلقى للمعنى المُراد، وحُسْنِ تأويله، والتفاعلِ معه، بل كثيرًا من يكون تسكينُ ضبط أواخر الكلم سببًا فى فساد المعنى والتباسِه، على نحو ما ذكره العلوى" من أن رجلًا دخل على أمير المؤمنين– أظنه يُشير إلى الإمام على بن أبى طالب، كرَّم الله وجهه– فقال له: قتل النلسْ عثمانْ، بتسكين السين والنون؛ من غير إعرابٍ، فقال له: بيِّنْ الفاعلَ من المفعولِ، رضَّ(١) اللهُ فاك.(٢)

يجب– عند الحديث عن المعايير القياسية فى النظام النحوى للغة العربية– أن يُشار إلى الإعراب وماهيته، وما يترتب عليه من الحركات الإعرابية، التى تسهم فى ضبط الوظائف التعبيرية بين المؤلف والمتلقى، مع اعتبار المواضعة الدلالية؛ وهى حركات تلحق آخر المورفيمات المشكِّلة للوحدات الصرفية، والضابطة لعناصر الهيئة التركيبية، ترتيبًا ودلالة، وهى عرفية، فى معياريتها، وفى شكلها، ودلالتها، تتوقف عليها– إلى حدٍّ كبير– عمليات الإنتاج، والتفسير، والتحليل، والتواصل، وتكمن الدلالة الانفعالية للحركات الإعرابية فى أنها "نُطق الحرف التى تقترن به، وتجذبه نحو الحرف الذى هى منه؛ فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة نحو الياء، والضمة نحو الواو".(٣) ويحسُنُ التأكيدُ التأكيدُ على خطورة قرينة الإعراب فى تحديد المعنى، إذ يتوقف على صورتها انضباط الفهم، أو توهم معانى مختلفة، أو فساد الدلالة الكلية؛ لذا فإن التحول من حركة إلى أخرى ليس بالعمل الاعتباطى ولا اللغوى، إنما هو مقصود المؤلف– إذ المبدع غيرُ مضطرٍّ– من تحوله فى الكلام، بل قادر على إبراز الجمال التركيبى، فى وعاء الانفعال، حيث يكون التركيبُ وعاءً لانفعال النفس؛ وتعبر المفردات اللغوية عن حالة من حالات ترجمة العقل لأبعاد الانفعال، إذ قد يُصبح لهيكلِ البنيةِ التركيبيةِ بناءٌ، ودلالةٌ، يختلفان من تصرُّفٍ لُغَوِيٍّ إلى آخر.(٤)

لهذا عقد ابنُ جنِّى بابَ: القول على الإعراب، أبرز فيه حدَّه، وفائدته، وأصولَه اللغويةَ؛ وذكر أن ماهيته تتمثل فى الإبانة عن المعانى التى فى النفوس والإفصاح عنها، وإظهارها، والإيضاح عنها بالألفاظ؛ بكشْفها بعد أن كانت مستورةً خفيَّةً، رغبة من المؤلف فى إظهار التودد لمتلقيه، ومراعاة لأفق انتظاره، وقد نبَّه فيه إلى أن للأثر الإعرابى الدورَ الحاسمَ فى ضبْط الدِّلالة أو تقييدها، يقول: " ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم زيدٌ أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول؛ ولو كان الكلام شرجًا واحدًا لاستُبهم أحدهما من صاحبه".(٥) فتُخَفَّفُ– بتداولية الأثر الإعرابى– القيودُ المحيطةُ المكبِّلةُ لقوةِ المعنى، والمانعةُ لظهوره، كذلك القيودُ الموضوعةُ على مشاركة المتلقى على على اختلاف نمطه وثقافته؛ إذ تتطلب هذه المشاركة قيامَ المتلقى بتلبية دعوة المشاركة الانفعالية مع مؤلِّف الخطاب اللغوى، والتفاعل مع فعله الكلامى التأثيرى.

فى مقابل هذا الأمر؛ يتضمن هذا الكلام إدراكَ ابن جنى لتفرُّع الأثر الإعرابى إلى صوائت، وصوامت، وأن هذا الأثر هو الفاصلُ الدلالى، ومن دونه تكون تعميةُ الدلالةِ، ويخفَى حالُها، كما فى قولهم: ضرب يحيى بُشرى، وولدت هذه هذه.(٦) فى إشارة منه إلى ما أُطلق عليه: (اللغة المعيارية المعتمدة على الأكثر فى الاستعمال)، وهى: اللغة القائمة على القوانين والقواعد، والآثار الإعرابية الثابتة، وهى الأشكال اللغوية الصحيحة الوحيدة، والموصوفة بالسيادة، والاستخدام الدائم، والقبول".(٧) وقد تنوب– أحيانًا– قرينةُ الترتيب الترتيب عن القرائن اللفظية والمعنوية فى إزالة اللبس؛ وتستهدف قوانين هذه اللغة المعيارية تحقيق التناسب بين الفعل الكلامى المضمن والشكل الصوتى والمنطقى للصور اللغوية المنتقاة، ويمثِّل هذا الأمر " الحد المشترك بين علم التركيب بمعناه الواسع، وأنظمة استخدام اللغة، أى: يتطلب أن يُجاز العنصر بالمعنى الذى سبق إيضاحه".(٨)

ومهما يكن من أمر فإنه يُمكن النظر إلى سياق الانفعال بوصفه مُناظرًا لنظرية العامل النحوى، إذ تحتاج عمليةُ التلقى والتفسير إدراكَ طرفيها وجودَ تأثير قوى، وحضور دلالى لعامل الانفعال، بيد أنه عامل مضمونى أو معنوى(قرينة معنوية)، موصوفٌ بالقوة الذاتية، ويحمل معنى حاضرًا فى نفس المؤلف، بصورة طارئة، وقد يتسبب فى استدعاء ذهن المتلقى إلى الحدث الكلامى قسرًا، و ربما يتمثَّل فى الإيماء، والإشارة؛ التى تقع من بعض العرب؛ لفهم بعضهم عن بعض ما يُريد.(٩) وعلة ذلك أن سياق الانفعال قد منح الهيئة الكلامية معنى لم يكن فيها من قبل، نقلها به من حيز دلالة الشكل، إلَّا وقوع الدلالة الكلية فى ذهن المتلقى، تبعًا لاحتمالاتها فى ضوء العلاقة بين الدوال ومدلولاتها معًا.

---

(١) تدور مادة(رضض) حول معانى: الدقّ، من دقّ الجريش، ومن الكسر، والتكسر، والرَّضراض: ما دُقَّ من الحصى. انظر: لسان العرب، جـ٣: ١٦٥٩، مادة: (ر، ض، ض).

(٢) انظر: الطراز، جـ١: ٢٩

(٣) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى: ٣

(٤) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى:٢

(٥) الخصائص، جـ١: ٤٦–٤٧

(٦) انظر: الخصائص، جـ١: ٤٦–٤٧

(٧) انظر: اللغة والسلطة: ٨٦– ١٣٤

(٨) انظر: نظرية النحو الكُلِّيّ و التراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية) : ٣٧

(٩) انظر: الوقف الصرفى، ما يوقف عليه وما لا يُوقف عليه: ١٦٠

ويتجسَّد الأثر الإعرابى للعوامل فى ضبط أواخر العناصر اللغوية، التى تشكِّل الهيئة التركيبية؛ فى ما اُصْطُلِحَ عليه: مورفيم الإعراب؛ أو فى تلك العلامات التى تواضع القيلس على كونها أنماطًا إعرابيةً، تعكس العلاقة بين القالب الصرفى فى هيئته التركيبية والعامل الإعرابى؛ ويعبر عنه بألقاب، من مثل: المرفوع، أو المنصوب، أو المجرور، فى الأسماء، أو المرفوع، أو المنصوب، أو المجزوم، فى الأفعال([1])؛ وهو ضابط لما ستكون عليه هذه الوحدات من ضبط شكلى، فى المواقع النحوية المختلفة.([2])

وتتفاوت هذه الحركات والعلامات قوة أو ضعفًا؛ "فالرفع؛ سواء كان بالضمة أم بالواو أقوى الحركات وأثقلها، والنصب؛ سواء كان بالفتحة أم بالألف أخفُّ الحركات؛ لسهولة إخراج الصوت، والفم مفتوح، والجرُّ، سواء كان بالكسرة أم بالياء، فيه ثقل؛ لما يقع من التعاُّد بين إخراج الصوت وخفضه.([3]) وغير خافٍ تغيُّر أواخر العناصر المشكلة للهيئة التركيبية الحاملة للمقاصد خضوعًا للمتغير فى العوامل النحوية – اللفظية والمعنوية– الداخلة عليها والمباشرة لها؛ تلك العوامل النحوية القياسية التى تمارس سطوة على الهيئة التركيبية، وهذا المعنى هو ما ذهب إليه ابن هشام الأنصارى(ت٧٦١هـ)، فقال فى حدِّ الإعراب:" أثر ظاهر أو مقدَّر، يجلبه العامل فى آخر الاسم المتمكِّن والفعل المضارع".([4]) ويتصل بالدور التداولى للحركات فى الاستعمال تلك المعانى النفسية التى لها؛ فإن من أراد الخفة والاسترواح، فإنه يتلفظ بالفتحة، التى تتحقق من انفتاح الفم، وتدل على انفعال القوة، التى نُفهم من انتصاب الشفتين أثناء النطق بها؛ ومن أراد التعبير عن المشقة والإصرار، فعليه اللجوء إلى الكسرة، بنحى لحيته إلى الأسفل، ومن أراد التعبير عن انفعال الضيق والعسر؛ فلابد له من ضم شفتيه، ثم رفعهما.([5])

– عامل الانفعال وتداولية التراكيب النحوية:

يؤطِّر هذا المفهومُ لتمركز المعنى ووصفِه فى الاستعمالِ، بما يستهدفُ تكثيفَ المعنى، وبما يمكِّنُ المتلقىَ من الوصولِ إليه، من خلال طريقة التعبير عنه فى موقف الاستعمال([6]) ويُراد (بالتداولية)– فى هذا الموضع– ما دار فى موقف الاستعمال، وما أحاط به، من وصف الفعل الكلامى اللغوى، وعلاقته بالمعنى، وتأديته له؛ أثناء الاستخدام الاستخدام اللغوى فى موقف التواصُل والتفاعُل، مع الوضع فى الاعتبار المُقَارِبة الشَّكْلِيَّة والتداولية بين الحركة الإعرابية، وتفسير مدلول الهيئة التركيبية.([7])

وكذلك؛ فإنه إذا كانت التداولية– فى جميع مرتكزاتها– تَصِفُ الاستعمالَ فقد استلزم هذا التوجُّهُ النظرَ إلى عاملِ الانفعالِ، بوصفه مفردةً من مفرداتِ المرتكزاتِ التداوليةِ، فهو فعل كلامى انعكاسى مقصود، يقيِّمُ المؤلفُ به طريقةَ إرساله لمضمونه القضوى، وإعادة قراءته لفعله الأول، ويتطلبه الاستلزام الحوارى، ليقدم صورة من حجاج العاطفة، مستثمرًا تداولية العناصر الإشارية، فى سياقاتها المتعددة؛ كما يصلح أن يكونَ مرتكزًا مستقلًّا، حيث إنه يتداخل مع جميع الرتكزات السابقة، بل يحيطها جميعًا، فيُسهم بدور فعَّال فى إنجاح الهيئة التركيبية فى التعبير عن المعنى المُراد، وفى إنجاز التواصل والاتصال بين المؤلف والمتلقى، وتمكين الأخير من إدراك الدلالة الكلية المُرادة، مع وعْيه بعدم قدرة الحركة الإعرابية– بمفردها– على تحديد المعانى وتقييد الدلالات؛ يُضاف إلى ذلك ما تَرَسَّخَ فى ثقافة التَّواصل من كوْنِ المُبْدعين أن لهم من التصرفات الكلامية التى ترخِّص لهم الاتزياح– البُعد– عن النقيد بالقاعدة، والخضوع المطلق للموضوع من القوانين اللغوية؛ فإذا كانت الدلالة أشدَّ ارتباطًا بالهيئة التركيبية المشكِّلة من اللفظ والمعنى، فإن التداولية تأتى تاليةً لها؛ لتختصَّ بتفسيرِ العلاقةِ بين الفعلِ الكلاميِّ المنجزِ وقائلِه فى موقفِ التواصلِ، مع تعظيم دور السياقات المحيطة فى تحديد المعانى وتفسيرها.([8])

ففى الربط بين سطوة عامل الانفعال والتداولية إقرارٌ بقدرة تركيب الانفعال على تصوير Imagination الحالات النفسية والتعبير عن إحساسها، وتتفاوت قدرة المتلقى على إدراك الفعل الكلامى المستبطن بحسب قوة الانفعال، ومدى تأثر طرفى الاستلزام التخاطبى بهذه القوة الانفعالية.([9]) فإذا ما سبق فعل الانفعال إلى ذهنية المتلقى، نُسب إلى المؤلف النجاح فى تحقيق فعل التهيؤ لذهنية المتلقى لأنْ يتمحور حول الفعل الكلامى المضمن، هنا يخرج فعل الانفعال عن حيِّز الحشْو، فى هذه الحالة تقلُّ مقاومةُ الغموض التركيبى، وتتضاءل تداوليةُ الأثر الإعرابى، ويغدو التركيبُ أكثر طواعيةً لتفسيراتِ المتلقى وتفاعلاته، وعقائده، وإدراكه الفعل الكلامى المضمَّن فيه؛ إذ تتوقف قوةُ المقاومة أو ضعفُها على

([1]) انظر: مفتاح العلوم : ٨٠

([2]) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية: ٤٢٨

([3]) مطالعات فى اللغة والأدب: ١٣

([4]) شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصارى، ومعه كتاب: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، محمد محمى الدين عبد الحميد،(د، ط)، دار الطلائع، القاهرة، ومكتبة الساعى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م: ٥٨

([5]) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى: ٣

([6]) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى–عربى(أدبيات): ٧٠

([7]) انظر: تجديد المنهج فى تقويم التراث، د: طه عبد الرحمن، المركز الثقافى العربى، بيروت، ٢٠٠٥م: ٢٣٤

([8]) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:١٤

([9]) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى–عربى(أدبيات):٣٥

نمط المتلقى، من المنظور الإيجابى(المُبْدِع)، وليس المتلقى السلبى(السَّاذَج).(١) قد يقع بعض المتلقين بالهيئة التركيبية؛ بعيدًا عن الأثر الإعرابى، فى حين قد يفشلُ البعضُ فى فى إدراكِ المعنى المضمَّن، إثْرَ غيابِ معياريته.

لهذا؛ يجبُ التأكيدُ أن التداوليةَ الانفعاليةَ تدورُ وفق آليةِ تبادلِ المراكزِ الذهنيةِ والنفسيةِ بين المؤلفِ والمتلقى، بتنسيق الأدوار بينهما، وتكون محدداتُ الإفهامِ والفَهْمِ، والتفاعُلِ، والاتِّهامِ، والطَّعْنِ، مقيَّدة بالبُعْدَيْن الاجتماعى والتداولى، وأن يكونَ فيها عاملُ الانفعالِ هو المحدِّدَ غيرَ اللغويِّ الأوَلَ، والذى يصير قيدًا على شكلِ العناصرِ اللغويةِ المتلفَّظِ بها؛ إذ يرتبطُ المعنى– فى الفعل الكلامى المضمن– بالعلاقة بين موقعية الاتصال، والزخم المعرفى لشركائه.(٢) ويُلاحظ أن غاية المؤلف– من تراكيبه النوعية– هى التأثيرُ الانفعاليُّ فى المتلقى، وأنه– فى سبيل تلك الغاية– يعمد إلى تصرُّفِ التحويلِ بالتقديمِ والتأخيرِ، أو يروغ إلى تغليب المجاز على الحقيقة، أو استحضار الصورِ البيانية وتكثيفها؛ بغية تصوير مشاعره وانفعالاته.(٣)

- عامل الانفعال والمخالفة النحوية:

تتمركزُ الدلالةُ المعجميةُ للجذر اللغوى: (خ ل ف) حولَ معانٍ عديدةٍ، تدورُ حول مخالفةِ الشيء لشيءٍ آخر، فمنها: الخَلْفُ، الذى هى ضدُّ الأمام، ومنها: دلالته على ما مضى من العمل، أو الرديء من القول، أو الجلوس خلف متقدمٍ، أى: بعده، وجعله خلفه، أى: أردفه؛ والتخلُّفُ: التأخُّرُ، والإخلافُ: الذهابُ، والخِلْفَةُ: الاختلاف، والخوالف: المتخلفون، والخِلَافُ: المُخالفة وعصيانُ الرأى، والخُلُوف: لفظ ضد بين الحُضَّرِ والغُيَّبِ؛ والاستخلافُ: الاستعذابُ للماء، والإخْلَافُ: الإبْدَالُ، والخِلْفُ: البَدَلُ، والخِلَافُ: المُضَادَةُ؛ والاختلافُ: عدمُ الاتفاق، والاختلافُ: التَّغيُّرُ، والتردُّدُ، والفسادُ، والهاء فى المخالفة؛ للمبالغة.(٤)

يُقصد بالمخالفة: مخالفة الوحدات اللغوية والهيئات التركيبية لما شاع فى اللغة المعيارية، والاستعمال المقيس، والتواصُل المثالى(٥) وقد جعل الأستاذ الدكتور: تمام حسان المخالفة من القرائنِ المعنويةِ غيرِ الاعتباطيةِ، ضمن ما أطلق عليه: تضافر القرائن، المتحقق من المُحدِّدات اللفظية والمعنوية التى تُسهم فى تحديد المعنى، وإزالة الغموض Vagueness ، والعموم، والإبهام، وينبِّهُ إلى وجود علاقةٍ معنويةٍ بين القرينةِ، وما تُشير إليه من دلالاتٍ ومعانٍ، ويجعل جميعَها ممَّا يندرجُ تحت لواءِ قرينةٍ كُبْرى، أطلق عليه: قرينة التخصيص(٦) والتى يعدها اللغويون:" مظهرًا من مظاهرِ تطبيقِ استخدامِ القيمِ الخلافيةِ؛ بجعلها قرائنَ معنويةً على الإعرابات المختلفةِ". (٧)

ويعنى بالمخالفة النحوية: المُغَايَرَة الإعرابية للقواعد النحوية، ويُقصد بها: كل ما خرج عن القواعد النحوية؛ وحُكم عليه بالغلط، أو التوهم، أو الضعف، أو كونه لغة من لغات العرب، أو الخروج على المثالية النحوية، أو ممَّا لزم حالة نحوية واحدة ؛ باختلاف العوامل النحوية الداخلة عليه، أو باختلاف موقعية العناصر التركيبية عن الأصل، فيما يخصُّ الأثرَ الإعرابىَّ الموضوعَ على مورفيمِ الإعرابِ، أو المطابقةَ للأصل فى ترتيبِ التراكيبِ النحويةِ.

بيد أنه على الرغم من قيام مُستخدمىْ الكلام بالتخطيط(٨) لما يقصدان؛ فإنه يَجِبُ التسليمُ بوجود فوارق شكلية بين خطابيهما؛ قد يخطئُ أحدُهما فى وضْع الأثر الإعرابى المعيارى، أو فى ترتيب هيئته، أو فى عرض الهيئة الصرفية الكاملة لبعض الوحدات، فيُعيد تصويبها، أو يَعْدِل عن ذلك، بإعادة النظر فيها، بالربط بين الشكل والدلالة، معتمدًا على الطرف الآخر فى عمليات التصويب والفهم، فأحيانًا يصعُب على الاختيارات النحوية، بأثرها الإعرابى– فى التعبير عن الاختيارات التواصلية، وهذا معناه أنهما قد يتحرران من القواعد النحوية، أو يحتوى الكلام على بعض الانتهاكات القياسية، والانحرافات عن الفصحى السليمة، بل إنه قد يعمد أحد المتخاطبين إلى حذف أحد العناصر الكلامية، مما يُطلق عليه أصحاب القياس النحوى: الجمل المنحرفةDeviates Senences.(٩)

---

(١) انظر: موت النص، جدلية التحقيق والتخييل فى النص الشعرى، فى ضوء النقد الأدبى القديم والشعراء النَّقَدَة:٢٧

(٢) انظر: اللغة والسلطة : ٩٩–١٠٠

(٣) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى:٣٦

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: (خلف)، ج٢: ١٢٣٤– ١٢٤٣

(٥) انظر: السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب: ٥٠

(٦) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د: تمام حسان، دار الثقافة، (د. ط)، الدار البيضاء، المغرب،١٩٩٤م: ١٩٣–١٩٩

(٧) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٠

(٨) يتحقق هذا الأمر عندما يقوم مُستخدما الكلام بالإعداد المسبق لبنائه، وفقًا لمعايير متعددة، يأتى على رأسها بناؤها وفق سُلَّمِيَّات الدلالة. انظر: الطاقة الحجاجية للغة فى الإقناع عبر شبكات التواصل الاجتماعى– الفيسبوك أنموذجًا: ٥٧٠

(٩) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ :٧٦

ومن الجيد الإشارةُ إلى أن عملية الاتِّصال لا تنجح ما لم تكنْ سليمةً، فى عناصرها جميعِها؛ الصوتيةِ، والسمعيةِ، والمكتوبةِ، والإشاريلتِ المتكلِّمةِ(١) وتقوم هذه العناصر اللغوية وغير اللغوية بنقل الانفعالات النفسية، والعواطف، والمشاعر إلى المخ، الذى يقوم بتفسيرها، ثم يقعُ على النفس مسئولية انتقاء العناصر اللازمة للتعبير عنها(٢) واستدعاءُ اللغة اللفظية والتعبيرات الشعورية، التى تتناسب وعرض المقاصد" وعرض هذا الأمر بلغة توفر المتعة واللذة للمتلقى، وتكون مفهومةً بين طرفىْ التواصل، وخاضعةً لضوابط عملية التواصل، وتتوافر فيها عوامل الربط بين الدال والمدلول، وما يرتبط بذلك من استدعاء الصور، والمعانى الذهنية لدى السامع".(٣) ويُشير الدكتور جلال شمس الدين إلى قول قول نعوم تشومسكى N.Chomesky بأن لدى البشر قدراتٍ نحويةً مشتركةً، ويرتبط هذا الأمر بكثير من مفردات الجهاز العصبى، الذى تستثيره المكوناتُ الإبلاغيةُ بأنماطها المختلفة، حتى أطلق عليه الكثيرون: علم اللغة العصبى، إذ إننا– بالرجوع إلى محدداته– يتسنى لنا الكشف عن كثير من جوانب الغموض التى تتصل بالعملية الاتِّصالية بين مرسلِ الكلام ومتلقيه.(٤)

من أجل ذلك؛ يُمكن للمتعرض لدرس العناصر اللغوية وصفُ صورِ المخالفةِ بكونها ظاهرةً تستوجبُ البحثَ، وتقتضى أن يكون هذا البحثُ حول طبيعة العلل التى تقف وراءها، إذ إنها تَمْتلئ بها كتبُ التراثِ اللُّغوِىّ، فى عصوره المختلفة(٥) حتى أنَّنا لا نَجِدُ كتابًا يخلو من الحديث عنها، وليس من المنطقِ أو الحصافةِ التسليمُ بكونها سماعيةً فحسب، أو أنها ممَّا يُمنُّ به، للتدريب، أو التعليم، أو جاءت بصوةٍ عفويَّةٍ، أو اعتباطيةٍ، ولا وسْمها بكونها أنماطًا لغويةً تاركةً للمعياريِّ من كلامِ العربِ؛ حيث إنه يلزمُ لكلِّ فعلٍ كلاميٍّ سببٌ ظاهرٌ أو مُضْمَرٌ، أو نكتة لغوية، أو غرض بلاغى؛ تسبَّبَ فى حدوثه، وتكونُ هذه الأسبابُ وفقَ معايير النظام العام للغة.(٦)

ومن ثمَّ ينبغى أن تُدرس بعضُ الصور اللغوية فى هيئتها التركيبية المستعملة، بحسب ما يدور فى نفس مؤلفها من انفعالات؛ فضلًا عن ذلك؛ فإن هذا البحث يُحاول التوقُّف عند مصطلح المخالفةDissimilation– فى بعض التراكيب النحوية– باستدعاء– أو استرجاع Recall– صورةِ المخالفةِ النحويةِ مرتبطةً– بشكْلٍ موازٍ– بالصورةِ القياسيَّةِ؛ وكأنَّ هيئةَ الانفعالِ قد خُطِّط لها Planned لأنَّ عمليةَ الاتِّصالِ صناعةٌ، وليست مجرد تأدية كلامية، بل تستلزمُ التخطيطَ لإنجازها، فتكونُ أسهلَ استدعاءً منَ الهيئةِ التركيبيةِ القياسيةِ، رغم حكم القياس النحوى على هذه التراكيب الانفعالية؛ بأنها أقلُّ جودةً من التراكيبِ المعياريةِ.(٧)

حيث إن كل هيئة تركيبية تحمل رسالةً تداوليةً إلى متلقيها، ويكون مضمونُها أنها –فى الأصل– حَوَتْ تعبيرًا عن انفعالٍ، أو تنفيسًا عن النفْس؛ نتيجة لما يمر بها من أحداثٍ وانفعالاتٍ، وتكون العناصر اللغوية جزءًا من عناصر التعبير عن انفعالها، وصدى لصوتِها، وتفاوت قدرة مستخدم الكلام فى السيطرة على عناصره اللغوية أثناء هذا الانفعال، ويضبطُ عمليةَ الانتقاء مخزونُ الحياة الذهنية لدى كل مؤلف، ومدى إدراكه التداولى(٨) ويذكر برجستراسر أن الاختلاف– فى حياة اللسان– أقدمُ من الاتفاق، فى أكثر الحالات، وقد يكون هذا الاختلاف من المؤثرات فى نطق الحركة الإعرابية، أو فى تلوُّن الصورة الشكلية للعلامة الإعرابية(٩) وتختلفُ استجابةُ الإنسانِ لفعلِ الأشياء– أفعال كلامية– تَبَعًا للمعانى التى يؤمنُ بها، ويراها مناسبةً لمدركاته، وميول نفسه؛ من هنا ينشأُ الاختلافُ فى السلوك اللفظى، من فرد إلى أخر؛ والخلاف الذهنى؛ لأن كل فرد يفكر فى الأشياء والموضوعات وفق ما يراه، وتبعًا لاتجاهاته، وميوله، وانفعالاته النفسية.(١٠)

---

(١) يتحقق هذا الأمر، حين تكون أجهزة النطق والتواصل فى حالة من الراحة، ويكون جهاز التنفس سليمًا، ويكون الجهاز العصبى– المُتحكِّم فى عملية النطق، أو السمع، أو القراءة، أو الحركات الجسمية– فى حالة استرخاء، وتكون الأحبال الصوتية مفتوحة، أما حال الانفعال، فتكون هذه الأجهزة جميعها فى حالة من التوتر والاهتزاز. انظر: علم اللغة النفسى: ١٨٨

(٢) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى:٩

(٣) انظر: علم اللغة النفسى: ١٨٤

(٤) انظر :علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا) د: جلال شمس الدين، (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، جـ٢: ٩

(٥) من أمثلة ذلك : ما أنشده الفرزدق، من قصيدة: لقد ضرب الحَجَّاجُ ضربةَ حازمٍ، مما خالف فيه وجوب أن يكون جواب الشرط فى (كلَّما) فعلًا ماضيًا، فأورده فعلًا مضارعًا، قال، من الطويل:

إِذَا حَارَبَ الْحَجَّاجُ أَىَّ مُنَافِقٍ	عَلَاهُ بِسَيْفٍ كُلَّمَا هُزَّ يَقْطَعُ

انظر: شرح ديوان الفرزدق: ٧٠

(٦) انظر: علل مخالفة القياس فى الدرس الصرفى: ١٢٤–١٢٥

(٧) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١: ٢٦–٧٤

(٨) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٣١

(٩) انظر: التطور النحوى للغة العربية: ٧٧

(١٠) انظر: سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى:٤٥٣

لهذا؛ فإن المخالفة قرينة معنوية، تبدو نسبيةً، وغامضةً، ومراوغةً (١) تهدف- بفعل المراوغة- حملَ ذهنيةِ المتلقى على الاقتناعِ الحقيقيّ، وإذعانَه المتعقلَ لصوتِ التركيبِ المستبطن، من حيثُ الدلالةُ المضمونيةُ؛ لا من حيثُ البنيةُ الشكليةُ فحسب؛ وتعبّر عن تحقق المخالفة- فى ما يخصُّ العلاقةَ بين القياسِ اللغوى والتراكيبِ النحويةِ- العلامةُ الإعرابيةُ، أو يُشير إليها الضبطُ الحركىُّ- والذى يُعبَّر عنه، بـ: المرفوع، أو المنصوب، أو المجرور، أو المصروف.

وترتبط المخالفة بالأثر الإعرابى، الذى يُمكن- من خلاله- إبرازُ قصدية المؤلف وتوقع تفسيرات المتلقى للهيئة التركيبية؛ بل إنه قد يتحكم فى توجيه الدلالة وتقبلها، ومدى شيوعها فى الاستعمال، بل يستطيع تقييد ما تحمله من دلالات ذاتية أو اجتماعية؛ والذى دعا العلماء إلى القول بوقوع المخالفة- فى العملية الاتصالية- أن تكوُّن الفكرة التواصلية بين المؤلف والمتلقى رهينة الصورة اللغوية التى يقع عليها بصرُه؛ فحسب- بأن تتمركز الدلالة حول حاسة البصر - وتلك التى تقرع أذنه- بأن تتمركز الدلالة حول حاسة السمع- وعند تكرير صورة أخرى للمعنى، يروغ كل منهما إلى استحضار تلك الصورة الذهنية القارة فى محددات إدراكه، متنبّهًا للعلاقة بين الصورتيْن التعبيريتين؛ فإذا ما حدثت مخالفةٌ بين صورةِ مُدْرَكِهُ الحسيّ والصورةِ الذهنيةِ الموجودةِ من قبلُ، حينها يوازنُ بين الصورتين فى عرضهما أو استدعائهما للفكرة الأساسية، فإذا رصد تبايُنًا على مستوى الصوائت أو الصوامت، تكون المخالفة قد أُرتُكبت.(٢) ويكون من مجانبة الصواب عزو المخالفة إلى وجود اضطرابات عضوية، أو خللٍ فى المخ؛ والأصل أن سبب تلك الاضطرابات يكون راجعًا إلى مجموعة من الأسباب النفسية والعقلية، كما تذهب إلى ذلك مدرسة التحليل النفسى.(٣)

ومن الجدير ذكرُه أن كلامَ العرب، ولاسيما فى عصور فصاحتها، لم يأتِ غُفلًا من دون قصدٍ؛ فهم يُريدون ما يتكلمون به، ويدركون ما يجرى على ألسنتهم، وذلك قارٌّ فى تصرفاتهم الكلامية، يضعونه وفق سياقاته، وموقعيته، وهم معنيون بذلك، ويؤكِد ابن جنى القول بأن كلام العرب لم يأتِ بالاتفاق القياسى؛ أو القواعدِ الموضوعةِ، بل قرَّت فى عقولهم، وأفئدتهم، واستعمالاتهم عِلَلُ كلّ تصرُّف كلاميّ، ودلَّل على ذلك، بقوله- مُعلِّقًا على ألقاب الأثر الإعرابى، فى ضوء الموقعية النحوية للوحدات الصرفية والقوالب التركيبية، من اطِّراد رفع الفاعل، ونصب المفعول: "فهل يحسُن بذى لُبٍّ أن يعتقدَ أن هذا كلَّه اتفاقٌ وقع، وتوارُدٌ تُّجه؟!" (٤) وقد أورد أبياتًا من الشعر لعمَّار الكلبى عاب بها على على الإعمال المطلق للقياس على أبواب اللغة.(٥)

بل إنه ليَعُدُّ الترخُّصَ فى الأثرِ الإعرابيّ طبْعًا لغويًّا، يُضاف إلى ميزات اللغة العربية، واصفًا هذا الأمر بالتصرف المقصود، وبعده عن الحشو، قال:" فجاء عنهم جرُّ الفاعل، ورفعُ المضاف إليه، والمفعول به، والجزمُ بحروف النصب، والنصبُ بحروف الجزم؛ بل جاء عنهم الكلامُ سُدى غيرَ محصَّل، وغُفلًا من الإعرابِ، ولَسْتُغْنِى بإرساله وإهماله عن إقامةِ الإعرابِ، والكَلَفِ الظاهرةِ بالمحاماة على طرد أحكامه، فيجب التنبُّهُ إلى أنه قد يُهمل الأثر الإعرابى، وليس فى القياس ما يدعو إلى إهماله"(٦) وقد يستحسِنُ المتلقى، أو الذوقُ وقوعَ المخالفةِ الإعرابيةِ، إذ "تكون أبلغَ- فى عملية الاتِّصال الجادِّ- من جريانِ الكلامِ على نمطٍ واحدٍ،... وقد يكونُ تحلُّلُ التراكيبِ من قيودِ الصناعةِ النحويةِ المفترضةِ سببًا فى اكتسابِها قيمًا دلاليةً وأسلوبيةً".(٧)

يقرِّب هذا المعنى؛ أننا حين نرصدُ التصرفاتِ اللغويةَ أو السلوكياتِ الكلاميةَ لبعضِ الاستعمالاتِ التداوليةِ؛ نجد مستعمليها قد يرتكبون مخالفةً صوتيةً، أو صرفيةً، أو نحويةً، أو دلالية، أو يعتدون على أصل الترتيب الوجودى للهيئة التركيبية، ويتحررون من قيود السلامة الدلالية، إلَّا أن هذه التصرفات تكون لغرضٍ كلامى مقصود، وتشمل هذه المخالفةُ – عندهم- عدولهم عن الأصل فى معيارية الصوائت أو والصوامت، أو كليهما؛ وهم مُدْركون لأبعاد تصرفاتهم، ولعل ذلك يرجع إلى سذاجة ذهنيتهم فى بعض الأحيان، أو إلى عدم إدراكهم أبعاد تلك القضايا الشكلية ذات المغزى العنيف والعميق، فى أحيانٍ أخرى؛ أو يقصدون المطابقة بين الصور اللغوية وانفعالاتهم، فى أحيانٍ ثالثةٍ، لكن العجب أن كثيرين من أصحاب المعيارية النحوية لا يرضون وقوع تلك التصرفات من بعض العرب المحتج بأقوالهم، ويعزفون عن هذه الأنماط، وتتأتى إشكاليةُ المخالفةِ- فى رصد صورها فى المؤلفات، والمرويات، وفى الاستعمال التواصلى- من دون التعرضِ للعللِ والأسبابِ الدافعةِ إليها؛ وهذا - لا شكَّ- محكُّ الإشكالِ.

---

(١) انظر: علل مخالفة القياس فى الدرس الصرفى، د: محمود عباس

Kocaeli University. Ilahiyat.Dergisi ، Kocaeli .The ology journal.Volume;٤.Say١.Issue;١.Sayfa/Pages;١٢٣-١٦٠;١٢٤

(٢) انظر: علم اللغة النفسى: ٢١٥

(٣) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات) جـ١: ٤٩

(٤) الخصائص، جـ٢: ٢١٠

(٥) انظر: الخصائص، جـ٢: ٢١١-١١٢

(٦) الخصائص، جـ٢: ٢١٦، وجـ١: ٦٠

(٧) انظر: التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية: ١١٢-١١٧

ويبدو أن للمخالفة أسبابًا عديدة، لعل منها ما يتمثل فى: رغبة مؤلف الكلام فى: أن يقتصدَ فى مجهوديْه العضلى والذهنى، حال النطقِ بالصور اللغوية، والأنماط التركيبية القياسية، لاسيما فى الانتقالِ بين الحركاتِ الإعرابيةِ المختلفةِ، أو الموازنةِ بين صورةِ العلامة الإعرابية اللهجية، من مثل تلك اللهجات التى تُلزم المثنى صورةً واحدةً، مع اختلاف عوامله النحوية وموقعيته التركيبية؛ فيتحول المؤلف إلى ما يُخالِف النسق المعيارى طلبًا للاقتصاد والسهولة.

وقد أشارت الدكتورة هُيام فهمى إبراهيم– وهى تنقلُ كلامَ برجستراسر – إلى أن علة المخالفة؛ إنما تعود إلى علةٍ نفسيةٍ مَحضةٍ؛ وهذا ما يفسرُ خطأَ البعضِ فى النطقِ؛ وكأنَّ مؤلفَ الكلامِ يخضعُ لانفعالٍ ضاغطٍ من النَّفسِ، فينطقُ بغيرِ ما يُريدُ، وهذه المخالفةُ مردُّها إلى أن الهيئةَ اللغويةَ المُعبرةَ عن انفعالِ النفسِ قد تُصُوِّرَتْ فى النفسِ قبل النطق بها، ورُتِّبت هيئتُها، وصَعُبَ على النَّفسِ أو جهازِ الإدراكِ المتعقلِ أو الجهازِ العصبيّ إعادةُ إنشاءِ صورةٍ أُخْرى لتلك الصورِ اللغويةِ، بعد حصول الأولى– بفترة وجيزة– فتُفْقَدُ الصورةُ الأصليةُ، ويُحتفَظُ بالصورةِ الجديدةِ، التى يقصدُ بها المؤلفُ إضافةَ معانى أخرى إلى معانى البنيةِ السطحيةِ.

وهنا يبرُزُ الحديثُ عن قدرةِ الجهازِ العصبيّ فى ضوءِ أُطر نظرية الصفر اللغوى، ومبادئ التوليدية التحويلية على إنتاج عدد لا نهاية له، من الجملِ العصبيةِ المحتملةِ، التى تقترب من الجملة القياسية، وتنطلق منها إلى إنشاء صور أخرى موازيةٍ لها، وتحملُ دلالاتٍ إضافيةً، وكأن الجملة القياسية هى (نواة) المواضعةُ الدلاليةُ، (البنية المركزية)، وكأن التنوع– التعدُّد– الجملى، صورةٌ– أو صورٌ – أخرى من البنى الهامشية، ومن ثمَّ تصلحُ أن تكونَ أنويةً مُشكِّلةً لدلالاتٍ متنوعةٍ، أو لإنتاجِ تعدديةٍ دلاليةٍ، لا تَسْتَغْنِى– كثيرًا– عن دلالةِ الجملةِ النواةِ، بل تقومُ كلُّ هيئةٍ تركيبيةٍ بإمدادِ ذهنيةِ المتلقى بمعنى إضافيٍّ، يتنوعُ وفقَ تنوُّعِ سياقِه(١) هنا يُشكِّل التعددُ فى الأثرِ الإعرابيّ تنوعًا دلاليًّا، يُضيفُ معانىَ أُخرى، ويَكْشِفُ جماليةَ الخطابِ اللغويّ، بدلًا من الخضوعِ للعاملِ النحويّ.(٢)

وقد تكونُ مخالفةُ المؤلفِ للقواعدِ النحويةِ ولمعاييرِ المواضَعةِ الاجتماعيةِ– كما يُفهم من كلام برجستراسر – فى مراعاته لذوق العصر الاجتماعى؛ تجنبًا للاستخشان، وصعوبةِ التلفُّظِ، أو هربًا من مواضعِ الاستغلاظِ، على نحو ما نرى فى هروب أهل القاهرة من القاف، وإبدالها همزة؛ مما يعد سببًا صوتيًّا للمخالفة، ومنها ما يرجع لعلل نفسية؛ حين يرجو المؤلف أن يؤثِّر فى نفس متلقيه أو جمهوره تأثيرًا مقصودًا، لذا نسمع كثيرًا عن تداوليةِ الخطابِ الجماهيرِيّ، ولحيانًا يكونُ تأثيرُ الخطابِ الإبلاغى تأثيرًا زائدًا عن تعاطيه مع دلالة البنية التركيبية القياسية(٣) وقد ترجع أسبابُ المخالفة إلى تصارُعِ الصورِ اللغويةِ– بين الهَيْمَنَةِ والهُوِيَّةِ– فى مستوياتها المختلفة، داخل نفس المؤلف، وهنا يتحوَّل العنصرُ القويُّ إلى إلى غازٍ للآخرِ الضعيفِ.(٤)

وقد يُعلَّل لوقوعِ المخالفةِ– فيما ذهب إليه سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، وأيَّد رأىَ أستاذِه الخليلِ بن أحمد الفراهيدى(ت ١٧٥هـ) فى وصفه المخالفة – أحيانًا– بكونها المحررَ للخطاب من قيود التثقيل المتسبب فى الترك، وجاء رأيُه واصفًا القياس بالقيْدِ المانعِ من التحرُّكِ والسهولةِ، وأجاز للمتكلم– مع الحكم بشذوذه وعدم اطراده– الإبدالَ بين بعض الحركات أوالأحرف، وعلل– هاهنا– للمخالفة بالتأويل؛ ونحو ذلك: قوله:" ومن قال: امْرُرْ على أيُّهم أفضلُ، قال: امرر بأيِّهم أفضلُ؛ فإذا ما تحقق لبسٌ، رُجِعَ إلى الأصلِ، وإلى القياس، مثلما ردُّوا قولهم: ما زيدٌ إلَّا منطلقٌ، إلى الأصل، وإلى القياس".(٥) وهذا الكلام قد يؤصِّل لاختلافِ الاصطلاحِ حول ماهية المخالفة وصورها، إذ بدت شواهدُ نتتهكُ ما أُتفق عليه– بل تداولَه– أصحابُ القياسِ، على كونِهِ مخالفةً.(٦)

ويتضمَّن كلامُ سيبويه التصريحَ بأثر سياقِ عاملِ الانفعالِ فى توجيهِ دلالةِ التراكيب النحويةِ وتداوليتها، إذ خصَّ بعضَ الأنماطِ من المخالفاتِ بالشعر ، القائمِ على انفعالِ النفسِ، وجعلها من بابِ الاضطرار ، لكنه قيَّد ذلك باستساغةِ المتلقى لها، وتساوقِ دلالاتِها وتفسيراتِها مع الدلالاتِ الاجتماعيةِ المنطقيةِ، والبعد عن التأويلات الضعيفة والبعيدة غير المحتملة، ذاكرًا أن الأمرَ متحققٌ، حال كونِه مُطلقًا؛ يجوز لنا أن نقول: اضربِ الفاسقُ الخبيثُ، تريدُ: الذى يُقالُ له: الفاسقُ الخبيثُ.(٧)

---

(١) انظر: المخالفة، دراسة صرفية صوتية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة:٣٣، وانظر: التطور النحوى للغة العربية:٣٦

(٢) إذ إن العامل النحوى هو: الذى يشكِّل أواخرَ الكلمات المعربة؛ بوصف العامل: ما أثَّر فى غيرِه شيئًا؛ من رفعٍ، أو نصبٍ، أو جرٍّ، أو جزمٍ، نقلًا عن : انظر: قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى : ٢٠٣

(٣) انظر: التطور النحوى للغة العربية :٢٨– ٣٥

(٤) انظر: المخالفة، دراسة صرفية صوتية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٣٤

(٥) انظر: الكتاب، جـ٢: ٤٠١

(٦) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزى– عربى: ٧

(٧) انظر: الكتاب، جـ٢: ٤٠١

ومن اللافتِ للنظر تقييدُ مصطلح الحُجَّة– عند ابن جنى(٣٩٢هـ) فى: بابُ القولِ على إجماعِ أهلِ العربيةِ، متى يكون حُجَّة– بإجماع أهل البلدين من النحاةِ، يقصد: البصريين والكوفيين، أو يكونُ المقصودُ عمومَ جمهورِ النحاةِ؛ ويكون هذا الإجماعُ على عدمِ مخالفةِ المنصوصِ، والمقيسِ، ومرتكزًا على أنهم لا يجتمعون على خطأٍ، بيد أنه يُضمِّن كلامَه أننا وجدنا من يستدون إلى عللٍ صحيحةٍ، جعلوها سببًا منطقيًّا للتبلينِ فى الروى.(١)

ويفرِّق برجستراسر بين نوعين من الكلامِ، ويُطلق على الأول منهما اسم: الكلام العادى الهادئ؛ أما الثانى منهما؛ فيُرجعُه إلى هياج النفس– جاعلًا منه سببًا لتمايز اللغة العربية بين اللغات السامية– وهو– أى: النمط الثانى– ذلك النمطُ من الكلام الذى لا يخلو من أثر عامل الانفعال فيه، مثال ذلك: قولهم: أميران! هلك القوم! قاله القائل مُغضبًا هائجًا؛ فأميران، شبه جملة، معناه: وُجد أميران، ولا ارتباط بين: (أميران) وبين (ما يتلوها).(٢) وهذا معناه؛ أن تراكيب الانفعال تُعدُّ من خصائص اللغات ومبادئها، وقد سوَّغ عاملُ الانفعالِ لمؤلفِ الكلامِ – فى الشاهد السابق– الاستغناءَ عن آليةِ الترابطِ الدلاليّ المنطقيّ Syntagmatic بين عناصر الخطاب، أو التراكيب النحوية– ذلك الترابط يجب أن يكون ذا وَقْعٍ أفعلَ فى النَّفسِ(٣)– بحيث إن مؤلفَ الكلامِ؛ إن لم تَهِجْ نفسُه، وكان مطمئنًا، ولم يكنْ غافلًا؛ لَأدَّى فكرًا لا يُمازجه شيءٌ من الغضبِ، ولقال: إنَّا نجدُ للقومِ أميرين؛ فنخافُ فنخافُ أن نَهْلِكَ، أو مثل ذلك.(٤)

ويربطُ ابنُ جنى بين انتخابِ مؤلفِ الكلامِ– من ذلك ما بدا من تراكيب المخالفة النحوية– وأبوابِ الشجاعةِ فى اللغةِ العربيةِ، نحو: هجوم الحركات، ومطلها، وتساوق الألفاظ والمعانى، وقوة اللفظ لقوة المعنى؛ والحذف، وغير ذلك مما ذكره ابن جنى فى خصائصه؛ حيث إن الهيئة التركيبية المنتخبة، أو المنتقاة، أو المصنوعة، أو الموضوعة للتدريب، أو الافتراضية، وإن دلَّت– من وجْهٍ– على جوْرِ المؤلفِ، وتعسُّفِه، واعتسافِه، وجسأةِ(٥) فعله الكلامى؛ فإنها مؤذنةٌ بمعرفته وعمقِ دربتِه؛ وهى ليست بالدليلِ القاطعِ على ضعفِ لغتِه؛ ولا قصورِه عن اختيارِه الوجهَ الناطقَ بفصاحتِه، بل مشهودٌ له بالشجاعة، وفيضِ المنَّة، وأنه يقصدُ ما اقتحمه قصدًا.(٦) بحيث إنه يُمكننا القول :إن هذه التراكيب لم يتحقق فيها النظام النحوى المثالى فحسب.(٧)

وتنبغى الإشارةُ إلى أنه؛ من استقراءِ الشواهد اللغوية استقراءً ناقصًا يتحقق عدمُ المطابقةِ بين مصطلح المخالفة– فى معناها العام– والمعنى الذى اُستخدمت للدلالة عليه، إذ لا يسْلَمُ الأمرُ من الخَلْطِ، الذى يؤدّى إلى الالتباس أو الغموضِ السلبيّ(٨) ومهما يكنْ من أمرٍ؛ فإنه تتحققُ المخالفةُ، حين يتعسَّر المتلقى فى تفسير الهيئة التركيبية، من خلال معيارية الأثر الإعرابى؛ وفق المعانى التى يعرضُها الفكرُ أو النفسُ، وتبرزُ هذه الحالةُ – بصورة أشدِّ وضوحًا– فى مقارنةِ المتلقى بين هيئةِ التصورِ فى النفس، والصورةِ الشكليةِ للهيئةِ الأسلسِ، التى قرَّت فى ذهنه، تبعًا القواعد النحوية؛ ليس بحسب المعانى المقصودة فى الفكر أو النفس.(٩) فإن المتكلم إذا ما نطق صورةً لغويةً، يصفُها القياسُ– فى ضوءِ الاستعمالِ– بالخطأ؛ فإنه يصبحُ غيرَ قادرٍ على تصويبِ المنطوقِ، إذا ما تأثر بعاملِ انفعالٍ قويّ(١٠) ولعل هذا ما قصده الأستاذ الدكتور: سليمان عباس عبد– وهو ينقل كلام دى سوسير – من أن كتلةَ الدال، التى تعبر عنها الهيئةُ التركيبيةُ؛ هى الصورةُ السمعيةُ أو البصريةُ للقصد، وأن المدلول هو التصور؛ أو المفهوم أو الفكرة؛ وأن العلامة التى تربط بينهما هى علاقةٌ نفسيةٌ، وأن المعنى هو هذه العلاقةُ النفسيةُ التى تربط بينهما.(١١)

إذ لابد لكلّ فعلٍ كلاميّ– فى هيئته المعدولِ إليها– من بُعد رمزى، ونفسى؛ قد يؤدّى– حال التبادل، أو الشكل، أو الهيئة– إلى وجودِ سوءٍ فى عمليةِ الفهمِ أو الإفهامِ بين الطرفين؛ خاصة حين يستخدمُ مستعملو النص هيئاتٍ متعددةَ المعانى، فى ضوءِ الأثر الإعرابى المدون فى آخر مورفيماتها؛ هنا لا تستطيعُ الهيئةُ الشكليةُ حجبَ بعضِ المعانى، أو تقليصَ الفيوضاتِ والتأويلاتِ الدلاليةِ المحتملةِ، ولا يُمكنُ جعْلُ الغموضِ فنيًّا، فى هذه اللحظة؛ تتحقق المخالفة الشكلية والدلالية.

---

(١) انظر: الخصائص، جـ٣: ١٧١

(٢) انظر: التطور النحوى للغة العربية:١٢٨

(٣) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى– عربى(أدبيات): ٢٧

(٤) انظر: التطور النحوى للغة العربية: ١٢٨

(٥) تُشير كلمة جسأة إلى الصلابة، والخشونة، والغلظة، واليبس. انظر: لسان العرب، جـ١: ٦٢٢، مادة: (جـ س، ، أ).

(٦) انظر: الخصائص، جـ٣: ٢٦٧– ٢٦٨

(٧) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ١٧٣

(٨) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى– عربى(أدبيات): ١١

(٩) انظر: مخالفة الترتيب وأثره فى العلاقات النحوية:١٩٢٧

(١٠) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، جـ١ : ٧٦

(١١) انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٦

ويترتَّب على مخالفة القياس النحوى كَسْرُ القيمة الدلالية للحركة الإعرابية، التى يتوقف عليها– فى ضوء نظرية العوامل النحوية، والتى أطلق عليها بعض علماء اللغة: نظرية التحكم المكونى والعمل(١)– فهمُ الدلالةِ، من دون منازعة فى ذلك، وتُلقى العلاقةُ النحويةُ بين عناصر الهيئة التركيبية– الكتلة الكلية– المكونة من عناصر تتضافر فى التعبير عن المخزون الفكرى، أو أبعاد الاثفعال النفسى(٢)– ويَزِل– عنها– الاتِّصافُ بالمطابقةِ النحويةDenotation، وينتج عن ذلك تغيُّرٌ فى الأثر الإعرابى؛ بحيث تَنتهكُ دلالاتُ دلالاتُ الهيئةِ التركيبيةِ– وما يعلوها من الحركةِ، أو العلامةِ الإعرابيةِ– قائمةَ المتوقعِ فى ذهنِ المتلقى، فيصدمُه المرفوعُ، مع توقُّعِهِ المنصوبَ والعكس، وغير ذلك من القضايا اللغوية والذهنية العنيفة، التى تتصل بحركات الإعراب وأقلبه.(٣) والكلام السالف الذكر يعلِّلُ لسهولةِ إدراكِ دلالاتِ الأصواتِ والوحداتِ الصرفيَّةِ والهيئاتِ التركيبيةِ؛ باعتمادِ السياقاتِ الكلاميةِ التداوليةِ من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أُخرى؛ يعلِّلُ لتعسُّرِ الإنسانِ فى إدراكِ الدلالةِ الكليةِ للهيئاتِ التركيبيةِ– باعتماد الشكل، واستقلاليةِ دلالةِ كلِّ كلمةٍ، بأثرها الإعرابى، على معانيها المستعملة– وما تحمله من معانٍ مركزيةٍ، وأخرى هامشيةٍ؛ قبل قيامِه بإجراءِ عملياتِ التحليلِ، والتعليلِ، والتفسيرِ لجميع عناصرها أولًا، ثم دلالة عناصرها فى صورتها الكلية، ثانيًا.(٤) لاسيما حين تصطدمُ ذهنيةُ المتلقى بنصٍّ أو بعناصر إبلاغيةٍ، تُجاوزُ المألوفَ فى أفق الانتظار لديه، أو تكسرُ توقعاتِه، فى ما يخصُّ البُعْدَيْنِ، الدلالى الدلالى والتداولى.

يتحقق هذا الأمرُ برياعيةٍ تداولية، هى: الإدراك، والتوحُّد مع سياق عامل الاثفعال، وتخيُّل المعنى المُراد، والاستدعاءِ للمخزون الدلالى والتداولى لما فى الذاكرة، وما لديه من المعانى الذاتية، والمنقولة، والاجتماعية، لاسيما أن تشكيلَ بناءِ كلِّ عنصرٍ من عناصر الهيئة التركيبية من الأصوات يسبق وضع الأثر الإعرابى من الصوائت، إذ إن تشكيل البناء مُقَدَّمٌ انفعالًا، ووجودًا، وخروجًا، وهو سابقٌ لوجود موروفيم الإعراب، الذى يُوضع فى نهاية القالب الصرفى، بوصفه من الشواغل النحوية، وهذا الأمر يرمم الفراغات النحوية، أو يُعالج الخلل، فى ما يتصلُ بالأثر الإعرابى، بوصفه افتراضًا مسبقًا بين المؤلف والمتلقى؛ إذ إنه بمجرد أن يستدعى المتلقى المعانى العميقة، فإن عناصر الهيئة السطحية والشكلية لن تعودَ ضروريةً؛ فيتوقفُ إدراكُ المعانى على عملياتٍ نفسيةٍ وداخليةٍ، ذاتِ دلالاتٍ تقريبيةٍ، فى المقام الأول؛ وهذا يُشترط فيه: أن يكون عاملُ الاثفعالِ فعلًا كلاميًّا مشتركًا، ويشكِّلُ لغةً واحدةً مُفْهِمَةً، بين شركاءِ موقفِ الاتصالِ، ويصبحُ تركيبُ الاثفعالِ– فى جملته الكلية– أداةً للاتصالِ، بغض الطرف – نسبيًّا– عن علاقةِ الدلالةِ بالأثر الإعرابى، بحيث يكونُ إيحاءُ تركيبِ الاثفعالِ دلاليًّا؛ أكثرَ من كونِه إيحاءً نحويًّا.(٥)

معنى هذا أن كسْر تداولية الحركةِ الإعرابيةِ بين المؤلف ومتلقيه؛ يبدو– فى جوهره– إلقاءً لكثيرٍ ممَّا قرَّ فى المعايير القياسية؛ من ضرورة انضباط الحركة، حتى تنضبطَ دلالةُ الهيئةِ التركيبيةِ برمَّتها؛ وحتى يُوصف الكلامُ بالصحةِ النحويةِ، والسلامةِ الدلاليةِ، فى غالب الأمر، ومع الحديث عن كسر العلامة الإعرابية وفشل الأثر الإعرابى، ينبغى أن يُنظر إلى الأثر الإعرابى بوصفه من زوايا الإبلاغ الشكلية(٦) لا من زوايا دلالةِ التركيبِ المضمنةِ، فيكونُ مفتاحَ الدلالةِ، لكنه ليس الضابطَ الوحيدَ لها.(٧)

يتَّصلُ بتسلُّطِ الحركةِ الإعرابيةِ إسهامُها فى الكشف عن المعنى المركزى، والهامشى، والفضلة من بين عناصرِ الهيئة التركيبية الحاملة للمعنى، والمعبِّرة عنه؛ ممَّا قد يكون سببًا فى الاضطرابِ الدلالى، واستشكالِه؛ وازديادِ تعقُّده؛ أو مؤشرًا للخلخلة الدلالية؛ خاصة فى وصْف الحركة الإعرابية بالدَّال المراوغ؛ فإذا تطرَّق الأمرُ إلى إحداثِ خللٍ فى ترتيب الهيئة التركيبية– بسبب معيارية الحركة الإعرابية– تحوَّل العنصرُ المركزىُّ إلى هامشىٍّ، وأحيانًا إلى كوْنِه فَضْلَةً كَلَامِيَّةً، والعكس.(٨)

و(المخالفة) التى يقصدها البحثُ: تتمثل فى انتهاكِ الحركةِ– أو العلامة– الإعرابيةِ المشكِّلة لدلالةِ الهيئةِ التركيبيةِ لقوانين النحو المعيارى وقواعدِه، وفشلِها فى إحداثِ الترابطِ بين الشكلِ والدلالةِ؛ والتى أدرجها ابن قتيبة ضمن أبواب المقلوب(٩) فى ضوء الأبعاد التداولية للأثر الإعرابى، من مستوى الحركاتِ، أو العلاماتِ؛ مما يتسببُ فى اضطرابِ الدلالةِ الدلالةِ الكليةِ، وإربِاكِ التواصلِ التداوليِّ، ومن ثَمَّ فشلِه، وانعدامِه؛ فيحدُّ من قدرةِ المتلقى على تحصيلِ اللذةِ والمتعةِ، وفى امتلاكِ قدراتِ التفاعلِ والمتابعةِ؛ ممَّا يؤدى إلى الانهيار

---

(١) انظر: نظرية النحو الكُلِّيِّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية):٦٦–٦٧

(٢)انظر: النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق:٥

(٣) انظر: مخالفة الترتيب وأثره فى العلاقات النحوية: ١٩٣٧

(٤) انظر: علم اللغة النفسى: ٢٣٣

(٥) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ١١٨ ، ١٣٩

(٦) ونظير ذلك: قول إبراهيم بن الأسود النخعى(ت ٩٥هـ): قلت لعبد الله: إنك واحدٌ ومثلك –فى هذا الأنام– كثيرُ.
انظر: مجالس ثعلب، القسم الأول، الجزء الأول: ٤١

(٧) انظر: المثال المخالف للقاعدة فى كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح للجرجانى: دراسة وتحليل:١٧٩

(٨) انظر: مخالفة الترتيب وأثره فى العلاقات النحوية:١٩٠٨

(٩) انظر: تأويل مشكل القرآن الكريم: ١٩٠–١٩٢

الدلالى للتراكيب؛ يرتبطُ بهذا الأمر انتهاكُ الموقفِ التداوليّ لمفهومِ العادةِ الكلاميةِ، فقد يتسببُ سياقِ عاملِ الانفعالِ فى مخالفةِ العادةِ التواصليةِ؛ وكل شيءٍ يُخالفُ العادةَ، يكونُ أكثرَ تأثيرًا– فى الفهم– من المألوف(١) ويُقدَّمُ غيرُ المألوفِ، أو الغريبُ؛ فى سياقٍ غيرِ متوقعٍ.(٢)

قد يروغ المؤلفُ– فى سبيل الاتصال الجاد مع متلقيه– إلى إحداثِ بعض التصرُّفات التشيطيَّةِ لمعاونة الفعل اللغوى المستبطن على الظهور، بأن يكون قصدُه من صورة الفعل الكلامى، إحداثَ متعةٍ نوعيةٍ للمتلقى؛ بما يتحقق معه إغماضُ المعنى، واستفزازُ حواسِ المتلقى، وإيقاظُ ذهنيته، من نحو: تبسيطِ تجمعاتِ الصوامتِ، أو إسقاط الصوامت الأخيرة، أو حذف المقطع الضعيف، أو المخالفة فى الأثر الإعرابى.(٣) فى هذه البيئة يقع القياس النحوى تحت ضغط عامل الانفعال؛ فيُعدُ انحرافُ المؤلفِ نحو هذه التراكيب التراكيب الانفعالية ضربًا من ضروب الإبداع التداولى(٤) الذى يقوم على انتقاءات الذوات المتواصلة، فى مواجهة الفيوض المحتملة وسيطرةِ التفسيراتِ الاجتماعيةِ؛ ليُحقق مفارقةً تداوليةً؛ قد تصل حدَّ مجاوزةِ الأعرافِ اللغويةِ الضابطةِ إلى عوارضَ تعبيريةٍ مقصودةٍ وموظفةٍ للتعبيرِ عن سياقٍ انفعاليّ(٥) بحيث يحققُ المؤلفُ– من خلال المغايرة، والمفارقة، والمفارقة، والغرابة فى الأثر الإعرابى– مثيرًا انفعاليًّا، فتصبحُ تلك التراكيبُ لغةً ذاتيةً، يشكِّل المؤلفُ والمتلقى معًا لها بيئةً، تُعين كليهما فى عمليتىْ الإلقاءِ والتفسيرِ، ويغدو الانفعال مسيطرًا على كلتا البنيتين السطحية والعميقة(٦) وتتساوى فى التأثير مختلفُ أنماطِ الانفعال، ما بين القلقِ، والتوترِ، والطمأنينةِ، والتوادِ، والتعاطُفِ. والأمانِ، ما يُهمُّ – فى هذا الموضع– أن يُقالَ: إن فى تغييرِ الحركةِ الإعرابيةِ على مورفيمِ الإعرابِ فى عناصر الهيئة التركيبية نوعًا من المرونةِ فى التزامِ المؤلفِ للمعياريةِ النحويةِ؛ وتعدُّه التداوليةُ الحديثةُ ضربًا من العدولِ، أو الانزياحِ المقصود – من ورائه– إيصالُ معنى انفعاليّ نفسيّ.

ما قيل آنفًا انطلاقًا من القولِ: إن كلَّ رسالةٍ تحملها العناصرُ اللغويةُ " تظل محصورةً لنزعةٍ نفسانيةٍ، حتى؛ وإن لبست لبوسَ حوارٍ بين الذاتياتِ المتفاعلةِ؛ وليس التأويلُ سوى نقلٍ لهذه الآليةِ الحواريةِ بين الذواتِ من ساحةِ المتكلمِ إلى الكاتبِ، فى حالة النصوصِ المكتوبةِ، فيقعُ على سياقِ الانفعالِ العبءُ الأكبرُ فى تقليصِ سوءِ الفهمِ حولَ المحتوى الخبريّ، وينجحُ – جزئيًّا– فى التغلبِ على مصاعبِ نقلِ القصدِ المُضَمَّنِ".(٧) بل يكونُ مُحفِّزًا لذهنِ المتلقى على استيحاء الدلالة المركزية من ألفاظِ الهيئةِ التركيبيةِ والسياقين؛ التواصلى، التواصلى، والانفعالى.

وقد ذكر عبدُ القاهر الجُرْجَانِىُّ(ت٤٧١هـ) هذا الضابطَ، فى: تحقيق القول فى الفصاحة والبلاغة، فأشار إلى أن توخِّى الألفاظِ الترتيبَ والهيئةَ بحسبِ توخِّى المعانى، وإعمالِ الفكرِ؛ وبحسبِ ترتيبِ المعانى، وأن العلمَ بمواقعِ المعانى فى النفسِ علمٌ بمواقعِ الألفاظِ الدالةِ عليها فى النطقِ، وألمح إلى أن الألفاظ؛ إذا خلت من الانفعالاتِ والمعانى صارت غُفْلًا غيرَ دالةٍ، والقسمُ – هنا– أن تتجردَ الألفاظُ أصواتًا وأصداءً لما وقع فى ضميرٍ، أوهَجَسَ فى خاطرٍ.(٨) هنا،" وهناك وجهة نظر ترى أن النطوق الطبعية ليست صورًا خاطئة للجمل الموصوفة فى دواوين النحو؛ بل هى نوعٌ من النطوق مختلفةٌ عن الفصحى".(٩)

وقد يُضْعِفُ القولَ بوقوع المخالفات النحوية فى الهيئات التركيبية، استنادًا إلى الأثر الإعرابى، ورودُها فى سياقٍ تركيبيّ أطولَ، حيث إنه من الخصائص النفسية لأجهزة الإدراك اللغوية يتجسد فى تمييز القدر الأكبر من القوالبِ الصرفيةِ، والتراكيبِ النحويةِ، ومن ثم فهم الفعل الكلامى المضمَّن، المستبطن فى سلسلةٍ كلاميةٍ ممتدةٍ.(١٠)

ويُلِحُ تساؤلٌ، مفادُه، لِمَ يستشعرُ المتعرضُ للدرسِ النحويّ اضطرابَ تلك الآليةِ، وعدمِ انضباطِها فى الأخذِ بالتقعيد؟ إذ إن مَنْ خُطِّئُوا، ووُسِمَ فعلُهم الكلامىُّ بالغلطِ والتوهُّمِ،" هم من العربِ الفصحاءِ، ومن أبناءِ اللغةِ، وعنهم أُخِذَتْ، وبكلامِهم أُعْتُدَّ فى بناءِ القواعدِ؛ لا يرمون الكلامَ رَمْيًا على عِلَّاتِه، أو كَيْفَمَا جَاءَ واتَّفَقَ، فهم من عَصْرِ الاحتجاجِ، ويؤيدهم الاستعمالُ، وديناميةُ الاتِّصالِ، فلا يوجدُ ما يُسوِّغُ تغليبَ القياسِ على السماعِ والروايةِ".(١١)

---

(١) التطور النحوى للغة العربية: ١٣٣

(٢) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى– عربى(أدبيات): ٧٠

(٣) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ :٢٦

(٤) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى : ٥١

(٥) انظر: الانزياح التركيبى فى شعر محمد بن بشير الخارجى: ٤٨٠

(٦) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ :١٧٥

(٧) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ١٥–٤٥

(٨) انظر: دلائل الإعجاز: ٥٤– ٥٦

(٩) علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)،جـ١: ١٧٩

(١٠) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ :٢٣

(١١) انظر : مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل :٩٧

والمخالفة النحوية المعتبرة، هى: أن يأتى ضبطُ آخرِ الكلمةِ على خلافِ القواعدِ النحويةِ المستنبطةِ من تتبعِ النحاةِ لموادِ لغةِ العربِ([1]) وهذا يؤيّد الباحثُ ما ذهب إليه الدكتور أحمد أحمد علوان من أن" مخالفةَ الأصلِ لا تعنى الشذوذَ، ولا تقصدُ خلافَ الثوابتِ التى استقر عليها النحاةُ؛ بل إن المخالفةَ –فى أغلبِ الأحيانِ– تكونُ وَجْهًا جائزًا فى اللغةِ".([2]) فى هذا الصددِ، يؤكّد الباحثُ وجودَ علاقةٍ وثيقةٍ بين الحالةِ الانفعاليةِ والأثرِ الإعرابىّ الموضوعِ على عناصرِ الهيئةِ التركيبيةِ للمؤلفِ من جهةٍ، وبينها– أى: الحالة الانفعالية للمتكلم– وبين المخالفةِ النحويةِ من جهةٍ أخرى، كما يؤكّدُ وجودَ دلالاتٍ انفعاليةٍ للأثرِ الإعرابىّ، كلٍّ على حِدَةٍ، من الضمةِ، أو الفتحةِ، أو الكسرةِ، أو السكونِ، أو على مستوى العلامات الفرعية، ما بين الألفِ، والواوِ، والياءِ؛ فلكلّ تَحَوُّلٍ إلى إحداها دلالاتٌ انفعاليةٌ نوعيةٌ ومقصودةٌ؛ أو ما يتصل بالانزياح عن الأصل فى الترتيب للفعل الكلامى، وأن تلك الانفعالاتِ الداخليةَ للمؤلف تَظهر فى حديثه بصورةٍ عامةٍ، وفى تراكيبِهِ المستقلةِ بصورةٍ خاصةٍ، ويُمكن إدراكُ دورِ عاملِ الانفعالِ– فى التراكيبِ النحويةِ– بعقدِ مطابقةٍ بين الصورةِ الأصليةِ المعياريةِ للتركيبِ، أمام صورتِه الانفعاليةِ على مستويىْ الشكلِ وتمامِ الدلالةِ. بقى للباحث أن يُدلل على ما ألزم به نفسه، من إثبات وجود أثر حاسم لعامل الانفعال على فهم التراكيب، فى ضوء مغايرة الأثر الإعرابى، لما تقتضيه نظرية العوامل النحوية، ومن ثمّ لزمه الانتقالُ من التنظير إلى التطبيق، بتحليل نماذج من التراكيب التى بدت مخالفة للقياس النحوى، وذلك على النحو الآتى:

([1]) انظر: علل مخالفة الأصل فى الإعراب: ٢٢

([2]) علل مخالفة الأصل فى الإعراب: ٢

المبحث الثالث: صور من الاستعمالات المخالفة للقياس النحوي في الأسماء:

يقوم المعنى الحقيقي – أوالقصد المركزي– للمؤلف بعلاقةٍ مشتركةٍ ومتداخلةٍ بين الشَّكْلِ الإعرابيّ والبنيةِ اللغوية المُشَكِّلَةِ لهيئة التركيبِ– الصورة التركيبية– ويكون وضعُ الأثرِ الإعرابيّ من جانب المؤلف لمبرراتٍ شكليةٍ، لكنها تحمل قصدية مضمنة تعتمد على المرواغات الكلامة في ضوء الافتراضات المسبقة، وآليات الحجاج الإقناعي، ومعَ ذلك يبقى المعنى الأساسُ كما هو، مشكِّلًا شفرةً تبليغيةً بين مرسل ومستقبل؛ اعتمادًا على أن القوالبَ النحوية– داخل التركيب– تصلح لأن تحملَ المعنى، وأن النظام الإعرابي لم يكنْ مصاحبًا لنشأة اللغة التواصلية في طفولتها الأولى؛ فالشكل قد يتغيرُ، لكن النسبة بين صورة العناصر اللغوية الضابطة للدلالة الكلية تبقى كما هي، لاسيما في تداولية تفاعلية، بدليل أن ما يُرفع قد يُنصب، وأن الرفع أو النصب، أو الجر لمبررات شكلية، تزول بزوالها.(١) هذا الأمر هو ما قرَّت عليه الحياةُ الذهنيةُ في العمليات التواصلية، اعتمادًا على أن الوحداتِ النحويةَ تحملُ معنى في هيئتها، وموقعيتها في ضوء الشواغل، إلَّا أنَّ الآثارَ الإعرابيةَ لم يكنْ ليُعَوَّلَ عليها– بمفردها– في التعبير عن المعاني المتباينة.

ما يعنينا – في هذا الموضع– هو التأكيدُ أن الحركةَ الإعرابيةَ تُسهم– لا شك– في نظْمِ الهيئةِ التركيبيةِ للأفعالِ الكلاميةِ وترتيبِ عناصرها، كما أنها قد تُسهم في تبدُّلِ الدلالةِ، بل في ضياعِها، من إدراكِ المتلقي للعلاقةِ الذهنيةِ بين الوحداتِ النحويةِ، وطريقةِ رصفِها، وما وَضَعَه المؤلفُ من آثارٍ إعرابيةٍ، لذا جعل ابن جني(ت٣٩٢هـ) بعضَ صورِ المخالفةِ النحويةِ ضربًا من الضرورةِ، ذكر في: بابٌ في: هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو لا؟ أن ذلك ضربٌ من القياسِ على كلامِ العربِ، في ما يتَّصل بالشِّعرِ أو النثرِ، وعدَّ مخالفاتِهم نوعًا منَ عدمِ التَّرسُّلِ؛ إذ إنَّ العربَ لا يَتَأَنَّونَ، ولا يتَلَوَّمُونَ على حَوْكِهِ وعَمَلِهِ، وإنما كان أكثرُهُ ارتجالًا... فضرورتُهم– إذًا– أقوى من ضرورةِ المحدثين... بيد أننا نرى ابنَ جِنِّي مُلَمِّحًا إلى أن بعضَ التراكيبِ– التي قد تبدو مخالفةً للأقيسةِ والقواعدِ(٢)– قد جاءتْ في السَّعَةِ، من غيرِ ضرورةٍ، ولَا اضْطِرَارٍ.(٣) ويتضمَّن هذا المبحث المطالب التالية:

المطلب الأول: التحوُّل من الضمة إلى الكسرة:

- مثال رقم (١) قول العرب: (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ)؛ بجرِّ الباءِ، من قوله: خربٍ، والأصلُ فيها الرفعُ، لكونِ الخربِ نعتًا للجُحْرِ لا للضَّبِّ، ويُفهم من كلامِ سيبويه أنه لم يُنكرْ الجرَّ على الجِوَارِ؛ ولم يحكمْ على شواهدِه بالشذوذِ أو الغلطِ؛ ولكنَّ بعضَ العربِ يجرُّون (خرب) في المثال السابق، وهو ليس بالنعت للضبِّ، ولكنه نعتٌ لما أُضيف إلى الضبِّ، فجرُّوه؛ لأنه نكرةٌ، كالضَّبِّ؛ ولأنه قد شغل موقعًا، يقعُ فيه نَعْتُ الضَّبِّ.(٤)

إنَّ مَنْ يتأمَّلْ كلامَ ابن جني – حول هذا المثالِ– يُلْفِهِ مُنتصرًا للروايةِ اللغويةِ المسموعة، فهو لا يحملُ مثلَ هذه الأمثلةِ على الغلطِ، وكأنه يُدركُ أن الضمةَ لا تؤدِّي الدورَ الأهمَ في بناء المشهد الانفعالي للمؤلف؛ ويُسْتَشَفُ منه ميلُه إلى التأويلِ، رغم ما في التأويلِ من ضعف عند بعض العلماء، بل يعلِّل لمجيء المثال على هذا النحو، ويراه سائغًا سلسًا، شائعًا مقبولًا؛ وبكونه واردًا في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن الكريم، مع إقراره بكون (خرب) نعتًا للجحر لا للضبِّ، فيحمله على تأويل: هَذَا جُحْرٌ ضَبٍّ خَرْبٍ جُحْرُهُ.(٥) وفي رواية التنوين بالكسر، عدولٌ عن الأصلِ الموضوعِ له؛ واستغناءٌ عن حركةِ الإعرابِ المعياريةِ، وطرح لها، وتحوُّل من التنوينِ بالضمِّ إلى التنوينِ بالكسرِ؛ وقد يكونُ السببُ في ذلك؛ أن الكسرةَ تقعُ في منطقةٍ وُسْطَى بين الفتحةِ والضمةِ، وتدلُّ على الرقةِ، واللينِ، والضعفِ، والانكسار، في غالبِ الأمرِ، وتحملُ دلالاتٍ من نوعِ الإتباعِ، والتخلصِ من التقاءِ الساكنين، والدلالةِ الإشاريةِ.(٦) فقد يكون جر الباء من (خَرِبٍ) ضربًا من ضروب الإعراب المشوَّش– في مرحلة من مراحل التطور اللغوي– عند القياسيين، أو بابًا من أبوابِ الغلطِ، المُراد به التَّوَهُّمُ من العربِ(٧) أو حالةً من حالاتِ الإتباعِ النحوي، المُنْحَرِفِ عن القواعدِ النحويةِ القياسيةِ، والمتحقق بغزوِ الحركةِ الإعرابيةِ الأقوى محلَ الحركةِ الأضعفِ، وهو– في ظاهره– طلبٌ للتناسبِ والمجانسةِ؛ وآليةٌ قد تكون مألوفةً في الاستعمال، عند بعض العرب، وفي مرحلة من مراحل اللغة، التي جعلت من الإعراب بالحركات بابًا من

---

(١) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية : ٣٢٦

(٢) من ذلك: قولُهم: لَحَتْ عينُه: التصقت، والصوابُ: لَحَتْ عينُه؛ بحاء واحدة. انظر: الخصائص، جـ١: ٢٧٩–٢٨٠

(٣) انظر: الخصائص، جـ١: ٢٨٠

(٤) ومثله: قولُ العربِ: كَانَ وَاللهِ مِنَ العربِ المعروفِ لَهُ ذلك، بجر الفاء من المعروفِ، من باب الجر الجواري. انظر: الكتاب، جـ٣: ٤٣٦– ٤٣٧، وانظر: الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م،جـ١: ١٧٧، وانظر: شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جـ٣: ١٦٩

(٥) انظر: الخصائص، جـ١: ١٧٢–١٧٣

(٦) انظر: الدلالة المعنوية للحركات العربية : ٢٥٠

(٧) انظر: الحمل على الجوار في القرآن الكريم، د: عبد الفتاح أحمد الحموز، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٥خ/١٩٨٥م: ٢٥

أبواب التَّزيينِ، والتَّأنُّقِ، وكأنه شيءٌ خارج عن النظام اللغوى، فإذا أُلغى هذا الإعرابُ لم يتأثّر بيانُ المعنى؛ لأن كشْفَ المعنى كان معتمدًا على قرائن عديدة.([1]) هذا الرأى من الوجهة القياسية المجردة، أو تكون كسرة الباء قد ألجأتْ ذهنيةَ المتلقى للتمحور حولَ الجانبِ المُدهشِ العجيبِ من مشهدِ تَهَدُّمِ الجُحْرِ.([2])

وينكر عبد القاهر الجُرْجَانى أن العربَ؛ إذا أرادت تقويةَ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ لجأت إلى نَقْلِ الْكَسْرَةِ فى حدِّ ذاتها، مع نَقْلِ انكسارِ ما قبلَها، لتحققَ نوعًا من التوافُقِ الحَرَكِى؛ والتناسُب مع المعنى، وأن هذا التصرفَ اللغوىَّ حَسَّنَ– فى حِسِّهم اللُّغَوِيِّ– تَرْكَ الاعتدادِ باللَّبْسِ؛ وأنهم كثيرًا ما يَعْدِلُونَ عن إزالةِ الالتباسِ؛ إذا أدّى إلى التزامِ ما يُسْتَكْرَهُ.([3]) انطلاقًا من أن المعنى الكلّى يُستنبط من الإدراكِ، وسياقات المشافهةِ. يدل على هذا الرأى أنه يعد من أهم القرائن المعنوية قرينةُ تمامِ الدلالة([4]) التى تمثَّلت فى عدم وجود فوارق دلالية من زاوية المعنى فى حالة الجر عنها فى حالة الرفع، فقد برزت الدلالة ذاتُها مع غيابِ عاملِ القياسِ، فى ما يختصُّ بالأثرِ الإعرابى، "فإذا كان ديدنُ العربِ، فى بلوغِ الغايةِ، والقصدُ المرادُ فى التعبير؛ يتحققُ فى تمامِ الدلالةِ فى ذهنية المتلقى، من عناصر الهيئة التركيبية؛ فإن مسألة العمل النحوى، وعوامل الرفع، والنصب، والجر لم تكنْ فى أذهانِهم البتة، وهم يُنتجون اللغة".([5]) يقوى هذا الكلامَ احتفاءُ العربِ بالمعنى، بعيدًا عن قصر أمر الدلالة فى الأطر الشكلية.

فقد عدل المؤلف– فى المثال السابق– من الرفع لكلمة: خرب– لثقل الضمة– إلى جرها؛ خوفًا من الاثقال من الكسر، فى قوله: ضبٍّ، إلى الضم فى قوله: خربٌ، برفع الباء على القياس، حتى أن سيبويه يؤكد أنهم يستخفون، "فيحذفون التنوين والنون؛ ولا يتغير من المعنى شيءٌ، و ينجرُّ المفعولُ لكفِّ التنوين من الاسم، فصار عمله فيه الجرَّ، ودخل فى الاسم مُعاقبًا للتنوين، فجرى مجرى غلام عبد الله فى اللفظ.([6]) فى إشارة منه إلى أن العربى– إذا رام معنى من المعانى– نطق سليقةً، وعدل عن الالتزام بالقاعدة النحوية، وهذا " العدول قد لا يؤثّر على المعنى؛ لأنه لو كان مخالفًا للمعنى لكان ذلك سببًا فى حصول اللبس، الذى يحذَرُ العربىُّ الوقوع فيه".([7]) وقد نقل سيبويه كلام شيخه الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ) من أن جر الباء من (خرب) من باب الحمل على الموضع؛ لا على الاسم الذى قبله، مُشيرًا إلى أن الضابط الدلالى هو تمام المعنى، فيقول:" فكيف ما يصحُّ معناه".([8]) فيكون الجر من باب إتباع اللفظ لا إتباع المعنى. ([9]) وتكون كسرة الباء من (خربٍ) ليست بحركة بناء، ولا حركةَ إعرابٍ؛ فلا تخضع لمفردات نظرية العامل النحوى؛ إنما هى كسرة عارضةٌ ومُجْتَلَبَةٌ؛ تحمل انفعال نفسى، وهو رغبة المؤلف فى إطراب نفس متلقيه، من خلال إيقاع المجانسة، والتناسب بين عناصر التركيب، لذا لا تخضع لسطوة العوامل النحوية([10])، إذ الإثيانُ بها يجسّدُ استحسانَ المؤلفِ إيقاعَ الألفاظِ، وتناسبَها، وجرسَها، من دون تأثيرٍ فى المعنى؛ ويدل على عدم كوْن الكسرة حركة إعراب، فقدانُها أمرين، أحدُهما: تمثَّل فى الفشل الدلالى حال اعتمادها، وهذا الفشل يُضارع الإعدامَ الدلالى للتراكيب النحوية([11]) والآخر: فقدانُها العاملَ المسوّغَ لها، وهى ليست بحركةِ بناءٍ؛ لأنها غيرُ ملازمةٍ للاسم.([12])

([1]) مطالعات فى اللغة والأدب: ٨–٩

([2]) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا :١١١

([3]) انظر: المقتصد فى شرح التكملة : ٢٢٨

([4]) ومثله قول الشاعر منفعلًا بتعظيم البيعة، من المتقارب:

أَطُوفُ بِهَا لَا أَرَى غَيْرَهَا	كَمَا طَافَ بِالْبَيْعَةِ الرَّاهِبِ.

بكسر الباء من الراهب وهى تشغل موقع الفاعل المرفوع. ومثل قول الشاعر:

يَا مَعْشَرَ الْعُرَّابِ إِنْ حَلَّ شِرْبُكُمْ	فَلَا تَشْرَبُوا مَا حَجَّ للهِ رَاكِبِ.

بجر الباء من راكب، ومحلها الرفعُ على الفاعلية.

([5]) انظر : مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل: ٩٧

([6]) الكتاب، جـ١: ١٦٥– ١٦٦

([7]) انظر : مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل: ١١٠

([8]) الكتاب، جـ١: ١٦٦

([9]) انظر: الحمل على الجوار فى القرآن الكريم : ٢٩

([10]) انظر: ظاهرة المجاورة فى الدراسات النحوية ومواقعها فى القرآن الكريم: ٨

([11]) انظر: الفضاءات السردية البينية وإعادة تأسيس حدّ المجاز، د: أيمن إبراهيم تعيلب، أبحاث المؤتمر الدولى الرابع للسرديات(السرد والشعر) ٣–٥ مايو (٢٠١١م)،الجمعية المصرية للدراسات السردية، مؤسسة جائزة عبد العزيز للإبداع الشعرى، الكويت: ٦٨

([12]) انظر: القضايا اللغوية فى سورة الفاتحة، دراسة وصفية تحليلية، إعداد: سليمان محمد سليمان الملاحة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر– غزة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م: ٢٠٧، وانظر: تجاور الأساليب النحوية فى ديوان الملك الأمجد بهرام شاه الأيوبى، دراسة دلالية، ريهام حسن عمرو عطا الله مجلة كلية الآداب، بقنا، العدد (٥٨)، يناير(٢٠٢٣م):١٢٤

وقد دفع إلى ذلك؛ تلك الرواية الشكلية، بجر الباء من (خربٍ)، على الرغم من كون المعنى غيرَ مستقيمٍ باعتمادها، من الزاوية القياسية، وأن الدلالةَ متحققةٌ، والمعنى المقصود متحصَّلٌ؛ بغضّ الطرفِ عن معيارية الأثر الإعرابى من عدمها، التى تعبّر عنها الحركة الإعرابية، إذ من غير المعقول أن يستوى الجحر والضب فى الخراب، وهذا الأمر أكّده سيبويه، وحمله على أنه مما جاء نعتًا على غير وجه الكلام، مقرًّا بكونه من كلامِ بعضِ العربِ، يقول: " وقال الخليل– رحمه الله: لا يقولون إلَّا: هذان جُحرا ضبٍّ خربان، من قبل أن الضب واحد، والجحر جحران، وإنما يغلطون إذا كان الآخر بعدة الأوّل، وكان مذكرًا مثله أومؤنثًا؛ وقالوا: هذه جِحْرَةُ ضِبَابٍ خَرِبَةٌ؛ لأن الضباب مؤنثة، ولأن الجِحْرَةَ مؤنثةٌ، والعدةَ واحدٌ، فغلطوا، إذا قال: هذا جحر ضبٍّ متهدّمٍ، ففيه من البيان أنه ليس بالضب، مثل ما فى التثنية من البيان أنه ليس بالضب.(١) وقد أجاز ابن مالك(ت ٦٧٢هـ) ٦٧٢هـ) رواية الكسر من (خربٍ)، إذا أُمِنَ فيه اللَّبْسُ، فلا حاجة لعاملٍ من قرينةِ الإعرابِ(٢) ليشكلَ أمثلُ هذا المثالِ نوعًا من الانزياحِ الحركيّ المقصودِ، يكون العامل فى الأثر الإعرابى ليس عاملًا نحويًّا، إنما هو عاملُ الانفعالِ، فتتزاجع حركة الضمة، وتكون الحركات الموضوعة لفعاليةً بصورةٍ كليَّةٍ.

وإذا كان تنوين الباء مع الكسر يوحى بكون مصدر الانفعال – بمشهد الخراب لجحر الضب– يرجع إلى خارج الذات؛ فإن الضمة المعيارية، والدالة على الضيق تذهب إلى داخلها، وهو معنى مُتحصَّل من طبيعة النطق بالضمة، الذى تُطق بتأخير اللسان إلى الخلف، أو إلى الداخل، إذ تُشير الضمة إلى دعوة النفس إلى السكوت، وهى دليل على الإجهاد(٣) وهذا مخالف لمقصود المؤلف، بل العكس، إذ تتحقق قوة الانفعال والدلالة عليه من الباء مع التنوين بالكسر، وليس من الضمة الدالة على الضيق، لذا يرى الباحثُ أن الضمة تجافى هذا الموقع لما فيها من الضيق، والدلالة على السلبية.

وقد يكون فى تنوين الباء بالكسر، من (خربٍ) إشارةٌ إلى انفعالِ التعجبِ والإنكارِ، والضيقِ؛ من خرابِ جحْرِ الضَّبِّ؛ إذ من المعلوم أن جحر الضب عصىٌّ على الخراب والتهدم، فأراد المؤلف التعبير عن اندهاشه من هذا الأمر، من جهتين، إحداهما: تلك الكسرةُ التى تجذبُ الحرفَ إليها، بل تجذبُ دلالةَ الكلمةِ إليها، مع التنوين الدال على البروز الصوتى والقوة الدلالية؛ أو قد تكشف الدلالة الكلية للتراكيب والمخصصات الكلامية، والجهة الأخرى: تتمثل فى استثمار المؤلف لطاقة الجهر والانفجار بعد الانغلاق فى صوت الباء، المعبر عن اختزاله طاقةً دلاليةً على القوة، والدال على شدة تأثر المؤلف بانفعال الرؤية للمشهد، أراد التفاعل مع قوته، فى مقابلة الاقتراض المسبق بقوة جحر الضب، إيحاءً بقوة المشهد، وقوة الانفعال به. وقد اجتمع فى صوت الباء المكسور بالتنوين، فى كلمة: (خربٍ) دلالة كتم وضيق، ثم انفجار وقوة، لتحمل معنى انفعال المؤلف بشدة، وإصراره على إبراز قوة خجر الضب، فجاءت كلمة (خربٍ) مجرورة بالكسرة، وهو ما يعكس وقوع المؤلف تحت وطأة انفعال التعجب، ويرسم فى ذهن المتلقى صورة التهدم والانكسار، أو الضعف بعد قوة.(٤)

فحملت الكسرةُ عبءَ بناءِ المشهدِ بكاملِه، فى دلالتها على المبالغة فى الضيق، مقارنة بالرفع، وإبراز اجتهاد المؤلف، وانفعاله بقوة المشهد، وربطت بين انغلاقها وضعف إرادة المؤلف أمام تهدم الجحر، وعكست سمة الكسرة فى انكسار الشفة عند النطق بها، صورةَ التساقط والتكسر لعناصر الجحر.(٥) وقد أدّى دخول الكسرة باء(خرب) إلى التنبه إلى وجود رابط قوى، يجمع بين(ضبٍّ)، و(خربٍ)؛ بفضل هذه الكسرة، فربطت بين الباء فى(ضبٍّ)، والباء فى (خربٍ)، وكأن الكسرة وصلت بين البائين، لتحقق نوعًا من قوة الدلالة وتدفقها، من خلال قوة القيمة الدلالية لصوت الباء، وقدرته على تكرير الحدث واستمراره، ولما فى الربط بين البائين فى إضفاءِ مزيدٍ من التوتر الانفعالى وعدم الراحة، من خلال زيادة القلقلة الناتجة من الوقف على الباء، فوافق التهدمَ المادى للجحر تهدمٌ أخر للضب، حال تهدم جحره، فتحقق انكسار الضب لانكسار جحره وتهدمه، فجسَّد– بقوة مورفيمات الباءات، الموسومة بالجهر، والانفجار – دلالةً على قوةِ المشهدِ، مما أثار انفعالَ المؤلفِ بصورةٍ مبلغًا فيها، لاسيما وأن انفعال المؤلف لكون التهدم بسبب ليس من داخلِ الجحرِ، إنما بسبب خارجى، نتج ذلك من دلالة مخرج الباء الشفوى.

تلك الصورة التى أعانت المتلقى فى الكشف عن قصد المؤلف، حيثُ تركزت دلالتُها حولَ (الضب الخرب)؛ فى تجسيد مشهد التهدم، لتحمل دلالةً على التكسر والضعف وعدم الاستقرار، والاضطراب الشديد، وأشركت الضب فى المشهد، لتحقق إعلامية نصية مرتفعة للتركيب، بصدمة المتلقى، ومجاورة أفق انتظاره؛ إذ أشارت إلى دلالةٍ غيرِ متوقعةٍ، فتكسُّرُ الجحرُ قد لازمه انهزامُ الضبِّ، فتشاركا فى الخرابِ، والتهدُّمِ، والضعفِ، وقد كشفت الكسرةُ عن علةِ التهدُّمِ، إذ تدلُّ هى على الانكسار، والضعف.(٦)

- **الشاهد رقم: (٢) وهو : قوله:**

---

(١) انظر: الكتاب، جـ١: ٤٣٧

(٢) انظر: شرح التسهيل، جـ٣: ١٦٩

(٣) انظر: الصوت و الدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا:٧١

(٤) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان:٣٩٧٠

(٥) انظر: الصوت و الدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا :٨٤

(٦) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان:٣٩٤٨

كَنِبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنٍّ(١) بَارِدِ	إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَاذْهَبِي.(٢)

بجر الدال، من القالبِ النَّحْوِيِّ(بارِدِ)، على الرغم من استحقاقِه الرفعَ، إذ البرودةُ لا تلحقُ الشَّنَّ– فهو الوعاءُ، أو القربةُ التى يُوضَعُ فيها الماءُ– وتَلْحَقُ البرودةُ الماءَ، ليسوغَ للشُّرْبِ؛ وتستقيمَ الدلالةُ التركيبيةُ بذلك، وهو فى روايةِ الديوانِ: **(بارِدٌ؛ برفع الدال، وبارِدًا؛ بنصبها)** والعتيقُ: التمرُ، وكذبَ العتيقُ: عليك به، والعربُ تقولُ: كذبك التمر واللبن، أى: عليك بهما، والمعنى: عليك بالتمرِ والماءِ البارِدِ؛ ويقول عنترةُ لصاحبته: لاتتعرضى لشربِ اللَّبَنِ، وإن أُبيتِ إلَّا أن تشائى ذلك، فاذهبى، وإنما توعَّدَها الطلاقَ(٣) ويحمل كثير من العلماء البيت على أنه من باب الجر بالمجاورة؛ وقد رُوِى عن الفرَّاء(ت٢٠٧هـ) القولُ بأن الحمل على المجاورةِ مردودٌ(٤)، وذكر ابن هشام الأنصارى(ت٧٦١هـ): أن حقَّ(خربٍ)، و(بارِدٍ) الرفع؛ لأنهما صفتٌ للمرفوع، وهما ال(جحرُ)، وال(بارِدُ)، وعلى الرفعِ أكثرُ العربِ.(٥)

<u>وتجدرُ الإشارةُ إلى أن امرأ القيس قد أجاد فى توظيفِ حركةِ الكسرةِ القصيرةِ، بصورة عبرت عن انفعاله بانتقال برودة الماء إلى الشنِّ</u>، وقد انبنت دلالةُ هذا التركيبِ على توالى حركةِ الكسرةِ القصيرةِ، حيث قامت بوظيفةِ الربطِ بين جميع عناصر التركيب والمعنى، لاسيما ما صنعته من الربط بين المتجاورين**(شَنٍّ—— بَارِدٍ)** –مخصص وصفى، فى ضوء كسرة الانفعال، حيث كشفت حركةُ الكسرةِ القصيرةِ عن انفعالِ الشاعرِ من برودةِ الشنِّ، المكتسبةِ من برودةِ الماءِ، وبدا الانفعال واضحًا فى رغبة الشاعر فى إبراز شدة البرودة التى عليها الماء، حتى أن هذه البرودة قد لحقت الشنَّ، بصورة جعلت الماءَ والشنَّ شيئًا واحدًا موصوفًا بالبرودةِ، وحسُن استخدام الشاعر للكسرة القصيرة فى قوله: (بارِدٍ) نيابة عن الضمة القصيرة، ليؤكد صدقَ انفعالِه، وشمول البرودة الماءَ والشنَّ، إذ الكسرةُ تجذبُ الدلالةَ إليها، فقد جعلت الكسرة الشنَّ– باحتفاظِه بالماءِ البارِدِ– شريكًا للماءِ فى البرودةِ؛ إذ إن برودةَ الشَّنِّ تؤكدُ– فى نفس المتلقى– برودةَ الماءَ.

لقد ربطت الهمزة بين النون من (شنٍّ)، والدال، من (بارِدٍ) فى مشهد انفعالى واحد، إذ كلاهما يدلان على القوة الذاتية، المتحققة من صفتى الجهر والانفجار اللتين فى مورفيميْ الدال والنون، واللذيْن جسَّدا انفعال المؤلف من قوة مضمون الفعل الكلامى، وهو برودةُ الشنِّ الشديدةُ، وهذا الأمر غير قار فى الحياة الذهنية للاستعمال، إذ ليس من العجب أن تُسبَ شدةُ البرودةِ إلى الماء، فالماء مطبوع على ذلك، وكأن انفعالَ الشاعر من قوة برودة الشن المكتسبة من لفظ (بارد) والتى عبرت عنها الكسرة القصيرة بربطها بين الدال بالنون، إذ فى اجتماع النون والدال إشارة إلى قوة مضمون الفعل الكلامى، فإذا كان صوت النون يدل على الإنشاء والتكوين، فإذا ما ارتبطت بالدال دلَّت على الاتصال، والاستمرار، والتجدد، فهذا معناه أن الشن ليس متصفًا بالبرودة فى حد ذاته، إنما أُنشئت هذه البرودة، وتكونت، وقويت بالتوحد مع لفظ (بارد)، وازدادت بقوة الدال، فكأنها صارتا كتلة مادية ودلالية واحدة؛ فاكتسبتا –بالكسرة– صفة واحدة، ولعل هذا المعنى ما حققته الكسرة، فإذا كانت صفة البرودة أصيلة فى الماء، فهى فى الشن مكتسبة، وصارت قوية بالربط بين النون والدال.

- **<u>الشاهد رقم :(٣) وهـو : قوله(٦):</u>**

---

(١) الشنُّ: الخَلَقُ من كلِّ آنية، صُنعت من جلدٍ، ويُقال: للسقاء، شن، وللقربة: شن.انظر: لسان العرب، جـ٤ :٢٣٤٤، مادة: (ش،ن،ن).

(٢) البيت لعنترة بنَ شدَّاد العبسى، من الكامل، وهو فى ديوانه،وقد نسبه سيبويه إلى الخُزَز بن لَوْذَان، وبرواية: فاذهب، من دون ياء، وكان لعنترة امرأة بخيلة، كانت لا تزال تلومه فى فرس، كان يؤثره بالغبوق، وهو شرب العشى، فهددها بالضرب. ، وذكر محقق الكتاب أن : كنب عليك، كلمة نادرة، تُغرى بها العرب، فترفع ما بعدها وتنصب، والعتيق: ما قدم من التمر ، والشن: القربة البالية، وماؤها أشد برودةً من غيرها، والغبوق: شرب العشى، فاذهبى: أى: انطلقى؛ فلست أفضلك على الفرس فى تقديم اللبن له. انظر: ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوى، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المكتب الإسلامى،١٩٦٤م: ٤٨، وانظر: الكتاب، جـ٤: ٢١٣

(٣) انظر: ديوان عنترة، تحقيق ودراسة : ٢٧٣–٢٧٤

(٤) انظر: معانى القرآن، جـ١: ٣٠٢

(٥) انظر: شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: ٣٤٧

(٦) البيت لامرئ القيس بن حجر، وفى ديوانه، ومن لاميته المشهورة، من(الطويل)، وهو الشاهد رقم: ٣٥٠ من شواهد الخزانة، ومنسوب فيها لامرئ القيس، وهو الشاهد رقم: ٦٧٧ من شواهد المغنى، وقد ورد بروايات متباينة، فيروى عن الأصمعى: ونُقه، بدلًا من وبْله، وأفانين بدلًا من عرانين، وبرواية: (كأن) بدلًا من (وكأن)، ورواية ابن هشام فى المغنى، ورواية الديوان: أبانا؛ بدلًا من قوله: ثبيرًا، وكلاهما جبلان، وذكر محقق المحتسب أنه: شبه الجبل فى جلاله وطرائق المطر عليه، أو حين غشيه المطر، وعمَّه الخصب بشيخٍ ضعيف مزمِّلٍ فى بُجاد، وأفانين بدلًا من عرانين فى رواية الديوان، والوَنْق هو: الدنو، أو العطاء، أو المطر، شديده وهيِّنه، أو حر نصف النهار؛ لشدته، أو اتِّساع البطن، أو معترك الشر، والوَنْقة: نقطة فى العين من دم؛ والوَنْقُ: الحديد، والوبل: المطر الشديد الضخم القطر، والمطر، هو : الوبل، وهو: من الوبال: الفساد، ويُشار به إلى الثقل، أو العصا. وهناك رواية: أَبَانًا، بدلًا من ثبيرًا، وخُصَّ الشيخ لأنه متنزه أبدًا، متزمل فى ثيابه، انظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب(٢٤)، القاهرة: ٢٥، وانظر: الكتاب، جـ١: ٦٧، وانظر: لسان العرب، جـ٦: ٤٨٠٠–٤٨٠١، مادة: (و، د، ق)، وجـ٦: ٤٧٥٥–٤٧٥٦، مادة: (و، ب ل) وانظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، وبهامشه: مختصر شرح شواهد المغنى، للعلامة السيوطى، تدقيق، د: صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ٤١٥، ٥٥١، وانظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: ٣٤٧، وانظر: خزانة الأدب، جـ٥: ٩٨

وَكَأَنَّ ثَبِيرًا(١) فِي عَرَانِينَ(٢) وَبْلِهِ	كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بُجَادٍ(٣) مُزَمَّلِ.(٤)

جرَّ الشاعر قوله : مُزَمَّلٍ، وحقُّه أن يكونَ مرفوعًا، لكونه نعتًا لقوله: كَبِيرُ المرفوعة؛ ويتضمن تعليق ابن جنى(ت٣٩٢هـ) على البيت أن زيادة الواو فى: (وكأن) لتعجب، وللتوكيد، والمبالغة فى الربط بين المعنيين اللفظى والنفسى.(٥) والشاهد– عنده– من الجوار المنفصل، الذى يتعاور فيه الأثرُ الإعرابىُّ، فتغزو إحدى علاماته ما تجاوره، ويكون المعولُ بمعناه لا بإعرابه، مع أمن اللبس.(٦) وذكره ابن مالك(ت ٦٧٢هـ) فى باب: النعت، وقد أشار إلى أن (مُزَمَّل) قد تبع(بُجَادٍ) فى الجر،" وهو غير ما له، من دون رابط؛ مشترطًا أمن اللبسِ".(٧) وقد خرج فيه من الضمة إلى الكسرة. ويُعلِّق الدكتور سيد حنفى حسنين على البيت السابق، وتَحَوُّلُهُ فى ضبط: (مزمل) من الرفع إلى الكسر : قد كان إحساس الشاعر هو الحكم الأول فى تحقيق موسيقية قصيدته؛ والبيت من قصيدة رَوِيّهَا مكسور ، أمَّا رَوِى هذا البيت؛ فمرفوع.(٨) وقد جاءت الصورة التركيبية– فى هذا البيت– البيت– مطابقة للموقف النفسى، والاستجابة العاطفية، فقد جسَّدت سلطة عامل الانفعال– التى تقف وراء الخطاب اللغوى والسياقى– جمْعَ الشاعر بين ثلاثية المعنى النفسى، والمعنى اللغوى؛ مع المعنى الجمال، المتمثل فى رافد التناغُم الموسيقى الناجم عن تتابع حرف الروى المكسور ، بهدف تجنُّب التكلُّف، والحرص على استدعاء ذهنية المتلقى ووجدانه على موقف الاتِّصال، من دون التَّمركز حول معيارية الأثر الإعرابى، إذ تُسخَّر روافدُ المعنى جميعُها لإبراز البعد الانفعالى الذى سيطر على المؤلف. إذ فى جر امرئ القيس لقوله: (مزمَّل) لانفعال النفس بتحقيق التوسط بين الثبات والجفاف من جهة، وبين الحركة والحيوية من جهة أخرى، فقد تحقق التداخل بين المعانى؛" لأنه كان وراء ذلك الاتصالُ بنفسيته أكثر من الاتصال بقوانين اللغة وقواعد النحو".(٩)

فبالنظر إلى التركيب النحوى: كأنَّ..... كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بُجَادٍ مُزَمَّلٍ، بالكسر فى: كبيرُ ، وأُناسٍ، وبُجادٍ، ومزملٍ؛ نجده زاخرًا بالحركات الإعرابية، أغلبها من الكسرة القصيرة، فى تثاقل صوتى دلالى بين ضمة، وكسرة؛ وكسرة، وضمة، فى ضوء مقتضيات نظرية العوامل النحوية، وقد دلت الكسرة على انفعال الشاعر بهيئة المتحدث عنه، وأنه يمشى على هيئته ووقاره.(١٠) وقد حمَّلها المؤلفُ شحناتٍ انفعاليةً، مُتباينةً، ومُتغايرةً، وقصيرةً؛ بين ضيق الضمة وثقلها، ودلالتها على الضعف والمهابة فى كلمة : (كبير) الحاملة لثنائية الدلالة على حدٍّ سواء، وبين انحراف الكسرة، ودلالتها على الانكسار ، وميل الشاعر إلى تحصُّل الأمل بالوجود مع أُناسٍ، ثم تأخذ ضمة (مزملُ) المعيارية ذهنية المتلقى إلى التمركز حول المطابقة بين ضيق الضمة وضيق الهيئة، كما يعكسها التركيب: (بُجادٍ مزملٌ)، فقد أشارت كلمة (مزمل) على ذلك الرجل المُنتَقِ بالثَّوبِ ؛ من أجل ذلك كان تكثيفُ الكسراتِ القصيرةِ فى معظم العناصر التركيبية– بصورة متوالية– دليلًا على قوةِ انفعالِ الحزنِ، لم يستطع الشاعر تغييب الكسرة عن هذا المشهد، والمبالغة فى التعبير عن قوة هذا الانفعال غيَّب الضمة عن مشهد الانفعال، وجعل استدعاء دلالة الانكسار من توالى الكسرة تلو الأخرى(١١) وقد عضَّد هذا الانفعالَ تصديرُ الشاعر تركيبَه– (كأنَّ)– بما يدلُّ على التشبيه، والتمنى، والتحسر .

---

(١) وثبير : جبل بمكة، ويُقال: أشرق ثبير كما نُغير ؛ وهى أربعة أثبر : ثبير غَيْنَاء، وثبيرُ الأعرج، وثبير الأحدب، وثبير جراء؛ وقال ابن الأثير : هو الجبل المعروف عند مكة، وقيل: اسم ماءٍ فى ديار مُزينة، أقطعه النبى– صلى الله عليه وسلم– شَرِيسَ بن ضَمْرَة، والمزمل: الملفَّف. انظر : لسان العرب، جـ١: ٤٦٩–٤٧٠، مادة: (ث ب ر)، وانظر : خزانة الأدب، جـ٥: ١٠٠

(٢) والعرانين: جمع عرنين، وهو: الإلف، ومن عرانين الناس، أى: أوائلهم، أُخذ من عرانين السحاب: أى: أوائل مطره، وقيل: عرانين القوم: وجوههم، أو سادتهم وأشرافهم. انظر : لسان العرب، جـ٤: ٢٩١٦–٢٩١٧، مادة: (ع ر ، ن).

(٣) البُجاد: كساء مخطط من أكسية العرب، وقيل: إذا غُزل الصوف بِسَرَّةٍ، ونُسج بالصيصة؛ فهو : بُجاد، والجمع: بُجُدٌ؛ بضمتين، انظر : لسان العرب، جـ١: ٢١١، مادة: (ب ج د).

(٤) وزمَّله فى ثوبه، أى: لفَّه، والتَّزمُّل: التَّلفُّف بالثوب، وقد تزمَّل بالثوب وبثيابه، أى: تدثَّر ، وقد أراد الشاعر : مزمَّلٌ فيه، وبه، وكل شيءٍ لُفِّفْت به، فهو : زمل؛ وفى حديث قتلى أُحُد: زملوهم بثيابهم، أى: لُفُّوهم بها، وفى حديث السقيفة: فإذا رجل مزمَّل بين ظهرانيكم، أى: مُغطًّى مُدثَّر ، يعنى: سعد بن عبادة. ومثله: قول دُرَيْد بن الصمة:

فَدَافَعْتُ عَنْهَا الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلَانِى حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِ.

بجر الدال من أسود، رغم كونه نعتًا لحالك المرفوعة على الفاعلية. انظر : لسان العرب، جـ٣: ١٨٦٣–١٨٦٥، مادة:(ز ، م ل)، وانظر : ظاهرة المجاورة فى الدراسات النحوية ومواقعها فى القرآن الكريم : ٢٤

(٥) انظر : المحتسب، جـ٢: ١٣٥

(٦) انظر : شرح التسهيل، جـ٣: ١٧٠

(٧) شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جـ٣: ١٦٩

(٨) انظر : الشعر الجاهلى، مراحله، واتجاهاته الفنية، دراسة نصية، د: سيد حنفى حسنين، (د.ط)، دار الثقافة، ١٩٨١م، القاهرة: ٣٠

(٩) ظواهر أسلوبية فى شعر المتنبى، عبده بدوى، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد(٢)، ١٩٨٤م الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٩

(١٠) وانظر : خزانة الأدب، جـ٥: ١٠٢

(١١) انظر : الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا : ١٥٩

وقد جعل الشاعرُ الغلبةَ للكسرة فى رسم ذلك المشهد، حيث إن القيمة الدلالية للكسرة فيها نصيبٌ كبيرٌ من اسمها؛ فإذا كان نطقها مرتبطًا بانحراف الشفة السفلى من الجهة اليسرى؛ فإن هذا الأمر يؤصِّل رغبة الشاعر فى الكشف عن انفعال الحزن والتألم، واسترجاع الذكريات، وفى سبيله هذه خاطب الجبل، وشخَّصه، وأضفى عليه كبرياءً ومهابةً، محاولًا إبرازَ انفعالِ نفسِه، وعُمْقِ تفكُّرِه، فغابت عن ذلك المشد الضمة فى كلمة: (مزمل) ونابت عنها– بسبب انفعال الحزن– الكسرة الصريحة القصيرة.

والشاعر– فى انفعاله وتأمله– راغبٌ فى استدعاءِ متلقٍّ آخرَ غيرِ الجبلِ؛ ليُشاركَه حالةَ الانفعالِ، لذا يُمكن تفسيرُ كسرة (مزمل) برغبة الشاعر فى تحقيق حالة من الإطراب لمتلقيه، من التناسب والإيقاع بين عناصر الهيئة التركيبية، اعتمادًا على وضوح الدلالة، وعدم احتياج ذهنية المتلقى إلى قرينة الأثر الإعرابى، وكأن حالة الانفعال– هذه– قد استدعت الكسرة، التى غزت موقعَ حركة الإعراب، وهى الضمة، فسلبتها قوتَها، وهذا التصرف المقصود من جانب الشاعر قد تحقق على حساب عامل الإعراب.

ويُفهم من اجتماع الدال فى كلمة: (يجلد) واللام فى كلمة: (مزمّل) – التى قامت الكسرة بتوحيدهما وجعلهما كتلة لغوية ودلالية واحدة– قوةُ الالتحامِ، وشدةُ الاتصال، والمبالغةُ فى اتِّصاف المشبهِ بالمشبهِ به، وكأن الجبل ملتف ملتحم بردائه مثل كبير أناس ملتحم بثوبه، فأراد الشاعر إبراز صورة هذا الجبل الملتحم، وقوة ارتباطه، وقد جسدت الكسرة هذا المشهد، وصنعت قوته من خلال دلالة الدال على القوة و الصلابة، وتوزع هذه القوة بين عناصر التركيب، بالإضافة إلى قوة دلالة اللام على الأصالة، واستقرار الطبع([1]) وهذا سبب انفعال المؤلف.

بالنظر فى الشواهد الثلاثة السالفة الذكر، والتى تحوَّل فيها المؤلف من الضمة إلى الكسرة؛ نجد أن كثيرًا من العلماء قد حملها على حكم المجاورة، وَيُقْصَدُ بِهِ:" أن تأخذ اللفظةُ الحركةَ الإعرابيةِ للفظةٍ مجاورةٍ لها، وقياسُها غير ذلك".([2]) إلَّا أن حملَ هذه الشواهدِ على الشيوعِ، والقول بفصاحتها، وجواز الاحتجاج بها– انتصارًا لكثرةِ الاستعمالِ– أولى من حمْلها على الغلطِ([3]) لاسيما أن الحس اللغوى العربى قد كره– فى مثلها– ضمةً بعد كسرةٍ، فأبدل من الضمةِ كسرةً، لأنه ليس فى الكلامِ فِعُلٌ.([4]) وقد أشار السيوطى(ت ٩١١هـ) – فى باب : الجوار([5]) إلى" ما يدل على رعايتهم جانب القرب والمجاورة؛ فأتبعوا الأوصافَ إعرابَ ما قبلها؛ وإن لم يكنْ المعنى عليه، ألا ترى أن الضبَّ لا يُوصف بالخرابِ، والشَّنُّ لا يُوصفُ بالبرودةِ، وإنما هما من وصفِ الجُحْرِ والماءِ".([6]) وقد أرجع الدكتور تمام حسَّان سبب المخالفة، فى جر (خرب) إلى رغبة المؤلف فى إحداثِ نوعٍ من الجملِ([7]) القائمِ عن التنغيمِ والإيقاعِ الموسيقيّ.([8])

حيثُ تشترك الحركاتُ مع الأصواتِ فى التحديدِ الدلاليّ للكلمةِ، أو لبنية المخصصات الكلامية، أو قوالب الدلالات التسويرية، التى يستخدمها المؤلف فى الاحتياط لمعناه، ومن ثم العبارة، فالتركيب، وهى – أى: الحركةُ– ثقيلةٌ فى النطقِ، وصعبةٌ فى الأداء، ويكون تحوُّلُ المؤلفِ– فى الشواهد السابقة– من الضمةِ إلى الكسرةِ تَخَلُّصًا من الضيقِ، والثِّقَلِ؛" لأن اللسانَ– بذلك– يعملُ عملًا واحدًا، وهذا أسهلُ فى الأداء الصوتى لمختلف العناصر الكلامية"([9]) فإن تحريكَ اللسانِ بالضَّمِّ، ثم بالكسر، ثم العودة إلى الضم أمرٌ مُسْتَثْقَلٌ فى جهاز النطق، فجاء عدولُ المؤلفِ طلبًا للخفةِ والتناسبِ، وقد كان من سنن العربِ الفصحاءِ أنهم " يؤثرون المحاكاة، والمناسبة بين الألفاظ؛ تاركين طريق القياس".([10]) والكسرة المعدول إليها: "صائتٌ متوسط، مرتفع، نصف ضيق، غير مدور".([11]) أما الضمة فيها تضييق وعنت، وليس من شك فى أن الكسرة أخف من الضمة.

ويبدو أن مؤلف الفعل الكلامى– فى الشواهد السابقة– قد عدل عن الرفع إلى الجر، منتقلًا من مستوى اللغة المشتركة، وتداولية الشكل والتأويل إلى نمط لهجى محلى، يبدو فطرة أو سليقة، وهو تحت تأثير انفعال المشاركة، الذى يسيطر عليه، ليحقق واقعية اللغة، وفق ما تقتضيه بيئة التركيب– والتى يُقصد بها السياق المحيط بصناعة التركيب النحوى– أو

([1]) انظر: القيم الدلالية لأصوات الحروف فى العربية، عود على بدء، منال نجار، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، مجلد : ٢٤، (٩)، ٢٠١٠م: ٢٨٠٤

([2]) مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل :٩٨

([3]) انظر: الخصائص، جـ٣: ١٥٧، جـ١: ١٧٣

([4]) نقلًا عن: دراسات فى معانى القرآن للفراء : ٩٨

([5]) يقرُّ الباحثُ بأن ضابط الجوار مأخوذ من قولهم: قد يُؤخَذُ الجارُ بجكم– أو بجُرم– الجار، إلَّا أن باب حكم الجوار ليس مطلقًا، ولا يُمكن التسليم به، من غير دليلٍ أو سببٍ؛ لما فيه من التردد، والاضطراب، وعدم الاطِّراد، فليس كلُّ مُجَاوِرٍ خاضعًا لحكم جاره، إنما يكون الأمر لعلة صوتية، أوصرفية، أوتركيبية، أودلالية، أوسياقية، أوشيوع استعمال، نحو الإمالة الصوتية للمجاورة القلبية، أو كالوقف بنقل الحركات إلى الحرف السابق للحرف الأخير، مع تسكين الأخير، أو ما يتصل بباب الإتباع من التأثر السابق أو اللاحق لحكم المجاور؛ سواء داخل التركيب أم خارجه.

([6]) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، جـ١: ١٧٧

([7]) انظر: ظاهرة المجاورة فى الدراسات النحوية ومواقعها فى القرآن الكريم، فتحى حسن النمر، (د.ط)، دار الثقافة،١٩٨٥م، القاهرة : ٢٠

([8]) انظر: اللغة العربية معناها و مبناها : ٢٣٤

([9]) انظر: أثر أداء الحرف فى انحراف الدلالة ، دراسة نحوية دلالية، د: سعيد بن محمد بن عبد الله آل يزيد، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (١١٥)، أكتوبر (٢٠١٨م) : ٦٩٩ – ٧٠٠

([10]) أثر المشاكلة فى مخالفة بنيتىْ الكلمة و الجملة للقياس، دراسة نحوية وصرفية : ٢٣١٠

([11]) الدلالة الصوتية فى اللغة العربية: ١٧٦

يكون قد رغب فى التحلُّلِ من قيود اللغة بسببٍ من أثرِ الانفعالِ، أو رام أن يُحقق نوعًا من الإبداع، وقد رغب– تحت وطأة الانفعال– فى أن يعبِّر عن فكرة ما، بما لديه فى ذهنيته، فأراد التعبير عنها بما توارد فى خاطره ونفسه فحسب، فغض الطرف عن قواعد اللغة من رفع، أو نصب، أو جر، كون فعل الانفعال أشدَّ تأثيرًا، وأكثر إلحاحًا على ذهنيته ووجدانه، بل على موقف الاتِّصال برمته.(١)

يُضاف إلى ذلك ما أشار إليه ابن جنى من أن الانتقال من الضم إلى الكسر هو سنة من السنن الكلامية فى اللغة العربية، كما يفهم من كلامه أن النفس هى التى تتكلم، وأن العربَ يقدمون ما هو أقوى، وأثقل، وأشدَّ قربًا من انفعالاتهم، ويؤخرون الأخف؛ من قِبَلِ أن المتكلم يكون– فى أول نُطْقه– أقوى نَفَسًا، وأظهرَ نشاطًا، وقد قدموا – فى الشواهد السابقة– الضمة، وأخروا الكسرة، امتثالًا لتقديم أقوى الحرفين، ومعلوم أن الضمة أقوى من الكسرة، وأن الرفع أقوى من الجر؛ فأعربوا الأول بالضمة، وجرُّوا التابع بالكسرة، ينسحب هذا الكلام على تبادلية الأثر الإعرابى بين: **(حجر)، و(خرب)، و(ماء)، و(بارد) و(كبير)، و(مزمل).**(٢)

ويبدو فى تحوُّل المؤلفِ – فى الشواهد الثلاثة السابقة– دلالةٌ على لفعلٍ معينٍ، وأن " الرجوع بالضمة إلى الكسرة كان لغاية مهمة؛ وهى أن بين الضمة والكسرة تناسُبًا، ما ليس بينهما وبين الفتحة؛ بدليل وجود حركة الإشمام، التى تبنى على ذلك التناسُب بينهما، وكأن الحركتين كالصوت الواحد، أو كالشىء الواحد، لما بينهما من التقارُب والتناسُب، والتبادلية فى الاستعمال.(٣)

ومهما يكن من أمر فإنه يحسُن بالباحث أن يُشير إلى أن الهيئة التركيبية– لهذه الشواهد، وما عليها من أثر إعرابى– هى فعل كلامى أنتجه المؤلف فى سياق عامل الانفعال، وأن تلك الهيئةَ كانت باعثَ راحةٍ لنفسه، أو لنفس متلقيه، فى موقف التواصل؛ فما كان يشغله هو الفكرةُ لا الشكلُ، الانفعالُ لا الدلالةُ الذهنيةُ المجردةُ؛ فما دامت الفكرةُ التى فى رأسه، والانفعالُ الذى بداخله قد عَبَّر عنهما بقصديته؛ فكلُّ شىءٍ صحيحٌ، ولا مجالَ للخطأ، من وجهة نظر مؤلف الكلام.(٤)

وانطلاقًا من كون الوظيفة المعيارية والقيمة الدلالية للحركات الإعرابية؛ بوصْف الضمةِ علامةَ إسنادٍ وارتباط، والكسرةِ علامةَ إضافة وتبعية، والفتحةِ دليلَ افتقارٍ إلى متممات المعانى، فقد يصح أن يُقال: إن المؤلف– فى الشواهد الثلاثة– أراد أن ينقل دلالة الحركات من العموم إلى الخصوص، حيث حمل هذه الحركات الإعرابية مسئولية التعبير عن معانى إضافية، وعميقة، تجاوز الدلالات السطحية؛ بالإضافة إلى رغبته فى تحقيق حالةٍ من الانسجامِ الصوتى والتناسق الدلالى فى بنية التراكيب النحوية؛ مما يقوى– بتأثير الانفعال– فى اختيار الدلالة وتغيُّرها، وقد راغ المؤلف عن الضمة إلى الكسرة، ليدل على أن النعوت من المخصصات الكلامية التابعة، وأن النعت قريب الصلة من المضاف إليه، مستأنسًا بأن الوحدات النحوية: **(خربٍ، وباردٍ، ومزمّلٍ)** قد خصصت دلالة المنعوت بالوصف، بخلاف ارتباط الوحدات التركيبية بعلاقة الإسناد، التى تعنى افتقار السابق لدلالة اللاحق، على مثل ما نرى فى علاقة المبتدأ بالخبر، وعلاقة الفعل بالفاعل.(٥) حيث إنه من الخطأ فى عملية التواصل أن يقصر أحد أطرافها فهم التراكيب على ضرورة مطابقتها للقياس النحوى، وأن تلك المطابقة قد جعل تأويلها من نمط التأويل الأوحد؛ وينبغى أن يُنظر إليها بوصفها ذاتَ مغزى، وإحالةٍ إلى معانى أكثر عمقًا؛ بأن ننظر إلى طريقة بنائها الداخلى، ونعمد إلى تحليلها بنيويًّا، ونبحث فى طريقة وجودها، لذا فأحيانًا ما تتوجه هذه التراكيب إلى معنى مستقل، يُقصَد به قراءٌ مجهولون، ويتحاور معهم.(٦)

ويؤيِّد ما ذهب إليه الباحثُ من القولِ بأن التحولَ إلى الكسرةِ له علاقةٌ وثيقةٌ بانفعالِ المؤلِّفِ رفضُ الدكتور: باسم يونس أرشيد لمصطلح عاملِ الجوارِ، وبأن القولَ بالتَّوهُّمِ لا يتلاءم مع واقع اللغة العربية وطبيعتها؛ كما أن القول بالجوار لا يقدِّمُ تفسيرًا مُقنعًا للانحراف عن المسلك اللغوى الفصيح؛ ويُرجِع هذا الأمر إلى القانون النفسى للغة العربية، وأن هذا التحول فيه رابطٌ بين معاييرَ صوتيةٍ، ونُسُقٍ نفسيَّةٍ، وحسيَّةٍ، تقود إلى تصرُّفٍ لغويّ ذى أبعادٍ نفسيةٍ انفعاليةٍ؛ أجازت للمؤلف الأول أن لا يتقيَّدَ بقواعدَ حاكمةٍ، من المحتمل أنه لم يكنْ يعرفُها، متجنِّبًا فيها الثقلَ الصوتىَّ والنفسىَّ الناجمَ عن الانتقالِ من الكسرةِ إلى الضمةِ، فى مستوى الكلمة الواحدة، أو فى بنية الجملة، أو التركيب، أو على مستوى النص بأكمله.(٧)

---

(١) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى : ٦٩ – ٧٠

(٢) انظر: الخصائص، جـ١: ٥٩– ٦٣

(٣) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى:٤

(٤) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى : ٦٩ – ٧٠

(٥) انظر: الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى:٥

(٦) نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى : ١٨

(٧) انظر: من مظاهر الأثر الصوتى فى توجيه المخالفة النحوية، د: باسم يونس أرشيد، حوليات آداب عين شمس، المجلد (٤٦) ، يناير – مارس، ٢٠١٨م: ٢٣

المطلب الثانى: التحوُّل من الفتحة(١) إلى الضمة:

- **ومنه: قول الأخطل:**

مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَدَّاجُونَ(٢) قَدْ بَلَغَتْ	نَجْرَانُ(٣) أَوْ بَلَغَتْ سَوْءَاتِهِمْ هَجَرُ(٤).(٥)

وتقدير التركيب: بلغت سوءاتُهم نجرانَ وهَجَرَ ، فنصب الفاعلَ(٦)، ورفع المفعولَ؛ ونجرانُ وهجرُ مفعولان، لوقوع فعل الفاعل(سوءاتهم) عليهما، وحقهما النصب، إلَّا أنه رفعهما، وسوءاتُهم فاعل، وحقها الرفع، لكنه نصبها، إذ اللبس مأمونٌ.(٧) ومعلوم أنه يُتَرَخَّصُ– فى ضوءِ أمن اللبس– فى رفعِ المفعولِ ونصبِ الفاعلِ؛ بعيدًا عن التباسِ الدلالة واختلالها، ويكون مدارُ الأمرِ على تمامِ الدلالةِ التركيبية، وقدرةِ المتلقى على استنباط المعنى، ولذلك أشباه ونظائر.(٨) ويبدو أن الأخطل– فى تصرُّفِهِ السالفِ الذكر– راغبٌ فى فى تحقيق تناسبٍ صوتيٍّ فى قافيته، ذلك التناسبُ الذى يُحسِّنُ عرضَ الدلالةِ، ويُبعدُ المؤلفَ والمتلقى عن الثِّقَلِ، حرصًا من المؤلف على أن لا يُوقع متلقيه فى لَبْسٍ، أو يُفسدَ على أذنِه ونفسِه التلذذَ بالإيقاعِ ونغمتِه.(٩) أو يكون لتزياحُ المؤلف إلى الضمة فى (نجرانَ، وهَجَرَ) مُرادًا به المبالغةُ فى تعظيمِ صنيعِهم، مما وُصفوا به من الشنائعِ والردىء من

---

(١) ومن ذلك: قول الشمَّاخ يذكرَ أباه:

مِنْهُ وُلِدْتُ وَلَمْ يُوشَبْ بِهِ حَسَبِى	لَمَّا، كَمَا عُصِبَ الْعِلْبَاءُ بِالْعُودِ.

وكان الوجه أن يقول : كما عُصبَ العودُ بالْعِلْبَاءِ؛ لأنك قد تقول: كَمَا عَصَبْتُ الْعِلْبَاءَ بِالْعُودِ، فتقلب؛ لأنك تقول: كَمَا عَصَبْتُ الْعِلْبَاءَ بِالْعُودِ، كما تقول: كما عَصَبْتُ العودُ بالْعِلْبَاء.ونظيره: قول حنيفة بن أنس، من الطويل:

بَنُو الْحَرْبِ أُرْضِعًا بِهَا مُقْمَطِرَةً	فَمَنْ يَلْقَ مِنَّا يَلْقَ سِيدٌ مُذَرَّبُ.

فقد خرج الأثر الإعرابى لكلمة (سيد) عن الأصل، فجاء مرفوعًا، وحقه النصب؛ لأنه فى موقع المفعول به، أمن اللبس، وتمام الدلالة، المفعول المرفوع مع أمن اللبس. ومن الأمثلة على مجيء خبر كان مرفوعًا، قول العجير السلولى، من الطويل:

إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ شَامِتٌ	وَآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِى كُنْتُ أَصْنَعُ.

فقد جاء المبتدأ و الخبر مرفوعين، على الرغم من وقوع كان الناسخة فى صدر الجملة، ولم تاتِ فى حشوها، ممَّا يجعلها ناقصة غير تامة، ولا يؤيد الباحث القول بإلغائها فى مثل هذه المواضع، وقول شاعر من بنى عبس، من الوافر :

إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ أَبُوهُ عَبْسٌ	فَحَسْبُكَ مَا تُرِيدُ مِنَ الْكَلَامِ.

نحو قوله، من الطويل:

فَلَيْتَ ابْنَ جَوَّابَ مِنَ النَّاسِ حَظُّنَا	وَ أَنَّ لَنَا فِى النَّارِ بَعْدُ خُلُودُ.

فجاء اسم إن (خلود) مرفوعًا، وحقه أن يكون منصوبًا. انظر : الكتاب، جـ١: ٧١، وانظر : تأويل مشكل القرآن الكريم: ١٩٥

(٢) الهدَّاجون: السائرون ببطء.

(٣) نجران: موضع باليمن.

(٤) هجر : موضع بالبحرين.

(٥) البيت فى ديوان الأخطل، **من البسيط** وفى قافية الراء المضمومة من قصيدة: خفَّ القَطِينُ، فى مدح عبد الملك بن مروان، وصدره فى رواية ابن قتيبة، وفى الديوان: عَلَى الْعِيَارَاتِ، وهى جمع: عير، وهو الحمار، ويعلق ابن قتيبة على الشاهد، قائلًا: وكان الوجه أن يقول: سوآتُهم– نجرانَ، وهجر، بالرفع، فتقلب؛ لأن ما بلَغْتَه، فقد بلغَك، وفى رواية الديوان: لَو خُبِّئت سوآتهمْ هَجَرُ. وهو الشاهد رقم: ٧٩٦ من شواهد المغنى، ومن دون نسبة إلى قائل معين فيه. انظر: ديوان الأخطل، شرحه، وصنَّف قوافيه، وقدَّم له: مهدى محمد ناصر الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م : ١٠٠–١٠٩، انظر : تأويل مُشكل القرآن الكريم: ١٩٥، وانظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٦٤

(٦) نحو قوله: لَمَّا جَفَا إِخْوَانُهُ مُصْعَبًا، برفع المفعول ونصب الفاعل، انظر : الصاحبى: ٤٦٨

(٧) وهو الشاهد رقم:٧٩٦ من شواهد المغنى، من غير نسبة إلى قائل معين، وذكر المحقق أنه من هجاء جرير للفرزدق. انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٦٤، وانظر : مطالعات فى اللغة والأدب: ٩

(٨) ومنه : ما أورده سيبويه، مما قَالَه هِشَامٌ بن عقبة، أَخُو ذِي الرُّمَّةِ، من البسيط :

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا ... وَلَيْسَ مِنْهَا شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْذُولُ.

وقد حمله سيبويه على وجود إضمار فى ليس، كما أن هناك إضمارًا فى إنَّه. وأشار إلى أن الوجه و الحد أن تحمله على أن فى ليس إضمار ، وهذا مبتدأ، وذكر أنه سمعه ممن يوثق فى عربيته. إلَّا أنه قد ذكر أن هذا فى موضه خبره، وهو فيه أقوى؛ لأنه عاملٌ فى الاسم الذى بعده. انظر : الكتاب، جـ١: ٧١، ١٤٧

(٩) انظر : من مظاهر الأثر الصوتى فى توجيه المخالفة النحوية : ٢٤

الخِصَال، وليستثمر دلالةَ الضمةِ على الضيق فى تحقيق ثبات المعنى واستقراره، إذ فى الرفع دلالةٌ على الثباتِ؛ ونَصَبَ سوآتِهم؛ لأن فى النصبِ إشعارًا بالفعل، وفى صيغةِ الفعلِ إشعارٌ بالحدوث، والتجدد، والاطِّراد.(١)

ومن يتأملْ مضمونَ الفعل الكلامى الشعرى – فى قصيدةِ الأخطلِ – يُدركْ أنه تحت تأثيرِ انفعالِ الغضبِ الشديدِ، والتشنيعِ بهم، والتنفيرِ منهم، والتوبيخ لهم؛ واصفًا إياهم بأبشع ما يُوصف به القومُ، فهو واصفُهم بالضعف، حتى أن الرياحَ تزعجُهم، ويوبّخهم بعدم انقيادِ المطايا لهم، وأنهم ضعافُ الرأيِ، وأن نساءَهم من الغانياتِ اللاتى ابيضَّ شعرُهُنْ بعد اسوداده؛ فأعينهن كثيرةُ الدمعِ، وأنفسُهُنَّ ضيقةٌ، وهن موصوفاتٌ بالوَهَنِ الشديدِ، حتى أنهنَّ يَقَعْنَ من على النجائبِ، وأنهن يحتمينَ بعبد الملكِ بن مروان، فكان لانفعالِ النفورِ والغضبِ الشديدِ – عند الشاعر – أثرٌ فى تشكيلِ التركيبِ النحويّ.

ثم يستطرد الأخطلُ الحديثَ عن مناقبِ عبد الملك بن مروان، ويكثِّفُ ذكرَ خصاله وفضله، ثم تمتلئ الأبياتُ بصورِ السِّبابِ والتشنيع بالرجالِ والنساءِ، من أولئك الذين يُعرِّضُ بهم؛ حتى بلغ التشنيعُ بهم أن وصفهم بقوم قد تناهت إليهم كلُّ مُخْزِيَةٍ، وأنهم سُبُّوا بكلِّ فاحشةٍ سُبَّت بها مُضَر، وخُصَّ – من تلك الأوصافِ – أنهم يُحْمَلُونَ على العيرِ، أو الحَمِيرِ؛ ويسيرون ببطءٍ شديدٍ، حتى أن سوءاتهم بلغت – من كثرتها – نجرانَ وهجرَ، وأنه قد شاع أمرُ فسادِهم، حتى أن مَنْ فى البلادِ – من أقصى اليمنِ، إلى أقصى البحرين – يقصدون تلك السوءاتِ، والشنائعَ، إذ إن البلادَ موصوفةٌ بالثباتِ؛ لا تُجاوِزُ مقرَّها، فلا يصحُّ أن تقومَ بمضمونِ الفعلِ الكلامى(بلغت).(٢)

الكلام السالف الذكر يُشير إلى أن الأخطل تحت تأثيرِ انفعال الغضب، والتشنيع بالقوم، هذا الانفعال، أو الانفجار النفسى قد جعله يقدِّم ما يُوهِمُ أنه المفعول فى أثره الإعرابى، على نية التأخير، وهو الفاعل من منظور الأفعال الكلامية المنجزة، فهو الفاعل؛ إذ شغلت كلمة(سوآتُهم) موقع الفاعل، حيث إن السوءات هى التى – لشناعتها – قد طارت فى البيئةِ المحيطةِ كلِّها، فيما يخصُّ الدلالةَ الحقيقيةَ، وهى فاعل قام بفعل الوصول، والأصل أن تتقدم السوءات وفق الترتيب الأصلى للتركيب، فهى التى بلغت، وأن تتأخر المواضع، إذ هى متأخرةٌ فى الترتيب النحوى، ومن قبل متأخرةٌ فى الدلالة، وقربها من الفعل، إلَّا أن الشاعر قد ألبسها أثر المفعول، فنصبها بالكسرة، ليدل على تأخُّرِها فى نفسِه، تغيرًا وانفعالًا بما وُصفوا به، بأن قدَّم ما يُعبر عن انفعالِه وغضبِه.

وحقها الرفع، لشغلها موقع الفاعل لكنه تقديم على نية التأخير، فتلك السوءات، هى الفاعل، لكنه أراد تأخيرها، فألبسها أثرًا إعرابيًّا – وهى فتحة المفعول – يدفع المتلقى إلى تأخيرها فى الدلالة، وهكذا فهى مقدمة فى اللفظ متأخرة فى الدلالة؛ وهى سبب انفعال الشاعر، وقفًا لوقع آثارها على نفسه، نفورًا، إذ الأصل فى التقدير: بلغت سوءاتُهم نجرانَ وهجرَ، فالسوءات هى التى بلغت من عِظَمِها وكثرتها، وشناعة سيرتهم، إلَّا أنه غايَرَ معيارية الأثر من الضمة إلى الكسرة انفعالًا سلبيًّا مقصودًا، بالإضافة إلى ما أراده الشاعر – اعتدادًا بذاته – من الوقوع فى إقواءِ القافيةِ، بالتحول فيها من الضم إلى النصب، فلو نصب (هَجَرَ) لأقوى، والإقواء من عيوب القافية.(٣)

- **ونظير ذلك: قوله(٤):**
- **يَا رَبَّهَا! يَوْمِ تُلَاقِى أَسْلَمَا**
- **يَوْمَ تُلَاقِى الشَّيْظَمَ الْمُقَوَّمَا**
- **عَبْلَ الْمُشَاشِ فَتَرَاهُ أَهْضَمَا**
- **تَحْتَسِبُ فِى الْأُذُنَيْنِ مِنْهُ صَمَمَا**
- **قَدْ سَلَمَ الْحَيَّاتِ مِنْهُ الْقَدَمَا**

---

(١) انظر: التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية: ٩٤– ٩٥

(٢) انظر: ديوان الأخطل: ١٠٠– ١٠٩

(٣) ينبو الحسُّ العربى عن الثقل، وكان الشعراء أشدَّ حرصًا على السلامة من عيوب القافية، ومنها: الإقواء، ويُقصد به: اختلاف حركة الروى، فكانوا يُخالفون الإعراب فى سبيل وحدة القافية، وتحقيقًا للتناسب بين القوافى، من ذلك ما صنعه الفرزدق من رفع كلمة: إيآسُ، من قوله:

يا أيُّها المشتكى عكلًا وما جَرَمَتْ إلى القبائل من قتلٍ وإيآسُ.

إنَّا كذلك إذ كانت هَمَرَّجَةً نسبى ونقتلُ حتى يُسلمَ الناسُ.

إذ يغيب عامل الرفع فى كلمة: إيآس، بيد أن الفرزدق أشار إلى أن عامل التناسب، وتوحيد القافية هو عامل الرفع، حين قال: فكيف أصنعُ، وقد قلتَ: حتى يُسلم الناسُ.انظر: مجالس ثعلب، لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ٢٠٠– ٢٩١هـ، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، القسم الأول، النشرة الثانية، دار المعارف، مصر، سلسلة: ذخائر مصر(١)، (د.ت): ٤١

(٤) البيت من الرجز، منسوب فى كتاب سيبويه إلى عبد بنى عبس، وعند ابن جنى من دون نسبة إلى قائل معين، وقد أشار محقق الخصائص إلى نسبته إلى عبد بنى عبس، أو إلى العجَّاج، وفى اللسان منسوب إلى مُساور بن هند العَبْسى، ويُقال: هو لأبى حيَّان الفقعسى، انظر: الكتاب، جـ١: ٢٨٦– ٢٨٧، وانظر: الخصائص، جـ٢: ٢٩٦

- **الْأُقْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا.(١)**
- **وَذَاتِ قَرْنَيْنِ ضَمُوزاً ضِرْزِمَا.(٢)**

لقد استشهد سيبويه بهذا الرجز، فى: **هذا باب يُحذف منه الفعلُ لكثرته فى كلامهم؛ حتى صار بمنزلة المثل، وهو ممَّا أُعطى فيه الفاعلُ إعرابَ المفعولِ أو العكس(٣)**" فإنما نصب الأقعوانَ والشجاعَ– وحقُّهما الرفع– لأنه قد عَلِمَ أن القَدَمَ مسالِمَةٌ، كما أنها مُسالَمة، فحمل الكلامَ على أنها مُسالِمة(٤) وقد يكون هذا العدولُ سليقةً تواصليةً غلبت على الشاعر، بحيث جُبِلَتْ ذاتُه على طبْعٍ نَفْسِيٍّ من الجَرْأَةِ، والغرامِ بمُخَالَفَةِ المَأْلُوفِ، إثباتًا لذاته، واعتدادًا بها، والرَّغْبَةِ فى لَفْتِ الانتباهِ إليه، ويدلُّ على قوةِ هذا الانفعالِ فى نفسه؛ أن الكلمة لَمْ تأْتِ فى قافيةِ البيتِ، إنما جاءت فى دَرَجِهِ، لا فى آخره؛ لذا لا يوجدُ ما يدعو إلى القولِ باضطراره إلى هذه المخالفة(٥) وقد سبَّب ذلك التداخُلَ والغموضَ إضمارُ الفعلِ المتروكِ إظهارُهُ(٦) لأن" الوجدانَ– كما يقول سيبويه– مُشْتَمِلٌ فى المعنى".(٧)

وقد أورده ابن مالك ضمن ما أطلق عليه: **تفاعُلَ الاشتراك**، وهو الاشتراكُ فى الفاعليةِ لفظًا، وفيها وفى المفعوليةِ معنى؛ من باب الحمل على المعنى، وأشار إلى وقوعِ المؤلفِ تحتَ تأثيرِ انفعالِ التخييلِ، بأن صار الفاعلُ والمفعولُ شريكيْن من جهةِ المعنى؛ لأن كل واحد منهما قد فعل بصاحبه ما فعل به الآخر، وهما فى اللفظ مجعولٌ أحدهما فاعلًا والآخر مفعولًا، فقد اقتسما فى اللفظِ الفاعليةَ والمفعوليةَ، واشتركا فيهما من جهة المعنى، وليس أحدهما أولى من الآخر بالرفع، ولا بالنصب، وهذه الإشكاليةُ جَسَّدَتْها الحركةُ الإعرابيةَ بين الأقعوانِ، والشجاعِ والقدمِ؛ لأن كل شيئين تسالما؛ فهما فاعلان مفعولان.(٨)

ويرى الدكتور عطية سليمان أن هذا التصرفَ لا يندرج تحت باب الخطأ من الشاعر، وهو مستوى آخرَ للكلامِ الفصيحِ، فقد يكون عودةً إلى السليقة؛ أو لنَقُلْ بسيطرةِ السليقةِ، ولغةِ البيئةِ اللغويةِ للشاعرِ على تراكيبه، وشعرِه، وأدبِه.(٩) ويُفهم من كلامِ الجرجانى(ت٤٧١هـ) أن مثل هذا البيت هو مما ارتبطت دلالتُه بتحريكِ القلبِ، أو تحريكِ النفسِ؛ وأن الباعثَ عليه هو شدةُ إعظامِ مضمون الفعل الكلامى، وقد جاء وفق ما ألفته النفس.(١٠) يقول ابن قتيبة فى هذا المعنى: "نصب الأقعوانَ والشجاعَ؛ وكان الوجهُ أن يرفعَهما، لأن ما حالقَه قد حالقَكَ، فهما فاعلانِ ومفعولانِ".(١١) ولفظُ المسالمةِ يقتضى أن يكونَ كلٌّ منهما فاعلًا، لجوازِ صدورِ المسالمةِ من كليهما، لأن الحيات" قد سالمت القدم، وسالمتها القدمُ؛ فلم تطأها، فالحياتُ فاعلةٌ مفعولةٌ، والقدمُ فاعلةٌ مفعولةٌ، فجاز أن يُحمَلَ اللفظُ فى الأقعوانِ والشجاعِ على ما فيهما؛ وفى الحيَّات من معنى المفعولية".(١٢) ويبدو أن الشاعرَ واقعٌ تحت وطأةِ انفعالِ التعجب من **مشهد الرؤية البصرية وما فيها من التداخُل، والتشارُك**، وقدَّم ما يدلُّ على ذلك، بقوله: يارِيَّها!؛ فنادى الرى، كأنه حاضر، على جهةِ التعجبِ، من كثرةِ استقائِه، وليؤكِّد هذا الانفعالَ نسبَه إلى الصَّمَمِ، أى: لا يكادُ يُجيبُ أحدًا فى أولِ ندائِه، لكونِه مُنشغلًا فى مصلحةِ الإبلِ؛ حتى يكرَّرَ عليه النداءَ؛ ومسالمةُ الحيَّاتِ قدمَه؛ لِغِلَظِها، وخشونتِها، وشِدَّةِ وَطْئِها.(١٣)

---

(١) أسلم: اسم راعٍ، والشيظم: الطويل، والمقوَّم: الذى ليس فيه انحناء؛ وعبل المشاش: غليظ العظام، والأهضم: الضامر البطن، والأقعوان: هو ذكر الأقاعى، والشجاع: ذكر الحيَّات، ويُقال: هو ضربٌ معروفٌ من الحيَّات، والشجعم: الجرىء، والضِرْزَم: المُسنَّة، وهو أخبث لها، وأكثر لسمها، وذات قرنين: ضرب من الحيَّات، لها شبه قرنين، والضموز: الساكنة المطرقة، التى لا تصفر؛ لشدة خبثها، فإذا عرض لها إنسان، ساورته وثبًا. انظر: لسان العرب، جـ٤: ٢٦٠٨–٢٦٠٩مادة: (ضـ م، ز).

(٢) البيت مختلف فى نسبته، من الرجز، ويُرجَّح أنه لأبى حيان الفقعسى، أو لابن أبى حناء، وقيل: لمساور بن هند العبسى، وهو الشاهد رقم: ٧٩٧ من شواهد المغنى، ومن دون نسبة إلى قائل معين، انظر: المقتصد فى شرح التكملة:١٢٣٨، وانظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٦٤– ٥٦٥

(٣) انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٦٤

(٤) الكتاب، جـ١: ٢٨٧

(٥) انظر: لغة المتنبى، دراسة تحليلية: ٧٠

(٦) انظر: الكتاب: جـ١: ٢٨٢

(٧) الكتاب: جـ١: ٢٨٧–٢٨٨

(٨) انظر: شرح التسهيل، جـ٣: ٣٠٩ – ٣١٠

(٩) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٦٧–٦٨

(١٠) انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى، ط عيسى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٢م: ٤

(١١) تأويل مُشكل القرآن الكريم: ١٩٥

(١٢) الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٣: ٢٦٧

(١٣) انظر: لسان العرب، جـ٤: ٢٦٠٨–٢٦٠٩مادة: (ضـ م، ز).

وفى انزياحِ الشاعرِ إلى الفتحة فى قولِه: (الأقعوانَ، والشجاعَ) إشارةٌ إلى عاملِ انفعالِه بأنَّ قَدَمَ الجملِ قدْ قلمتْ بالفعلِ، وهو المُسلَّمةُ، وهذا من المتوقع، إذ لم تُجْبَلْ على الاقتراسِ، وأبرز الشاعرُ انفعالَه، تعجبَه من مُسَلَّمةِ الأقعوانِ والشجاعِ، وهما من أخبثِ الحيَّاتِ، ومن غيرِ المتوقعِ منهما– طَبْعًا– مسالمةُ القَدَمِ، فتخلَّتْ عن القيامِ بفعلها المنطقى الطَّبْعِى، وهو الاقتراسُ، والجَرْةُ فى الفَكِّ؛ وهذا من غيرِ المتوقعِ، فشغلتا موقعَ المفعولِ الانفعاليِّ، إذ لما تركت عملَ الفاعلِ تأخرتْ فى اللفظِ والرتبةِ، والدلالةِ، خضوعًا لانفعال التعجب، والرؤية، ومن ثمَّ تأخرتْ فى الأثرِ الإعرابيِّ، فأراد أن يَصْدِمَ مُتَلَقِّيه، بمُغايرةِ الحركةِ الإعرابيةِ، ليستدرجَه إلى الدلالةِ الانفعاليةِ، ويكون التقدير: قد سالمت قدمَ الجَمَلِ الحيَّاتُ، الأقعوانُ، والشجاعُ، والضموزُ، والضرزمُ؛ وهذا سبب انفعال الشاعر وتعجبه، فكانت الفتحة الظاهرة الانفعالية بديلًا إيجابيًّا عن الضمة المعيارية.

<u>والفتحة :</u> صوتٌ مجهورٌ، يكون اللسانُ فى النطق بها مستويًا، وبه حريةٌ فى مرورِ الهواءِ خلالَ الحلقِ والفمِ، وذبذبةٌ فى الأوتارِ الصوتيةِ، حال النطقِ بها، ويكونُ الهواءُ حرًّا طليقًا، من دون عائقٍ، أو حائلٍ، معَ اتِّساع مجرى الهواءِ وانفتاحِه بصورةٍ، تُحدثُ احتكاكًا مسموعًا من دون أن ينحرفَ الهواءُ عن وسطِ الفمِ إلى الجانبين أو أحدهما؛ وقد أجاد الشاعرُ فى الانزياحِ نحوَ الفتحةِ فى قولِه: (الأقعوان)، و(الشجاع) فى تحقيقِ المطابقةِ الدلاليةِ بين فعل المسالمة من جانب الحيَّات، وصفة الحياد التى تتسم بها الفتحة، فهى غيرُ مضمومةٍ، وغيرُ منفرجةٍ؛ إذ ضمُّ الشفاهِ وانغلاقُها يكونُ معَ الضمةِ، وانفراجُها يكونُ معَ الكسرةِ.(١) ممَّا يمنحُ الفتحةَ وظيفةً تعبيريةً، وقيمةً دلاليةً على المحايدةِ، التى تقترب كثيرًا فى دلالتها من مفهومِ المسالمةِ.

حيث إن الانفعالَ إرادةٌ داخليةٌ، " والفتحة تدل على العملِ الإراديِّ؛ لأن فكَّ الفمِ– عند إخراجِ صوتِ الفتحةِ– يبتعدانِ الواحدةُ عن الأخرى، وعمليةُ الإقبالِ– بفضلِ عضلاتِها القويةِ– أسهلُ من عمليةِ الفتحِ الضعيفةِ العضلاتِ، وأيسر، فإخراجُ الفتحةِ أصعبُ من إخراجِ الضمةِ، التى تقتضى فتحًا أقلَّ من الذى للفتحة؛ وهى أصعبُ –بدورها– من الكسرةِ، التى تقتضى انفتاحًا قليلًا للفم... وإذا قال القدماء بخفة الفتحة، وثقل الضمة، والكسرة؛ باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتى، فذلك له أساسٌ فى أعماقِ الإنسانِ، ألا؛ وهو أنَّ الكلامَ المفتوحُ يروقُ؛ لِمَا يُوحِى به من حركةٍ، ونشاطٍ، وحيويةٍ، وإرادةٍ بالنسبة إلى الكلامِ المكسورِ، الذى يُشيرُ إلى الرُّضُوخِ، بخلافِ الضمِّ، الذى يدلُّ على التراكُمِ، والتفاقُمِ، والسكونِ، والركودِ، والتَّمَهُّلِ".(٢)

<u>المطلب الثالث: التحوُّل من الضمة إلى الفتحة:</u>

من ذلك: قول سيبويه فى : **<u>هذا باب ما يجرى من الشَّتْم مجرى التعظيم وما أشبهه: تقول: أتانى زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ</u>**، لم يُرِدْ أن يُكرِّرَه، ولا يعرِّفك شيئًا تُكرُه، ولكنه شتمه بذلك، وبلغنا أن بعضهم– يقصد قراءة عاصم، وقد وافقه ابن محيصن– قد قرأ هذا الحرف نصبًا،:" وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ".(٣) على الذَّمِّ، وقيل: على الحال، و(امرأتُه) بالرفع؛ لأنها فاعلٌ؛ لعطفها عليه(٤) ولم يجعلِ الحَمَّالَةَ خبرًا للمرأة، ولكنه؛ كأنَّهُ قال: **<u>وانكر حملةَ الحَطَبِ، شَتْمًا لها على جِهَةِ التَّخْصِيصِ.(٥)</u>**

كأن الحركةَ الإعرابيَّةَ– وهى الفتحةُ، فى قولِه: **<u>أتانى زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ</u>**– دليلُ انزياحٍ عن تقديمِ جميعِ مكوناتِ الجملةِ، بالإضافةِ إلى كونِها دليلَ استجابةِ المؤلِّفِ وعناصرِه التركيبيةِ لانفعالٍ داخليٍّ، وشعورٍ نفسيٍّ، **<u>وهو تحذيره من فِسْقِ زَيْدٍ وخُبْثِه</u>**؛ بالإضافةِ إلى انفعالِ المؤلفِ ورغبته فى سَلْبِ الفضيلةِ من زيدٍ، وإثباتِ ضِدِّهَا لَهُ (٦) فاختزل بعضَ عناصرِه الكلاميةِ، ليعبر بالفتحة عن انفعال الضيقِ، والرغبةِ فى التحذيرِ، والتخصيصِ، وليؤكدَ –لمتلقيه– أن هذا الانفعالَ صار مُوَجِّهًا نَفْسِيًّا لتفسيرِ التراكيبِ، فاستلزمت النصيحةُ أن يكون البلاغُ فى صورةٍ مقتضبةٍ، ومعبرةٍ، وفى رغبةٍ من المؤلف فى أن يُسرعَ فى إيصالِ بلاغِه إلى متلقيه، فحذفَ الفعلَ، بسبب حالته الانفعالية؛ وأناب الفتحة لتدلَ على سطوةِ الانفعالِ وتعضيدًا بتمامِ الدلالةِ، إذ إن الفتحةَ أصيلةٌ فى المكملاتِ الكلاميةِ من المنصوباتِ، وتنوب كثيرًا عن الفعلِ وفاعلِه، فيهرب المؤلفُ من الضاغطِ الانفعاليِّ بإلقاءِ قليلٍ من الكلامِ، وقد عبَّرت الفتحة عن السرعةِ فى تقديمِ مضمونِ الفعلِ الكلاميِّ، وهو انفعالُ المؤلفِ ورغبتُه فى تحذيرِ متلقِّيه من فِسْقِ المتحدَّثِ عنه، وخُبْثِه.(٧)

---

(١) انظر: دراسات فى علم اللغة، د: كمال بشر، (د.ط)، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م: ٨٧ –٨٨

(٢) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان :٣٩٤١

(٣) سورة المسد، الآية رقم: ٤

(٤) انظر: اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، المسمَّى: منتهى الأمانى والمسرَّات فى علوم القراءات، للعلامة الشيخ: أحمد بن نحمد البنَّا، المتوفى سنة: ١١١٧هـ/١٧٠٥م، حقَّقه وقدَّم له: د: شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، جـ٢: ٦٣٦

(٥) انظر: الكتاب، جـ٢: ٧٠

(٦) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية :٨١

(٧) انظر: أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية:١٦

وفى الشاهد الثانى؛ لقد أشار الفراء (ت٢٠٧هـ) إلى أن قوله –تعالى: **(حَمَّالَةَ)** ممَّا نُصِب على الشتْم، واللَّعْنِ، بأن" تشتمها بحملها الحطب، والتشنيع بها، وفى النصب زيادةُ تأكيدٍ لافعالِ الذَّمِّ، وتجديدٌ له؛ إذ كانت تُحَرِّشُ بين الناسِ، وتُوقِدُ بينهم العداوةَ؛ لاشتهارِها بالنميمةِ".(١) وقد أيَّد الزمخشرى(ت٥٣٨هـ) هذا الرأىَ؛ وذكر –فى المفصَّل– أن فى كلامِ العربِ ما يدلُّ على الاختصاصِ والتوضيحِ، وأنهم لا يقصدون، ولا يعنون إلَّا ما أرادوه بصفةِ الاختصاصِ، كأنه قيل: إنَّ من يقصدون بفعل كذا؛ متخصصًا– بذلك– من بنى جنسِه؛ فجعلوا منه: **أتانى زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ، ومررتُ به المسكينَ البائسَ.**(٢)

وواضح من قوله: **الفاسقَ الخبيثَ**، بنصب القاف والثاء على التوالى؛ ارتباطُ مضمونِ التركيبِ بافعالِ المتكلمِ، فأراد أن ينبّهَ المتلقى إلى ما فى الفاعلِ من اختصاصٍ بصفاتٍ مرذولةٍ، وتلك الصفات المرذولة قد أثارت افعاله، وخصَّ منها: الفسقَ، والخُبْثَ؛ تنفيرًا منه، وكُرْهًا له، وتكريهًا للقائِه، وإظهارَ افعالٍ معينٍ؛ بتقديمِ النصحِ لمن يخاطبه، ليبتعدَ عنه، وقد أثار افعالَ المتكلمِ اشتهارُ زيدٍ بصفاتٍ، ينبغى للمؤلف أن يُحَذِّر منها متلقيه.

وقد أدَّى افعالُ الضيقِ المتخق من اغلاق الضمة، والرغبةِ فى التنبيهِ –بالمؤلف– إلى أن يحذفَ فعلَ التحذيرِ، أو دليلَ الاختصاصِ، أو أن يختصرَ؛ مبالغةً فى استكاره أن يختصَّ زيدٌ بصفتىْ الفسقِ، والخبْثِ؛ بصورةٍ تجعلُ هاتين الصفتين دائمتين فيه، بسببِ إصرارِه عليهما، وألجأته حالةُ الضيقِ هذه –وسطوةُ افعالها– إلى أنْ يعبّر عن افعالِه هذا بأقلِّ الكلماتِ، قاصدًا– بذلك– أن تتمركز عناصره اللغوية فى التعبير عن افعالِه؛ فحذف عاملَ النصبِ، امتثالًا لعامل الاقفعال، لدلالة الحالة الاقفعالية للمؤلف عليه، فنصب الوحدةَ التركيبيةَ الدالةَ على افعالِه– الفاسقَ، الخبيثَ– إذ معلومٌ أن النصبَ دليلُ إضمارٍ واختصارٍ، فناسبت الفتحةُ بيئةَ التركيبِ، وهو افعالُ التحذيرِ.(٣)

- **ومن ذلك : قولهم:**
- **كَسَرَ الزُّجَاجُ الْحَجَرَ، برفع الجيم، من الزجاج، ونصب الراء، من الحجر.**
- **خَرَقَ الثَّوْبُ الْمِسْمَارَ ؛ برفع الباء، من الثوب، ونصب الراء، من المسمار.(٤)**
- **أَكَلَ الْخُبْزُ زَيْدًا؛ برفع الزاى من الخبز، ونصب الدال من زيد.**
- **ورَكِبَ الْفَرَسُ عَمْرًا؛ برفع السين من الفرس، ونصب الراء من عمر.(٥)**

لقد ذكر ابنُ هشام الأنصارى أن هذا التصرُّفَ –فى مثل هذه التراكيبِ– من مُلَحِ كَلَامِهِم، ومقصودُه– بذلك– تَقَارُضُ اللفظتيْنِ فى الإعراب أو الأداتيْنِ فى الأحكامِ، من ذلك: إعطاءُ الفاعلِ إعرابَ المفعولِ، والعكس، لكنه اشترطَ– لذلك– أمنَ اللَّبْسِ، نحو: كَسَرَ الزُّجَاجُ الْحَجَرَ، برفع الجيم، ونصب الراء، وخَرَقَ الثَّوْبُ الْمِسْمَارَ ؛ برفع الباء، ونصب الراء.(٦) من بابِ قلبِ المفعولِ فاعلًا والعكس.(٧) فقد ترخَّصَ فى غيابِ قرينةِ الإعرابِ عندَ أَمْنِ اللَّبْسِ(٨) فى ما أطلق عليه النحاة: المفعولُ المرفوعُ.(٩)

وينبنى ردُّ مثل هذه التراكيبِ على منطقيةِ الدلالةِ، إذ لا تؤيّد منطقية التأويل أن يَخرقَ الثوبُ المِسْمَارَ؛ وحَسُنَ التأويلُ على عكس هذا الترتيب بين المفعول والفاعل، هنا حرى بقرينةِ عاملِ الاقفعالِ أن تُغنى عن هذا الخَلْطِ– التى يصلُحُ أن تكونَ سببًا فى الكشْفِ عن الدلالةِ– عن قرينةِ الإعرابِ، التى أدَّت إلى اختلاطِ الدَّلَالَةِ، فليس من الدلالاتِ الاجتماعيةِ، ولا التفسيراتِ المقبولةِ، أنْ يَخرقَ الثوبُ المسمارَ، بل على العكس، هنا يُمكن للمتلقى أن يُعدَّ قرينةَ الإعرابِ زائدةً شكليةً، الأفضلُ إهمالُها فى موقفِ التداولِ، إذ تمام الدلالة متحقق بغيرها من قرائن بيان المعنى، من مثل قرينة المنطقية الدلالية(١٠) والتسليم بأن المعنى قد يُكتَشَفُ من دونَ الحاجةِ إلى قَرَائِنَ شكلية، وهذا ترخُّصٌ نحويٌّ فى قرينةِ الإعرابِ.

---

(١) معانى القرآن ، نوادرا، جـ٣: ٢٩٩

(٢) انظر: المفصَّل فى علم العربية : ٦٧– ٦٨

(٣) انظر: أثر الحالة الاقفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية: ١٥ – ١٦

(٤) انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٥٦٤

(٥) انظر: السياق الاقفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب: ٦٨

(٦) انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٥٦٤

(٧) انظر: العدول عن المطابقة فى الجملة العربية، دراسة نحوية تحليلية : ٥٦٩

(٨) انظر: مطالعات فى اللغة والأدب: ٩

(٩) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية):١٣٣

(١٠) انظر: العدول عن المطابقة فى الجملة العربية، دراسة نحوية تحليلية، يوسف محمد العنزى، ورائد سعد الشلاحى، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، م ٤١، ع٢، الكويت، ٢٠١٤م: ٥٦٤

تغيرت الحالةُ الإعرابيةُ– فى الأمثلة السابقة– من النصب إلى الرفع، وهذا– لاشك– أمرٌ شكلىٌّ تركيبىٌّ، لا يُمكن التعويلُ عليه –فحسب– فى التحليلِ الدلاليّ للتراكيبِ، إنما يتوقفُ هذا الأمرُ على نسبةِ العلاقةِ بين العناصرِ اللغويةِ، ومقدار حبكها؛ لتُشَكِّلَ الدلالةَ الكليةَ للتركيبِ، وقد أجاز النحاة للشعراء ما لم يُجيزوه لغيرهم من مستخدمى الفعل الكلامى اللغوى وغير اللغوى؛ حتى" أنهم أجازوا لهم نصب المفعول ورفع الفاعل".(١)

فالشاعر –وفق هذا التَّرخُّصِ– لم يكُنْ لِيَعْبَأَ بالخطأ؛ حال وقوعه، إنما هو يقصده، وهو تحت سطْوةِ الانفعالِ، بل يكونُ أسيرًا له، يُحاولُ أن يُبرزَه فى فعلِه الكلاميّ المنجزِ، فهو الذى يُحرِّكُ لُغَتَهُ الكلاميةَ، ويَضْبِطُهَا، بل يوجهُها نحوَ انتقاءٍ لغويٍّ مُعَيَّنٍ، فيدفعُه إلى التَّقَيُّظِ بالفعلِ الكلاميّ، حَيْثُمَا يتطلبُ الانفعالُ، وهذا جَائِزٌ مُطَّرِدٌ؛ بأن يَرفعَ المؤلفُ المفعولَ، وينصبَ الفاعلَ، إذا أُمِنَ اللَّبْسُ، واعتمادًا على مدى تمكُّنِ المتلقى من التوصُّلِ إلى المعنى المُرَادِ، فلا حاجةَ إلى الأثر الإعرابى القياسى؛ نحو قولهم: أَكَلَ الْخُبْزُ زَيْدًا، وركِبَ الْفَرَسُ عَمْرًا.(٢)

تجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الأمثلة يقع ضمنَ دائرةِ نظريةِ الحالةِ النحويةِ، التى يضبطها العامل النحوى، إلَّا أنها– فى جانب آخر– تحتفى بالمرويات اللغوية، من خلالِ الموقعِ الإعرابى لعناصرِها؛ ويُنظرُ إليها بوصفها أشكالًا تركيبيةً، تسمحُ بصياغتِها القواعدُ العربيةُ، وهى تراكيب صحيحة، وتعتمد –فى جوهرها– على الموقعية النظمية، ودلالتها، وارتباط ذلك بتداولية الإيصال، والتلقى، والتفسير، إذ إن مفهومَ الحالةِ يدلُّ على هذه الموقعيةِ؛ لأن تَغَيُّرَ حركاتِ الإعرابِ؛ قد لا يدلُّ– بالضرورةِ– على الوظيفةِ النحويةِ.(٣)

وممَّا يقوِّى من أثرِ سياقِ عاملِ الانفعالِ على العلامةِ الإعرابيةِ، وارتباط ذلك بقدرة المتلقى على تحصيلِ الدلالةِ؛ أنْ دعا الدكتور تمام حسان– رحمه الله– إلى إهمالِ الحركةِ الإعرابيةِ– اعتمادًا على قرينتىْ الإسنادِ وأمنِ اللبسِ– وهما قرينتان معنويتان– يقول:" قالت العربُ: **خَرَقَ الثَّوْبُ الْمِسْمَارَ**؛ فاعْتَمَدُوا على القرينةِ المعنويةِ، وهى: الإِسْنَادُ، وتحقُّقِ تمامِ الدلالةِ، وأهملوا الحركةَ؛ إذْ لا يَصِحُّ أن يُسند الخرقُ إلى الثوبِ، إنما إلى المسمارِ، فعُلم أيهما فاعلٌ، وأيهما مفعولٌ".(٤) فقد يتَحَقَّقُ تمامُ الدلالةِ والإبانةُ عنها بعيدًا عن قرينة الحركاتِ، والحروفِ، وبعيدًا عن قرينةِ الرتبةِ؛ بل بالاستدلال المنطقى. فصانعُ الفعلِ الكلاميّ– حين يأْسِرُهُ عاملُ الانفعالِ بحدثٍ ما؛ يُعايِشُهُ، ويندمجُ معه– يكونُ مغمورًا فى مفرداته، الذى قد يُسيه مراعاةُ الدقةِ فى قواعدِ اللغةِ، فى وجهة لتفسير الأفعال الكلامية، وقد يُريد به المؤلف إضافة معانى أخرى إلى المعانى التداولية، تمتاز بالعمق والجمال؛ فهو بين غلبة عامل الانفعال وقصديته، ورشاد سليقته، وفصاحة لسانه، وإدراكه أسرار لغته، ومعرفته بأسوارها، ويميل الباحث إلى القول بالثانى، إذ الأول يُشير إلى الفوضى التداولية، واتصاف السليقة اللغوية بالاعتباطية، وعدم الرشاد، والتشويه النظْمى، والتشويش الاستعمالى، وبأن العربى موصوفٌ بالسذاجة، حين يُلقى التراكيب عُفْلًا من غير نكتة أو غرض، مايُهم – هنا– هو القول بأن عامل الانفعال هو العامل الأقوى من العامل النحوى، والعربى يقصد طرح أثر الانفعال وإبرازه فى عناصره اللغوية، وهو راغب فى أنْ تجسِّدَ هيئةُ الفعلِ الكلاميّ، وكميتُه وتداوليةُ معايشةِ المؤلفِ لسياقِ عاملِ الانفعالِ؛ وهذا الأمر هو ما يفسِّر الخطأ الذى نجده فى شعر كثير من الشعراء.(٥)

وتتجسدُ سطوةُ سياق الانفعال– فى الشاهد السابق– فى رغبة المؤلف" تفريغَ دلالةِ الفعلِ لهذا المفعولِ، وَعَدَمِ شَغْلِه بغيره، فالفعل مفرَّغٌ للمرفوعِ، وغيرُ مشغولٍ بغيره، فكأنه هو هو".(٦) وما يشغلُ بال المؤلف هو اخراق الثوب، لايعنى بالمسار، أو تحصر رغبته فى أن يلتزمَ التركيبُ النَّحْوِيَّ السيرَ على سَمْتِ ما قالتِ العربُ، التى كانت تُلزمُ الرفعَ للاسمِ الذى يأتى بعد الفعلِ، ويدأْتْ بهِ الجملةُ، فيشابه المفعولُ مع الفاعلِ، فيُنظرُ إلى معنى المفعولِ المرفوعِ، بوصفه مُطابقًا للمفعولِ المنصوبِ.(٧) فقدَّمَ الضَّمَةَ على الفَتْحَةِ؛ لأن الفاعلَ قبلَ المفعولِ، والرفعَ قبلَ النَّصْبِ.(٨) واستنادًا إلى النسق الدلالى المستكنَّفِ من تآلف الوحدات الصوتية، بغض النظر عن الأثر الإعرابى، بالإضافةِ إلى كونِ المعنى واحدًا فى كلتا الحالتين، يكونُ من مجانبةِ الصوابِ –فى القياس النحوى– وَصْمُ التركيبِ النَّحْوِيّ: خَرَقَ الثَّوْبُ الْمِسْمَارَا، بالخطأ، وإن كان لفظُ المفعولِ هو لفظَ الفاعلِ، والعكس، إلَّا أن الإطار الشكلى– بأثره الإعرابى– قد جعل الفاعلَ– مع نصبِه– قَائِمًا مقامَ المفعولِ، وأن يكونَ المفعولُ– مع رفعه– مُسْتَصْحِبًا معنى المفعوليةِ، وكذلك الفاعلُ مع نصبِه.(٩)

---

(١) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٦٥

(٢) انظر: السياق الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب: ٦٨

(٣) انظر: نظرية النحو الكُلِّيّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية) :١٠٧ –١٠٨

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٤

(٥) انظر: اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى :٦٥

(٦) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية):١٣٥

(٧) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية:١٤٨

(٨) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان : ٣٩٤٣– ٣٩٤٤

(٩) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية :١٣٦–١٣٩

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

هذا التصرفُ اللغويُّ، ذو المغزى النفسيّ التداوليّ هو دليلٌ قصديةِ المؤلفِ؛ فقد وفرت ذهنيةُ المتلقى تمامَ الدلالةِ، بحيث أُمِنَ اللبسُ، إلَّا أن مثلَ هذه التزاكيبِ– التى تنوب فيها قرينةُ تمامِ المعنى عن قرينةِ المطابقةِ المعياريةِ للأثرِ الإعرابيّ، قرينةِ الصحةِ الإعرابيةِ، فى ضوءِ سطوةِ نظريةِ العاملِ– قد ارتبطت بانفعالِ المؤلفِ، الذى قد يكونُ انفعالًا سلبيًّا، فعدَّلَ من ترتيبِ هيئتِه الكلاميةِ، فقدم المفعولَ، وأحلَّه محلَ الفاعلِ، فرفعه، وآخَّر الفاعل، وأحلَّه محلَ المفعولِ، ونصبَه، وقد يتمثَّل الانفعالُ– فى هذا الموضع– فى محاولةِ المؤلفِ إربِاكَ المتلقى، والتأثيرَ فيه، أو إيقاظَه، من خلال نقلِ الصورةِ الانفعاليةِ له، أو قد يكون الانفعال المسيطرُ هو انفعالَ الحزنِ الشديد، فقدَّم المؤلفُ ما يُعبِّر عن انفعالِه، وحُزْنِه، من انخراقِ الثوبِ، وانكسارِ الزجاجِ، إذ من عادة الاستعمال التواصلى أن يقدم العربى ما هو أهمُّ، وأقربُ إلى انفعالِه، ويؤخِّر ما دونه، وكأنه يؤخِّر الفاعلَ، ويسلبه قوتَه، وأحكامَه، وضبطَه، ليقلَّ من شأنِه، أو تشنيعًا به؛ وهو هنا: المسمار، والزجاج، وقد جاء رفع المفعول ونصب الفاعل بسبب من الانفعال، لاسيما وأنه لم يحدث مغايرة دلالية.

ويُعتمد– فى إدراك دلالة المثال السابق– على قدرة المتلقى على سبْر أغوار البنية العميقة، إذ إنه يؤصِّل لبعدٍ نفسيّ، قاصدًا من ذلك تَمْكِينَ دلالةِ المفعولِ فى نفسِ المؤلفِ والمتلقى، وأن تغيِّرَ الضبطِ الإعرابيّ للمفعولِ انعكاسٌ لحالةِ المفعولِ فى نفسِ المؤلفِ، فصاغ له صيغةً تُعد استراتيجيةً من استراتيجياتِ التقويةِ الكلاميةِ، تتحقق بمغايرة الضبط إلى الصورة الشكلية للفاعل، وهى الرفعُ، فالمفعولُ المنصوبُ أصبح كالفاعلِ المرفوعِ، بإحداث تغيير فى الصورة. إننا – حين نتأمل الأمثلة السابقة– نجد أن الأصل فيها أن تكون:

- **كَسَرَ الْحَجَرُ الزُّجَاجَ ، برفع الراء، من الحجر، ونصب الجيم، من الزجاج.**
- **خَرَقَ الْمِسْمَارُ الثَّوْبَ ؛ برفع الراء، من المسمار، ونصب الباء، من الثوب.**
- **أَكَلَ زَيْدٌ الْخُبْزَ؛ برفع الدال من زيد مع التنوين، ونصب الزاى من الخبز.**
- **رَكِبَ عَمْرُ الْفَرَسَ ؛ برفع الراء من عمر؛ مع عدمية التنوين، ونصب السين من الفرس.**

لأن هذا النَّسَقَ التَّرْكِيبِيّ يُؤَدِّى إلى تمامِ الدلالةِ، وسلامتِها، ومنطقيَّتِها، إذ أظهر منْ قام بالفعلِ، ومَنْ وقع عليه فعلُ الفاعلِ، وتضافر فيها مبدآ الهيئةِ التركيبية، والأثرِ الإعرابيّ فى مراعاةِ أُفُقِ انتظارِ المتلقى، واعتمادِ الافتراضاتِ المسبقةِ فى التحديدِ الدلاليّ بين المؤلِّفِ والمتلقى، فى استلزامٍ حواريّ جلِّ، وواضحٍ؛ إلَّا أنَّ هذا الأمرَ ليس من مقصودِ المؤلفِ فى شىءٍ؛ إنما المقصودُ إبرازُ أثرِ عاملِ الانفعالِ فى تزاكيبِه اللغويةِ، وهو مَعْنِيٌّ بتقديم ما أثَّرَ هذا الانفعالَ، فقدَّمَ– فى الأمثلة السابقة– الأقربَ إلى انفعالِه، أو المُسبِّبَ له، وما أخرَّه بالأثر الإعرابى، هو بعيد– بالفعل– عن بؤرةِ اهتمامِه، بصورةٍ ما، "فكان للانفعالِ الأثرُ البالغُ فى تقديم ما كان الأصلُ فيه التأخيرَ".(١)

فانفعالُه **–فى المثال الأول–** بسببِ تعرُّضِ الزجاجِ للكسرِ، وفى الثانى؛ بسببِ انخراقِ الثوبِ، وفى الثالثِ؛ بسببِ أَكْلِ الخُبْزِ، وفى الرابع؛ بسببِ ركوبِ الفرسِ؛ فقد تمكَّنَ هذا الانفعالُ من نفسِه، وكان اهتمامُه بعرضِ الأقربِ إلى انفعالِه أولى من عنايته بمطابقةِ التركيبِ للقواعدِ النحويَّةِ، من أجل ذلك صنع أمرين؛ **أحدهما:** قدَّمَ القالبَ النحويَّ المعبِّرَ عن حالتِه الانفعاليةِ، **والآخر:** أعطاه الأثرَ الإعرابىَّ الدالَّ على قيامِه بإثارةِ هذا الانفعالِ، فكانت الضمةُ، وهى علامةُ الرفعِ للفاعلِ المؤثِّرِ فى نفسِ المؤلفِ، بالإضافة إلى أن تأخيرَه الفاعلَ، جاء لبُعْدِه عن انفعالِ نفسِه، وتأخُّرِه فى الأهميةِ، فأخَّره رتبة، وإعرابًا، تبعًا لتأخره فى داخلِه، إذ نَصَبَه، ليشغلَ موْقعَ المفعولِ المُتَأَخِّرِ عن الفاعلِ فى اللفظِ والرتبةِ، فقرَّبَه إلى ذِهْنِهِ، وذِهْنِ مُتَلَقِّيهِ ما يدلُّ على انفعالِه، ولِيُبرِزَ الحالةَ النفسيةَ المسيطرةَ عليه؛ ووضع الأثرَ الإعرابىَّ الدالَّ على ذلك؛ من رفعِ المفعولِ، ونصبِ الفاعلِ، فاستخدم ما من شأنه تعريفَ السامعِ بسببِ فعله الانفعالى فى بناءِ التزاكيبِ النحويةِ، وإبرازَ السببِ وراءَ رفعِ المفعولِ، ونصبِ الفاعلِ، لأن ما يشغلُ الأبعادَ التداوليةَ هو إبانةُ المؤلفِ مقرباتِ الدلالة، التى تُظهر، من قام بالفعلِ، ومن وقع عليه فعلُ الفاعلِ، بهدفِ إبرازِ التطابقِ الشكليّ والدلاليّ.

- **ومنه : قوله:**

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ	**خُطَاكَ خِفَافًا إِنَّ حُرَّسَنَا أُسْدَا.(٢)**

---

(١) أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التزاكيب اللغوية: ٧٥

(٢) البيت منسوب إلى عمر بن أبى ربيعة؛ فى رواية المُرادى فى الجنى الدانى، ولم أجده فى ديوانه فى قافية الدال فى طبعتين مختلفتين، وهو من الطويل، وهو الشاهد رقم: ٤٤.من شواهد المغنى، من دون نسبة إلى قائل معين، استشهد به ابن هشام على أن (إنَّ) قد تنصب الاسم والخبر معًا، على لغة قومٍ من العرب، وقد يُخرَّج هذا البيت على الحال، والخبر محذوف، أى: تلقاهم أسودًا، وتكون أسودًا خبر كان المحذوفة، ويكون التقدير: كانوا أسودًا. انظر: الجَنَى الدَّانى فى حروف المعانى، صنعة : الحسن بن قاسم المُرادى، تحقيق: د: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٣٩٤، وانظر: ديوان عمر بن أبى ربيعة، سلسلة كتاب التراث، ط/ دار القلم، بيروت، لبنان، : ٤٨ – ٦٣، ، وانظر: ديوان عمر بن أبى ربيعة، قدم له، ووضع هوامشه وفهارسه، د: فايز محمد، ط٢، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ٩٨– ١٢٠، وانظر تمغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣١

من المعلوم فى (إنَّ النلسخة الناقصةَ) أنها حرفٌ مجلوبٌ للتوكيدِ؛ وأن لها أثرًا إعرابيًّا، انطلاقًا من عملها، حيثُ تنصبُ المبتدأَ، اسمًا لها، فيُفْتَحُ آخرُه؛ وترفعُ الخبرَ، خبرًا لها، فيُضَمُّ آخرُه، وذلك تبعًا لنسبة المبتدأ والخبر إليها، خلافًا للكوفيين؛"كما فى قول أكثرهم ببقاءِ الخبرِ مرفوعًا، من غير أن تعملَ فيه شيئًا، وقد أجاز بعضُهم نصبَ الاسمِ والخبرِ معًا بـ: إنَّ وأخواتها، ومنهم مَنْ ذهب إلى أن نصبَ خبر إنَّ وأخواتها لغةُ قومٍ من العربِ؛ والجمهور على أن ذلك لا يجوز".(١) بيد أنه قد ورد فى شواهد الشعر ما يُخالف فقد نصب معموليْ النلسخ الحرفى(إن)، ولعل ذلك بدافعٍ من لفعلٍ نفسيّ.

يتمثل فى لفت أنظار الناس إلى قوةِ قبيلتِه، وأن تتعلقَ أعينُهم بقوةِ أفرادِها، أو أن يمتدَ معنى القوة، بصورةٍ تضارعُ امتدادَ الفتحِ فى المشبه به، وهو الأُسْدُ، وهو المعنى المستبطنُ، إذ يُريد أن تتمحورَ ذهنيةُ المتلقى حول صفاتِ الأُسْد، من السيطرة، والقوة، والهيبة، والشجاعة، لإضفاءِ مَهابةٍ على ممدوحِيه، وقوةٍ، فلا يشغل متلقيه عن هذه الصفاتِ شاغلٌ، وقد يكون نصب الدال من (أسد) لينلسب المؤلف بين خفةِ الفتحةِ وإطلاقِها، وخفةِ حركةِ الأسودِ ورشاقتِها، وشدتِها، حال حراستها وافتراسها، أو يرغب فى أن يجاوزَ أثرُ العاملِ النحويّ الاسمَ وصولًا إلى خبره؛ – انفعالًا من المؤلف– لتأكيد معموليه، الاسم والخبر، وتحقق الانتشار للمعنى فى عنصرى الخبر؛ تقويةً لمضمون الاسم (حراسنا)، انفعالًا بهم، ويقظتهم، وكذلك انفعال تمكين المهابة والشجاعة إضافة إلى قوتهم، فيستحضر ذهن المتلقى القوة، والشجاعة، والجرأة، والمهابة.

وقد يكون نصب الخبر بدافع انفعالى، يتمثل فى إقراره بالتساوى الدلالى بين كلمتىْ: **(حراسنا) و(أسدًا)؛ من باب: انفعال التسوية والمطابقة الدلالية**، حتى يربط المتلقى بين رجالهم والأسد فى سياقٍ بصريّ مضمونيّ واحد؛ من أجل ذلك سلَّط على كليهما أثر النلسخ الحرفى الدال على تقوية المعنى وتوكيده، كذلك ليشير إلى إمكانية التبديل الموقعى لكلا المعمولين على السواء؛ فقوله: إن حراسَنا أسدا، يساوى: إن أُسْدَنَا حراسًا؛ مما يدعو المتلقى إلى استحضار المعنى، من خلال الدلالة المصوَّرة بالامتداد الصوتى مع الفتحة، ويغدو طولُ الامتدادِ الصوتى تحقيقًا للمشابهةِ بين الفتحة والألف(٢) فيُسْتَحْضَرُ المعنى خلال امتداد النَّفَس، والمشاركة الوجدانية، فتجعلُه مشدوهًا بمضمون الفعل الكلامى المُراد، وهو رغبته فى الافتخار بقوة أفراد قبيلته، مع تخويف الخصوم، وتحيير أذهانهم، وطول المباهاةِ بقوةِ قومِه، وهوما تُحققه خفةُ الفتحةِ مع الإطلاقِ؛" لأن الفتحَ أخفُّ عليهم" (٣) فى عنصريْ البلاغ الاسمى– المبتدأ والخبر– ولاسيما فى حالتِه المنسوخةِ؛ وبهما– معًا– تتحققُ الإفادةُ، إذ من المعلوم ثقل الضمة نطقًا ودلالة، وهذا ما لا يتناسب مع سياق الانفعال بالفخر.(٤)

- **ومثله: قول العجَّاج، من الرجز:**

يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا.(٥)

قد حمل عبد القاهر الجرجانى(ت٤٧١هـ) هذا الشاهد على انفعال التَّحسُّر، فجعل التقدير: يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجع.(٦) ونحوه: قولهم: لَعَلَّ أَبَاكَ قَادِمًا، وقول بعضهم: لَيْتَ الدَّجَاجَ مُذَبَّحًا، وليت أباك منطلقًا، وليت زيدًا قاعدًا.(٧) بنصب معموليْ ليت، وحقهما نصب الأول، ورفع الآخر، وقد حمل كثير من النحاة قوله: يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا على انفعال التمنى.(٨)

يؤولُ بعض العلماء نصب قوله: (رواجعًا) على الحال، والتقدير: يا ليت أيامَ الصبا أقبلت رواجعًا، أو يكون الأمر على إعمال ليت النصب فى معموليها، وأن هذه اللغة ممَّا اُختص به بنو العجاج، فأَخَذَهَا عنهم(٩) ويبدو أن العجاج قد استثمر ما يُثيره بحر الرجز من استدعاء المشاعر والانفعالات؛ ليستدل به على عمقِ مضمون الفعل الكلامى فى

---

(١) الجَنَى الدَّانى فى حروف المعانى : ٣٩٣–٣٩٤

(٢) انظر: مخالفة القواعد النحوية المشهورة فى بعض لغات العرب : ٥٤٩

(٣) الكتاب، جـ٤: ٢٠٢

(٤) انظر: لغة المتنبى، دراسة تحليلية، د: إبراهيم عوض، (د.ط) ، (د.ت)، ١٩٨٧م : ١١

(٥) صدر بيت من الرجز، وهو فى ديوان العجَّاج، ومنسوب له، ولم أجده فى ديوان العجاج، تحقيق د: عزة حسن، وبلا نسبة فى الجنى الدانى فى حروف المعانى: وعجزه **فى إحدى الروايات: .. إذ كنت فى وادى العقيق راتعًا، ووجدته قد جاء على هيئة رجز فى ديوان العجَّاج وشرحه، تحقيق، د: عبد الحفيظ السلطى، فى ملحقات مستقلة، رقم: ٤٨، ٤٩**، وقبله:

وَصِرْتُ عَبْدًا لِلْبُغُوضِ أَخْضَعَا يَمُصُّنِى مَصَّ الصَّبِيِّ الْمُرْضَعَا

انظر: الجنى الدانى فى حروف المعانى: ٤٩٢، وانظر: ديوان العجَّاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعى وشرحه، تحقيق، د: عبد الحفيظ السطلى، (د.ط) مكتبة أطلس، دمشق، (د.ت)، جـ٢: ٣٠٥–٣٠٦

(٦) انظر: دلائل الإعجاز : ٣٢٢– ٣٣١

(٧) انظر: مطالعات فى اللغة والأدب: ٩

(٨) انظر: أصول النحو، دراسة فى فكر الأنبارى، د: محمد سالم صالح، ط١، دار السلام، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، القاهرة: ١٥٣

(٩) انظر: التواسخ فى معانى القرآن للفراء، أمل بنت رشاد بن على سروجى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م: ٢٣٥

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

فى موقف التواصل، مع طردِ المالِ، من دون المبالاةِ بقيدِ الضبطِ النحويّ، وهذا لا غرابة فيه؛ إذ الرجز كثيرًا ما تحمل العرب عليه معانيها ومقاصدها، حتى لُقِّب: حمار الشعر.(١) حيث يقوم استحضار الانفعال على تبادلية الضمة والألف المفتوحة، وتعبيرهما عن القصد المضمن، فتسحب قوةُ عاملِ الانفعالِ إلى خفة الألف مع فتحته– فى مقابلة غياب الضمة– رغبة من المؤلف فى إحداثِ الانفتاح الدلالى لتزكيه النحوى، والتعبير عن انفعال الحاجة إلى الاحتواء واستمراريته؛ وقد جسَّدت الفتحةُ– **فى الأخبار: راجعًا، قادمًا، مُنبَّجًا، منطلقًا، قاعدًا**– مع ما نتج عنها من الألف، التى شكلت امتدادًا صوتيًّا، عبَّر عن قوة الانفعال، لما توصف به الألف من وضوح سمعى، أو إسماعٍ عالٍ وقوةِ حضورِ لمضمون الخبر فى نفس المتلقى، مع الإشارة إلى بعده الواقعى، المستمد من طول الألف، وقد أدى انتقالُ الضمةِ من الحضور النحوى إلى الغياب الانفعالى، وانتقال المؤلف من انفعال الضيق والضعف إلى انفعال القوة والانفتاح الدلالى، والتحول من الانفعالية السلبية إلى الانفعالية القائمة على الفاعلية؛ فجميع الأخبار السابقة صعبة التحقق، وتكاد تكون أمانى، وممَّا يعزِّز هذا الرأى إمكانيةُ "وقوعِ الفتحةِ موقعَ الكسرة والضمة، وتبادلها المواقع معهما؛ وقد أتَى هذا الوقوع والتبادل إلى اختلاف المعانى، وهذا يعنى أن الفتحةَ ذاتُ وظيفةٍ لغويةٍ، تتمكن بها من التفرقةِ بين المعانى المختلفةِ".(٢)

ومن أمثلة ذلك(٣):

حُمِّلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتَ لَهُ	**وَقُمْتَ فِيهِ بِإِنْ اللهِ يَا عُمَرَا.(٤)**

فى غالب الأمر يقدِّم المؤلف ما يؤكد انفعاله، أو ما يسبب هذا الانفعال، على نحو ما نرى فى بابىْ النداء والاشتغال، وبابىْ الإغراء والتحذير، وبابىْ المدح والذمّ، وباب الاختصاص، وما يتَّصل ببناء الفاعل لما لم يسمَ فاعِلُهُ، وباب المصدر النائب عن فعله، وما يرتبط بنقل المسموع من الصيغ ذات الهيئة التركيبية الثابتة، بصورتها من دون تغيير، على نحو ما نرى فى التعبيرات الإفصاحية، والتى يصحُّ أن يكون تركيبُ الانفعال صورة من صورها، فجميعُ الهيئاتِ التركيبيةِ – هذه– تحملُ قيمةً دلاليةً على انفعالٍ ما. هذا الأمر صنعه جرير، إذ قدَّمَ مصدرَ انفعالِه، وإعجابِه، وتعظيمه لما تحمَّله الخليفةُ عمر بن عبد العزيز، ومثارُ إعجابِه، الذى تمثَّل فى تلك القدرةِ الباهرةِ فى تحمله أعباء الخلافة، وما يتصل بها من أمور جسام، يندر أن يوجد من يقوم بها على جهتها، ويتضمن كلام السكاكى(ت٦٢٦هـ) أن مدَّ الألف مَعَ فتح الراء، من قوله: (يا عُمَرَا) إنما جاء عوضًا عن التنوين، أو نيابة عن الضمة القصيرة المجتلبة، بوصفها علامة بناء للمنادى العلم المفرد؛ مولِّدٌ بها مدُّ الصوت، والتزمُّ فيه، وخَشْيَةُ الضيق، وطلبًا للتوسُّع فى الدلالة بمدِّ الحركات؛ حيث إن مدَّ الصوت والإطالة فيه– بالألف مع الفتحة– أمكنُ من الضمّ، الدال على الضيق والاحتباس، وتلحق هذه المدة حروف الروى؛ لأن الشعر وُضع للغناء والترنُّم، فألحقوا كلَّ حرفٍ الذى حركتَه منه، وهو ضربٌ من الإنشادِ فى القوافى، على حدِ تعبير سيبويه.(٥)

وأداة النداء– فى الشاهد السابق– نابت عن فعلٍ مضارعٍ، تقدير: أدعو أو أنادى، وهو ما يُشير إلى تنبيه المتلقى، ولفت نظره للإقبال والإصغاء، ويؤذنُ غيابُ الضمةِ المعيارية فى **(عُمَرُ)** بعدم ملاءمتها للتعبير عن انفعالِ الشاعرِ، ومناقضتها لقصده؛ فلا تتناسب مع مشهد الرثاء، "إذ الضمة أقلُّ إسماعًا من الألف والفتحة" (٦) وفيها دليلٌ على انفعالِ الضيقِ والانغلاقِ، لذا؛ فإن لهذه المَدَّةِ – بالألفِ بعدَ فتحٍ– وظيفةً لغويةً انفعاليةً، كأن هذا الانفعالَ هو السببُ فى المَيْلِ إليها، وهى لا تلازمُ الوحدةَ التركيبيةَ؛ من الأسماء، والأفعال، والحروف؛ إلَّا للتعبير عن حالةٍ شعوريةٍ، قصد المؤلف إشراك متلقيه فيها، فهيا دليلٌ على انْطِلَاقِ النَّفْسِ مَعَ إطلاقِ النَّفَس، وإبرازِ حِرْصِ جرير على استمرارِ الطَّاقَةِ

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، جـ٣: ١٩

(٢) دراسات فى علم اللغة : ٨٩

(٣) ومن أمثلة التحول من الفتحة إلى الضمة: قَوْلُ سلمة بن يزيد بن مجمع الجُعْفِيّ، من الطويل؛ برفع خبر كان:

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ ... فَكَيْفَ بِبَيْنٍ كَانَ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ.

ويدل على تغيير الأثر الإعرابى من الفتح إلى الضم فى خبر كان روايةُ للسان العرب؛ إذ أورده ابن منظور بنصب خبر كان، قال، من الطويل:

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ ... فَكَيْفَ بِبَيْنٍ كَانَ مِيعَادُهُ الْحَشْرَا؟

والتقدير: وكان موعدُه الحشرَ، أو وكان الحشرُ موعدَه. ودلل ابن منظور به على وجوب إعمال كان، قال: وكان الزائدة لا تُزاد أوَّلًا، وإنما تُزاد حشْوًا، ولا يكون لها اسمٌ ولا خبرٌ، ولا عمل لها، أما فى الشاهد السابق فقد جاءت فى أول الكلام، و انبنت على إثرها جملتها. انظر: شرح التسهيل، جـ٣: ١٠، وانظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٩٦٢، مادة: (ك، و، ن).

(٤) البيت قول جرير، وفى ديوانه، يرثى عمر بن عبد العزيز، من البسيط، وقبله قوله:

تَبْكِى النِّعَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا	**يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ وَاعْتَمَرَا.**

انظر: ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب: مجلد٢: ٧٣٦

(٥) انظر: الكتاب، جـ٤: ٢٠٤ – ٢٠٦

(٦) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا: ١٢٩

النَّفْسِيَّةِ والإيحائية لصوت المدِّ، مَعَ ما يَصْحَبُهُ من خِفَّةٍ، لِتَعْمِيقِ المعنى المركزى– وهو الرثاء والتحسُّر، لِفَقْدِ الخليفةِ العادلِ؛ عمر بن عبد العزيز – فى نَفْسِ المتلقى.(١) حيث إن جريرًا – فى سياقِ افعالِ مدحٍ، بعمر بن عبد العزيز وصنيعه– قد تمكَّن هذا الافعالُ من نفسه، فاستثمر –لاحتاجه النفسى إلى مدِّ الحركة، لئلَّا يقطع معناه(٢)– الطاقةَ الانفعاليةَ لألف المد مع خفة الفتحة؛ فى تشكيل حالةٍ نفسيةٍ، التى تمثلت فى سيطرةِ افعالِ المدحِ.

فإنه يضعُ أمام متلقيه حالةً من الامتدادِ الفعلى، ويحقق الخفةَ فى أدائه، والتصبُّر عليه، واستمراريته، وهنا شكَّل مدُّ الصوت حالةً من الثراء الدلالى، وتعزيز آلية الإيحاء، التى تتصاعدُ قوتُه مع تصاعدِ الامتدادِ الصوتيّ لألفِ الإطلاقِ وطولِها؛ فجاءت ألفُ الإطلاقِ انزياحًا بالزيادة؛ ليشكلَ عصارةً ذهنيةً، تحملُ دلالاتٍ وجدانيةً، وتعكس حالةَ الذاتِ الداخليةِ"(٣) لإمكان" رفع الصوت بها، ومدها؛ للتأثير فى المخاطب".(٤) وقد لحقت زيادةُ ألف المدَّ–هذه– آخر الكلمة، رغبةً فى تعميقِ افعالِ الرثاءِ، والحزن الشديد، وتمكُّنَه فى نفسِ المتلقى، وتقويةِ أمره؛ وإزالةِ الشكوكِ، وإماطةِ الشبهاتِ عن المعنى الداخليّ(٥) ومنحت هذه الألفُ اللينةُ كلمة(عمرا) وضوحًا سمعيًّا، قد جعل علماء الصوتيات صوت اللين المتسع، كالفتحة المفخمة، وألف المد على رأس الأصوات فى ما يخصُّ الوضوح السمعى(٦) فوفَّر لهذه الوحدة التركيبية قوةَ إسماعٍ، انبنى عليها، وعلى طولِ الحركةِ الطويلةِ الطويلةِ قوةُ للمعنى، المستحْضَرُ داخل هذه الوحدةِ التركيبيةِ.

واللافت أن قوله: يا عمرًا، منتهٍ بألفٍ ممدودةٍ، تدل على إمكانيةِ مدِّ الصوتِ والدلالةِ، ودعوةِ المتلقى لتركِ التغافُلِ عن مضمون ما خُتمت به، والتنبُّه إلى أن المؤلف –تحت تأثير الانفعال والضغط النفسى– قد راغ إلى الألف الممدودة بالفتح؛ للتخفيف عن النفس ممَّا لحقها من حزنٍ، وألمٍ، لأن المدَّ فى الألف أمكن من أختيها الواو، والياء، فينتقل إلى المتلقى شعورًا بقوة المضمون المُلقى إليه؛ فيتفاعل مع نفس المؤلف، ويشاركه انفعاله أيما مشاركة.(٧)

وفى تحوُّل المؤلف– إلى ألف الإطلاق– حَمْلٌ لدلالةِ انفعاليةٍ إيجابيةٍ، بقصديةِ فتحِ شهيةِ المتلقى النفسيةِ لمشاركتِه قصيدتَه والانفعال بها، والتفاعل الحيوى مع مضامينها؛ فبنيت الدلالة الكلية للبيت على ألف الإطلاق مع فتحتها، مما يُسمى: **الحرف المركزى للدلالة؛ ومرتكز مضامينها**، والرابط فى هذه الدلالة رسمُ الألفِ، الدالِ على الاتساعِ والخفةِ، والاستقامةِ؛ وصنيع عمر الدال على الاستمرارية وعدم الانقطاع.(٨) فسيطر على المؤلف انفعالُ الربطِ بين الدلالةِ على استقامةِ عمر، ورسمِ الألفِ، الدالةِ على الاستقامة، والتميُّز، والجدية، والانتصاب، والتحمل، وطول المُكابدة.(٩)

---

(١) انظر: مفتاح العلوم : ١١٢

(٢) ونحوًا من ذلك، ما رواه سيبويه من قول القطامى، من الوافر:

فَكَرَّتْ تَبْتَغِيهِ فَوَافَقَتْهُ ... عَلَى دَمِهِ وَمَصْرَعِهِ السِّبَاعَا.

بنصب كلمة : السباعَا، على إضمار فعل، مما جرى ذكره فى أول البيت؛ لأنها لما وافقته، كانت السباع معه، فقد دخلت السباع فى الموافقة، ولم يقل ابن جنى هذا الرأى، بل الأمر عنده على تقدير مضاف، أى: وافقت آثارَ السباع؛ لأنها لو وافقت السباع هناك لأكلتها معه، ومع ذلك يحتمل وقوع الرفع فى عين السباع، ويجعل (على دمه) فى موضع الخبر المقدم، ويكون نصب السباع من المخالفات النحوية، إذ هى مرفوعة على الموضع. انظر: الخصائص، جـ٢: ٢٩٣

بتأمل الدلالة الكلية للخطاب الشعرى مع تسييقها نجد أنه ليس من المجدى افتراض حذف مضاف، إذ من المعلوم أن السباع تفترس، من دون أن تترك آثارًا، وأن هذه البقرة عندما رجعت، تطلب ولدها، وجدته، إلَّا أنه قد أصابها الفزع، إذ أبصرت صورة، جسَّدت انفعالها وصُراخها ، وهى أن السباع قارة فى مصرعة، تفترس دمه، حتى أنها لم تُبق له أثرًا، فالسباعُ هى المبنى عليه، وهى صاحبة الفعل، وكأن الامتداد الصوتى بالفتح عكس صوت التألم الشديد، وصُراخها واستغاثتها، وهذا ما ناسبه الامتداد الصوتى بالفتح، من باب الانفعال، والتوسُّع فى استخدام الحركات الإعرابية، ومعلوم أن فى الضمة ضيقًا، وثقلًا، إذ حق السباع أن تكون مرفوعة بالابتداء. وقريب من ذلك قول قيس بن الرُّقيَّات، من الخفيف:

لَنْ تَرَاهَا وَ لَوْ تَأَمَّلْتَ إِلَّا ... وَلَهَا فِى مَفَارِقِ الرَّأْسِ طِيبَا.

انظر: الكتاب، جـ١ : ٢٨٥، وانظر: الخصائص: جـ٢: ٢٩٣، ومثله قول عنترة، يهجو عمارة بن زياد العبسى، يتحداه، ويتوعده؛ لإظهار بطولته:

أحولى تنفض استُك مِذْرَوَيْهَا ... لتقلتنى فها أنا ذا عمارا.

انظر: ديوان عنترة، تحقيق ودراسة:٧٩، وانظر: مجالس ثعلب: جـ١: ٤٣

(٣) جماليات التشكيل بالحرف، الشعر العربى فى العصر العباسى أنموذجًا، د: رضا محمد أحمد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم– جامعة المنيا: journal.ekb.eg.artic١٩١٦

(٤) القرينة الصوتية وأثرها فى توجيه المعنى عند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) : ٨٤

(٥) انظر: الطراز، جـ٣: ١٧٦

(٦) انظر: نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوى، د: حازم على كمال الدين، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م : ٦٢

(٧) انظر: الأساليب الانفعالية فى خطب العرب(دراسة وصفية إحصائية): ٣٥

(٨) كثيرًا ما عبَّرت العرب عن المضمون الدلالى بالحروف، نحو قولهم: **جَنْك عبدٌ يحلب التاء دائمًا**، والتاء: البقرة التى تُحلب دائمًا: انظر: جماليات التشكيل بالحرف، الشعر العربى فى العصر العباسى العباسى أنموذجًا : ١٩٢٣

(٩) انظر: جماليات التشكيل بالحرف، الشعر العربى فى العصر العباسى أنموذجًا:١٩٢٩

وقد عكس هذا الأمر ذلك الشكل القوسى التصاعدى لرسم حرف الراء، وعضَّد ذلك استبطانٌ نفسيٌّ لمكانةِ ممدوحِه فيها، وحمل دعوةً تأمليةً تناسبت مع امتدادِ ألفِ الإطلاقِ، الذى صارت تحملُ القوةَ الدلاليةَ للتنوين، حيث إن الألفَ تكونُ– فى الوقف– بدلًا من التنوين.(١) لقد اعتمد جرير– فى عرض دلالته، وتشكيل صورته– على المقطع المرسوم(رَا) المُشكِّل للمقطعِ المتوسطِ المفتوحِ: (ص، ح،ح)، التى عكست– بالاقتران الشكليّ لصورةِ الراءِ، الدالةِ على الانحناءِ والتصاعُدِ، وتضمنتْ– مع الإصرار، وخفة الفتحة؛ الدالة على القيام بالأمر، من دون كَلَلٍ، وامتداد الصوت الناتج عن ألف الإطلاق– تحقيقَ الانفعالِ الإيجابيّ تجاهَ الممدوحِ، وهذه المعانى نقلٌ، فى حالِ الضمّ المعياريّ، الدالِ على الضيقِ الصوتيّ والدلاليّ.

وفى عدولِ المؤلفِ، وانزياحه إلى الفتح قصديةٌ منه أن يجعلَ لمضمونِ الفعلِ الكلاميّ مزيةً فى ذهنيةِ المتلقى، إذ بالفتح– وبخفته– يصل المؤلف إلى غرضه؛ من إشراك متلقيه معه فى مضمون الفعل الكلامى(٢) تلك المشاركة تتمركز حول ربط الشاعر بين نفسه، وذاتيته، وشعره، والتمحور حول ربط نفس المتلقى بمضمون الفعل الكلامى الشعرى، فى فى إشارة من المؤلف بعِظم ما قام به(عمرُ)، من تحمُّلٍ لأعباءِ الخلافة، واصطبارِه له، وما يتَّصل بذلك من ثِقَلِ العِبْءِ، فناسب جرير بين امتدادِ الصوتِ وإطلاقِه بالفتح، وبين تعدية الجمل فى ما قام به عمر بن عبد العزيز، من تحلِّيهِ بالحزم، والعدل، والثبات، والصدق، وشفافية القصد، قاصدًا بذلك الترويحَ عن نفسِ المتلقى، فى موازنة بين ثقل الأعباء، وخفة الإطلاق بالفتح، والامتداد الصوتى، لأن الفتحة أصيلة فى التعبير عن الخفة والاسترواح، وكأن عبءَ الخلافةِ وعِظَمَ حَمْلِهَا لم يكنْ بالأمرِ الثقيلِ عند عمرَ بن عبد العزيز، وهذا الأمر لم يكن البناء على الضم ليعبر عنه.(٣)

من أجل ذلك لا يؤيد الباحث القول بأن الألف فى قوله: يا عمرا، هى ألف التَّندبة التى للتفجع والاستغاثة؛ للاستعانة بها لدفعِ حدثٍ، أو لطلبِ النجدةِ، وأن الأصلَ فيها: يا عُمَرَاه؛ وأنها محذوفةُ الهاءِ، مقدرةُ النداءِ، كما ذهب إلى ذلك محقق ديوان جرير(٤) لأنه يلزم المؤلف– حال الاستغاثة، وإظهار التفجُّع، أو حال الوقوف– أن تتصل بالمستغاث به به اللامُ المفتوحه، أو أن يُلحقها المستغيثُ هاء السكت، فيقول: **يا عُمَرَاه.(٥)**

وهذا غير متحقق؛ إذ الخطابُ مقصودٌ به الإخبارُ عن مَنَاقِبِ مفقودٍ، والرثاءُ لحاضرٍ مُشَاهَدٍ، قد فُقد صانعُه؛ مع تضمين هذا الفعل الكلامى انفعالَ الضيقِ والكبتِ؛ فليس من المنطقى أن يجتمعَ خطابُ الإخبارِ وخطابُ الاستغاثةِ، فالإخبارُ إشارةٌ إلى مضمونٍ متحققٍ، وفى الاستغاثةِ إنشاءٌ، وطلبٌ، ولهفةٌ، واستدعاءٌ، وليس من شك فى ظهور التناقض بين المعنيين، مثل التعارض الدلالى بين الخبر والإنشاء، وقد اعتمد جرير على الأسلوب التحويلى بالتقديم والتأخير تعجبًا من صنيع عمر، ورغبة فى إبراز قدرته على القيام بكل هذا، وتأخير ذاته التى قامت به، رغبة من جرير فى الإشادةِ بإنكارِ عمرَ بن عبد العزيز لذاته، فارتبطت الهيئةُ التركيبيةُ لخطابِ جرير بانفعالِه النفسى، وكأن معياريةَ التركيبِ تقتضى أن يكونَ على تقدير: يا عمرُ، حُملْت أمرًا.....

فالشاعر فى موقف انفعالى يتمثلُ فى حزنِه الشديد، وضيقِه؛ بسببِ فقد عمر بن عبد العزيز، ورغبته فى الإشادةِ به، وإبراز انفعالِ التعجب من قدرته على تحمل الأمورِ العظامِ، وهو من باب انفعالِ التعجبِ اندهاشًا بالموقفِ المُشَاهَدِ، فجرير يُغرى المتلقى بأن يشاركه حالتَه الانفعاليةَ، حتى أنه يدعو الشمس للبكاء معه، وأن يستدعى– بالامتداد الصوتى– قدرته على هذا النداء البعيد، ويستدعى عظيمَ ما فعل عمر، وقدرته على القيام بما حُمِّل، وهذه الأبعاد التداولية الدالة على شدةِ مشاعرِ الضيقِ لم تكنْ حركةُ البناء المعيارية– وهى: الضمة القصيرة– لتعبر عنها.

وبدلٍ من قول جرير: (يا عُمَرا)، أن التحوُّل من الضمة المعيارية، بوصفها حركة بناء للمنادى العلم المفرد إلى الامتداد الصوتى لحركة الفتح بالإطلاق، مردُّه إلى ما تجيشُ به نفسُ جرير من انفعالاتٍ، متمثلةٍ فى رغبته التعبير عن امتدادِ عطاءاتِ عمرَ بن عبد العزيز، والإشادةِ بعمله، وطول تصبُّرِه، وشديد تحمُّله، وإنكارِ ذاتِه؛ لما حُمِّل به من الأمورِ العظامِ، التى نجح فى حملها وسياستها، وأن الأمر– عند عمر– كان انتقالًا من مهام ثقيلة، إلى أخرى؛ حوَّلَهَا علمُه، وجَلَدُه أمورًا خِفافًا، فانتقل من ثقل إلى خفة، مثلما عبر الانتقال من الضمة الموصوفة بالثقل والتعبير عن الضيق إلى الفتحةِ الأصيلةِ فى الاستخفافِ، والاسترواحِ، والامتدادِ الدلاليّ، والدعوةِ إلى اليقظةِ، وإلى المشاركةِ فى مضمونِ القالبِ التركيبى، وإلى تمكين هذه المعانى، وتقويتها فى نفس متلقيه.

– **ومن ذلك: قوله:**

---

(١) انظر: الكتاب، جـ٤: ٢٠٩

(٢) انظر: شرح المفصل، جـ٧: ٥

(٣) انظر: دلالات المطلع النفسية ومظاهر القيم الخلقية فى معلقة الحارث بن حلزة: ٦٤

(٤) انظر: ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق، د: نعمان محمد أمين طه، سلسلة: ذخائر العرب، رقم: ٤٣، ط٣، دار المعارف المصرية، ٢٠٠٩م، المجلد الثانى: قصيدة رقم: ٢٥٢: ٧٣٦

(٥) القرينة الصوتية وأثرها فى توجيه المعنى عند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ):

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الدَّهْرَ إِحْلَاسَ(١) مُسْلِمٍ	مِنَ النَّاسِ نَنْبًا جَاءَهُ، وَ(هُوَ مُسْلِمًا).(٢)

يُلاحظُ أن الحركةَ الإعرابيةَ قد أفسدت العلاقةَ بين العاملِ ومعمولِه، إذ الابتداء، وهو عامل معنوى، عامل فى المبتدأ، والمبتدأُ– فى رأى الجمهور من البصريين– عاملٌ فى الخبر، وعلى الخبر حقُّ الطاعة للمبتدأ، أو الابتداء(٣) بوصفِ الأخيرِ عاملًا معنويًّا مُؤثِّرًا فى الخبرِ، ضبطًا، ودلالةً؛ وبالنظر فى الشاهد السابق نجد أن الحركة الإعرابية قد أدت إلى ضياعِ أثرِ العاملِ على حرف الإعراب، فى قوله: (مُسْلِمًا)، فحقُّها الرفعُ، كونها شغلت موقعَ الخبرِ، فى التركيب الإسنادى الاسمى؛ بيد أنها جاءت منصوبة؛ بامتداد صوتى مفتوح، وحق الحركة أن تكونَ الضمةَ الظاهرةَ، لكونِ مورفيمِ الإعرابِ قويًّا، قادرًا على تحمُّلِ حركةِ الإعرابِ الظاهرةِ، بيد أنه قد سيطرت الفتحة على مورفيم الإعراب، ولو رفعها لكان أقوى قياسًا، أو لجاء على أقوى القياسين، بعيدًا عن احتمالية قياسية التأويل؛ لذا فقد غلَّب الشاعرُ قُبْحَ الزِّحافِ على زيْغِ الإعرابِ. ومن المعلوم أن الحركةَ الإعرابيَّةَ تعكسُ العلاقةَ بين العاملِ النحويِّ ومعمولاته، ويتجلى هذا الأمر فى انتقال أثر العامل إلى معموله؛ من خلال تداولية الحركة الإعرابية بين المؤلف والمتلقى، فى ضوءِ المُوَاضَعَةِ بين القياس النحوى، والدلالات الاجتماعية للتراكيب. وتتوقف عملية التداول الدلالى– انطلاقًا من الحركةِ الإعرابيةِ– فى دلالة الرفع، أو النصب، أو الجر، أو الجزم، بالتداخُل مع الضمة، أو الفتحة، أو الكسرة، أو السكون؛ وهذا يحدد السياقُ التداوليُّ ترتيبَ الهيئةِ التركيبيةِ والحركة الإعرابية، باعتبار المواضعة الدلالية والقياس اللغوى، بصورتِه المُوسَّعةِ، وتتكفلُ الحركةُ الإعرابيةُ بتقييد الدلالة، أو تداخُلها، أو اتِّساعها، أو اختلاقها، أو تشويهها؛ بالإضافة إلى تحديد العلاقات الشكلية والدلالية بين وحدات الهيئة التركيبية المشكِّلة للمقاصد؛ القريبة أو المحتملة.

قال ابن جنى، ونقله ابن منظور المصرى(ت٧١١هـ): "**معناه: ما كنتُ أخشى الدَّهْرَ إحلاسَ مُسْلِمٍ مُسْلِمًا، ذنبًا جاءه، وهو يرد هو على ما فى جاءه من ذكر مسلم**؛ وقال ثعلب: يقول: ما كنتُ أظنُّ أن إنسانًا ركب ذنبًا– هو وآخر– ينسبه إليه دونه"(٤) وقد أدت الحركة الإعرابية الموضوعة على القالب الشاغل لموقع الخبر(مسلما) إلى مخالفة القياس النحوى، وهذا حكم الخبر، سواءً لفظًا، أو كان مرفوعًا على المحل؛ فحق (مسلمًا) الرفع؛ إيثارًا لكونه خبرًا لضميرِ الغيبةِ المفردِ، الذى شغل موقع المبتدأ، على كونه حالًا منصوبًا، استئناسًا بمعنى الثبات الدلالى للتركيب الاسمى:**(هُوَ مُسْلِمٌ)**، وقد علَّل ابنُ جِنِّى لذلك بأن العربَ كانت– إذا تجاذَبَ البيتَ أمرانِ؛ زيْغُ الإعرابِ، وقُبْحُ الزحافِ– فإن الجفاةَ الفصحاءَ لا يحفلون بقُبْحِ الزِّحَافِ؛ إذا أدَّى إلى صِحَّةِ الإعرابِ.(٥)

فالشاعر– لشدة انفعاله، واضطرابه، وغضبه من أن يظلمَ مسلمٌ مسلمًا، بأن يحمِّلَه ذنبًا لم يَجْنِهِ– يستبعدُ أن يصنع المسلمُ مثل هذا الصنيع، فلجأ إلى الفتحة بامتدادها الصوتى، وتعبيراتها الدلالية، واستثمر طاقة الخفة والانطلاق فى تكرير المعنى، تنفيرًا منه، وتحذيرًا للمسلمين من هذا الأمر، وإبرازًا لضعفه، وجاء بالفتحة للتخفيف من هذا الانفعال الضاغط، وللتعبير عن انفعال الغضب الشديد، فجاءت الفتحة بديلًا إعرابيًّا عن الضمة انتقالًا من ضيق الضمة، وثقل النطق بها– وتعبيرها عن أكثر من معنى، والشاعر متمركز حول تداولية المعنى الواحد(٦)–إلى خفة نطق الفتحة، وقدرتها الذاتية على تكرير المعنى واستدعائه، فإذا ما كانت الضمة المعيارية دليل ضيق، وثقل، وهو ما يمثل انفعالًا سلبيًّا، فقد شكلت الفتحة إلى جانب الألف تصرُّفًا إيجابيًّا من المؤلف، تخلُّصًا من انفعال الضيق من ظلم المسلم لأخيه، وكأن الشاعر أراد التخفف كمن هذا الانفعال مرتين، تارة بالفتحة، وأخرى بمزيد من الامتداد الصوتى للمناظر للفتحة مع طول الألف، ونتج عن الميل ناحية الفتحة – بديلًا عن الضمة– أن أتبع الشاعر الفتحة المجتلبة تابعًا ناتجًا عنها–لا عن الضمة– وهو الألف، وهى أبلغ فى الدلالة، والأقوى فى التعبير عن الانفعال، والأطول في زمن استحضار القصد، وهذا مما يُعد قوة إضافية فى التعبير عن المعنى وقوة الانفعال به.(٧)

---

(١) ذكر ابن منظور أن الإحلاس، هو : من أحلَسْتُ البعير، إذا جعلتُ عليه الحلس، ويشير إلى الرجل لا يبرح البيت، وهو دليل ذمٍّ؛ ومعناه: إنه لا يصلح إلَّا للزوم البيت، وقد يوحى إلى الحرص الشديد؛ والإحلاس،هو: الحمل على الشيء، وفيه إشارة إلى الإكراه فى فعل الشيء، انظر: لسان العرب، جـ٢: ٩٦٢، مادة: (ح، ل، س).

(٢) والبيت ممَّا رواه ابن جنى، فى خبر محمد بن الحسن، عن أحمد بن يحيى، مما حسبه لابن الأعرابى، من الطويل، وهو بلا نسبة إلى قائل معين فى رواية اللسان، انظر: الخصائص، جـ١: ٢٨٢، وانظر: لسان العرب، جـ٢: ٩٦٢، مادة: (ح، ل، س).

(٣) انظر: المدخل إلى دراسة النحو العربى، د: على أبو المكارم، المكتبة النحوية، دراسات، (١٠)، جـ٢: ٢٥٧

(٤) انظر: لسان العرب، جـ٢: ٩٦٢، مادة: (ح، ل، س).

(٥) انظر: الخصائص، جـ١: ٢٨٢

(٦) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إلياذة عُمان: ٣٩٢٩

(٧) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا: ١٢٧

وتؤدى الفتحةُ وظائفَ تعبيريةً عديدةً؛ فقد تُزيلُ إبهامًا، أو تقدِّمُ تفصيلًا لمجملٍ، وتشرح أمرًا مستغلقًا، أو تدل على الرغبة فى المشاركة، أو توكِّد مغايرةً فى الحكم، أو أن تجعل الدلالة للحال والاستقبال، أو تدل على منح المؤلف مسلكًا للاختيار الدلالى، أو تُشير إلى الخفة والعذوبة، وقد تدل على رغبة المؤلف التأثير فى متلقيه.(١) ووجود الألف وفتحتها ممَّا يُعد انزياحًا بالزيادة التصريفية، تلك الزيادة رسَّخت القصد المركزى لدى الشاعر، وهو انفعال الاستكار والألم الشديد، والتبكيت، والتشنيع بمن يصنع هذا الأمر، هذا المقام لا تناسبه الضمة، التى تدل فى بعض معانيها على العلو والفخر.(٢)

وتدل حركةُ الألفِ المفتوحةِ– بامتدادها الصوتى– على زيادةِ حيزِها السمعىِّ، والعمقِ الدلاليِّ، وانفتاحِها أمامَ اتساعِ أفقِ الفيوضاتِ الدلاليةِ والانفعاليةِ غيرِ المقيدةِ، مع اتِّصافِ الألفِ بالوضوحِ السمعىِّ المرتفعِ، كونه على رأس حروف اللين والمد؛ إذ تؤدى هذه الخصيصة الصوتية إلى ترسيخ المعنى، وقوة استحضاره إلى موقف الاتِّصال؛ فيعرض للمتلقى ملامحَ عديدةً لانفعال المؤلف وغضبه، وألمه الشديد، من أن يُلقى المسلمُ على أخيه المسلم أحمالَ ذنوبٍ لم يَجْنِهَا، أو يجعلَه شريكًا له فى اقتراف ذنبٍ لم يقترفْه، بل قد يكون فى لجوء الشاعر إلى الألف تخلُّصًا من حالته الانفعالية، والتخفيف منها، والانطلاق من ضيق الضمة إلى رحابة الألف المفتوحة وخفتها، فحملت الفتحةُ انفتاحًا نفسيًّا، ومتنفَّسًا للنفسِ؛ للتخلُّصِ من ضيقِ النفسِ الذى يحدُث –بل يترسخ– مع وجود ضمة الميم المعيارية.

ومن أمثلته(٣):

إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُرْقُ هَيَّجَنِى	وَلَوْ تَغَرَّبْتُ مِنْهَا أُمَّ عَمَّارِ.(٤)

تقوم الفتحة القصيرة بربط العناصر التركيبية، وصياغتها من الفوضى الدلالية، وهذا الرأى هو لقاعدةٍ قياسية، فى رواية:(أُمَّ عَمَّارِ)؛ بنصب الميم، من قوله: (أُمَّ)، فى حين يقتضى القياس النحوى رفعها، وقد أحال سيبويه المتلقى إلى قول الخليل، بما يُفهم منه إدراكه لدور الانفعال فى تشكيل الأثر الإعرابى، وأن هذا الانفعال هو ما دفع الشاعر إلى نصب الميم، لتتمركز ذهنية المتلقى حولها، من دون غيرها من الأفكار والذهنيات. يقول سيبويه: "فلما قال: هيَّجنى، عُرف أنه قد كان ثَمَّ تذكُّر لتذكرة الحمام وتهييجه؛ فألقى ذلك الذى قد عُرف منه على أمِّ عمَّار، كأنه قال: هيَّجنى، فذكرنى أمَّ عمَّار".(٥)

بل إن سيبويه يستطرد فى تأكيد أثر الانفعال فى صياغة الفعل الكلامى، مُشيرًا إلى أن هذا الانفعال قد يُغير الأثر الإعرابى، ويكون هذا الأمر بقصدية المؤلف ووعيه، وأنه انفعال قائم على الاختيار الذى تؤدّيه الفتحةُ، وتدلُّ عليه، فهو يُريد إضافةَ معنى آخر إلى المعانى المكتسبة من كميةِ الفعلِ الكلاميِّ وهيئته وأثره الإعرابى؛ يقول:" وهو قول أبى عمرو: ألا رجلٌ؛ إما زيدًا، وإما عَمرًا، لأنه حين قال: ألا رجل؛ فهو متمنٍّ شيئًا يسأله، ويُريده، فكأنه قال: اللهم اجعله زيدًا أو عمرا، أو وفِّق لى زيدًا أو عمرا".(٦) وليس من شكٍّ فى أن هذا الانفعال قد منح المؤلف حرية كلامية، بعيدًا عن التقيُّد بمعيارية الأثر الإعرابى؛ لأنه قد عُرف أنه "مُتمنٍّ سائلٌ شيئًا وطالبُه".(٧) وتكون رؤية الانفعال– أو ما أطلق أطلق عليه ابن جنى: ما يصحب الرؤية لا الرؤية نفسها– بين طرفى الاستلزام الحوارى محل الإقناع بهيئة التركيب، والقرينة الصارفة نحو تفسيره، ومنطقية التأويل، وجعل من معينات ذلك الانفعال إلى جانب الرؤية: العلم، والتحقق، والشَّم، لذا سلق من الأمثلة ما يغالب عليها طابع الانفعال الداخلى، فذكر التأمُّلَ، والوُصَلَ، والهوى، والمُهَج، والشغف.(٨) فقد دلَّ – بالفتحة فى كلمة: (أم)– على انفعالِ التهييج، فأبان أنه السببُ فى التذكير، ومعلوم أن التذكير فى المنصوبات أخصُّ؛ لذا فقد حذف الفعل، واكتفى بالمتسبب، وحمل الفعل على معنى غيره، وعمل فعل المحمول عليه، وهو الانفعال؛ فنصب: (أم).(٩)

---

(١) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إيابة عُمان : ٣٩٤٧

(٢) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إيابة عُمان:٣٩٦٢

(٣) نحو: ضياع العلاقة بين الدلالة والحركة الإعرابية فى التركيب العددى المركب؛ إذ إن المتلقى لا يجد مبررًا تداوليًّا، يفسر بها قولهم: إنه مبنى على فتح الجزأين فى محل رفع، أو نصب، أو جر؛ فقد رُكِّبت الكلمتان، وصارتا كلمة واحدة، وجرتا مجرى الاسم الواحد بالتركيب، وعُوملتا فى مواضع كثيرة معاملتَه، إلَّا اثنى عشر، واثنا عشر؛ لذا تسكن العين فى الجزء الثانى من التركيب، إلَّا اثنى عشر، واثنا عشر، لسكون الألف والياء قبلها. انظر: المحتسب، جـ١: ٣٣٢

(٤) البيت للنابغة الذبيانى، وفى ديوانه، من البسيط، من قصيدة له بعنوان: عوجوا فحيُّوا لنعم دمنة الدار، فى قافية الراء، انظر ديوان النابغة الذبيانى، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ٢١

(٥) الكتاب، جـ١: ٢٨٦

(٦) الكتاب، جـ١: ٢٨٦

(٧) الكتاب، جـ١: ٢٨٦

(٨) انظر الأمثلة التى استشهد بها ابن جنى فى كتاب الخصائص، جـ٢: ٢٩٤ – ٢٩٧

(٩) انظر: دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء: ٥٢

المطلب الرابع: التحوُّل من الفتحة إلى الكسرة:

١- **ومنه: قول الحطيئة(١):**

فَإِيَّاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ	هَمُوزِ(٢) النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيّ.(٣)

صدَّر الحطيئةُ تركيبَه النحويَّ بما يدلُّ على انفعالِ التحذيرِ، وقرينتُه اللفظيةُ فى قوله: (فإيَّاكم)، والمحذَّرُ منه: تلك الحيةُ ذاتُ الأنيابِ القواطعِ، التى تقطنُ الوادى، وتمتلِكُه، وتذودُ عنه، وحيةَ: منصوبٌ على التحذيرِ بفعلٍ، أى: ابعدوا أنفسكم،، فتلك الحية لا تتركُ واديها، بل هى الرابضةُ فيه، وهى التى تحمى بطنَه، وتمنعُه.(٤)

ومحلُ المخالفةِ النحويةِ فى جرِّ الزاى من كلمةِ: (هموز)، بكسرِ الراءِ؛ رغم كونِهَا نعتًا لكلمةِ:(حية) المنصوبةِ على التحذيرِ، لا لكلمة (وادٍ) المجرورة بالإضافة، فخالف بين النعتِ والمنعوتِ فى الأثرِ الإعرابيّ؛ وكان حقُّ الزاى من كلمةِ: (هموز) النصبَ بالفتحةِ، ويجوزُ أن يندرجَ هذا الشاهدُ تحتَ بابِ التبادُلِ بين النصبِ والجرِّ، وهو ما سماه السيوطى: النقاص(٥) إذ تقعُ الكسرةُ– فى النطقِ– بينَ الضمةِ والفتحةِ، وتأخذُ بعضًا من خصائصِ كليتيهما،" وفى الكسر لكلمة: (هموزِ) دليلٌ على قوليةٍ وثيقةٍ بينَ الحالتين الإعرابيتين، واعتقد النحويون– اعتمادًا على أمثلةِ التبادلِ الكثيرةِ بينهما– أن النصبَ كان هو الأصلَ، والجرَّ تفرَّعَ عنه، والنصبُ كامنٌ فى الجرِّ، أو أن المجرورَ مجرورٌ لفظًا منصوبٌ محلًّا".(٦) وقد يروغُ المؤلفُ من الفتحِ إلى الكسرِ لوجودِ روابط تبادلية بينهما؛ مثلَ أن يُعطفَ على المجرورِ بالمنصوبِ، أو القول: إن حذفَ حرفِ الجرِّ يُوجِبُ نصبَ الاسمِ بعدَهُ، فكأن بين التصرفين تقاربًا، فكلُّ حركة تحاول جذب الأقرب إليها، وتوحيد الدال والزاى بحركة واحدة، وهى: الكسرة؛ دليل على اقتراب الفتحة من الكسرة، والعكس. وهذا معناه أن النصبَ– تداوليًّا– فى قوةِ الجرِّ، والعكس. بالإضافةِ إلى أن الكسرةَ تُؤْخَذُ من جرِّ الفكِّ إلى الأسفلِ، فكأنه يكسرُ، أو يسقط أو يهوى، فتجذب الدلالةَ إليها، فإذا ما أراد المؤلفُ ضمَّ الدلالاتِ الجزئيةِ للعناصر التركيبية، كفَّف من وجود الكسرة القصيرة، وليتخلص من ثقل انخفاض مقدمة اللسان فى النطق بالكسرة، ثم الارتفاع بها فى أثناءِ النطقِ بالفتحةِ؛ ليُشكِّلَ منها الصورةَ الكليةَ للمشهد الانفعالى؛ وهو انفعال المتلقى بإرادةِ الحيةِ حماية واديها، رغم ما فيها من الضعفِ المأخوذِ من دلالةِ الكسرةِ على الانكسارِ وقوتِه(٧) وقد دلَّ على هذا الانفعالِ دليلٌ لفظىٌّ، وهو قوله: ليس لكم بسيّ، أى: بعدل(٨)، فى تأكيد لضعفِ ذاتِه التى تُناظرُ ضعفَ الحيةِ.

يُلاحظُ أن تكثيفَ الشاعر لحركة الكسرة القصيرة:**(بطنِ، وادٍ، هموزِ، النَّابِ، بسيّ)** قد شكَّل كتلةً كلاميةً موحدةً، نجحت الكسرة القصيرة فى الربط بين عناصرها، ودلَّت– بهذا الربط– على انفعالِ الشاعرِ، وأسهمت فى اهتزازِ شعورِ المتلقى، واستثارته من أعماقِ نفسِه، إذ اعتمد المؤلفُ– فى إيصالِ انفعالِه– على روافدِ الاستهواءِ الصوتيّ(٩) الذى أحدثَه أحدثَه الكسرةُ، فى ربْطِها بين صامتىْ الدال والزاى بصورةٍ قويةٍ، وقرنت ذلك بمشهدِ مرابطةِ الحيةِ، رغمَ قوةِ انكسارِها؛ وقد عُبَّرَ الشاعرُ عن هذا الانكسارِ بأن استعمل كلمة

---

(١) البيت من الوافر، وهو لأوس بن جرول، الحُطَيْئَة، وفى ديوانه، فى قافية الياء، وهموز فى رواية الديوان، بالنصب، فلا إشكال فى رواية النصب؛ وبكسر السين، فى: بسى، وهو من غير نسبة فى رواية ابن جنى فى المنصف، وابن مالك فى التسهيل، والبغدادى، فى خزانة الأدب، وهو من قصيدة للحطيئة، يمدح بها عدى بن فزارة، وغُيينة بن حصن، وحذيفة بن بدر، حين غزا غيينة بن حصن الحجاز، فغنم، وغزا بنى تغلب بالخابور ، فغنم، وذلك فى سنة واحدة، فبلغه أن عامر بن الطفيل قال: لئن تم لعيينة أمره؛ لندينن له، يعنى قومه، فبلغ ذلك الحطيئة، فقال هذه القصيدة، ومنها البيت الشاهد،، وقبله:

فَأَبْلِغْ عَامِرًا عَنِّى رَسُولًا ... رِسَالَةَ نَاصِحٍ بِكُمُ حَفِيُّ.

وهناك رواية: حديد الناب، بدلًا من هموز الناب، انظر: ديوان الحطيئة، اعتنى به وشرحه: حمدُو طمَّاس، ط٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ١٥٥، انظر: الخصائص، جـ٣: ١٥٧، والمنصف، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنّى النحوى لكتاب التصريف للإمام أبى عثمانى المازنى النحوى البصرى، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة الثقافة العامة، إدارة إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، جـ٢: ٣ بعد المقدمة، وانظر: شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جـ٣: ١٧٠، وشرح المفصَّل، جـ٢: ٨٥، وانظر: خزانة الأدب ، الشاهد رقم: ٣٤٩، جـ٥: ٨٦ – ٩٦

(٢) الهمز: هو الغمز، والضغط، والشدة، والنزع، والدفع، وهموز وهمزى: شديدة الدفع، وهموز على المبالغة، لإعلام السامع بأن ما فيه قد بلغ الغاية والنهاية، انظر: لسان العرب، جـ٦: ٤٦٩٨– ٤٦٩٩، مادة: (هـ م ز).

(٣) ذكر ابن منظور أن السوأ من السُّوء، بضم السين، ومن الإساءة، والسوء: الفجور والمنكر، وسوء الوجه: قُبْحُه، والسوأة، هى: المرأة المخالفة، والخلة القبيحة، والسوء: الخيانة، انظر: لسان العرب، ج٤: ٢١٣٨ –٢١٤٠، ماد' (س، و، أ).

(٤) وانظر: خزانة الأدب، جـ٥: ٩٧

(٥) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، جـ١: ١٦٢

(٦) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية: ١٧٦

(٧) انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٨٧٢ – ٣٨٧٣، مادة: (ك، س، ر).

(٨) ذكر ابن منظور أن السِّىَّ: موضع أملس بالبادية، انظر: لسان العرب، جـ٣: ٢١٦٥، مادة: (س، و، ا).

(٩) انظر: تاريخ آداب العربية، جـ٢: ١٧٣

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

(هموز) بديلًا لكلمة (حديد) إذ تنتهى كلمة (هموز) بالزاى الدالة على الضعف، واللين، والرخاوة([1]) بذلك؛ شكلت الكسرة حركةً صوتيةً، وحالةً إعرابيةً واحدةً، وعملَ عضوٍ صوتيٍّ صوتيٍّ واحدٍ، تمركزت فيه ذهنيةُ المتلقى حولَ فكرةٍ واحدةٍ، ومشهدٍ بصريٍّ واحدٍ، وانفعالٍ شعوريٍّ واحدٍ، ومع التخلُّصِ من ثِقَلِ الانتقالِ من الكسرةِ، فى كلمة: (وادٍ) إلى الفتحة، فى كلمة:(هموزَ).

من اللافت للنظر؛ أننا– حين نوازنُ بين علاقةِ الدالِ بمدلولِه فى ضوءِ الحركاتِ الإعرابيةِ، والصورةِ الذهنيةِ للدلالاتِ العرفيةِ، بكسر الزاى من كلمة هموز– نجد أن الدلالةَ الكليةَ غيرُ مستقيمةٍ، إذ إنها لم تُبِنْ عن المعنى، ولم تنجحْ الكسرةُ فى أن تكونَ رابطًا بين الإعرابِ والقيمةِ الدلاليةِ؛ إذ تتحققُ المراوغةُ الدلاليةُ من كونِ كلمةِ: (هموز) نعتًا، لوادٍ، وهذا سببٌ مباشرٌ فى ضياعِ الدلالةِ، فالاتصافُ بالأثيابِ القاطعةِ ليس من صفاتِ (الوادِ)، بل من صفاتِ الحيةِ، فترتب على الأثرِ الإعرابىِّ خلطُ الدلالةِ، وتشويهُها، وفشل الاستلزام التحاورى، فربطت الكسرة القصيرة بين صوتى:(الدال من وادٍ) و(الزاى من هموز)، فاجتمع الدال والزاى فى سياق تركيبى واحد؛ ليدلان عن الحركة، والانتشار، والاجتماع، والضعف، واللين، وقد اجتمعتا فى قوله: (هموزٍ)، فدلَّ– بهذه الكتلة الكلامية الدلالية الواحدة– على انفعال المؤلف ببسط الحية سلطانها على واديها رغم انكسارها، وقد تشكَّل المعنى المضمن من اجتماع الدال والزاى، والذى ربطت الكسرة بين عناصرهما الصوتية، والبصرية، والدلالية، بالاعتماد على أن "مادة الصوت هى مظهر الانفعال النفسى".([2])

بل كانت الكسرة القصيرة دليلًا على انفعال المؤلف، ودليلًا على عامل الجر، وسببه، بقصدية إضافة معنى آخر، أراده المؤلف، بعيدًا عن التقيُّد الشكلى؛ وهو من باب السنن العربية فى الكشف عن المعانى بالحركات، وكأن المؤلف قد وضع الكسرة لتكون قرينة، يَستَدِلُّ المتلقى على المعنى والانفعال المراد من التركيب النحوى، استنادًا إلى أنه إذا استغلقت المعانى؛ فإن الإعراب هو الذى يفتحها([3]) لذا يُستحسن حمل كسرة الزاى من هموز– فى هذا الموضع– على تأثرها بكسرة الوادى المجاورةِ لها، وتكون كسرة هموز من من باب الحركة المتوقعة فى ذهنية المتلقى، إعمالًا لقاعدة: **إذا جاور الشيءُ الشيءَ دخل فى كثير من أحكامه بالإضافة إلى إعمال عاملِ انفعالِ التحذير**، وتقدير الكلام: أحذركم الحية؛ فأبعدوا أنفسكم، واحذروها.

ربما أراد الحطيئة أن يرمز بالحية عن نفسه، مؤكِّدًا قدرته على حماية ناحيته، وأنه ينبغى أن يُتَّقى منه، وأنه رغم ضعفه، وانكساره؛ فهو قادر على لقاء من يكرخونه، ويكيدون له، مثلما تتقى الحية نفسها، وتحمى واديها، تلك الحية الحامية لبطن واديها، لكونها شديدةَ الفتكِ، فهى حيةٌ تبسطُ سيطرتَها على مساحة واديها كلِّها، وتحمى حوزتَها، فهى الحيةُ التى تحمى واديها، وسلاحُها فى ذلك أثيابٌ قاطعةٌ.

وقد أجاد الحطيئةُ فى استثمارِ قدرةِ الكسرة– والاستعانة بها– على رسمِ صورةٍ تداوليةٍ موحدةٍ، يُمكِّنُ المتلقى– من خلالها– من التمركز الذهنى والانفعالى، حول دلالتها، بتتابع الكسرات الثلاث: بطنِ –وادٍ– هموزٍ، وليس معنى الثقل فى الكسرة القوة مطلقًا، كما أنه ليس فى انتقال الشاعر إلى الفتحة– رغبة فى التخفيف –دليلُ ضعفٍ، ولا يعنى استشعار المتلقى ثقل الحركة الإعرابية دليلًا على قوتها، إنما قوتها نابعةٌ ممَّا يُدركه العقلُ، أو تستشعره النفسُ، حيث إن ما تستخفه الحواس قد تنفر منه النفس، وتملُّه، والعكس.([4]) وقد تجسدت قوة الكسرة فى: كلمة (هموز) فى أنها قد قامت بدور الرابط بين أجزاء التركيب النحوى، وعناصر المشهد الانفعالى، فارتبط المعنى الانفعالى بحركة الكسرة، ووقع عليها عبء تمييز الانفعال؛ فقد استشعر المتلقى– ببصره من قبل نفسه– انفعالَ المؤلفِ بقوةِ الحية، وقدرتَها فى الذود عن واديها– رغم انكسارها وضعفها– بتوحيدِ الكسرةِ، لكلمتىْ: واد، وهموز.

- **ومن أمثلته: قول العجَّاج([5]):**

([1]) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية: ١٧٠

([2]) تاريخ آداب العربية، جـ٢: ١٧٢

([3]) انظر: دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، د: بتول ناصر قاسم، سلسلة رسائل جامعية، ط١، مكتبة لسان العرب، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٩م: ٤٩

([4]) انظر: دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء: ١٧١– ١٧٢

([5]) البيت من الرجز، وهو منسوب للعجَّاج عند سيبويه فى الكتاب، و البغدادى فى الخزانة، ومثبت فى مقدمة الديوان العجاج، فى وصف منهل من المناهل، من دون إدراجه فى ثنايا القصائد الشعرية، أو أو الأرجاز، وقبله:

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ عَنْ مَنْهَلِ.
كَأَنَّ أَرْيَاشَ الْحَمَامِ النُّسَّلِ
عَلَيْهِ وُرْقَانُ الْقِرَانِ النُّصَّلِ
فُوَيْقَ طَامِى مَائِهِ الْمُجَلَّلِ

والبيت من إنشاد أبى عبيد فى لسان العرب، انظر: ديوان العجَّاج، رواية: عبد الملك بن قريب الأصمعى، وشرحه، تحقيق، د:عزة حسن، دار الشرق العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م:١٨ وانظر: لسان العرب، جـ٣: ١٧٣٣– ١٧٣٤، مادة: (ر، م، ل)، وانظر: خزانة الأدب، جـ٥: ٨٨

- **وَمِنْهَلٍ وَرَنْتُهُ عَنْ مِنْهَلِ**
- **كَأَنَّ أَرْيَاشَ الْحَمَامِ النُّسَّلِ**
- **عَلَيْهِ وُرْقَاْلْقِرَانِ النُّصَّلِ**
- **فُوَيْقَ طَامِي مَائِهِ الْمُجَلَّلِ**
- **كَأَنَّ نَسْجَ الْعَنْكُبُوتِ الْمُرْمَلِ(١)**
- **عَلَى ذُرَا قُلَّامِهِ(٢) الْمُهَدَّلِ(٣)**
- **سُتُورُ(سبوبُ) كِتَّانٍ بِأَيْدِي غُزَّلِ.(٤)**

تقتضى المعيارية النحوية أن تكون (المرمل) نصبًا، بدلًا من الجر، حيث إنه نعت للنسج، لا للعنكبوتِ(٥) والمتأمِّل للبيت السابق يجد أن الشاعر قد ارتكز على القيمة الدلالية والتداولية للكسرة فى تصويرِ المشهدِ، وفى عرض الدلالةِ الكلية للفعل الكلامى؛ إذ من المعلوم أن الكسرة تجذب الحرف بل الدلالة التركيبية إلى جهتها، وفى جرِّ (المرملِ) تعبيرٌ عن انفعال المؤلف بهذا العنكبوت الذى رَمَلَ– أو أَرْمَلَ– سريرَه من النباتِ المُتَهَدِّلِ؛ فحاك من النباتِ شريطًا، أو ما شابه، وجعله ظهرًا له؛ ليضفى على المشهد بهاءً، وجلالًا.

فالكسرة قد أوقعت صناعة المشهد على العنكبوت، فصار المركبُ المخصصُ بالوصف، فى ضوء عامل الانفعال: **(العنكبوتِ المرملِ)** مصدرَ الانفعالِ والمعبِّرَ عنه، فهو الذى صنع تلك الصورةَ، وأوجد تلك الدلالةَ، التى انفعلت نفسُ الشاعرِ بسببها، بالإضافة إلى كونِ العنكبوتِ صانعَ هذا النسيجِ المُحْكَمِ المدقَّقِ، ولو أبقى الشاعر الفتحة لما تحصلت ذهنيةُ المتلقى على هذا المعنى، ولا استشعرت نفسُه تلك اللذةَ، التى تجلت من هذا الفعل، وذلك التصوير، وكأنه قد صنع سريرًا مُحْكَمَ النَّسْجِ، وجَعَلَهُ مثلَ سريرِ الملك، فى وشيه، وزينته، وإحكامه، وجلاله، لا زال العنكبوت يرسم هذا المنظر المتدلى، الذى أبهر المتلقى، وأثار انفعاله.(٦) وقد استخدم الشاعر الكسرة فى الربط بين صوت التاء، الدال الدال على الهمس، والاطمئنان، والانتشار، وصوت اللام، الدال على القوة من خلال التكرير للحدث، واستمراريته فى ذهن المتلقى، التى سببت قيمة دلالية أعمق فى البعد التداولى، ليدل على تجدد الانفعال المتحقق من صفة التكرير فيه، فصارت الصورةُ وصاحبُها– بالكسرةِ الانفعاليةِ– كتلةً كلاميةً واحدةً، وذاتَ قيمةٍ دلاليةٍ مقصودةٍ، وهذا المعنى العميقُ لم يكنْ ليتحققَ من نصبِ المرملِ، وقد تمركت ذهنيةُ المتلقى حول دلالة هذا المركب المخصص بالوصف، من **النسج المتدلى**؛ إذ ستسحب ذهنية المتلقى إلى ذلك النسيج المحكم، وهو النَّسْجُ المدقَّقُ، ولما انفعل المؤلف هذا الانفعال.

٢- **ونظيره: قول أبى الجراح(٧) العقيلى(٨):**

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلِّهِم	**أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى النَّسَبِ(٩).(١٠)**

---

(١) المرمل، هو: النسج المرقَّق، أو المزيَّن بالجوهر ونحوه، من رملْتُ الحصير وأرملتُه: فهو مرمولٌ ومُرْمِلٌ: إذا نسجته، وسفقته؛ والرُّمال: ما رُمِل: أى: نُسج؛ والرواملِ: نواسج الحصير، الواحدة: راملة. انظر: لسان العرب، جـ٣: ١٧٣٣– ١٧٣٤، مادة: (ر، م، ل).

(٢) والقلام: ضرب من النبات.

(٣) والمهدل: المدلى.

(٤) انظر: شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جـ٣: ١٧١

(٥) انظر: ظاهرة المجاورة فى الدراسات النحوية ومواقعها فى القرآن الكريم :٣٤

(٦) انظر: لسان العرب، جـ٣: ١٧٣٣– ١٧٣٤، مادة: (ر، م، ل).

(٧) وهو: أحد الأعراب الرواة، المشهود لهم بالفصاحة، أثاره مبعثرة فى المؤلفات الأدبية، واللغوية، كان أحد المحكمين بين سيبويه والكسائى، فى مجلس البرمكى، من البارزين فى من نُقلت اللغة عنهم، ومروياته اللغوية من مصادرها المعتمدة، ويبدو أنه لا توجد دراسة مستقلة، جمعت مروياته اللغوية وأراءه النحوية، إذ إن مروياته جاءت متفرقة ومتناثرة فى بطون المؤلفات التراثية. انظر: مرويات أبى الجراح العقيلى فى التراث اللغوى، جمعًا، و دراسة، وتحقيقًا، د: سلامة عمر محمد عبد الرحيم، مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد(١٨)، يناير (٢٠٢١م): ١٤٨٦–١٤٨٩

(٨) البيت من البسيط، وهومن دون نسبة فى رواية ابن هشام فى المغنى، وفى رواية الشذور، وخزانة الأدب، وفى رواية ثانية لصاحب الخزانة نسبه إلى : أبى الجرَّاح العُقَيْلى، وعلَّق محقق الشذور على البيت بقوله: ولم أجد أحدًا نسب هذا البيت إلى قائل معين، إلَّا أن ابن هشام أشار أيَّد نسبته إلى أبى الجرَّاح العُقَيلىّ، من قِبَل الفراء، معلقًا على البيت برد إعمال الجوار فى التوكيد، وحكم بنُدْرَتِهِ، انظر: معانى القرآن، جـ٢: ٧٥، وانظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب:٥٥٢، وانظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب:٣٤٧ –٣٤٨، و انظر: مرويات أبى الجراح العقيلى فى التراث اللغوى، جمعًا، ودراسة، وتحقيقًا:١٥١٦، وانظر: خزانة الأدب، جـ٥: ٩٠ –٩٣

(٩) أشار ابن منظور إلى معنى النَّسَب، بقوله: والنسب معروف، ولعله لم يذكره حياءَ. انظر: لسان العرب، جـ٣: ١٥١٩، مادة: (ذ، ن، ب).

(١٠) وهو الشاهد رقم: ٧٧٦ من شواهد المغنى، والشاهد رقم: ١٦٩ فى شذور الذهب، وهو بلا نسبة إلى قائلٍ مُعَينٍ، انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب:٥٥٢، وانظر: شرح التسهيل–تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد– لابن مالك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحى السيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، جـ٣: ١٧١، وانظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: ٣٤٨

بكسر اللام من كلمة: (كلِهم)، وهو ممَّا جُرَّ – عند جمهورِ اللغويين والنحاةِ– على المجاورةِ، فى بابِ التوكيدِ، وهو معربٌ بحركتِها، يُقصد: إنه مجرورٍ بحركةِ المجاورةِ" فـ: كلهم: توكيد لذوى، لا للزوجات، وإلَّا لقال: كلَّهُنَّ، وذوى منصوب على المفعولية"([1]) وكان حقَّ (كلَّهُمْ) أن تكون منصوبةً بالفتحةِ؛ لكونها توكيدًا لكلمة: (ذوى)([2]) وهى–عند الفراء– منصوبةٌ، لأنها نعتٌ لـ: ذوى؛ على ما ذكره(ت٢٠٧هـ)([3]) ونقله ابن هشام([4]) فقد أشار ابنُ هشام إلى أن الحمل على المجاورة حَمْلٌ على شاذٍّ.([5]) فالقاعدة القياسية– فى باب باب التوكيد– تقتضى أن يكون الموكِّد (كلَّهُمْ) مُطابقًا للمؤكَّد فى حركتِه الإعرابيةِ، ملاصقًا له، من دون فاصل، وقد برزت المخالفة الإعرابية فى جر كلمة: (كلهم) على خلاف القاعدة القياسية النحوية؛ التى تقتضى نصبَها، على الرغم من عدم خروجها عن سياق التوكيد، مع التسليم بما قام به الأثرُ الإعرابىُّ من قطعٍ للتبعية الإعرابية بين الموكِّد والمؤكَّد؛ وقد أسس اللغويون عدم استحسان خضوع الأثر الإعرابى لعامل المجاورة على أسسٍ من مبدأ الهيئةِ الكلامية، وجسَّدوا ذلك فى الفصلِ بين المعطوف والمعطوف عليه فى إبطالِ المجاورةِ؛ لأن حرفَ العطفِ حاجزٌ بين الاسمين، وهذا الأمرُ يتطابقُ مع الهيئةِ الكلاميةِ للشاهدِ السابقِ؛ إذ يوجدُ ما يفصلُ بين الاسمين فى بابِ التوكيدِ، وهو كلمةُ: (الزوجات)، التى جسَّدت همَ المطابقة بين عنصرى التوكيد.([6])

وقد ذكر الأستاذُ خليل اسكاكينى أن" الذين يسكنون الأماكنَ الباردةَ يميلون– فى ألفاظهم– إلى الضَّمِّ والجرِّ؛ بمعنى أنهم لا يفتحون أفواهَهُم خوفَ البردِ؛ فى حين أن الذين يسكنون الأماكنَ الحارةَ يميلون– فى ألفاظِهم– إلى الفتحِ استبرادًا، ولما كان العربُ سكانَ قفرٍ حارٍّ، يعيشون فى الهواءِ الطلقِ؛ كثُر الفتحُ فى لغتِهم، سواءً كان حركةً بنائيةً أم حركةً إعرابيةً".([7]) يتماشى هذا الأمرُ مع فكرةِ وجودِ النحوِ الكلّى، الذى يقومُ على مجموعةٍ من المبادئِ الفطريةِ المحددةِ بيولوجيًّا، وهو الذى يضبطُ مكوناتِ اللغةِ.([8]) كما أنه ليس من شكٍّ فى أن التوكيدَ– بفرعية اللفظى والمعنوى–" صورةٌ كلاميةٌ، يستخدمُها المؤلفُ لإثباتِ مضمونِ كلامِه، وإزالة الشكِّ من قلبِ المتلقى، وإثباتِ المعنى فى نفسِه، إلَّا أن آليةَ التوكيدِ ينبغى أن يُوجَدَ ما يَدْعُو إليها، كأنْ يرتبطُ التوكيدُ بالحالةِ الانفعاليةِ للمؤلفِ، قد يُريد– بتوكيده– تقويةَ معنى، أو إزالةَ آخر".([9])

ولو قال – فى الشاهد السابق: يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِى الزَّوْجَاتِ؛ لتحقق تمام الدلالة له، لكنه زاد قالبَ التوكيدِ، الذى جاء بسبب الانفعال، لتأكيدِ معنى زوالِ الوصالِ بين الرجالِ وزوجاتِهم، بسببِ انحلالِ عُرَى النَّسَبِ؛ وليشملَ بحديثه الأزواجَ وزوجاتِهم؛ ويبدو أن كسرَ اللامِ– مع التوكيد المعنوى (كلهم)– قد جاء بدافعٍ من عاملِ الانفعالِ النفسىِّ، بأن جاء هذا التوكيدُ توضيحًا للمتلقى بأن مضمونَ الفعلِ الكلامىِّ يشملُ المضافَ والمضافَ إليه، وهو انفعالٌ؛ للتأكيدِ أن المعنى موجَّهٌ إلى كلا الطرفين، قاصدًا إحداثَ مفارقةٍ حركيةٍ تصريفيةٍ ذاتِ بُعدٍ دلاليٍّ، يقومُ على ثنائيةِ الدلالةِ، وثنائيةِ التوجيهِ.

فقد أشارت كسرةُ اللامِ من لفظ التوكيد إلى المطابقة مع المجرور قبلها، وهى كلمة: الزوجات، المجرورة بالإضافة، وبكسرة ظاهرة، مراعاة لانفعال المؤلف بتوجيه الخطاب لهن، فى حين دلَّت الزيادةُ التصريفية:(هم) أن الأمر موجَّه إلى المذكر، فقال: لهم، وقد تركَ الشاعر قرينة لفظية تدل على هذا الرأى، وهو قوله: انحلال عُرى النسب، الدال على سيطرة انفعال الحياء، وقد جسَّد هذا الأمر رغبة المؤلف فى رفع الغموض السلبى عن ذهن المتلقى.

وقد أضافت كسر اللام من التوكيد المعنوى– مع وجود لاحقة ضمير الغيبة لجماعة الذكور، بوصفه من المورفيمات المقيدة– معنى جديدًا، هو قدرة الوحدة التركيبية والأثر الإعرابى فى سياقهما على الإحاطة بالدلالة، وتحقيق مفارقة تداولية، وثنائية خطابية، ترومُ إحداث تمامِ الدلالةِ ووضوحِ مغزاها لمتلقٍّ نوعىٍّ، مع إكسابِ التركيبِ بعضَ عواملِ اللذةِ، من خلال المراوغة التشيطية، التى تستوجب إيقاظ الفكر، وإطراب النفس، والتنبه لأهمية مضمون الفعل الكلامى. وقد جاءت الكسرة انفعالًا قام على إنهاء التعارض، وتأكيد الموضعين، بمراعاة النظير فى الأثر الإعرابى؛ إذ كلاهما مجرور، أحدهما بالإضافة: (الزوجات) والآخر بالتبعية، وهو : (كلِهم) إذ الأمر مختص بالنساء بصورة أدق، فجاء الأثرُ الإعرابىُّ بالكسر مراعيًا حالَ الإناثِ، بتلك الكسرة التى للام، والأخر: جاءت الصيغة التأكيدية، تخاطب ذوى الزوجات:(هم) ضميرًا يعود إلى المتحدث عنه، وهم الذكور،

([1]) انظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: ٣٤٧–٣٤٨

([2]) انظر: ظاهرة المجاورة فى الدراسات النحوية ومواقعها فى القرآن الكريم: ٢٦

([3]) انظر: معانى القرآن للفراء، تراثنا، جـ٢: ٧٥

([4]) انظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، ٣٤٨ ، وانظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٥٢

([5]) انظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، ٣٤٩

([6]) انظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، ٣٤٩

([7]) مطالعات فى اللغة والأدب: ١٣

([8]) انظر: نظرية النحو الكُلِّيّ و التراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية) : ٢٠

([9]) انظر: أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية: ٣٩–٤٠

على سبيل التغليب، وليس من شكٍّ فى أن عزوَ هذا التغير إلى عامل الإعراب هو دليلٌ على انفعالِ المؤلفِ بتحقيقِ الإحاطةِ الخطابيةِ لجميعِ المخاطبين، فقد شمل بتصرفه هذا بعدًا تداوليًّا أعمق.

٣- **ومنه: قولـه:**

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى	**وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيَا.(١)**

يُلاحظُ أن الشاعر – تحت وطأةِ انفعالِ التَّوهُّمِ، واعتمادًا على ما فى النفس من قصدٍ ونيةٍ(٢)– قد قاس وحدة تركيبية على وحدة أخرى، فقال: سابقٍ على الجر، وكان الوجه: (سابقًا) بالنصب، قياسًا على قوله: مُدركَ؛ إلَّا أنه قد جاء به مجرورًا، وأنه قد أثبت فيه الباء تقديرًا(٣) فجرُّه لجرِّ الأول(٤) فقد حمله سيبويه على الغلط والتوهُّم، مع إقراره بكونه من من كلامِ العربِ، وجعل الجر فى كلمة:(سابقٍ) بالحمل على المعنى، والتقدير: لست بمدركٍ، ولا سابقٍ.(٥) ويجوز نصب كلمة(سابقًا)، وجرها؛ " لأن الأول لما كانت تُستعمل فيه الباء، ولا تغيُّر فى المعنى، وكانت الباءُ مما يلزم الأولَ؛ نووها فى الحرف الأخير، حتى كأنهم قد تكلموا بها فى الأول".(٦) **بالإضافة إلى كون النصب أخا الجر**، ويُحمل عليه فى بابيْ المثنى والجمع، من دون المرفوع، ومدار الأخوة بينهما؛ لأن الجر يوافق النصب فى كلية الإضمار، نحو: رأيتُك، ومررتُ بك، ورأيتُه، ومررتُ به.(٧)

ذكر الباحث—فى الفقرة السابقة– ما عليه جمهورُ النحاةِ واللغويين؛ من وجود تبادليةٍ شَكْلِيَّةٍ بين النصب والجر، من دون تغيير فى المعنى، وأن المعوَّل– فى هذا الموضع– على وضوح الدلالة، وقدرة المتلقى على التوصُّل للمعنى الحقيقى؛ إذ معلومٌ أن الضبط المُعَيَّن يقتضى معنى معينًا، ويُشير هذا الأمر إلى صحة الروايتين، بالنصب أو الجر فى كلمة: (سابقٍ)، ولا يساوى القياس النحوى بينهما، بيد أن كلتيهما صحيحةٌ؛ لكنَّ النصبَ على معنى، والجر يأتى على معنى آخر.(٨)

يجب الإشارة إلى أن قائل هذا الشاهد هو زهير بن أبى سُلمى، وهو من فحول الشعراء، ومن شعراء الطبقة الأولى؛ لكن الحكم بالغلط، وبكون صنيعه من اللغة الرديئة نابعٌ من معايير نحوية قياسية، وقد يصح أن يُحمل على سياق الانفعال من باب التوسُّع، إذ الشاعر مقيَّد بسياق الاتباع للغات العرفية فى الاستعمال، وتحفظ لنا الرواياتُ اللغويَّةُ كَوْنَ هذا الشاهد لغةً لبنى عامر، لذا فهو استعمالٌ لَهَجِيٌّ، راغ إليه زهير من باب كونه معبِّرًا عن انفعال الضعف، وقلة الأمر، ومشاركته الاستعمال الشائع فى بيئته اللغوية، إذ الصور اللغوية رهينة بيئتها، **لذا أشار الدكتور: سيف الدين طه سالم** إلى ضرورة التقعيد لمثل هذا الاستعمال اللَّهَجِى، لا الطَّعْنِ فيه.(٩) والشاهد فيه عطف(سابق) على خبر ليس، وقد وقد حمله ابن هشام على انفعال توهم دخول الجار على الخبر.

يضاف إلى ما سبق سياق التساوى الدلالى بين النصب والجر فى بيئة التراكيب، من دون تغيُّر فى المعنى، ورواية الجر فى قوله: (سابق) المعطوفة على (مدركًا) المنصوبة لها وجوه، يعود معظمها إلى سياق الانفعال، فربما أراد زهير أن يدل على خصيصة التبادل الدلالى بين النصب والجر، من دون اضطراب للمعنى، وربما أراد أن يقرَ بأسبقية النصب على الجر، مع تساوى الأمرين، بين التذبذب والترجيح، والاطِّراد، والثبات، وربما أشار إلى تقدير الباء المقيس فى خبر ليس، أو ما الحجازية، وقياسيته مع الخبر الأول،

---

(١) البيت لزهير بن أبى سُلمى، وفى ديوانه، من الطويل، من قصيدة له، بعنوان: ألا ليت شعرى، قالها يذكر بها النعمان بن المنذر، حين طلبه كسرى ليقتله، وقد أبت طيىء أن تؤويه فى جبلها، وذهب إلى بنى عبس، فحماه النعمان وكساه؛ فكانت بنو عبس تشكر ذلك للنعمان، فقال له بنو رواحة من عبس: أقم فينا، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فأثنى عليهم خيرًا، وقال: لا طاقة لكم بكسرى، فقال زهير القصيدة فى ذلك؛ ورواية الديوان، بالنصب فى قوله: ولا سابقًا شيئًا. انظر: ديوان زهير بن أبى سلمى، شرحه وقدَّم له: حسن على فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ١٤٠، وانظر: خزانة الأدب، جـ٨: ٤٩٢

(٢) انظر: أحكام التوجيه والتقويم النحوى عند الفراء : ١٢٥

(٣) ومثله: قول تأبط شرًّا، من الطويل فى قصيدته: لا أتمنى الشر، يقول:

وَلَسْتُ بِمِقْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِى	**وَلَا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ.**

انظر: ديوان تأبط شرًّا، إعداد وتقديم: طلال حرب، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م :١٩

(٤) انظر: التوجيه اللغوى والنحوى للقراءات القرآنية فى تفسير الزمخشرى، عبد الله سليمان محمد أديب، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٢م : ١٢١

(٥) يُقال: صِرْمَة الأنصارى، انظر: الكتاب، جـ٢: ١٥٥، جـ١: ١٦٥، ٣٠٦

(٦) دراسات فى معانى القرآن للفراء : ١٦٦

(٧) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٢: ٣٧

(٨) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية : ٤٤٤

(٩) انظر: مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل: ٨٩

وكأنه يقول: لست بمدرك ما مضى، ولست بسابقٍ؛ أو أراد أن يُشير إلى أن تقارض النصب والجر باب من أبواب التوسع فى العربية. يقول سيبويه فى هذا المعنى: "لما كان الأول تُستعمل فيه الباء، ولا تغيَّر المعنى، وكانت مما يلزم الأول؛ نووها فى الحرف الآخر، حتى أنهم قد تكلَّموا بها فى الأول:.(١)

المطلب الخامس: التحوُّل من الكسرة إلى الفتحة:

- **ومنه: قوله(٢):**

وَيَأْوِى إِلَى نِسْوَةٍ عُطْلٍ	وَشُعْثًا(٣) مَرَاضِيعَ مِثْلَ السَّعَالِى.(٤)

يقول سيبويه فى: **هذا باب ما ينتصب فيه الصفة؛ لأنه حالٌ وقع فيه الألف واللام:**" وقد نصب(شُعْثًا) وحقُّها الجر، لكونها نعتًا لقوله: (نسوة) المجرورة، نصبها على الاختصاص(٥) معنى لا لفظا، وتكون حركة النصب فى قوله: شعثًا، مجتلبة، لاستدعاء المتلقى إلى المشاركة الانفعالية، من دون عاملٍ نحويّ، إذ هى معطوفةٌ على ما قبلها، قبلها، واللافتُ للنظر؛ أن الواو العاطفة قد أشركت معموليها، فى اتِّصافهما بما يَنْفُرُ منه الذوقُ، فالمعمول الأول: وهو قوله: عُطْلٌ، فيه تعريضٌ بِهِنَّ، فهن لا يُنْجِبْنَ، وتلك سُبَّةٌ لكلِّ امرأةٍ، والمعمول الثانى: فيه تعليلٌ للمعمول الأول، فهن= لقذارتهن، وشعثهن– قد تركهن الرجالَ، فصِرْنَ من أخبث الناس.

وفى إمعان النظر نجد أن عامل الانفعال الداخلى هو ما حدا بالمؤلف أن يُغايرَ بين الكسر والنصب، فكانت الفتحةُ دليلَ تخصيصٍ وتشنيعٍ بهن، وهذا ما لا تفعله الكسرة القصيرة؛ فقد أراد أن يخصَّ شَعَثَ المرأةِ وعدمَ استرسالِ شعرِها، وهو زينتُها الوحيدةُ، ليبالغَ فى التشنيع بهن، والتفير منهن، والتقريع لهن، وخصَّ الشَّعَثَ من بينِ صفاتِ المرأةِ؛ إذ هو مصدرُ جمالِها أو عُطْلِها، وكأنَّ المؤلفَ قد بلغَ غايةَ الغضبِ، وأراد الإحاطةَ بغايةِ التنفيرِ من هؤلاءِ النساءِ، وأثناءَ انفعالِه تواردتْ إلى ذهنِه ونفسِه تلك السماتُ التى جعلتهُنَّ أكثرَ الناسِ خبثًا، وقد جعل من الفتحةِ المُجْتَلَبَةِ – فى قوله: شعثًا– علامةً انفعاليةً تحذيريةً تنفيريةً، للتنبيه على ما ينبغى أن يُتنكرَ به، ولم يُرِدْ أن يقطعَ كلامَه؛ فكلَّما غلبَ المعنى، جُعلت هذه الفتحةُ ممَّا يُتَكَرَّرُ بعدها كلامٌ، ولم يُرِدْ أن يقطعَ اللفظَ أو التركيبَ(٦) فأراد أن يخصَّ أجملَ ما فى المرأةِ، وهو شعرُها، فَنَصَبَ شَعْثًا على الاختصاصِ، تقديرًا تقديرًا لا حقيقةً، إذ أشرك المتعاطفين، معنى، بالواو؛ فى روايةِ النصبِ، لا لفظًا. فقد انفعل الشاعرُ، وبدا الأمرُ – عنده–كأنهنَّ–حين، قال: إلى نسوةٍ عُطْلٍ– صِرْن عنده ممن عُلم أنهن شُعْثٌ؛ لكنه ذكر ذلك؛ تشنيعًا لهن، وتشويهًا، كأنه قال: ولأكْرُهُنَّ شُعْثًا؛ تنفيرًا منهن، إلَّا أن هذا فعلٌ لا يُستَعْمَلُ إظهارُه، وإن شئتَ جَرَرْتَ على الصِّفَة؛ والذى سوَّغ جرَّ الاسمِ المعطوفِ على النعتِ المجرورِ أنه معطوفٌ بالواوِ، ولو قال: فَشُعْثٍ، قبُح.(٧)

ويشير كلامُ سيبويه إلى ما فى التركيب النحوى: (عُطْلٍ، وشُعْثًا) من التعبيرِ عن الانفعالِ الداخليّ للشاعرِ، والتخصيص لمصدر الانفعال، والذى سبَّبَهُ قولُه:(شُعْثًا)، لذا انتخب تنوينَ الفتحِ، بديلًا عن تنوينِ الجرِّ؛ لما فى الأول من التعبير عن التعظيم، والإشارة إلى ما يتمتَّعْنَ به هؤلاء النسوةُ من القوةِ، التى لا يُلابسُها الكسرُ، الموضوعُ للدلالةِ على الضعفِ والانكسارِ، وقد استحسن سيبويه والسكاكى التعبيرَ بالفتحِ؛ لما فيه من الدلالةِ على اشتهارِ أمرِهم بين العربِ، وقد عبَّر النصبُ عن أمرٍ مُضْمَرٍ، فكشفَ عن سياقِ

---

(١) الكتاب، جـ٣: ٢٩

(٢) البيت فى الكتاب واللسان من قول أميمة بن أبى عائذ الهذلى، وجاء فى الكتاب بروايتين، إحداهما : الرفع، والأخرى: النصب لكلمة: (شعثًا)، وهو من المتقارب، وهو من دون نسبة إلى قائل معين فى فى شرح التسهيل. انظر: الكتاب، جـ١: ٣٩٩، وجـ٢: ٦٦، وانظر: شرح التسهيل، جـ٣: ١٨٠، وانظر: لسان العرب، جـ٣: ١٦٦١، مادة: (ر، ض، ع).

(٣) جمع شعثاء، وهى ذات الشعر الملبَّد، والمتفرِّق، والمُغْبَرِ المُلْتَفِّ، والحاف، الذى لم يُدهن، والشعث: الزلل، والدرء، والتشعث: التنقُّص. انظر: لسان العرب، جـ٤ : ٢٢٧٢ – ٢٢٧٣، مادة: (ش ع ، ث).

(٤) والبيت فى ديوان الهذليين، لأمية بن أبى عائذ العمرى، أحد بنى عمرو بن الحارث، بن تميم بن سعد بن هذيل، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، وقد مدح بنى مروان، والبيت فى الديوان هكذا هكذا :

لَهُ نِسْوَةٌ عَاطِلَاتُ الصُّدُو (م) رِ عُوجٌ مَرَاضِيعُ مِثْلَ السَّعَالِى.

عاطلات: ليس عليهن حُلى، والعوج: المهازيل. انظر: ديوان الهذليين، تحقيق: محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، الدار القومية للطباعة و النشر، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، القسم الثانى: ١٧٢– ١٨٤

(٥) انظر: المفصل فى علم العربية: ٦٧–٦٨

(٦) انظر: الكتاب، جـ٤: ٢١٥ – ٢١٦

(٧) انظر: الكتاب، جـ١: ٣٩٩، جـ٢: ٦٦

الافعالِ الموازى للفعلِ الكلاميّ المتلفَّظِ به، وهو إضمارُ الفعلِ، فكما ينتصبُ المفعولُ به عن العاملِ مُظْهَرًا ينتصب عنه مُضْمَرًا([1])" إذ جعل المخاطبُ كأنه قد عرفهن، وساق لذلك تمثيلًا، كما فى قولهم: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ زيْدٌ؛ فتنزله منزلةَ، من قال لك: من هو؟ وإن لم يتكلمْ به، فكذلك هنا".([2])

المطلب السادس: التَّحَوُّلُ إِلَى التَّنْوِينِ:

يكون المنادى العلمُ المفردُ مبنيًّا على الضمِّ فى الأكثر، ويكون محله النصب، لوقوعه موقعَ المفعولِ به، بنيابةِ أداةِ النداءِ عن فعلِ النداءِ، وقد يُنَوَّن، قيلسًا؛ والأصلُ أن يكونَ تنوينُه بالضمِّ، لأنه الأصلُ فى بنائه؛ وقد يُنَوَّنُ بالنصبِ؛ لأنه يرده إلى أصله([3]) لأن الأصل فى المنادى النصب، حملًا على موقع المفعولية.([4]) وقد وردت شواهد جاء بناء المنادى العلم المفرد من الضمِّ، إلى التنوين بالفتح العارض([5]) ويكون وراء ذلك علةٌ لغوية انفعاليةٌ.

من ذلك: ما رُوِى من نصبِ كلمةِ: (بلالًا)([6]): فى ما رواه الإمام الطبرانى(ت٣٦٠هـ) من حديث عبد الله بن مسعود عن بلال– رضى الله عنهما– قال الطبرانى: حدثنا على بن عبد العزيز، عن محمد بن النضر الأزدى، عن موسى بن داوود، عن أبى هريرة، مخاطبًا بلالَ، وقد دخل عليه، وعنده صُبْرَةٌ من نمرٍ، قال– صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا بلالُ؟ قال: شيءٌ خَبَّأْتُهُ لك ولضيفانِك– أو لغدٍ– قال: أَمَا تَخْشَى أَنْ تَرَى– وَفِى رِوَايَةٍ تُفُوزَ – لَهُ غَدًا بُخَارًا فِى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ **قَالَ:" أَنْفِقْ بِلَالًا، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِى الْعَرْشِ إِقْلَالًا".**([7]) بنصب(بلالًا) مع تنوينها.

معلوم أن المنادى العلمَ المفردَ يُبنى على ما يُرْفَعُ بِهِ، فى مَحلِ نصبٍ؛ "وإنما بُنِى لوقوعِهِ موقعَ الكافِ فى نحوِ: أدعوك، ومماثلتُه لها إفرادًا، وتعريفًا، فالكَافُ، وإن كانتْ اسْمًا؛ إلَّا أَنَّهَا أَشْبَهَتْ الكافَ لَفْظًا ومعنى".([8]) قال سيبويه: " فكلُّ العربِ ترفعُه بغيرِ تنوينٍ، وذلك لأنه كثُرَ فى كلامِهِم؛ فجعلوه بمنزلةِ الأصواتِ، نحو: حوب، وما أشبهه".([9]) وتنوينُ قولِه– صلى الله عليه وسلم: (بلالًا) مُجْتَلَبٌ لعلةٍ لغويةٍ نفسيةٍ، وهى الاستغناءُ– بالتنوينِ– عن إعادةِ المعنى أو مفرداتِه، بهدفِ تمكينِه فى ذهنِ المتلقى؛ وذكر الفراءُ(ت٢٠٧هـ): إن التنوينَ يكونُ تقويةً فى المعنى، يُراد به الإضافةُ إلى شَيءٍ لا محالةَ، وقد أدَّى التنوينُ معنى ما أضيفُ إليه؛ ويصبحُ دليلًا على ما سَقَطَ.([10])

وفى قوله– صلى الله عليه وسلم:(بلالًا) بالتنوينِ بالفتحِ معنى الإضافةِ، وكَشْفٍ لقصديته– صلى الله عليه وسلم– وانفعالِه الإيجابيّ، الذى عبَّرَ عنه الفراءُ، بقوله: بنيَّتَك، وبدا من تنوين اللام عامل انفعال العتاب، والحثِّ على الإنفاق، **حيث يعد التنوين عاملًا نفسيًّا، انزاح به المؤلف انزياحًا بالزيادة، فلحقتْ الأصولُ الصرفيةُ لكلمةِ (بلال) زيادة صرفية، بسبب تغير الحركات؛ إذ نتج عن تغيّر الأثر الإعرابى للمنادى المفرد العلم من البناء على الضم إلى التنوين بالفتح، مبالغة فى تأكيد الانفعال.** فرسول الله– صلى

([1]) انظر: مفتاح العلوم : ٩١

([2]) انظر: الكتاب، جـ٢: ٦٦

([3]) قوله– صلى الله عليه وسلم: **بلالًا، أى: يا بلالُ**، وقد روى أبو جعفر أحمد بن يوسف الرعينى(ت٧٧٩هـ) الحديث بنصب اللام الثانية من بلال، إلَّا أن أغلب الروايات، بنائها على الضم، وحمل النصب على أنه ردُّ النداء إلى الأصل. انظر: تُحْفَة الأقران فى ما قُرئ بالتثليث من حروف القرآن، للرعينى، تحقيق، د: على حسين البواب، ط٢، كنوز إشبيليا ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، الرياض: ٦٨

([4]) انظر: آراء الفراء النحوية فى خزانة الأدب، عرض، ودراسة، وتقديم، على محمد على عبد الله صالح، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ/١٤٣٢هـ: ٢٧٦

([5]) ونحو ذلك قوله:

فَطِرْ خَالِدًا إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ طَيْرَةً	**وَلَا تَقَعَنَّ إِلَّا وَقَبْكَ طَائِرُ.**

انظر: آراء الفراء النحوية فى خزانة الأدب، عرض، ودراسة، وتقديم: ٢٧٧

([6]) تكاد الرويات تُجْمع على ضمِّ اللام الأخير من (بلال) إلَّا أن الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، المتوفى سنة ٨٠٧هجرية، أورد فى باب كتاب الزهد، باب فى الإنفاق(١١٠٩)، الحديث رقم: ٢٠١٦ برواية النصب للام الثانية، من كلمة بلال، قال: حدَّنا بشر بن سيحان، حدَّثنا حرب بن ميمون، حدَّثنا هشام بن حسَّان، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة، قال: عاد رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– بلالًا، فأخرج إليه صُبْرًا من تمر– والصُّبْرة: ما جُمع من الطعام بلا كيل أو وزن، وهو الطعام المجتمع كالكومة، والصُّبْرة: الكُدْس، يُحفظ فيه الطعام– فقال: ما هذا يا بلال؟ قال: تمرٌ لَخَرْتُه يا رسول الله، قال: أما خفت أن تسمعَ له بُخارًا فى نارِ جهنمَ، أنفق بلالًا، ولا تخافنَّ من ذى العرش إقلالًا. انظر: المقتصد العلى فى زوائد أبى يعلى الموصلى، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، المتوفى سنة ٨٠٧هجرية، تحقيق: سيد كسروي حسن، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، جـ٣ :٤٩١–٤٩٢، وانظر: لسان العرب جـ٤: ٢٣٩٣، مادة: (ص، ب، ر)

([7]) وقد أورده الحافظ أبو بكر الهيثمى، فى: باب فى الادخار، عن بلال، (بلالٌ) بالرفع، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظيْن الجليليْن، العراقى، وابن حجر ،(د.ط) دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، (د.ت)، جـ٣: ١٢٦، وانظر: المعجم الكبير، للحافظ أبى القسم سليمان بن أحمد الطبرانى، حقَّقه، وخرَّج أحاديثه: حمدى عبد المجيد السَّلفى، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٤هـ،(باب: الباء) جـ: ١، حـ: رقم: ١٠٢٠

([8]) أثر المشاكلة فى مخالفة بنيتىْ الكلمة والجملة للقياس، دراسة نحوية و صرفية، د: عبير دربير محمد أبو السعود، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد(٢٣) للعام: ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، جـ٣: ٢٣٢٢ ٢٣٢٢

([9]) الكتاب، جـ٢: ١٨٥

([10]) انظر: معانى القرآن، للفراء، سلسلة تراثنا، جـ٢: ٣١٩– ٣٢٠

الله عليه وسلم– راغب فى التعبير عن ممازحته بلالَ، وحثِّه على الإنفاقِ، ويكون تقدير المضاف المحذوف، والذى تضمنه تنوينُ العِوَض: بلال الندى، أو بلال الخير(١) أو أن يكون قدْ رغب– بالتنوين– فى أن تتمركز ذهنيةُ بلال– رضى الله عنه– فى دلالة مضمون اسمه، ليكون له من اسمه نصيب، بأن يكون نديًّا، لأن الدلالة المعجمية لكلمة(بلال) **يُقصد بها: كل ما يُبل به الحلقُ من الماءِ واللبنِ بلالُ، بأنْ يكونَ سَخِيًّا مثلَ الماءِ، متلطِّفًا ليِّنًا فى ادِّخارِه، وأن يكونَ مثلَ الريحِ البارِدِ الندية فى وصلِه.(٢)** بهذا؛ بهذا؛ يكونُ دخولُ التنوينِ لمعنى، ويزولُ هذا المعنى بزوالِه.(٣)

ولايؤيِّدُ الباحثُ أن تكونَ رغبةُ المؤلفِ– صلى الله عليه وسلم– بالتنوينِ– لمجرد تحقيقِ التناسبِ بين: (بلالًا)، و(إقلالًا)، أو أن يكون تحقيقُ المزاوجةِ الصرفيةِ– بالإتباع بينهما– هو السببَ الجوهريَّ فى تنوينِ النصبِ؛ بل يبدو أن فى التنوين بالفتح افعالَ عتابٍ، وترغيبٍ، وتخصيصٍ، من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بأن يتجنَّب بلالٌ– رضى الله عنه– اليَبَسَ، والتخشُّنَ، والحرصَ على الادِّخارِ، وأن يكونَ مِعطاءً، منفِّرًا له–صلى الله عليه وسلم– من الهَمِّ والوسواسِ، وحديثِ النفسِ، وقد نوَّن– صلى الله عليه وسلم–(بلالًا) ليزولَ عن ذهنِ بلال غيرُ ذلك، ممَّا قد يتوهمُه(٤) إذ إن إبقاءَ التنوينِ بالفتح، يناسبُ ما يألفه الحسُّ اللغويُّ العربيُّ، من روافدِ التقويةِ الكلاميةِ لمضمونِ الفعلِ الكلاميِّ، ويكونُ عوضًا عن أداةِ النداءِ المحذوفةِ، فيزيد المؤلفُ – بالتنوين– من إقبالِ المتلقى إليه، ويكونُ فيه زيادةُ تنبيهٍ لذهنِ المتلقى لمتابعةِ المتوقعِ وغيرِ المتوقعِ من دلالاتِ الفعلِ الكلاميِّ، مما يتلفظُ به المؤلفُ، وقد تيقظتْ له نفسُ المتلقى، وهذا المعنى مما لا تناسبُه ضمةُ البناءِ فى قوله– صلى الله عليه وسلم: بِلالُ، فيكون تنوينُ الفتحِ امتدادًا صوتيًّا لتأكيد المعنى، وتقوية مضمون الفعل الكلامى فى نفس المتلقى، وهنا يُعد عامل الاتفعال استراتيجيات ناجعة فى التقوية الكلامية؛ حيثُ يُجمعُ– فى هذا الموضع– بين انفعال النفس وطول الامتداد الصوتى مع التنوين من جهة، والأثر الدلالى الناجم عن هذا التصرف اللغوى المقصود من جهة أخرى؛ إذ فى التنوين بالفتح احتماليةٌ لإطالةِ الحركة، الذى يستدعى إطالة تمركز المعنى فى ذهن المتلقى، وإدراك مفرداته؛ ويرتبطُ بهذا الأمرِ ارتفاعُ معدلِ الثباتِ والصدقِ فى الفعلِ الكلاميِّ التأثيريِّ، وما يُوازيه من إطالةِ الكلامِ.

يستدعى هذا القصدُ بذلَ المؤلفِ مزيدًا من الجهد فى نقل الفعل الكلامى المضمن إلى فعل تأثيرى، يتحول به المتلقى إلى مزيد من الإصغاء والتقبُّل، مما يُحققه تنوينُ الفتح، ولا يتحقق من مجرد البناء على الضم، وتكون هذه المبررات سببًا فى تغيُّر الضبط الإعرابى، لكلمة:(بلال) من التحوُّل من البناء على الضم فى محل نصب، إلى التنوين المقصود، بوصف نصب اللام مع التنوين من العلل القوية التى تزيد عمق المعنى، وإطالة النصب بالفتح أقدر على تحقيق إطالة المعنى وزيادة امتداده، فى مقابلة البناء على الضمة القصيرة، فحمل التنوينُ معانىَ تُبَينُ معانى البناء، فصار فى التنوين زيادةُ معنى.

يُضاف إلى ذلك: تلك المناسبة المتحققة من الاتفعال الإيجابى فى قوله– صلى الله عليه وسلم: (أنفق) الدال على امتداد مضمون الفعل الكلامى، وتحقق معيار الصدق التداولى، **وبين استثمار الطاقة لدلالية للتنوين؛ الدال على كون مضمون الفعل الكلامى منتظرًا**، ولم يقع كليةً؛ بعد انتهاءِ زمنِ التكلُّم، لما فيه من دلالة على الامتداد والتنوع، إذ فى الأمر بالإنفاق، وفى التنوين امتدادٌ للفعلِ الكلامى المستبطنِ، الذى يحملُ إشارةً نفسيةً، من صدق الحثِّ على الإنفاق، وعدم انقطاعه، ووجوب التمسُّك به، وكأن التنوين استراتيجيةً كلامية قوَّت مضمونَ الخطابِ وفعلِه الكلاميِّ، وعظَّمت من الاتِّصاف به.

– **ونحوًا من ذلك(٢) قوله:**

كَفَى عُمَرٌ مَا كَانَ يُخْشَى انْجِرَافُهُ	**إِذَا أَجْحَفَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الْبَوَائِقِ.(٥)**

قد صرف الفرزدق(عمر)، والقياس منعُه، للعلمية والعدول عن عامر؛ ويبدو أن صرف ما لا ينصرف، والتحول إلى التنوين؛ له قصديةٌ ووعىٌ عند الفرزدقِ، وليس عن اضطرارٍ، إذ إن سياقَ القصيدةِ سياقُ افعالٍ بالمدحِ، والرغبةِ فى التعظيمِ، قد أراد الفرزدقُ لفتَ انتباهِ المتلقى إلى مآثرِ ممدوحِه، فهو الذى يقومُ للطوارئ، وهو الذى يكفى أمرَها، وينهضُ لها، ويُزيلُها، فكان التنوينُ جسرًا نفسيًّا، أراد الفرزدق إيصالَ أكبرِ كميةٍ من ذلك الاتفعالِ الدالِ على الاستقرار، والسكون، والتمكُّنِ فى ذاتِ مخاطبِه، ولفتِ انتباهِ المتلقى إلى مضمونِ الفعلِ الكلامى، والمتحقق فى التنوين، فجاء التنوين جزءًا من إيقاع داخلى فى نفس المؤلف، فى دليل قوة ذاتية، مأخوذة من دلالة التنوين على التعظيم والثقة والتدفق،

---

(١) انظر: معانى القرآن، للفراء، سلسلة تراثنا، جـ٢: ٣٢١–٣٢٢

(٢) انظر: لسان العرب، جـ١: ٣٤٨ – ٣٤٩، مادة : (ب، ل، ل)

(٣) انظر: القرينة الصوتية وأثرها فى توجيه المعنى عند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) : ٩٠

(٤) انظر: لسان العرب، جـ١: ٣٥٠ – ٣٥٢، مادة : (ب، ل، ل)

(٥) البيت للفرزدق، فى مدح عمر بن هبيرة الفزارى، فى قصيدة: يلين لأهل الدين من لين قلبه، من الطويل: انظر: ديوان الفرزدق، شرحه، وضبطه، وقدم له، الأستاذ: على فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٤٠٠–٤٠١

وفيه افعل بمزيد عطاء الممدوح، مأخوذ من كون التنوين زيادة عن أصول البنية الصرفية، وقد أنتج هذا السياق الانفعالى نمطًا إبداعيًّا تداوليًّا، تمثل فى صرف ما لا ينصرف، وتغييب الضمة المعيارية، إذ لا تناسب هذا المقام دلالة الضمة على الانحسار، والضيق، والانغلاق.(١)

- **ونظير ذلك(٢) : قوله:**

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهُ(٣)	**بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا.(٣)**

فى هذا الشاهدِ يتجلى سياقُ عاملِ الانفعالِ– ليست الضرورة– سببًا فى القول بمخالفةِ القياس النحوى– إن صحَّ استخدام هذا التعبير فى ضوء ثبات المرويات اللغويات– حيث إنَّ صرفَ كلمةِ: (فاطمةٍ)، بتنوينها، وهى مما يُمنع الصرف، لعلَّتىْ العلمية والتأنيث الحقيقى، يؤكِّدُ وجودَ علةٍ لهذا التصرُّفِ وقصديةٍ، فقد أراد الفرزدقُ أن يعبرَ– بالتحوُّل إلى التنوينِ– عن انفعالِ الغضبِ الشديد، والألمِ؛ وقد شكَّل التنوينُ وحدةً نفسيةً، لها دلالةٌ منفصلةٌ(٤) تروم تكثيفَ المعنى، فقد عبَّر التنوين عن النفسِ الرافضةِ للفعل الكلامى التأثيرى، وعن حرارةِ الإحساسِ به، ومجسِّدًا لطبيعةِ الحوارِ الحادِّ مع المتلقى، رغبة من الفرزدق فى دَحْضِ الحجج الذهنية لدى من يُنكر فضل ممدوحه؛ كما جاء التنوين مستدعيًّا لشعور اللوم على المنكر، والتعريض به؛ والتعنيف لفعله، والمُفاخرة، والمُناصرة، والمُناظرة، ورفع الشأن، واستدعاء المكانة الأخلاقية والتاريخية لممدوحه.(٥) فناسب الشاعر الشاعر بين قوةِ التنوينِ، وحدَّةِ التعبيرِ.

حيثُ أنكر رجلٌ من أهل الشام تنحى الناسِ للإمام زين العابدين، حتى استلم الحجرَ الأسودَ؛ بينما لم يستطعْ هشام بن عبد الملك فى عصر أبيه أن يستلمه؛ لكثرة الزحام، فنُصب له الكرسىُّ، وأُجلس؛ ومعه جماعة من أهل الشام، ورأى صنيع القوم بالإمام، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: أنا لا أعرفه؛ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرًا، فقال: أنا أعرفه.(٦)

بادٍ أن الفرزدق منفعلٌ انفعالَ غاضبٍ، ويعتملُ فى نفسه ما يعتمل من ألمٍ، وغضبٍ، وضيقٍ، وغليان، تحت وطأةِ مسئوليتِه الذاتيةِ فى الدفاع عن آل البيت النبوى؛ وردِّ المنكرين لفضلهم، هذا الانفعالُ لا تستطيعُ حمله، ولا التعبير عنه، تلك القحة المرقعة، التى تُجتلبُ للدلالة على التخفيفِ، وهذا لا يناسب رغبة المؤلف فى تثبيت مضمون الفعل الكلام وتمكينه من نفسِ المتلقى؛ وهنا يقوم التنوينُ بحملِ هذا المشاعرِ، ببروزه الصوتيّ، وقدرته فى التعبير عن تدفُّق المعنى.(٧) ويبدو أن وراءَ تنوينِ الممنوعِ من الصرفِ، فى قولِه: (فاطمة) علةً عروضيةً؛ فإن فى صياغةِ البيتِ– فى ضوءِ استقامةِ القاعدةِ النحويةِ– كسرًا للوزن، وتحولًا للتفعيلةِ الثانيةِ: (/*//*) فَاعِلُنْ (///*) (فَعِلُنْ) إلى (///) (فَعِلُ)، بثلاث حركاتٍ متواليات، وهى من تامِ البسيطِ المخبونِ(٨) فى شَطْرِهِ الأوَّلِ، فى تَفْعِيلَتِهِ الثانيةِ؛ فصارت (/*//*)(فَاعِلُنْ) إلى (///*)(فَعِلُنْ)، ويُمكن توضيح هذا الأمر الكتابة العروضية الآتية:

(هاذبنفا)--- (طِمَةَ)--- (إكنتتج)– (هلهو): مستفعلن– فَعِلُ– مستفعلن– فَعِلُنْ. فى ضوء استقامة القاعدة.

(هاذبنفا)--- (طِمَتِنْ)--- (إكنتتج)– (هلهو): مستفعلن– فَعِلُنْ– مستفعلن– فَعِلُنْ. فى ضوء عامل الانفعال.

وممَّا يؤكد قوة سياق الانفعال أن الفرزدق قد قال قصيدته فى حالة نفسية من تملُّكِ انفعالاتِ الغضبِ والألمِ، وغَيْرَةً منه على آل البيت، فشرعَ يسردُ بعضَ مناقبِ ممدوحِه، وآلِه، ومُحقِّرًا لفعلِ المتلقى(الآخرِ) المُنكرِ لذلك؛ إذ إن التحوّلَ إلى التنوين، دالٌّ على شموليةِ مضمونِ الفعلِ الكلامىّ للأزمنةِ الثلاثةِ؛ الماضى، والمضارع، الحال، والمستقبل، كما أنه دالٌّ على ردِّ الجَحْدِ، لذلك هم لا يكادون يتركون التنوين.(٩)

---

(١) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية: ٢٤٥–٢٤٨

(٢) رواية الديوان: جاهله، بدلًا من تجهله. انظر: ديوان الفرزدق: ٥١١

(٣) البيت فى ديوان الفرزدق، وهو من البسيط، ومن قصيدة(٤٦٠) له بعنوان: هذا الذى تعرف البطحاء وطأته، فى مدحه الإمام على زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب؛ تنحى له الناس، حتى استلم الحجر الأسود. انظر: شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه، وشرحها، وأكملها: إيليًا الحاوى، ضمن منشورات دار الكتاب اللبنانى، ط١، مكتبة المدرسة، ١٩٨٣م، جـ٢: ٣٥٣

(٤) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ : ٣٦

(٥) انظر: دلالات المطلع النفسية ومظاهر القيم الخلقية فى معلقة الحارث بن حلزة، د: أبو هداية محمد إسماعيل، ود: يوسف محمد تونو محمد، المجلة العربية مداد، المجلد الخامس، العدد (١٤)، يوليو(٢٠٢١م)، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر :٦٣

(٦) انظر: شرح ديوان الفرزدق: ٣٥٣

(٧) انظر: الصوت و الدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا، عادل محلو، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر، ٢٠٠٦م–٢٠٠٧م: ٦١

(٨) الخبن، هو: حذف الثانى الساكن.

(٩) انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسن العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادى، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ١١: ٣٧٨

وفى قوله: (فاطمةِ)، بالتنوين– الذى هو نون ساكنة زائدة، تلحق الاسم المعرب صوتًا لا رسمًا– قرعٌ الأذن، وإيقاظٌ للفكر، لما له من وضوح سمعى قوى، وقدرة فى التعبير عن التدفق الدلالى، وقوة لمضمون الفعل الفعل الكلامى، فقد نتج عن التنوين أن انتهت كلمة: (فاطمة) بمقطع صوتى متوسط مغلق: (ص، ح، ص) وهو من المقاطع الدالة على حبس النَّفَس، والكبْت، والحزن الشديد، والاندفاع، والتدفُّق، والقوة الدلالية–فيه دلالةٌ مقصودةٌ، سعى إليها الفرزدق سعيًا، لما ما فى التنوين من انغلاق، وقوة اندفاع للهواء بعد انحباسه، إذ أكسب التنوينُ الاسمَ(فاطمةٍ) قوةً مع قوةِ التنكيرِ – والذى هو نقيضُ التعريفِ، ويُقصدُ به: تعريفُ الشيءِ فى ذاتِه، من دونِ واسطةٍ، من الأداةِ، أو الإضافةِ، إذ التعريفُ نظيرُ التأنيثِ فى الفرعية، فى مقابلةِ أصالةِ التنكيرِ.([1])

فالفرزدقُ راغبٌ فى إظهارِ تعظيمِه ممدوحَه، رادًّا إنكارَ من يُنكرُ فضلَه، قد تملكتْه حالةٌ شعوريةٌ، أَلْزَمَتْهُ إكْبَارَه، ولحقه انفعالُ قويٌّ دفعه إلى توبيخِ من يتجاهلُه، بل وَصَفَهُ بالجاهلِ؛ فاستعانَ بالتنوينِ؛ الذى أوحى بتمركزِ الدلالةِ الكليةِ حولَ التاءِ المربوطةِ؛ وأن هذه التاءَ المربوطةَ هى مركزُ انفعالِه، وفى صورتها دلالةُ الانحباسِ والانغلاقِ النفسيّ، فجعل من تنوين التاء المربوطة سببًا فى أن تتوقف الدلالة الانفعالية عند هذه التاء الدالة، وأن يتمركز ذهن المتلقى ووجدانه، وأفق انتظاره فى القيمة الدلالية للتاء المربوطة؛ فوازنَ بينَ انغلاقِ نفسِه وانغلاقِ الصورةِ الخطيةِ للتاءِ المربوطةِ، مؤكدًا ضرورةَ تعظيمِ صاحبِها، ومن يرتبط به، من قِبَلِ الجميع.

فأضاف التنوينُ الزائدُ إلى نهايةِ مصدرِ التعظيمِ، وجعل الدلالةَ فى حيزٍ ضيقٍ وقويّ، وإفرادُها فى شخصه، وهو السيدةُ: (فاطمة) بنت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– والتى عبَّرت عنها التاءُ المربوطةُ، مع الدلالةِ على التقليلِ من شأنِ من يخاطبُه، بالإضافة إلى رغبته النفسية فى استثارة مشاعر الغضب عند هشام بن عبد الملك، فأتى بصوت التنوين، فاستبدل– بل حذف– بالمقطع القصير المفتوح:(ص ح)، الذى تعبّر عنه الفتحة المعيارية المقطع المتوسط المغلق:(ص،ح، ص)، **فى ما يُمكن أن نُطْلِقَ عليه: البيئةَ الدلاليةَ للمقطع**([2]) ولم يَحْفَلْ– قاصدًا– بالمخالفةِ، ليلفتَ نظرَ هشام إلى ممدوحِه، ويقرعُ ذهنَه قرْعًا، مستثمرًا ما فى التنوين من قوة صوتية، ووضوح سمعى، مما لن يتحقق مع استقامة القاعدة.

فجاء سياقُ عاملِ الانفعالِ بأثرِ إعرابىّ– وهو التنوينُ– ليُنهىَ حاجزَ التجاهُلِ ويزيلَه، فجاء قَرْعُ التنوينِ– ورنينُه– متناسبًا مع قوة التعبير عن الانفعال الداخلى للفرزدق، وقد جسَّد فعلُ عاملِ الانفعالِ– لديه– حالة شعورية– ومُثيرًا محددًا للموقف الكلامى– ممَّا دَفَعَه إلى أن يُضاعف– بالتنوين– قوَّةَ الإسماعِ، وأن يُوقظَ قرعُ الألفاظِ أذنَ المتلقى، وذهنيتَه، وأن يحُثَّهُ للتفاعلِ، بإسماعه التدفق الصوتى، وإشراكه– بقوةِ المقطعِ المتوسطِ المغلقِ، الناجمِ عن التنوينِ– فى حديثِ الانفعالِ، وتعظيمِ شأنِ المُتحدثِ عنه.([3])

فى هذه الحالة؛ عكس التنوين رِدَّةً إيداعيةً لسياقِ الانفعالِ فى نفس الفرزدق، جاءت أقوى تنبيهًا، وشكَّلت استجابةً غيرَ متوقعةٍ، وأتمَّ تجسيمًا لمعناه ومقصده، وأكثرَ نجاعةً فى لفتِ ذهنِ المتلقى إلى الممدوحِ– وإبرازِه تعظيمَه وتفخيمَه، تناسبًا مع قوةِ التنوينِ وفخامتِه– من مجردِ وضع فتحة الإعراب، التى لا تحمل ذلك التفخيم، ولا تعبر عن الغرضِ الدلاليّ لنفسِ الفرزدقِ، فالدافعُ للتحولِ إلى التنوينِ نفسيٌّ، شاكَلَ جزءًا كبيرًا من انفعالِ النفسِ، الذى استوجبَ معه طرحَ القاعدةِ، فعَاتبَ متلقيه عتابًا قويًّا، حيثُ وازنَ بين قوةِ التنوينِ وقوةِ الانفعالِ الداخليّ.

هذا؛ بالإضافة إلى رغبةِ الفرزدقِ فى دعوةِ متلقيه إلى المشاركةِ الوجدانيةِ فى هذا الانفعالِ النفسيّ، الذى أربكه، بخاصةٍ؛ وهو يومئُ إلى حالةٍ فكريةٍ، تستدعى حالةً نفسيةً، حيثُ إن ختمَ المنادى الممنوعِ الصرفِ بمورفيمِ لاحقةِ التنوينِ– وهو مورفيمٌ مقيِّدٌ؛ وهو من اللواحقِ القويةِ– مجتلبٌ؛ ليُدَلَّ بِهِ عَلَى الفخامةِ والتعظيمِ لمضمونِ القالبِ الصرفيّ فى هيئتِه التركيبيةِ، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فإن ختمَ هذا القالبِ الصرفيّ بمورفيمِ لاحقةِ التنوينِ، تسبَّب فى حدوثِ المقطعِ الصوتيّ المتوسطِ المغلقِ: (ص،ح، ص) الدالِ على الكبْتِ، وانْحباسِ النَّفسِ، والتَّمركُزِ الدلاليّ حولَ هيكلِ هذا البناءِ المقطعيّ، كما أن لموقعيةِ صوتِ النونِ– فى آخرِ القالَبِ الصرفيّ– وقعًا خاصًّا على الأذنِ، يتناسبُ معَ البيئةِ الصوتيَّةِ الدَّالةِ على التَّعظيمِ والقوةِ.([4])

([1]) انظر: الوقف الصرفى، ما يوقف عليه وما لا يُوقف عليه: ٢١٦

([2]) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ : ٢٩

([3]) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية: ٢٤٥

([4]) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢ :٢٢

المطلب السابع: التحول من النصب بالياء إلى الألف([1]):

- **ومنه : قولـه:**

إِنَّ مَنْ صَادَ عَقْعَقًا([2]) لَمَشُومُ	كَيْفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَانِ([3]) وَبُومُ؟([4])

والأصلُ أن يُقالَ: **كيفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَيْنِ وَبُومًا؟**، بدلًا من قوله: **كَيْفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَانِ وَبُومُ؟**؛ فخالفَ الأصلَ النحويَّ، ورفعَ المفعولَ، وعطْفَ كلمةَ: (بومًا) عليه، ونصبَها، وقد تمت بكلتا الدلالتين؛ بالرفع، أو بالنصب، ولم يُفْضِ الأمرُ إلى تغطيةِ المعنى أوتعميتِهِ ([5]) والشاهدُ فيه: إعطاءُ الفاعلِ حكمَ المفعولِ فى الإعرابِ؛ برفعِ الفاعلِ والمفعولِ معًا، من بابِ تقارُضِ اللفظين فى الحكم، وقد أجاز النحاةُ ذلك عند أمنِ اللَّبْسِ، فقوله: عقعقانِ، مفعولٌ للفعلِ(صاد)، وقولُه: (بومُ)عطفًا على المفعولِ المرفوعِ (عقعقان)([6]) فالأصلُ أن يقالَ: (عقعقين)؛ إعمالًا للقواعدِ النحويةِ، التى تجعل الياء علامة مثالية لنصب المثنى، ويُقال: (بومًا) نصبًا لها بالفتحة الأصلية الظاهرة؛ كونها قد شغلت موقعَ المعطوفِ على المفعولِ به المنصوبِ، إلَّا أن المؤلف قد غيَّب الياء والفتحة، ومال إلى الألف فى الأولى، والضمة فى الثانية، وقد نابت الفتحة الطويلة عن الياء الساكنة فى نصب المفعول به(عقعقين) بالإضافة إلى أنه يكونُ للسانُ– عند النطق بالفتحة الطويلة– " مستويًا فى قاعِ الفم، مع انحرافٍ قليلٍ فى أقصى الحنكِ، ومرور الهواء دون أن يعترضه عائق؛ مع اهتزاز الأوتار الصوتية أثناءَ مرورِ الهواءِ بها".([7])

فليس من الصوابِ التسليمُ بأن عدولَ (انزياحَ) المؤلفِ عن الياءِ إلى الألفِ فى كلمة: (عقعقان) هو إشارة إلى خطأ فى الإعراب بالحروف؛ ولا أن وقوع هذا الأمر بلب من الموقعية التركيبية ذات الردة الدلالية إلى ذهن المتلقى، كما لا يُمكنُ عزوُ الأمرِ إلى عدم إدراك المؤلف لوظيفة الصيغة المعنية فى التركيب، فى ضوء الأبواب النحوية، من الفاعل، والمفعول، أوالمكملات، واللواحق، والمتعلقات الكلامية، يُفهم من كلام أستاذنا الدكتور كمال بشر – رحمه الله– أن مردَّ هذا التصرف يرتبط بصورة وثيقة بإدراك المؤلف لموقعية العنصر التركيبى، ووظيفته التعبيرية، وقيمته النحوية والدلالية، وقد كشف هذا الأمرَ مُغايرةُ العلامةِ الإعرابيةِ الظاهرةِ، على جهةِ الخصوصِ، وتتحققُ المخالفةُ النحويَّةُ– فى الشاهد السابق– أن الشاعرَ قد استعملَ الألفَ بديلًا إعرابيًّا عن الياءِ، فى نصبِ الاسمِ المثنى المنصوبِ، وهو مما يجوز حملُه على الخطإِ والتوهُّمِ الموقعى، حيثُ وَهِمَ المؤلفُ أن العنصرَ التركيبىَّ المنصوبَ هو فى موقعِ الرفعِ، مما يتَّصلُ بوظيفةِ الصيغةِ التعبيرية، وقيمتها الدلالية فى التركيبِ.([8])

يبدو من السياق اللغوى للبيت انفعالُ الشاعر وتطيُّرِه من اصطياد العقاعق والبوم، واصفًا من صاد عقعقًا واحدًا بالشخص المشئوم، ذى الحظِّ العاثِر ؛ ويتعجبُ مستنكرًا مستفهمًا عن حال من صاد عقعقين وبوما، مشيرًا إلى حال نفسه، كيف تكون؟ وقد انزاح– قاصدًا– من الياء إلى الألف، للتعبير عن تزاكم حالةِ الضيقِ، والانغلاقِ المستمدةِ من ضيقِ الياءِ، ومن إشارة سكونها إلى حالة الجمود والتزقُّب، والاندهاش؛ كما جسَّد غياب الفتحة المعيارية فى كلمة:(بوم) حالةَ التشتُّتِ، والتَّفتُّتِ النفسيّ، جراءَ الحزنِ والضيقِ؛ فأراد أن يعبر عن قوة انفعال التشاؤم والاستكار ، ورغب فى استطالةِ حالةِ الانفعالِ، فاستثمر فارقَ الكميةِ بينَ اليائين؛ الساكنة والطويلة، فمن المعروف أن النطق بالطويلة يستغرق زمنًا

([1]) من ذلك ورد المثنى فى حديث رسول الله – صلى الله عليه و سلم– على لغة قبائل العرب: ما أورده الإمام مسلم، من حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فى قوله: (لأجران) من قوله– صلى الله عليه وسلم:"**كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لأَجْرَانِ**". قَالَ الإمام النَّوَوِي: قَوْلُهُ– صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ لَهُ لأَجْرَانِ). هَكَذَا هُوَ فِي مُعْظَمِ النُّسَخِ "لأَجْرَانِ" بِالأَلِفِ، وَفِي بَعْضِهَا "لأَجْرَيْنِ" بِالْيَاءِ، وَهُمَا صَحِيحَانِ، لَكِنَّ الثَّانِيَ هُوَ الأَشْهَرُ الأَفْصَحُ، وَالأَوَّلُ لُغَةُ أَرْبَعِ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ. الحديث فى صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٣)، باب غزوة خيبر،ح١٢٣–(١٨٠٢).انظر: صحيح الإمام مسلم، بشرح النووى، للإمام يحيى الدين أبى زكريا بن شرف النووى، خرَّج أحاديثه: محمد بن عيَّادى بن عبد الحليم، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، جـ١٢: ١٣٢–١٣٣ ، ومنه: ما أورده السيوطى من قول الفرزدق:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُوْلَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ.

قال عبد الله بن أبى إسحاق: لو قال فعولين؛ لأخبر أن الله خلقهما، ولكنه أراد أنهما تفعلان ما تفعل الخمر. انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٣: ١٥٩

([2]) والعقعق: طائر أبلق، صوته يشبه صوت العين والقاف، يُشبه الغراب.

([3]) من المترجَّح أن كلمة: عَقْعَقَانِ، **مثنى فى اللفظ والدلالة**، ومن البعد أن تكون اللاحقة (ان) علامة جمع، إذ لا يوجد وزن: **فَعْلَانِ** بين أوزان الجموع.

([4]) البيت، من الخفيف، ومن شواهد ابن هشام فى المغنى رقم: ٨٠٠، ولم ينسبه ابن هشام إلى قائل معين، استشهد به على جواز إعطاء الفاعل إعراب المفعول وعكسه، عند أمن اللبس، وهو ممَّا رُفع فيه الفاعلُ والمفعولُ. انظر: معنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٦٤–٥٦٥

([5]) انظر: قيمة الحركة الإعرابية، على ضوء جدل اللفظ والمعنى: ١٦٣

([6]) انظر: معنى اللبيب عن كتب الأعاريب:٥٦٥

([7]) الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية: ١٨

([8]) انظر: دراسات فى علم اللغة : ٢٦٩

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِي ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِيِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

أطولَ نسبيًّا من النطقِ بالساكنةِ القصيرةِ، بل إنه استشعر حيالَ الشفتينِ فى تكثيفِ انفعالِه بالضيقِ والتشاؤمِ؛ إذ يكونُ مع الطويلةِ أكثرَ طولًا، وأكبرَ اتساعًا، مما يتناسب فى حالةِ الصُّراخ والتشاؤم، ويزدادُ تكثيفُ هذا الانفعالِ بما تتسم به الضمةُ من الدلالةِ على الضيقِ.(١)

ففسُ الشاعرِ منغلقةٌ متشائمةٌ؛ فإذا كان صيدُ عقعقٍ واحدٍ قد أصاب صائدَه بالتشؤمِ، وظل مُلازمًا له، وقد عبرت الصيغةُ الصرفية (مشوم) على المبالغةِ فى الاتِّصافِ بالكثرة والاستمرارية فى مضمون القالب التركيبى، وهو التحصل للشؤم، بصورة غير منقطعةٍ؛ فما حال من صاد عقاعق كثيرة وبوما كثيرا؟ إلَّا أنه– تحت وطأة الانفعال وازدياد الاستكار– وجد أن الياء المعيارية ساكنةٌ لا تكفى للتعبيرِ عن انفعالِه وشدته، فاستعاض عنها بالألف، لما فيها من الامتدادين الصوتى والدلالى، وليستثمرَ ما فى الألف الطويلة، أو الفتحة الطويلة؛ من قوة ووضوح سمعى بدرجة مرتفعة للتعبير عن قوةِ هذا الاستكارِ، وشدةِ انفعالِ نفسِ الشاعرِ به، واستعان على ذلك بحضورِ الضمةِ، فى كلمة (يُومُ)، الدالةِ على الضيقِ، والثقلِ، وغيابِ الأملِ، وقد تقاسمت الألف والضمة التعبير عن حدة الانفعال وقسوته، وفى إبراز البعد التداولى لهما؛ ورغمَ استثمارِ الشاعرِ الخصائصِ الصوتيةِ والتركيبيةِ للألفِ فى التعبيرِ عن انفعالِه، فإنه قد أتى بها متنفسًا لنفسه، والتخلصِ من انغلاقِها، من طغيانِ الانفعالِ، لأن الذاتَ– بطبيعتها– باحثةٌ عن الانفعالِ الإيجابيِّ، والتخفيفِ من حِدَّةِ الانفعالِ السلبيِّ.(٢)

ومنه: قول الحطيئة:

تُوَاهِقُ(٣) رِجْلَاهَا يَدَاهَا(٤) وَرَأْسُهُ	لَهَا قَتَبٌ(٥) خَلْفَ الْحَقِيبَةِ رَابِضُ.(٦)

ومحلُ المخالفة النحويَّة متمثِّلٌ فى رفعِ كلٍّ من الفاعلِ والمفعولِ، والأصلُ أن يقَالَ: تُواهِقُ رجلاها يَدَيْهَا(٧)، أو يَدَيْهِ؛ والمُوَاهَقَةُ لا تكونُ من الرَّجُلَيْنِ من دونِ اليدينِ، وقد علم الشاعرُ أن اليديْن مواهقتان؛ فأضمر اليدين المواهقتين فعلًا، دلَّ عليه الفعلُ الأولُ، فاشتركت اليدان والرِّجلان فى فعلِ المُوَاهَقَةِ، فإنه أراد: تُواهق رجلاها يديْه، وتوافق يداه رجليْها؛ فعلى هذه الصنعة تقول: ضَارَبَ زَيْدٌ عمرو؛ على أن يُرفعَ عمرو بفعلٍ غيرِ هذا الفعلِ الظاهرِ، ولا يجوزُ أن يرتفعَا جميعًا بهذا الفعلِ الظاهرِ، وقد تكونُ المواهقةُ للناقةِ الواحدةِ، لأن إحدى يديْها ورجليْها تُواهقُ الأخرى.(٨)

والأصلُ فى نصب المثنى أن يكون بالياء، إلَّا فى لغة من العرب، قد ألزمته حالة واحدة، وهى الألف، مهما اختلفت موقعيته الإعرابية، نحو قولهم: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررتُ بالزيدان، ونحو قولهم– فى ما أورده الفراءُ(ت٢٠٧هـ): ما رأيت أفصح من هذا الأسدى، فى حكايته: هذا خط يدا أخى بعينه، وقد عزا الفراءُ إلى بنى الحارثِ بن كعب، أنهم يجعلون المثنى– فى رفعه، ونصبه، وجره– بالألف فى كل حالة إعرابية، **نحو: قوله:**

فَأَطْرَقَ(٩) إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ(١٠) وَ لَوْ يَرَى	مَسَاغًا(١١) لِنَابَاهُ(١٢) الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا(١٣).(١٤)

---

(١) انظر: دراسات فى علم اللغة: ٨٩

(٢) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا: ١٦٠

(٣) الوهق، هو: الحبل المُغار يُرمى به، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان؛ والمواهقة: أن تسير مثل سير صاحبك. وأن تصنع كما يصنع، انظر: لسان العرب، جـ٦: ٤٩٣٣، مادة: (و، هـ ق).

(٤) فى رواية اللسان: تواهق رجلاها يداه. لسان العرب، جـ٦: ٤٩٣٣، مادة: (و، هـ ق)، وفى رواية ثعلب: تُواهق رجلاها يديها إذا مشتْ، فلا إشكالَ فيها، والشاهدُ بلا نسبة فى مجالسه. انظر: مجالس ثعلب، جـ١: ٢٥١

(٥) والقتب: إكاف البعير على قَدْرِ السَّنَامِ، والقتب: الإكاف الصغير الذى على قدر سنام البعير، وقيل: القَتَبُ للجمل كالإكاف لغيره. انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٥٢٤ مادة: (ق، ت، ب).

(٦) البيت من شواهد سيبويه فى الكتاب، وفى لسان العرب، وهو فيهما منسوبٌ لجرول بن أوس الحطيئة، وهو فى ديوانه، ومن الطويل، قاله: يصف فيه أتانًا وحشيةً، يقودها العيرُ، ويَضع رأسَه عليها، إذا إذا أراد طردَها، فرجلاها تواهقان يديه، والوهَق: حبلٌ تشدُّ به الإبلُ والخيلُ، لئلَّا تَنِدَّ، فرأسه لها بمثابة القتب الرادف خلف الحقيبة، والحقيبة: البرذعة تحت الحِلْسِ، وفى رواية اللسان: تواهق رجلاها يداه. انظر: ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، ١٨٦–٢٤٦هـ، دراسة وتبويب، د: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٣هـ/١٩٩٣م: ١٤٨، وانظر: الكتاب، جـ١: ٢٨٧، وانظر: لسان العرب، جـ٦: ٤٩٣٣، مادة: (و، هـ ق).

(٧) ومِمَّا ورد فيه المثنى بالألف جرًّا، نيابة عن الياء، توسُّعًا تحت تأثير الانفعال: قول هوبر الحارثى، من الطويل:

تَرَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذُنَاهُ طَعَّةً	دَعَتْهُ إِلَى هَابِى التُّرَابِ عَقِيمِ.

انظر: لسان العرب، جـ١: ٧٩

(٨) انظر: لسان العرب، جـ٦: ٤٩٣٣، مادة: (و، هـ ق).

(٩) أطرق الرجل: إذا سجد ببصره إلى الأرض.

(١٠) الشجاع: ذكر الحيَّات، وقيل: ضرب من الحيَّات لطيفٌ دقيقٌ.

(١١) المقصود به: الجواز، أو مُضِيًّا.

(١٢) صمَّمَ الحيَّةُ: نيَّب، وصمَّم: عضَّ، ونيَّب؛ فلم يُرسل ما عضه.

(١٣) البيت للتملس الضُّبَعِيّ، وفى ديوانه، من الطويل، ونسبه الفراء لرجل من بنى أسد، من بنى الحارث، ورواية الديوان: لنابَيْه، ولا إشكال فيها، قاله: فى قصية لإثبات نسبه، إذ طُعن فيه، من قبل عمرو بن هند، حين سأل الحارث ابن التوَّمة اليشكرى عن نسب المتلمس، فقال: أولًا يزعم أنه من بنى يشكُر، وأولًا يزعم أنه من بنى ضُبيْعَةَ أضْجَم، فقال عمرو بن هند: ما أراه إلَّا كالسَّاقط بين =

وتشيرُ هيئةُ الفعلِ الكلاميّ التركيبيّ: **تُوَاهِقُ رجلاها يَدَاهَا**– فى ضوءِ الترتيبِ النَّظْمِيّ الوُجُودِيّ– إلى تحقُّقِ التلبسِ الدلالةِ وفسادِها؛ فتفشلُ عمليةُ التواصلِ التداوليةُ، فلا يُعلَمُ مَنِ الْفاعلُ، ومَنِ المفعولُ، **وإذا كان الإعرابُ شطرَ المعنى الكاشفَ عنه**، والمقيّد له، **فيُصبحُ عملُ الانفعالِ شطرَهُ الآخرَ**، الذى يحققُ للمتلقى إدراكَ الدلالةِ الكليَّةِ، فيُفهمُ– من سياقِ الروايةِ– تحقُّقُ تداخلِ الرؤيةِ البصريةِ واختلاطِها، فقد تداخلت الرجلان واليدان؛ من دون قرينة صارفة إلى تقييد الفاعلِ، أوكشفِ المفعولِ، وكأنَّ الرَّائى لا يستطيعُ فصلَ القائم بفعلِ المواهقةِ من بين القاتلين(الشاغلين) النحويين، إذ دلَّت ألفُ المفاعلةِ فى: **(رجلاها– يداها)** على التنازعِ بينهما، من دون غَلَبَةٍ.

ويؤيّدِ الباحثُ القولَ بوجودِ علاقةٍ طردية بين الحالةِ الانفعاليةِ وأثرِها على أنماطِ التراكيبِ اللغويةِ التى ينتقيها المؤلفُ فى خطابِه اللغوى، وإذ يُشير الباحث إلى حقيقةِ التأثيرِ الانفعاليّ على التفكيرِ الفرديّ؛ يكونُ الشاعرُ قد مارس فعلَ المراوغةِ اللغويةِ، أوالتلاعبِ اللفظيّ؛ إذا جاز استعمالُ هذا المركبِ الوصفيّ، ليُطابقَ بين ضبابيةِ الرؤيةِ واختلاطِ الشواغلِ النحويةِ، ليُحقِّقَ صدقَ العرضِ لفعله الكلامى الشعرى، لكن تلك المطابقة تشكلُ مفارقةً مع القياس النحوى، الذى يوجب أن يكون الإعرابُ إفصاحًا عن المعانى، وكشفًا للدلالاتِ، إلَّا أن هذا الأمر لم يكنْ يشغلُ المؤلفَ، بل ما أراده هو عُمْقُ المطابقةِ بين الرؤيةِ وعاملِ الانفعالِ، فلاجأ ذهنَ المتلقى بما لا يُتوقَّع، فرفع الفاعلَ والمفعولَ.

وتحت تأثير انفعال الاختلاط، والتَّحيُّر، والتردُّد، فى ما تُثبته الرؤيةُ البصريةُ؛ أراد الشاعرُ أن يستثمرَ طاقةَ العلاماتِ الإعرابيةِ فى إقحامِ انفعال المؤلف بهذا الاختلاط، إلى الموقف التداولى– الذى لم يُفصَلْ فيه بين من قام بالفعل، ومن وقع عليه– وإلى ذِهْنِ المتلقى، وأراد استدعاءَه؛ ليُقَدِّمَ له معونةً تداوليةً؛ تمثَّلَتْ فى إبرازِ انفعالِ الاختلاطِ، وعدمِ وضوحِ دلالةِ الرؤيةِ البصريةِ، فى مراعاةٍ منه لأفقِ الانتظارِ لدى المتلقى، فى صورةٍ حاضرةٍ للاقتراضاتِ المسبقةِ الواجبةِ من المؤلف تجاه متلقيه، ليضعَ هذا الانفعالَ ضمنَ مفرداتِ تفسيرِه للخطابِ الشعريّ، وتقبُّلِه، مُشيرًا إلى أهميةِ اعتمادِ هذا المحددِ غيرِ اللغويّ فى تفسيرِ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ، فصار انفعالُ الاختلاطِ قارًّا فى مضمونِه، من خلالِ الأثرِ الإعرابى، فى قصديةٍ من المؤلفِ؛ لتحقيقِ مطابقةٍ دلاليةٍ سياقيةٍ بين الرؤيةِ البصرية، وعاملِ الانفعالِ الداخليّ، وقواعدِ الإعرابِ، فقد عكس الأثرُ الإعرابىُّ وجود الانفعال فى المعنى([1]) وشكَّل صورةً لصدمةِ– مفاجأةِ الذهن والنفس– المتلقى من خلالِ الرؤيةِ، فأول ما يشغل فكر المتلقى هو ما وقع من مخالفة المؤلف لأقيسة النحو وقواعده، ويؤكِّدُ هذا المعنى وجودُ ألفِ المنازعةِ فى مضمون الفعل الكلامى الرابطِ بين الفاعلِ والمفعولِ، وفى اختلاطِ الرؤيةِ بين الأرجلِ والأيدى دليلُ ذلك، فيصوّبُ الانفعالُ الإعرابَ، ويضبطُ الدلالةَ والتفسيرَ، ويُعينُ عليهما، ولولا هذا الاختلاطُ الإعرابىُّ– فى رفعِ كلٍّ من الفاعلِ والمفعولِ– لما استطاع المؤلفُ عرضَ هذا الانفعالِ، ولما قَدِرَ المتلقى على توقُّع أبعادٍ تفسيريةٍ محتملةٍ ومنطقيةٍ.

وأورد السيوطى(ت٩١١هـ) ما يؤكِّد أن المؤلفَ قد طابق بين ما يرى ودلالته؛ بما يؤيد القولَ بوجودِ عاملِ الانفعالِ، وأنه السبب المباشر فى قصدية المؤلف رفع المفعول(يداها) وكأن المتعرض لتفسير البيت يجهل الدلالة، ويحمل على المعنى؛" لأن العرب تشبه الشيء بالشيء؛ وتحمل على المعنى؛ إذا لاقه، واقترب منه، فمن ذلك : قولهم: حاكم زيدٌ عمْرٌو؛ برفع الاثنين معًا، لأن كل واحد منهما فاعلٌ فى الآخر ".([2]) ويكون هذا الأمر سببًا لانفعال التعجب للمؤلف من مشهد الرؤية.

= القرائين؛ فبلغ ذلك المتلمس، فقال هذه الأبيات. انظر : ديوان شعر المتلمس الضُّبَعِى، رواية الأثرم، ولأبى عبيدةَ عن الأصمعى، عُنى بتحقيقه، وشرحه، والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفى، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م: ٣٤، بعد المقدمة.

ومحل المخالفة فى إلزام المثنى بالألف فى كل موضعٍ، فى قوله: **نالياه**؛ رغم سبقها بعاملٍ جارٍ، وهو اللام الجارة، والقياس يقتضى جرها بالياء وجوبًا، إلَّا أنه تبدو– فى هذا الشاهد– إشكاليةُ العلاقة بين الوضوح، والمباشرة، والتصريح بالمعنى من جهة، والتعميق، والرمزية Symbolism، والإلغاز من جهة أخرى، والجمع– لا الفصل بالتخصيص– بين الجهتين هو المتسبب فى إقامة بنية خطابية، بل فى تشكيلِ وعاءِ المعنى، ووسيلةِ المتلقى للوصولِ إليه، وتقريبه إلى ذهنه، ويقوم ذلك على الاتصال والتداول، فى موقف الاستلزام التحاورى. ولغة إيراد المثنى بحالة واحدة لغةٌ مقيسة، ومُجازة، ومُعتمدة، وإن بدت قليلةً؛ وكأنَّهُم– لما أُثبتت فتحةُ الباءِ– تركوا الألف تتبعُه مفتوحةً إذ من المعلوم أن الله– تعالى– قد أنزل القرآن بلغة كلّ حيّ من أحياءِ العربِ، وقد نزل القرآن بمثلها، ومردها إلى أن العرب لما رأت أن الياء من الاثنين لا يُمكن كسرُ ما قبلها، وثبتت مفتوحًا؛ تركوا الألف تتبعه، فقالوا: رجلان، فى كل حال. وليس من شك فى أن النظر إلى رواية الألف مطلقًا يقود إلى القول بأن المؤلفَ راغبٌ فى الاستخفافِ والاسترواحِ، ومعلوم أن الألفَ– نطقًا ودلالةً– أخفُّ منَ الياءِ.انظر: معانى القرآن، للفراء، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٢: ١٨٤، وانظر: أحكام التوجيه والتقويم النحوى عند الفراء: ٢٦، وانظر: دراسات فى معانى القرآن للفراء، د: حمدى الجبالى، ط١، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م : ٤٣

([1]) انظر: الكتاب، جـ١: ٢٨٨ – ٢٨٩

([2]) الأشباه والنظائر فى النحو:، جـ٣: ٢٢٦

المطلب الثامن: التحول عن الترتيب الأصلى للتركيب النحوى:

حين ينظم المؤلف عناصر قصده– فى ضوء مرتكزاتِ التداوليةِ، من حيثُ هيئةُ الأفعالِ الكلاميةِ وكميتها، والتزام آليات المحاججة، وما يرتبط بها من الافتراضات المسبقة، والتوظيف الجيد للإشاريات التداولية، بالإضافة إلى سياقات الاستلزام الحوارى– يهدف إلى إنجاح التداول الكلامى؛ معتمدًا على صور التوسُّع اللغوى، التى يُتيحها النظام العام للغة التواصل، ومرتكزًا على قدرة الحجاج– بأنواعه، ومستوياته، وأدواته– فى تقويةِ الفعلِ الكلامى، واعتماده القولَ بقوة التراكيب النحوية؛ لذا ارتبطت الدلالة التواصلية بين المؤلف والمتلقى بترتيب وجودى، وهيئة نظْمية لعناصر القصد، وأن أى انزياح عن هذه الهيئة؛ لابد أن يكون لغرض ما، ويجب أن يتبعه تبايُنٌ فى الدلالة والتفسير؛ ولو" اختل هذا الأمرُ لأصبح من العسيرِ فهمُ المرادِ من الكلامِ؛ فإن ترتيبَ التراكيبِ هو المحددُ لوضوح الدلالات أو اختلالها.(١)

لقد ذهب عبد القاهر الجرجانى إلى أن نفس المؤلف هى المتلقية– فى ضوء معيار الاختيار– لألفاظِ التركيبِ المشكلِ لهيئة القصد، وهى المتسببة فى ترتيبه؛ يقول: " إن اللفظ تبع للمعنى فى النظم، وأن الكلِم تترتب فى النطق؛ بسبب ترتُّب معانيها فى النفس، وأنها لو خلت من معانيها؛ حتى تتجرَّد أصواتًا، وأصداءَ حروفٍ، لما وقع فى ضمير، ولا هجس فى خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنةٌ ومنازلُ، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك".(٢) ويكون الاعتبار بالدلالة وتمامها، وسلامتها، فى ضوء دوائر التنوير والتحويل للعناصر الكلامية، ولا تكون العبرة مطلقًا بالألفاظ، بل بالمعنى المركزى المحتمل؛ المتوقع، وغيرالمتوقع؛ وقد عقد ابن القيم(ت ٧٥١هـ) بابًا عن : أن العبرة بالمقاصد لا بالألفاظ فى إشارةٍ منه إلى تغليبِ القصديةِ على ما تؤدّيه الألفاظُ من المعانى، ليُخْرِجَ من الخطابِ اللغوىّ تلك المعانىَ التى لم يقصدْها المؤلفُ، نحو: كلامِ النائمِ، والنَّاسى، والسكرانِ، والجاهلِ، والمُكْرَهِ، والمُخطئِ من شدةِ الفرحِ، أو الغضبِ، أو المرضِ، أو ألمِه؛ لذا أخرج كلام المؤلف إذا انتهك معيار المسئولية، حيث أخرج الكلامَ على غيرِ وجهتِه الدلالية، لفعالًا؛ من شدَّةِ فرحِه براحلتِه بعدَ يأْسِهِ مِنْهَا؛ **حين قال: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ.(٣)**

ولعل أبرزَ من أشار إلى أثر الحالة الانفعالية فى ترتيب الهيئة الكلامية، هو السكاكى(ت٦٢٦هـ) إذ جعل من تبايُنِ الانفعالِ سببًا مباشرًا فى تباينِ الترتيبِ للتركيبِ النحويّ، يقول: " تقديم المسند على المسند إليه: وأما الحالة التى تقتضى تقديمَه على المسند؛ فهى: متى كان ذكرُه أهمَّ، ثم إن كونَه أهمَّ؛ يقعُ باعتباراتٍ مختلفةٍ؛ إما لأنَّ أصلَه التقديمُ، ولا مقتضى للعدولِ عنه، وإما لأنه متضمنٌ للاستفهامِ، كقولك: أيُّهُم منطلقٌ؛ وإما لأنه ضميرُ الشأنِ والقصةِ، كقولك: هو زيدٌ منطلقٌ، وإما لأن فى تقديمه تشويقًا للسامعِ إلى الخبرِ؛ ليتمكنَ فى ذهنِه؛ إذا أورده ... وإما لأنَّ اسمَ المسندِ إليه يصلُحُ للتفاؤل؛ فتقدمه إلى السامع؛ لتسرَّه أو تسوءَه... أو لأنه قُصِدَ التهكمُ بالسامع أو السخرية منه، ..وإما إدخال الروعة فى ضمير السامع، وتربية المهابة، أوتقوية الداعى؛ أو الاستعطاف؛ ذلك أن السامع متى لم يفهم معنى؛ بقى منتظرًا العقبى الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن فى ذهنه".(٤)

ومن ذلك: قوله:

فَلَيْسَتْ خُرَاسَانُ الَّتِى كَانَ خَالِدٌ	**بِهَا أَسَدٌ إِذَا كَانَ سَيْفًا أَمِيرُهَا.(٥)**

يقعُ محلُ المخالفةِ– فى الشاهد السابق– فى ترتيب الهيئة التركيبية المحوَّلة، والتى تغيرتْ دلالتُها فى ضوءِ الأثرِ الإعرابىّ؛ إذ إن تقديرِ الجملةِ الأصليةِ: **فليست خراسانُ بالبلدة التى كان خالدٌ بها سيفًا إذا كان أسدٌ أميرها**، ووجه الموازنة بين الجملتين أن الجملة المحوَّلة قد حملت وظيفة دلالية ذات صلة بانفعالِ نفسِ الشاعرِ، تمثَّل فى تحسُّرِه على تبدُّلِ حالِ خراسانَ، ممَّا تسبَّبَ فى إرباكِ الشاعرِ، فلَمْ يُراعِ قرينةَ الترتيبِ الوجودى المشكِّل للدلالةِ الكليةِ للبيتِ الشعريّ؛ فوضع: (أسد) إلى جانب (خالد)، وقدَّم (أسد)، وجعل هذه الكلمةَ تتبادلُ الموقعيةَ المكانيةَ معَ كلمةِ: (سيفًا). ويؤيّد ما ذهب إليه الباحثُ– من أن تمام الدلالة، وليس الأثر الإعرابى؛ هو عاملُ الحسمِ فى عمليتىْ التواصلِ والاتصالِ بين المؤلف والمتلقى– حملُ ابن جنى(ت٣٩٢هـ) البيتَ على أنه من باب نَعْيِ المؤلفِ على خراسانَ؛ إذ أسدٌ أميرُها؛ لأنه إنما فضَّل أيامَ خالدٍ المنقضيةَ بها على أيامِ أسدٍ المشاهدةِ فيها؛

---

(١) الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ٤٥

(٢) دلائل الإعجاز : ٥٦

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، للإمام محمد بن أبى بكر بن قيّم الجوزية، ط١، دار ابن الجوزى، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، جـ٢: ٨١

(٤) مفتاح العلوم : ١٩٤– ١٩٨

(٥) البيت منسوب للفرزدق، من الطويل، ولم أَجِدْه فى ديوانه، فى قافيتىْ الراء، والهاء. انظر: ديوان الفرزدق، جـ١: ١٦٤– ٣٣٢؛ فى قصيدة: عزّ السوء، وقصيدة: ورثنا كتاب الله وقصيدة: ما أرادت مُجاشع، وقد أورده ابن جنى فى الخصائص، من غير نسبة إلى قائل معين؛ فى فصل فى التقديم والتأخير، وبرواية: إذ كان سيفًا أميرُها؛ انظر: الخصائص،جـ٢: ٢٧١

فجسَّدت مخالفةُ الهيئةِ لقواعدِ السلامةِ النحويةِ ما تريدُه نفسُ المؤلفِ من إبرازِ حالةِ الاضطرابِ والاختلاطِ فى خراسان أيام أسد، التى تعايشها خراسان فى حكمه، وما يقصدُه من إبرازِ انفعالِه بهذا.(١)

من أجل انفعاله هذا، وألمه، وحسرته– وبسبب قصديته إبراز أثر عامل الانفعال، وإيصاله إلى المتلقى– أربك الدلالة على المتلقى، وجعل المعنى المركزى فى الموضع النهائى من الهيئة التركيبية؛ حيث يكون من السهل الاحتفاظ به فى الذاكرة، وهذا لا شك يشكل سلوكًا نفسيًّا من المؤلف، تكلَّل ذلك فى رغبة المؤلف أن يعقد المتلقى موازنة، أو مماثلة، أو مشابهة بين حالتىْ خرسان، إبان حكم خالد، وسيف.(٢)

وزاد– فى هذا الإلباس– فشلُ الأثرِ الإعرابىِّ فى حسمِ الدلالةِ، أو تقريبِ المعنى إلى ذهنيةِ المتلقى؛ فقد أراد الفرزدق أن يُظهرَ انفعالَه فى بنيتة الشكلية، والتركيبية، والدلالية، وكأن سياقَ الانفعالِ قد أسهم فى تفلُّتِ النسجِ الدلالى، وحلحلةِ الهيئة التركيبية، وتعقدهما؛ واللافت للنظر أنه بدت قصدية الفرزدق من هذا التصرُّف اللغوى، فعاظل بين الألفاظ والدلالة، أو الدوال ومدلولاتها، وأركب بعضها بعضًا، ولم يُراعِ ترتُّبَ الهيئةِ التركيبية، فى ضوء ترتُّب المعانى فى فكره ونفسه؛ وأوغل المعنى، وأعاق ذهنية المتلقى عن إدراك المعنى المقصود؛ يُضاف إلى ذلك أن معيار الحسم التداولى– للمعنى المستنبط من الفعل الكلامى المتلفظ به – يكون مرده إلى المجالِ المرجعى من انفعالِ النفسِ، وما يصحب ذلك من إيماءاتٍ، أو لغةٍ جسديةٍ، وكل ما يُحيط بعملية التحاور بين مستخدمى البلاغِ الواحدِ.(٣)

فى واقع الأمر، إن من ينظرْ إلى هذا التصرُّف اللغوى يدركْ– من دون شك– أن الفرزدق قد عسف المعنى، وخلَّطَه؛ وضلَّل الفكرة، واستخدم آليات قلب الهيئة فى تعقيد الكلام، وتحقق الإبهام فى المعنى، وهذا ما أشارت إليه الحركة الإعرابية من عدم وضعه الألفاظ فى مواضعها من الدلالة، وهذا ليس بالفعلِ الغريبِ الوقْعِ فى شعرِ الفرزدقِ، إذ هو الأشهرُ فى التخليطِ الشكلى، والإعساف الدلالى، والمُعاظلة الكلامية، وجعْل الكلام راكبًا بعضه برقاب بعض، أو مايُسمى: تزاكب الهيئة التركيبية وتعقيدها(٤) وذلك نوعُ تَعَسُّفٍ فى الإبانَةِ عن المعنى؛ فلا يتأتَّى لذِهْنِ المتلقى إدراكُ مفرداتِ الدلالةِ الكليةِ، ممَّا يَنتجُ عنه سوءُ الصياغةِ، والتلقى، وازواجيةُ التأويل، والمراوغة فى التفسير.(٥)

إذ يقرَّ فى ذهنيةِ المتلقى أن تَشَكُّلَ الدلالةِ؛ يشتركُ فى إنجازِه روافدُ عَدِيدَةٌ، أهمُّها: التَّداخُلُ بين العلامات اللغوية، والتى تعبر عنها الهيئة الشكلية للتراكيب اللغوية، والعلامات غير اللغوية، نحو: خلجاتِ الوجهِ، والإيماءةِ، ونبرةِ الصوتِ، وجميعُها روافدُ نفسيةٌ، قبل أن تكون صورًا شكليةً، وهى ليست بالوحداتِ المفصلةِ عن قرينتها اللغويةِ، ويصير فكُّ الشفرةِ – فى ذلك التداخلِ– معضلةً تداوليةً، تجعل من العسير حَسْمَ عملية الوصول إلى التأويل الحقيقى.(٦) هنا يشكِّلُ سياقِ عاملِ الانفعالِ قياسًا استثنائيًّا، ويُقصد بالقياس الاستثنائى: "الاستدلالُ بثبوتِ الملزومِ على ثبوتِ لازمِه؛ وبنفى اللازمِ على انتفاءِ ملزومِه؛ إذ انتفاءُ اللازمِ يدلُّ على انتفاءِ الملزومِ".(٧)

يدعو المؤلف– فى الشاهد السابق– متلقيه إلى أن يُقارنَ بين حالتىْ خُراسان؛ حينما وليها خالدٌ، وبعدما وليها أسدٌ، قاصدًا إحداثَ مخالفةٍ فى ترتيب الهيئة التركيبية، وما يتصل بها من اختلاط الأثر الإعرابى، وإفشال علاقته بسلامة الدلالة، ومخالفة حال خراسان– إذ أسدٌ أميرُها– حالتَها التى كانت عليها أيام ولاية خالد لها(٨) فتتوحدُ نفسُه مع نفسِ الشاعرِ فى تحقيقِ وظيفةٍ دلاليةٍ، وهى التعجيلُ بالمأساة، وتَجَرُّعِ ويلاتِ امتدادِها، لقد تسبب عاملُ الانفعال فى صياغة هيئة تركيبية مرتبكة، متداخلةِ الصياغةِ، مراوغة التأويل، ثقيلة النقل فى ذهن المتلقى ووجدانه.(٩) والكلام السابق قد يوجد فيه مندوحة، يَخرُجُ بها ما صنعه الفرزدقُ من دائرة المخالفة النحوية، خاصة وأن الدراسات الحديثة فى ميدان علم اللغة النفسى قد أثبتت أن فهم الكلام المسموع لا يعتمد–بصورة كليَّةٍ– على النص الذى يُلقى، وإنما يُفهم بصورة تفاعلية، بأن يستدعىَ المتلقى جميع ما لديه حول موضوع الكلام، ويُحسن توظيفه فى فهم النص وإدراكه.(١٠)

---

(١) انظر: الخصائص، جـ٢: ٢٧٢

(٢) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ٥٢

(٣) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى :٦٩

(٤) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية: ٢٣٩

(٥) انظر: اللفظ والمعنى فى شعر جرير والفرزدق، دراسة بلاغية، د: مشى نعيم حمادى، مجلة الجامعة العراقية،ع:(٣/٣٦)، العراق،٢٠٢٠م: ٣٤٥– ٣٤٧

(٦) انظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى: ٤٦

(٧) مفتاح العلوم : ٥٠١– ٥٠٦

(٨) انظر: الخصائص، جـ٢: ٢٧٣

(٩) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية، د: أحمد عبد الكاظم على هونى الجبورى، مجلة آداب الكوفة، العدد(٤٦)، ربيع الثانى ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م، العراق: ٢٣٨

(١٠) انظر: علم اللغة النفسى: ٢١٣

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِي ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِيِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

يُشير الباحث إلى أنه لا يوجد ما يُجبر صاحب السليقة الراشدة على أن يخرج عن سمتها إلَّا لإضافة معنى أعمق، أو لأن سياق الاستعمال يدفعه إلى تصرف مقصود، أو رغبة منه فى إبراز بعد نفسى، ليكون رافدًا يستعين به المتلقى فى إدراك الفعل الكلامى المضمر، ولا يجعل ابن جنى الضرورةَ مسوغًا للحْن، أو الوقوع فى الخطأ؛ سواءً؛ **بكسر تداولية الحركة الإعرابية أم بمخالفة التركيب النحوى للترتيب الأصلى**، فى ضوء قرينةِ الرُّتَبِ المحفوظةِ، وغير المحفوظة، الذى ينتج عنها مراوغةُ الحركة الإعرابية؛ بل فشلها فى إنجاح التواصل التداولى، واختلال النظام الدلالى، وضياع الدلالة فى ضوءِ الإطار الشكلى والترتيبى للهيئة التركيبية، **يمثل لذلك بقول الشاعر:**

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا	كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمَا.([1])

أراد: فأصبحت بعد بهجتها قفرًا، كأن قلمًا خطَّ رسُومَها، فأوقع من الفصلِ والتقديمِ والتأخيرِ ما تراه، وكأن الانفعال هو ما سوَّغ له الإبدال، والتغيير فى ترتيب التركيب النحوى([2])، حتى يُظهِرَ المعنى منوطًا بهذه الجوانبِ الانفعاليةِ، لافتًا لانتباهِ المتلقى؛ كى يستحضرَ تلك القيمةَ الداخليةَ للانفعالِ، ضمن سياقِ العبارةِ اللغويةِ".([3]) ومن يتأملْ كلامَ ابن جنى يجدْه واصفًا للهيئة التركيبية– للشاهد السابق– بالغرابةِ والقبحِ، وقد أسهمت الحركة الإعرابية فى إضافةِ مزيدٍ من القُبْحِ الدلاليِّ الناتجِ عن اضطرابِ النَّظْمِ فى ترتيبِ الهيئةِ التركيبيةِ والتوجيه– عند ابن جنى– أن هذا الترتيب من نمط الترتيبِ المُشَوَّشِ، فتقديرُ الكلامِ أن الشاعرَ أرادَ أن يقولَ: فأصبحتْ بعد بهجتِها قفرًا كأنَّ قلمًا خطَّ رسومَها، فصل بين المضاف، الذى هو (بعد) والمضاف إليه، الذى هو (بهجتها)، بالفعل، الذى هو (خطَّ)؛ وفصل بـ(خطَّ) بين أصبحت وخبرِها، الذى هو (قفرًا)؛ وفصل بين(كأن) واسمِها، الذى هو(قلما) بأجنبيين؛ أحدِهما: قفرًا، والآخرِ: رسومها، ألا ترى أن (رسومَها) مفعولُ(خطَّ)، الذى هو خبر(كأنَّ)؟ وأنت لا تُجيزُ: كأن خبزًا زيدًا أكلَ؛ بل إذا لم تُجزِ الفصلَ بين الفعلِ والفاعلِ– على قوة الفعل– فى نحوِ: كانت زيدًا الحمَّى تأخذُ كأن؛ ألا تُجيز الفصل بين كأن واسمها، بمفعول فاعلها أجدر.. نعم! وأغلظ من هذا، أنه قدَّم خبر كأنَّ عليها، وهو قوله: خطَّ، فهذا، ونحوه؛ ممَّا لا يجوز لأحد قياسٌ عليه، غير أن فيه ما قدَّمنا من سمو الشاعر.([4]) وكأن ما سبق جميعَه – عند ابن جنى– قد فعله المؤلف قاصدًا؛ من أجلِ سياقِ الانفعالِ؛ بوصفه من أسباب الإقناعية وطرائقها، التى يُمكن أن يُرد إليها تشويشُ الترتيب، وتشويهُ الصياغة، فى موازاةِ الإبانة عن الانفعالات والمقاصد، وإدراك المتلقى لكل ذلك.

ما صنعه ابن جنى يقطع – لاشك– بأن تحقق الاستشكال– أو التعقيد– الدلالى فى المعنى يكون بالقياس على صورة الهيئة التركيبية الأساس، وكأن تحقق المخالفة يكون بإعادة التراكيب النحوية– فى ذهن المفسر– إلى الأصل، ترتيبًا، وآثارًا إعرابية، فقد أثبتت نظريات علم اللغة النفسى– كما نقل الدكتور جلال شمس الدين كلام ميللر– أن كثيرًا من الناس يُنتجون – بقصدية– جملًا معقدة، بالنظر إلى بنيتها السطحية، يفعلون ذلك بإجراء بعض التحويلات الاختيارية على الجملة النواة([5]) بدافع من نفوسهم، لإنتاج جمل تنشيطية، ليقدم للمتلقى تنوعًا جماليًّا، يدفعه إلى التيقظ والتفاعل.([6])

- **مخالفة الترتيب الأصلى فى باب الاشتغال:**

قد توصف الهيئة التركيبية بالقُبح، حين تَنتهك دلالتُها– من خلال الحركة الإعرابية– علاقةَ الترابطِ بين المتلازمين، كما فى تبادل الحركات الإعرابية بين المضاف والمضاف إليه؛ فإذا صحَّ تداوليًّا أن يُقال: فَضْلُ الْعِلْمِ؛ بضم اللام من كلمة (فضل)، و كسر الميم من كلمة (العلم)، فإن هذا التركيب الإضافى يغدو غيرَ مقبولٍ إذا حولنا حركته الإعرابية، فقلنا: فَضْلِ الْعِلْمُ، فقد تسببت الحركة الإعرابية فى انتهاك التواصل التداولى بين المؤلف والمتلقى، والذى شكَّلت فيه الحركة الإعرابية معيارًا تداوليًّا حاسمًا، فى ضوء المواضعة النفسيرية وافتراضات التلقى.

([1]) البيت من البسيط، وهو منسوب لابن الأعرابى فى إحدى روايتىْ ابن جنى، وقد أورده ابن منظور من دون نسبة إلى قائل معين، انظر: الخصائص، جـ١: ٢٨٠، جـ٢: ٢٦٨، وانظر: لسان العرب، العرب، جـ٢: ١١٩٨، مادة: (خطط).

([2]) ونظيره من الكامل: **إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ*** طَلَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَجْبَالُ**. أراد: طالت الأجبال فليس تنالها،انظر: تاريخ آداب العرب، جـ٣: ١١٨

([3]) أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية: ٧٣

([4]) انظر: الخصائص، جـ ٢: ٢٦٨

([5]) مثل: قول القائل، من البسيط:

مَا اللَّهُ مُولِيكَ فَضْلٌ فَاحْمِدَنَّهُ بِهِ	فَمَا لَدَى غَيْرِهِ نَفْعٌ وَلَا ضَرَرُ.

والتقدير: الذى الله موليكه فضلٌ؛ بجواز حذف الهاء من (موليكه) قياسًا على حذفها من (معطيكه) فى قول القائل: الذى أنا مُعطيك درهمٌ. والبيت بلا نسبة إلى قائل معين، وهو من البسيط. انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لقاضى القضاة، بهاء الدين، عبد الله بن عقيل العقيلى الهمذانى المصرى، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محى الدين عبد الحميد، (د.ط)، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، جـ١: ١٥٤، وانظر: شرح التسهيل، جـ١: ٢٠٠

([6]) انظر: علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا)، جـ٢: ٦٥

ويقوم بابُ الاشتغالِ على التفاوتِ الدلاليّ وتداوليةِ المعنى، وقربه من انفعال الأنا الداخلية، إذ تقع ذهنية المتلقى فى حيرة من تسلط العاملين على المعمول الواحد المتنازع فيه، مع جواز التنازع حوله، والتجاذب الدلالى بينهما([1]) واحتماليةِ مُغايرةِ الأثرِ الإعرابيّ إلى نصب المتقدِّم لمعمولِه، إعمالًا لسياق الانفعالِ، إذ القوةُ التأثيريةُ تنسحبُ إلى العاملِ النحويّ المتقدمِ، وتتسلطُ على المعمول المذكور لاحقًا، وليس من المنطق القول بتساوى العاملين فى قوةِ التأثيرِ على المعمولِ، فيرتبط هذا التفاوت فى المعنى بتفاوت الأثر الإعرابى([2]) على سبيل التمثيل، ولعل أفضل الحمل – فى هذا الموضع – هو الحمل على عامل الانفعال، إعمالًا لسنة العرب فى أنهم يقدمون ما هو أهم، وما هو أقربُ إلى أفكارهم؛ وأكثر تعبيرًا عن انفعالاتهم؛ وإلَّا يعدُّ من باب ضياع البعد التداولى فى باب الاشتغال، بحيث تتلاشى دلالة الحركة الإعرابية، **فى قولهم: ضربُونِى، وضربتُ قومك**؛ ففى مثل هذا الهيئات التركيبية يشعر ذهنُ المتلقى بعجزه إزاء تفسير هذا الحركات الإعرابية المُراوِغَةِ، التى قد تشير إلى قضية ذهنية نفسية دلالية عنيفة، من **الانفعال المشوَّش**؛ أو الدلالة المترددة، حيثُ يتجاذبُ الفاعلَ طرفانِ، على سبيلِ الامتزاجِ، والاختلاطِ، والتغيُّرِ([3]) أو تُستدعى بعضُ الصيغ التركيبية سهلةُ الحفظ، أو الاستدعاء، أو التذكر؛ حيث إن القياس النحوى يعجز عن رسم حركة إعرابية حاسمة، فى مثل تركيب الاشتغال، على الميم، من قوله: قومك، بحيث يقع فى براثن الاضطراب الدلالى، إذ لم يَسْتَبِنْ المتلقى كونَه فاعلًا أو مفعولًا به، فتحدث المفارقة الدلالية.

يُحيل الباحثُ تفسيرَ تلك الهيئات المُغايرةِ – فى نحو قولهم: زيدًا ضربتُ، والأصلُ فيه: ضربتُ زيدًا – إلى عامل الانفعال، حيث إن خلاصة الأمر فى هذ الباب "تتمثل فى تأثر المؤلف وانفعاله النفسى بالحالة التى دفعته إلى ضَرْب زيدٍ؛ وأراد التعبير عن هذا الانفعال، وإبرازه إلى السياقات المحيطة؛ بأن قدَّم من وقع عليه الضربُ، وما هو فى بؤرة انفعاله على سبيل التخصيص، فى قوله: : زيدًا ضربتُ؛ ومرد الانفعال إلى كونه يُريد تخصيص زيد بالضرب، من دون غيره، "فإذا أخَّر الفعل، وقدَّم مفعوله، زيدًا؛ فإنه يلزم الاختصاص للمفعول، على أنك لم تضربْ أحدًا سواه" ([4]) وقريب – من ذلك – وجود إشكالية دلالية ، فى قولهم: ضربونى وضربتُ قومك، إذ يجوز وصول أثر العامل ضرب – فى الفعلين – إلى معموله، وحمله على الفاعلية، أو المفعولية؛ "فلا يجتمع إعرابانفى آخر الكلمة".([5]) فإنما قدَّم ما يدل عليه تأثره الانفعالى؛ إزاء ضربهم له، إشعارًا لما أصابه من ضرر جراءَ ضربهم له، وتبريرًا نفسيًّا لمضمون الفعل الثانى، إلَّا أنه أشكل الضبط الإعرابى لكلمة: (قومك)؛ إشعارًا بالتردد النفسى([6]) والتأرجح الانفعالى، وفى ضوء هذه المشاعر المتأرجحة بين ضربهم له، أو ضربه لهم؛ صاغ المؤلف هذا التركيب المُشْكِل، الذى صنعه عامل الانفعال؛ بهيئة تؤيّد القولَ بوجود التناقضِ الدلاليّ، إلَّا من تقديم عامل الانفعال، وهذا ما صنعه المؤلف، تأكيدًا لتقديمه ما يدل على انفعاله بقوة الجماعة.

فإذا ما أردنا تغليب عامل الانفعال؛ مقرين بأن النفس تقدم ما تنفعل به، قلنا هذا الأمر إلى رفع الميم من قومك، ويُصبحُ التركيبُ: ضَرَبُنِى أو ضَرَبُونِى – وضَرَبْتُ – قَوْمُكَ، وهو فى أصل وضعه: ضربونى قومُك، وضربتهم؛ ويكون هذا الأمر أضبط للدلالة؛ حيث إن مزيدًا من المرونة فى هذا التركيب قد يؤدى إلى فساد المعنى واختلاط الدلالة، وإفشال الاتِّصال التداولى، إذ يكون الضبط للميم بالرفع مخالفًا لما قدِّم، من قوله: ضربونى؛ وإبهامًا لمن قام بفعلِ الضَّرْبِ، وإحداثًا لفجوة تداولية بين الصيغ والتراكيب اللغوية، وليس لهذا المعنى أُوجدت اللغات، وعلى هذا يُمكنُ ضبطُ المثالِ السابقِ برفع الميم من قوله قومك، بسبب عامل الانفعال، ويكون الفعلُ الثانى (وضربتُ)، من بابِ الاعتراضِ.

المطلب التاسع: تحوُّل الضبط الإعرابى فى نَسَقِ الحَكْى (التركيبُ المَحْكِىُّ):

يقوم المؤلف – فى عملية الاستلزام التحاورى – بإلقاء أفعال كلامية بعد انتقائها؛ لغوية، وغير لغوية، ذاتية، ومنقولة، أما الذاتية، فمرجعها إليه شكلًا ومضمونًا؛ وأما المنقولة؛ فمحدداتها وأبعادها إلى مؤلفها الأول، إذ إن راوى التراكيبِ اللغويةِ حَاكٍ لها، وليس على الحاكى من عيبٍ ولا اتهامٍ بخطأٍ؛ إلَّا حين يغيِّرُ فى حكايته التى ينقلها صورةً، أومضمونًا([7]) ويقومُ الحاكى لهذه الصور اللغوية بنقلها، وفى عقيدته انفعالٌ بأمانةِ النقلِ، بتكرير المتلفَّظ به، لإحالته إلى مؤلفِهِ الأولِ، فقد يرومُ به الحاكى توكيدَ معنى ما، أو تكريرَه، أو الاستئناسَ به، أو الاستدلالَ به، إقناعًا، ودليلًا، أو يكون مجردَ استدعاءات سياقية. وهذا معناه : إن الحكايةَ اللغويةَ تكونُ بمنزلةِ الروايةِ اللغويةِ المسموعةِ من مَظَانِّها الأولى، ثم المنقولة؛ كأنَّ الحاكى يسألُ عن البعد الدلالى للمحكى على صورته، أوللضغط على دلالته، وبهدفِ استثارةِ ذهن المتلقى نحو المحكى، بفصِّه، ونصِّه، وهيئته، ونظْمِه، وزيادةِ انتباهِه للتركيزِ مع الحاكى، والتمركز حول مضمون الفعل الكلامى المحكى، ونقله لما صدر سابقًا من أفعال كلامية.([8])

([1]) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٣: ١٩٦– ٢٠١

([2]) انظر: التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية: ١١٨

([3]) انظر: الطراز، جـ٣: ٣٦٨

([4]) الطراز، جـ٣: ٦٥– ٦٦

([5]) الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٢: ٣٨

([6]) أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية: ٧٤

([7]) انظر: دلائل الإعجاز : ١٢

([8]) انظر: البنية السردية لحكايات الأولياء فى محافظة سوهاج، إيمان كمال محمد عبد الحليم، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد(٤٤)، الجزء(١)، يناير(٢٠١٧م) : ٢٤

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

فى هذا السياقِ؛ يدكرُ ابنُ جنى أن العربَ كانوا يَحْمِلُون ألفاظَهم على معانِيها، وقد دُفعوا إلى ذلك بدوافعَ ضاغطةٍ من حالاتِهم النفسيةِ، حتى أنَّهم كانوا يترخصون فى الإعرابِ، لصحةِ المعنى، من أمثلة ذلك: مجافاتهم الأثر الإعرابى، فى قولهم– لمن قال: مررتُ بزيدٍ: من زيدٍ؟ بالجر فى دالِ زيد، وحقُّها الرفع، وجاء الجرُّ حكايةً لجرِّ المسئول عنه؛ فهذا ممَّا أُحْتُمِلَ فيه إضعافُ الإعرابِ لتقويةِ المعنى، كما أشار إلى أنه قد تتسببُ استقامةُ القاعدةِ، وإصابةُ الإعرابِ فى اختلاطِ الدلالةِ وفسادِها، فلو أنه – فى المثال النحوى السابق– ركَّب اللغة التميمية، فقال: من زيدٌ؟ لم يَصِحُّ من ظاهرِ اللفظِ إنه إنما يسألُ عن زيدٍ؛ هذا المذكورِ، ولم يؤمَنْ أن يُظنَّ به أنه إنما ارتجلَ سؤالًا عن زيدٍ آخر.(١)

لتكون دوافعُ المؤلف– من عدمِ المعرفةِ ووجودِ الدهشةِ، والاستجابةِ للانفعالاتِ الذاتيةِ– هى الأساسَ فى الانتقاءِ، والعدولِ عن الأصلِ، بوصفهما ضربًا من ضروبِ التصرفاتِ الكلاميةِ؛ وإن لم تتناسبْ مع القوانينِ اللغويةِ، والأحكامِ الصرفيةِ، والقواعدِ النحويةِ. ودليلُ الانفعالِ فى التركيبِ المحكى هو: رغبةُ المؤلفِ فى أن ينقله كما صدر عن المؤلفِ، صورةً، وكميةً، وهيئةً، من دون تعديل فى الصياغة، أو تَعَدٍ على الهيئةِ النظميةِ، فكأنه يقصُّها كما هى فى ذهن المؤلف، ويجعل هيئة التراكيب اللغوية مُجسّدةً لفعلَ الحاكى ورغبتَه فى عرض شخصية المؤلف وقصدِه، ومجسدةً رسمَه صورةً ذهنيةً كما أرادها المؤلفُ لمتلقيه؛ إذ تؤمنُ آليةُ الحَكْيِ بأن التركيب الأول يتضمن قصد المؤلف الأول، وشخصيتَه، وأحاسيسَه، وانفعالاتِه، بالإضافة إلى أن الحاكى قد ينقل ما ارتكبه المؤلف من أخطاءٍ أو اضطرابٍ، أو سقطٍ، أو استهجانٍ، أو يُجسد التركيب المحكى إشارةً إلى تعقُّد البنيةِ المكونةِ للتركيبِ اللغوىِّ، وما تحمله من دلالات بين التعريض والتصريح، أو استحضارَ ما أصابه من انفعالٍ، أو التمحورَ حولَ استدعاءِ المؤلفِ الأولِ، والمتلقى الثانى إلى موقف الاستلزام التحاورى، بغية تحقيق المشاركة الانفعالية.

وقد نجدُ فى آلية السؤال والجواب– أو تداولية الاستفهام بصورة عامة– ما يُسوّغ الاستعمالَ فى الكلام، ويكون حُجَّةً قاطعةً له، يُستدلُ به على القصد المركزى، ويكشف عن الانفعالات النفسية فيه، ويقرّب ذهنيةَ المتلقى من تقبُّل التراكيب الكلامية، من مثل ذلك ما أورده سيبويه، **من قولهم فى– هذا باب اختلاف العرب فى الاسم المعروف الغالب؛ إذا استفهمت عنه بـ: من:**" اعلم أن أهل الحجاز يقولون، إذا قال الرجل: رأيتُ زيدًا: مَنْ زيدًا؟ وإذا قال: مررتُ بزيدٍ: من زيدٍ؟ حملًا لهذا التصرُّف أنهم حكوا ما تكلم به المسئول، كما قالت العرب: **دعنا من تمرتان**، على الحكاية لقوله: ما عنده تمرتان، وسمعتُ عربيًا مرة يقول لرجل سأله، فقال: أليس قرشيًا؟ **فقال: ليس بقرشيًّا**، حكاية لقوله، إذا خاف الالتباس، وإنما حكى مبادرةً للمسئول، أو تزكيدًا عليه أنه ليس يسأله عن غير هذا الذى تكلم به، ومنه قولهم: من أخا خالد؟ لمن قال، سائلًا: رأيتُ أخا خالدٍ، والرفع يردُّه إلى القياس، وقولهم: من عمرًا، وأخا زيدٍ؛ تتبع الكلامَ بعضَه بعضًا، وهذا حسن".(٢) لأنه يبرز الأثر النفسى الذى يتركه سياق الاستفهام فى موقف الاستلزام التحاورى. **ومن أمثلة المخالفة النحوية بسبب أسلوب الحكى مايلى: قول ذى الرُّمة:**

سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا	فَقُلْتُ لِصَيْدَح انْتَجِعِى بِلَالَا.(٣)

وذلك برفع السين، من قوله: (النلسُ)، والأصل أن تكون منصوبةً، بالنظر إلى تمام الدلالة وسلامتها، من زوايا البنيتين السطحية والعميقة؛ والمتأمل للشاهد الشعرى يُدرك سيطرةَ انفعالِ الفرحِ والاستبشار على ذى الرُّمَّة، ورغبته فى إشراك ناقته هذا الشعور؛ إذ إن الانتجاع، أو " المُنْتَجَعُ: المنزل فى طلبِ الكلأ، ومساقطِ الغيثِ؛ وانتجعْنا فلانًا: إذا أتيناه نطلبُ معروفَه".(٤) والغوْثُ، بالواو، من الإغاثة، والأصلُ فيه من الغيث، فصارت الواو ياءً؛ لكسرة ما قبلها، قال الأزهرى: ولم أسمعْ أحدًا يقول: غاثه ، يغوثه، بالواو؛ والغِياثُ: ما أغاثك أغاثك الله به.(٥) والغيث، بالياء: " المطرُ ، والكلأُ، وقيل: الأصلُ، المطرُ ، وغاث الغيثُ الأرضَ: أصابها، وغاث اللهُ البلادَ، يغيثُها غيثًا: إذا أنزل بها الغيثَ، والغيثُ: الكلأُ، ينبتُ من ماءِ السماءِ".(٦) وتدور مادة: بلل، حول العطاءِ، والكلأ، والندا، والسخاء.(٧)

---

(١) كأن المعانى تتلاعب بالألفاظ؛ تارة كذا، وأخرى كذا.انظر: المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، جـ٢: ٢١١

(٢) انظر: الكتاب، جـ٢: ٤١٣– ٤١٥

(٣) البيت لذى الرُّمَّة، وفى ديوانه، فى قافية اللام، برواية الرفع للسين من قوله: النلسُ، ومن قصيدة بعنوان: كذاك الغانيات، يمدح بها بلالَ بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى، وكان واليًا بالبصرة، والبيت من الوافر، وليس من الطويل كما عزاه محقق الديوان، والصيدح: اسن ناقة لذى الرمة، وصيدح فى الديوان، وفى رواية اللسان، بنصب الحاء؛ ولم أجد البيت فى ديوان ذى الرمة: ١٩٣–٢٤٨، **فى قافية اللام المنصوبة**، إذ الصفحات من : ١٩٣–٢٢٤ غير موجودة، انظر: ديوان ذى الرُّمَّة، قدَّم له، وشرحه: أحمد على بَسَج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: ١٩٣–٢٢٤.وانظر: ديوان ذى الرمة، اعتنى به، وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوى، ط١، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م:١٩٨

(٤) لسان العرب، جـ ٦: ٤٣٥٤، مادة: (ن، ج، ع).

(٥) لسان العرب، جـ٥: ٣٣١٢، مادة: (غ، و، ث).

(٦) لسان العرب، جـ ٥: ٣٣٢٤، مادة: (غ، ى، ث).

(٧) انظر: لسان العرب، جـ١: ٣٤٨ – ٣٤٩، مادة : (ب، ل، ل)

تنبغى الإشارة إلى أن فى نقل المؤلف للتركيب المحكى: **سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا**، إشارةً إلى أنه نَقَلَ خبرًا، تسبَّبَ فى تحقُّقِ لفعالِ الفرحِ لديه؛ فأراد أن ينقل ذلك الخبرَ المسموعَ، بمعنى أنه قد سمع خبرًا: نقديره: إن الناس يطلبون الكلأ والغيث، مستبشرين بنزل المطر، فنقل الحبر كما هو، وتكون جملة الناس ينتجعون غيثًا خبرًا، عنصرا المبتدأ(الناسُ)، و(ينتجعون غيثًا) الخبر، فلما سيطر عليه لفعالُ الفرحِ والاستبشارِ بنزولِ المطرِ، أراد أن يشخص ناقتَه صيحًا، ويدعوها إلى مشاركتِه هذا الانفعال، وطالبها بأن تطلبَ طعامًا كثيرًا بعد جدبٍ، وقد وقع عبءُ التعبيرِ عن هذا الانفعال على الضمةِ، التى شكلت نواةً لفعل كلامى خبرى.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه لا تصلح الفتحةُ للتعبير عن هذا المعنى، إذ ستنقل خبرًا لم يتأكد حدوثُه، وتنتهكُ دلالةَ التركيبِ، إذ طلبُ الكلأِ، أو رؤية الناس تنتجعُ الكلأَ، لا تتناسب مع تعدى ولا مضمونِ الفعلِ الكلاميّ سمع، إذ المطرُ أو الكلأُ أو الغيثُ يُرى لا يُسمع، فإذا قلنا بنصب السين؛ انخفضت درجة التداولية، إلى أدنى مستوياتها، وفى هذا الصدد يكون الأثر الإعرابى سببًا فى اختلاطِ الدلالةِ وفشلِها.

- **ومنه: قولهم: من زيدًا؟ بنصب الدال من زيد؛ حكاية لمن قال: رأيتُ زيدًا.**
- **وقولهم : من زيدٍ؟ بجرّ الدال من زيد؛ حكاية لمن قال : مررتُ بزيدٍ.**
- **وقولهم: ليس بقرشيًّا، بنصب الياء من قرشيًا، حكايةً لمن قال: أليس قرشيًّا؟**
- **وقولهم: دعنا من تمرتان، برفع المثنى بالألف فى كلمة: تمرتان؛ على الحكاية لقوله: ما عنده تمرتان والأصل فى التراكيب السابقة أن تكون كما يلى:**
- **سمعتُ الناسُ ينتجعون غيثًا، بنصب السين، لأنها فى موقع النصب، المفعول به.**
- **قولهم: من زيدٌ؟ برفع الدال من زيد؛ كونه مبتدأً مؤخرًا مرفوعًا للخبر الواجب التقديم.**
- **وقولهم : من زيدٌ؟ برفع الدال من زيد؛ كونه مبتدأً مؤخرًا مرفوعًا للخبر الواجب التقديم.**
- **وقولهم: ليس بقرشيٍّ، بجرّ الياء من قرشيًا، كونه خبرًا منصوبًا على المحل للناسخ الفعلى، مجرورًا لفظًا؛ فيكون: ليس بقرشيٍّ.**
- **وقولهم: دعنا من تمرتين، بجر المثنى بالياء فى كلمة: تمرتين؛ كونه مثنى مجرورًا بحرف الجر، (من).**

وإذا أراد الباحث تحليل الفعل الكلامى الجامع بين النمطِ الحكائيّ المركّزِ والمقصودِ وأسلوبِ الاستفهامِ تحليلًا انفعاليًّا وجد أنه يتعرَّض لصور ذهنية نفسية متعددة؛ منها:

١- استثارة عوامل الإدراك وتقوية مضمون الفعل الكلامى المحكى لدى المتلقى.

٢- التعليل لقوة الروابط الفكرية والانفعالية من جانب الحاكى الناقل لصوره الفعل الكلامى، وكميته، وهيئته.

٣- يؤدى ارتكاب المخالفة النحوية إلى توافر قوة نفسية، لمواجهة الاستفهام الانفعالى.

٤- إدراك المتلقى لحقيقة الوضع، الذى وقع فيه؛ مما يُثير انفعالاتِه، خشيةَ عدم القدرة على تقديم إجاباتٍ منطقيةٍ؛ مما يحمله على تلقى الاستفهامِ على حقيقتِه الانفعاليةِ.

٥- تزداد مع الاستفهام الانفعالى وتيرةُ التوتر لدى المتلقى، إذ هو مطالب بالكشف عن خبايا نفسه، مما يجهله المؤلف.([1])

لهذا؛ فإنه غيرُ خافٍ ما يُشير إليه كلام سيبويه من تركه للأثر الإعرابى لمعيارى، اعتمادًا على وضوح المعنى؛ وفى ذلك دلالة على أن ترك المحدد الإعرابى قد جاء حكايةً نفسيةً لكلامِ المؤلفِ الأولِ، وأن أسلوب الاستفهام يُسهم فى توضيحِ الجانبِ النفسيّ لدى كلٍّ من المؤلف والمتلقى على السواء([2]) وأنه جاء لبيانِ أن ذهنيةَ المتلقى كانتْ تحتَ تأثيرِ الانفعالِ، عندما تكلم به المؤلفُ بين الإنكارِ لما تكلم به، أو الإثباتِ له، أو الاسترشادِ بهذا الأثر الإعرابى على وضوح المعنى.([3]) فيكون الانفعالُ من المواضع الرئيسة، التى يستخدمها المؤلفُ لإقناعِ المتلقى، لذا عُبِّرَ عنه، فى الثقافة اليونانية **بـ: مصطلح الباتوس، أى: انفعال المقول له، وميوله، ونوازعه.([4])**

وتكون إعادة المسئول لعناصر الهيئة التركيبية – مع ترك الأثر الإعرابى بصورته الأولى– تصرفًا تداوليًّا بين المؤلفِ والمتلقى، فالأولُ راغبٌ فى حكايةِ لفظِ المؤلفِ؛ كما حكاه المؤلفُ بالقول اللفظى، أو بالخطِّ المكتوبِ، وعلى صورة ما أخرجه، فنقل واقعَ الاستعمال اللغوى كما هو، وإن اشتمل على مخالفاتٍ لغويةٍ، أو نحويةٍ، ليُظهرَ المتلقى قصدَ المؤلفِ، ورفعًا من الحاكى للتوهُّم عند المتكلم عندما يلحن، ورغبةً منه فى إيقاظِ ذهنِه، ولفتِ انتباهه، وللتنبيه؛ بالاستدراكِ على لحنِه؛ وإلَّا تَوَهَّمَ أنه نطقَ به على الصوابِ، أو

([1])انظر: السلوك الانفعالى فى أسلوب الاستفهام، دراسة لغوية تحليلية نفسية : ٤٣٥– ٤٤٣

([2]) انظر: السلوك الانفعالى فى أسلوب الاستفهام، دراسة لغوية تحليلية نفسية، د: على محمد نور المدنى، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد(١٧)، العدد(١)، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ٤٣٢

([3]) انظر: الكتاب، جـ٢: ٤٢١

([4]) انظر: بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية :٧٤–٨٤

يكونُ انفعالًا لحرمةِ الإعلام عند العرب؛ بأن تنقل الملفوظ كما أراده صاحبه؛ لأنها أكثر ما يُستعمل فى كلامهم، فجرى فيها الجواب على وفق السؤال، قد يقصدُ المؤلفُ بهذا التصرف أن المخاطب عندما يستفهم، يشير إلى أنه قد يحتمل من المعنى ما لا يُريد المتكلم.([1])

فإضافة إلى نقل الكلام المحكى على جهته وصورته، فإن المؤلف– فى أسلوبِ الحكى– يُريد أن ينبّه المتلقى بوقوعه تحت تأثير انفعال أمانة النقل، وقد شكَّل الحفاظ على نمط الحكى انفعالًا منه؛ مُشيرًا إلى أنه من صَنِيعِ مؤلفٍ سابقٍ، فهو ينقل كلامًا مسموعًا له معنى ومقصدٌ، من دون تدخُّل منه، لذا يُحافظ على الكلام المحكى، هيئةً، وترتيبًا، وإعرابًا، ليضعَ ذهنيةَ المتلقى أمامَ قصدِ المؤلفِ الأولِ، وحالته الانفعالية والنفسية التى كان عليها أثناء إخراجه عناصره التركيبية؛ لا قصده هو، أو رغبة منه فى تحويل الأمر برمته إلى ذهن المتلقى، ليُحقق تواصلًا تداوليًّا معه، كأن يُجيب على سؤال المؤلف الأول، أو يشاركُ الحاكى المؤلفَ الأولَ والثانى فى الحالةِ الانفعاليةِ، ونظهرًا أن انفعالَه قد جاء تأكيدًا للدلالةِ الموجودةِ فى التركيبِ الأولِ، وتثبيتًا لها، ليُحيلَ المتلقىَ إلى التركيبِ الأولِ، استكثارًا لأمرٍ ما، أو توبيخًا له، معتمدًا على الصياغةِ الأولى لجملةِ الحكى، أوليجذبَ انتباهَه للتأثيرِ فيه، نحوَ أمرٍ ما أراد المؤلفُ الأولُ التركيزَ حولَه، أو معاونتَه فى كشْفِ الفعلِ الكلاميّ الذى ضمَّنَهُ المؤلفُ الأولُ تركيبَه المنقولَ بالحَكْى، أو انفعالًا للتَّهَكُّمِ أو السُّخْرِيَةِ، تضمنه تركيبُ المؤلفِ الأولِ، فخلخل التركيبَ الثانى ليُشيرَ إلى ذلك التركيبِ الأولِ، فى مراعاةٍ منه لأفقِ انتظارِ المتلقى، حتى يُجنِّبَهُ التَّوَهُّمَ، واختلالَ الرؤيةِ، فالحاكى قد انفعل انفعالًا ما من التركيبِ الأولِ، فأراد أن يطرحَه كما هو على متلقيه، فقل سياقَ الاستعمالِ المَحْكِى، ليتحصلَ، أو ليشاركَه فى هذا الانفعالِ، وينطبقُ هذا الأمرُ معَ الأمثلةِ المستشهدِ بها " إذ إنَّ نقلَ المسموعِ يَستجلبُ التركيزَ، ويستحضرُ الذهنَ، ويُرسِّخُ المعنى فى النفوسِ".([2]) فكانت هذه الأغراضُ والعللُ وراءَ انفعالِ المؤلفِ فى أسلوبِ الحَكْيِ، ومن أجلِ عاملِ الانفعالِ غَايَرَ المؤلفُ فى الضبطِ الحَرَكِيّ لبعضِ عناصرِه التركيبيةِ.هذه أمثلةٌ لبعض العلل والأسباب التى نتجت عن عامل الانفعال، فى بعض التراكيب النحوية الموصوفة بالخطأ، **وبقى للباحث أن يعرّج على أمثلة تطبيقية فى التركيب الفعلى، وهذا ما سيتناوله فى المبحث الرابع، بشىء من التفصيل.**

([1]) انظر: أثر السؤال والجواب فى التحليل النحوى: ١٩– ٢٠

([2]) أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية: ٧٩

المبحث الرابع: صور من الاستعمالات المخالفة للقياس النحوى في الأفعال:

تنبغى الإشارةُ إلى أن التفاوتَ فى المعانى مَرهونٌ– **فى الدلالات العرفية**– بتَغايُرِ الأثرِ الإعرابيّ، إذ يؤثِّرُ هذا الأمرُ فى الصورةِ النظْميةِ لهيئةِ التركيبِ، ونوعيةِ العناصرِ اللغويةِ المنطقاة، وفقتها، فيتأثَّرُ نسقُ الكلامِ كلُّه، ومن ثَمَّ تتفاوتُ الدلالاتُ، بين القَبُولِ والرَّدِّ، والمتوقعِ وغيرِ المتوقعِ، إلَّا أن هذا التغيُّرَ فى كلِّ عنصرٍ تركيبيٍّ هو– فى الأصلِ– قصديةٌ من المؤلفِ، ليُضيفَ معانىَ عميقةً، قد تبدو مختلفةً عن المعنى السطحيّ، حيث إن المؤلفَ يعتمدُ –كثيرًا– على الأثرِ الإعرابيّ فى تحديدِ معانِيه، فإذا كان لكلِّ حركةٍ دلالةٌ نوعيةٌ، تُتَّخَذُ من صفاتِها، ومخارجِها، وطبيعة الأعضاءِ الناطقةِ بها، ووضوحِها السمعيّ، ومقدارِ الجهدِ المبذولِ فى تأديتِها؛ فإن هذا الأمرَ يُقوِّى القولَ بقصديةِ المؤلفِ فى وضعِ آثارِه الإعرابية، وفى القوالبِ الفعليةِ بصورةٍ خاصةٍ، بالاعتمادِ على إحاطةِ التركيبِ الفعليّ بعنصرىْ الزمنِ والحدثِ، بالإضافة إلى الدلالة النوعية، ومن ثم يُمكن القول بالتبادليةِ الدلاليةِ المقصودةِ فى الانتقالِ من حركةٍ إلى أخرى، ومن الحركةِ إلى السكونِ، حيثُ إنَّ لكلِّ أثرٍ إعرابيٍّ قيمةً دلاليةً، وبُعدًا تداوليًّا، **وهذا ما سيتعوضُ له الباحث فى النقاط التالية.**

المطلب الأول: التحول إلى السكون فى المعتل المعرب من الأفعال:

تعظِّم التداوليةُ القيمةَ الدلاليةَ للسكونِ، فى موقف الاستلزام التخاطبى، لما يوصف به من القوة فى الحسم الدلالى(١) وإبراز التدفق لمضمونِ الفعلِ الكلامى، وإيقاظِ ذهنِ المتلقى فى موقفِ الاستعمالِ، وقد ذكرَه ابنُ جنّى(ت٣٩٢هـ) **فى باب: الساكن والمتحرك**؛ مشيرًا إلى أن الأصل، فى آخر الكلمة أن يكونَ ساكنًا، إلَّا أنَّ فى كثيرٍ من الحالاتِ يكون آخرُ الكلمةِ متحركًا، إذا اقتضى موقفُ التداوُل الكلاميّ الفصلَ فى الدلالاتِ، كأنْ يُفصَلُ بين المذكرِ والمؤنثِ بالحركةِ فى آخرِ الكلمةِ، على نحو ما نرى فى قولِهم: أَنْتَ، بفتحِ التاءِ للمذكرِ، وأَنتِ؛ بكسرِها للمؤنَّثِ؛ وعنده أن الوقفَ يُضعفُ الحرفَ، فإذا أراد المؤلفُ تمكينَ الصوتِ، وتوفيتَه؛ ليمتدَّ، ويقْوى فى السمعِ، ألحقه ألِفًا، أو هاءً، أو تُثَقَّلُ حركةُ الإعرابِ إلى حشْوِ الكلمةِ، فتجعلُه فى قوةِ المكرَّرِ فى الصوتِ، المُعْتَمَدِ فى السمعِ، لذا يُعدُّ السكونُ الأكثرَ قرعًا للحسّ، والأشدَّ تنبيهًا للعقْلِ.(٢) وقد أشار الزمخشرى(ت٥٣٨هـ) إلى السكون بمنزلة الدعلمة التى تقوى أحرف العلة، وعنده أن أحرفَ العلةِ– رغم ضعفِها– تَجْرِى– فى تحمُّلِ حركاتِ الإعرابِ– مَجْرى الحروفِ الصِّحَاحِ؛ خاصةً، حين يكونُ الواوُ والياءُ لامين؛ إذا سُكِّن ما قبلها.... وإذا تحرَّك ما قبلهما؛ لم يتحملا إلَّا النَّصْبَ.(٣)

- **وقد جاء الإسكانُ فى قوله:**

فَمَا سَوَّدَنْنِى عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ	أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُوْ بِأُمٍّ وَلَا أَبِ.(٤)

فقد أسكنَ الشاعرُ الواوَ من قولِه: أسمُوْ، وأبطل العاملَ النحوى، وهو الحرف المصدرى(أن) الناصب للفعل المضارع، وكان قياسه أن يقول: أن أسموَ، بنصب الواو؛ بفتحة ظاهرة، إعمالًا للعامل النحوى(أن)، ولعل مردَ ذلك إلى انفعال الشاعر بإبراز قوته الذاتية، واعتدادًا بالـ: (أنا) لديه، وترفعه، وأنه جدير بالسيادةِ والسموِ، حيث لم يرثهما عن قرابةٍ من أمه، أو أبيه، إنما هى ذاته الجديرة بالسيادة والسمو، وهى الذات المنفعلة المتكلمة، المعظِّمَةُ نفسَها، يؤيِّد ما ذهب إليه الباحثُ كونُ عامر بن الطفيل أحدَ شعراء الحماسة فى الجاهلية، الخُلَّق فى ركوب الخيل، ومن أبطال العرب المعدودين، الذين يُخشى جانبهم؛ وهو معروف بجفاء الطبع والعنجهية، غير أن قومه لم يلتفتوا إلى كل هذا، فسوَّدوه عليهم، فأبى أن تسوِّدَه الوراثة؛ لأنه كان يرى فى نفسه وأعماله ما يُمكِّنُ له السيادة، ويعقدَ له المجدُ، وشعرُه صورةٌ ناطقةٌ بشخصيته، فترى فيها عنجهيةً وكبرياءً، واعتزازُه بشجاعتِه

---

(١) ومثله فى الإشارة إلى دور السكون فى تقوية أثر الانفعال والمشاعر النفسية فى إنتاج القصد الكلامى، قول العرب، فى الذَّمِ أوالمدح : فقى المدح، فولهم: **فأنتم بيضة البلد**؛ إذا ذُمَّ، أو أُشتُهر بالذم، وقد يُقال فى المدح، ومما كان لفعال الذَّمِ سببًا فيه، قول الراعى النميرى– عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميرى، أبى جندل، شاعر من فحول المحدثين– لعبِيّ بن الرَّقَّاع العاملى، من البسيط:

تَأْبَى قُضَاعَةُ أَنْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا وَإِنَّمَا نَزَلَا فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ.

انظر : الخصائص، جـ٢: ٢٣٠، وجـ١: ٧٩

(٢) انظر : الخصائص، جـ٢: ٢٢١–٢٣٢٠

(٣) ونظير ذلك: قول الأعشى، من الطويل:

فَآلَيْتُ لَا أُرْثِى لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ	وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تُلَاقِىَ مُحَمَّدَا.

انظر : المفصَّل فى علم العربية : ٤٠٨

(٤) البيت من قصيدة لعامر بن الطفيل، عنوانها: أبى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أبٍ، من الطويل، وهو فى ديوانه، فى قافية حرف الباء، وفى الديوان: فما سودتنى عامرٌ عن قرابةٍ ، وقبله:

إِنِّى وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفَارِسَهَا الْمَنْدُوبَ فِى كُلِّ مَوْكِبِ.

وبعده:

وَلَكِنَّنِى أَحْمِى حِمَاهَا وَ أَتَّقِى أُذَاهَا وَأُرْمِى مَنْ رَمَاهَا بِمِنْكَبِ.

انظر : ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى، عن أبى العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب: ١٣

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

وفروسيته(١) وليس من شك فى أن الفتحة المعيارية لا تناسب مقام العظمة، وإضفاء الهيبة، هنا يجب التسليم بقوة الحضور للسكون، إذ طابق بين قوةِ البنيةِ الصرفيةِ النحويةِ وقوةِ ذاتِه، وقوةِ لفعالِه، فالسكون يقرع الأذن، وذاته تُبرز المهابة والجرأة، والثبات، والشجاعة، وتلك سمات لا تعبر عنها الفتحة بحال. هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى، فلو أن الشاعر أعمل(أن)، ونصب المضارع بالفتحة لانكسر الوزن العروضى، فى تفعيلته الثانية من العجُز، ويُمكن توضيح ذلك من خلال الكتابة العروضية التالية:

أبلا: //*/*(فَعُولُنْ)– هأتأسمُوْ://*/*/*(مفَاعِيلُنْ)_____ فى حالة إسكان الواو.

أبلا: //*/*(فَعُولُنْ)– هأتأسمُوَ://*/*//(مفاعيل+ حركة)_____ فى حالة فتح الواو.

وهذا الانكسار العروضى يرفضه لفعالُ نفسِ الشاعرِ بانفعالاتِ إبراز الهيبةِ والافتخارِ، والاعتدادِ بالذاتِ القويةِ، إذ الانكسارُ العروضى يُشيرُ – فى الأغلب– إلى انكسارِ نفسِه، وهذا ما تأباه نفسُه الأبيةُ، وقد أجاز النحاةُ الترخُّصَ فى بعضِ القواعدِ النحويةِ حفاظًا على استقامةِ الوزنِ العروضىِّ.(٢)

من ناحية ثالثة؛ أدَّى السكون إلى قوة البناء المقطعى للقالب الصرفى المعبِّر عن لفعال الشاعر، إذ انتهى –حال الإسكان– بالمقطع الصوتى المتوسط المغلق، الدال على القوة والتدفق، وهو يُناسب التعبير عن القوى الداخلية للمؤلف، ويُمكن توضيح ذلك على النحو الآتى:

أسْ: ص– ح– ص/ مُ: ص– ح/ وَ: ص– ح (فى حالة النسق المعيارى)، من المعلوم أن المقاطع القصيرة تدل على الضعف، والتقطُّع، والانكسار، والحزن.

أسْ: ص– ح– ص/ مُوْ: ص– ح– ص (فى حالة النسق الانفعالى). يُلاحظ انتهاء هيكل البناء المقطعى بالمقطع المتوسط المغلق الموصوف بالقوة، والدال على القوة الذاتية والتدفق الدلالى لمضمون الفعل الكلامى.

المطلب الثانى: التحول إلى الإسكان فى الصحيح المعرب من الأفعال:

ومنه قوله:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ(٣)	**إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلِ(٤).(٥)**

فقد حذف الشاعر حركة الإعراب الموضوعة للرفع، وهى الضمة الظاهرة؛ من الفعل المضارع الصحيح الآخر(أَشْرَبُ) غير المسبوقِ بجازمٍ معياريّ عاملٍ، وقد شكَّل آخرُ الفعل(أشربُ) مورفيمًا قويًّا، قادرًا على تحمُّل الأثرِ الإعرابىِّ وإظهاره، ، وهو مورفيم الباء، فتحول– تبعًا لهذا التصرف– المُعرَبُ المرفوع إلى مجزومٍ، فقال: أشربْ، وأسكن الباء فيه، وحقها الرفع، بالضمة الظاهرة(٦) أى: أشربُ.(٧) وحملَه النحاةُ على أنه من بابِ الضرورةِ، " إذ إنه يجوزُ – فى الضرورةِ– حذفُ علامتىْ الإعراب؛ الضمة والكسرة، من الحرف الصحيح تخفيفًا، من بابِ إذهابِ حركةِ الإعرابِ، وهو تصرفٌ لمعنى، وقد اتفق النحويون على جوازِ حذفِ حركةِ الإعرابِ للإدغامِ؛ فكما جاز ذهابُها للإدغام، فكذلك ينبغى أن لا يُنكرَ ذهابُها للتخفيفِ".(٨)

---

(١) انظر: ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى، عن أبى العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب: ٥–٨

(٢) **ومما يدت فيه مخالفة القياس النحوى**: ما أورده ابن جنى من جواز تصحيح المعتل؛ احترازًا لكسر البيت الشعرى– مما يترتب عليه انكسار الدلالة– أو تحقق المخالفة النحوية لسبب عروضى– أو ما أطلق عليه الدكتور فهد بن حمَّاد التميمى: الانزياح الصوتى والإيقاعى فقد أورد قول الكميت، من المتقارب:

خَرِيعُ دَوَادِىَ فِى مَلْعَبٍ	**تَلَذُّ طُوَرًا وَتُلْقِى الْإِزَارَا.**

فهذا لابد فيه من تصحيح معتلِّه، ولو أنه أعلَّ اللام وحذفها؛ فقال: دوادٍ ، لكسر البيت البتة، يقدم ابن جنى مبررًا دلاليًّا لكسر الوزن أو البيت، والتمس ضعف الإعراب فى سبيل اجتناب كسر البيت، والخريع: اللينة المعاطف، والدوادى: جمع دوادة، وهى آثار أراجيح، أراد أنها – لصغر سنها– لا تبالى كيف تتصرف لاعبة. انظر: الكتاب، جـ٣: ٣١٦، وانظر: الانزياح التركيبى فى شعر محمد بن بشير الخارجى: ٤٨٢، وانظر: الخصائص، جـ١: ٢٨٤

(٣) والحقب: الضيق، والاحتباس، والشدة، واستحقبه: ادَّخره، واحتقبه، واستحقبه بمثل، واحتقب فلان الإثم: حمله. انظر لسان العرب، جـ٢: ٩٣٧، مادة: (ح، ق، ب).

(٤) الوغل من الرجال: الدنل الضعيف الساقط المقصِّر فى الأشياء، والمدعى نسبًا ليس منه، وهو: الذى القوم فى طعامهم وشرابهم، من غير أن يدعوه إليه، أو يُنفق معهم مثل ما أنفقوا، وقيل: الواغل فى الشراب كالوارش فى الطعام، وهو: الذى يهجم على الشراب ليشرب معهم و ليس منهم. انظر: لسن العرب، جـ٦: ٤٨٧٩، مادة: (و، غ، ل).

(٥) البيت لامرئ القيس بن حجر الكندى، وفى ديوانه، من السريع، والبيت فى رواية الديوان ولبن منظور: أُسقى، قاله: حين أدرك ثأر أبيه، فَرَحًا مما حدث، فتحلَّل مما كان قد ألزم به نفسه، من عدم شرب الخمر، حتى يُدرك ثأر أبيه. إلَّا أن محقق الديوان ذكر أنه مات بأنقرة، من دون أن يثأر لأبيه، يُريد أنه يشرب الخمر، وقد حلَّت له، فلا يأثَم، ويكرِّم نفسه عن أن يشرب الوَغل. انظر: ديوان امرئ القيس:١٢٢، وانظر: الكتاب، جـ٤: ٢٠٤، و: المحتسب، جـ١: ١١٠، وانظر: خزانة الأدب، جـ٨: ٣٥٠

(٦) انظر: الوقف الصرفى، ما يوقف عليه وما لا يُوقف عليه:١٥٢

(٧) المحتسب، جـ١: ١١٠

(٨) انظر: خزانة الأدب، جـ٨: ٣٥٢

وقد جوَّز سيبويه تسكين الباء من (أَشْرَبُ) فى الوقف والوصل، ذكر فى باب الإشباع فى الجر والرفع، وغير الإشباع، والحركة كما هى، قال:" وقد يجوز أن يُسكنوا الحرفَ المرفوعَ والمجرورَ فى الشعرِ، شبَّهوا ذلك بكسرةِ: فخِذٌ؛ حيث حذفوا، فقالوا: فَخْذٌ، وبضمة: عَضُدٌ، حيث حذفوا، فقالوا: عَضْدٌ، لأن الرفعةَ ضمةٌ، والجرةَ كسرةٌ".(١) وعند ابن جنى: أن الجزم فى الفعل أشربْ؛ طلبًا للخفةِ، ويجرى الانتقال من الرفع إلى الجزم، مجرى الانتقال من الرفع إلى النصب، لذا فالجزمُ محمولٌ على النصبِ... ويكون إسكانُ الباءِ من بابِ السلكنِ الذى كان متحركًا ثم أُسْكِنَ، فاختلسوا الحركةَ، طلبًا للتخفيفِ.(٢) وقد جعله عبد القاهر من باب المقيس، وأنه من التغير فى هذا الضبطِ الحركيّ الذى "يلحقُ أواخرَ الكلماتِ من دون أن تختلفَ العواملُ، ومثَّل له، بقولهم: هذا زيْدْ، بسكون الدال، وهذه يدْ داود؛ مشيرًا إلى أن هذه الضروبَ من الخلافِ فى الأواخرِ؛ وإن كانت تشبهُ المعربَ فى أنه تغيير يلحقُ آخرَ الكلمةِ؛ فليس بإعرابٍ، لأنها غيرُ حادثةٍ عن اختلافِ العاملِ، وقد أسكنَ الباءَ؛ تشبيهًا للمنفصل بالمتَّصل".(٣)

ويبدو أن هذا الضبطَ إما لضرورةٍ ألجأتِ الشاعرَ إليه، وهذا ما قلمت فكرة البحث على ردِّ الإطلاقِ فى هذا الصدد، وإما لداعٍ صوتى، يكونُ من ضروبِ الاستخفافِ؛ وهو ما قرَّ فى الحياةِ الذهنيةِ، وفى الاستعمالِ من كراهةِ الحسِّ اللغويّ لتوالى ثلاثِ حركاتٍ فى الكلمةِ مع ما بعدَها، حالَ الوصلِ؛ وقد شابهها قولُ امرئ القيسِ مع تعدديةِ الضبطِ فى عَضُد، ويكون إسكانُ الباءِ حريةً كلاميَّةً مُستساغةً؛" لاحتمالِ أن يكونَ قد سكَّنه تخفيفًا لتوالى الحركاتِ القصيرةِ".(٤) من أجل ذلك؛ وازن بين المقطع الأخير (رَبْ) من (أشرب) (أشرب) والمقطع القصير المفتوح(غَ) من (غير)، وبين كلمة(عَضُد)، التى يجوز فيها تسكين العين حال الوقف والوصل، فيقال: عَضْدٌ، وعَضُدُ، وقد أسكن الباء، من قوله: أشرب؛ ليشكِّل كتلةً كلاميةً قويةً، تتناسب مع قوة انفعاله، وتدفق سعادته، وانفعاله بإدراكه ثأرَ أبيهِ.

والذى يقوى القولَ بأن إهدارَ الشاعرِ للحركة الإعرابية كان ردةً لانفعالِ السرورِ؛ هو أن غير لا تتصل بـ: اشرب، وقد تجنَّب ضمَّ الباء؛ إذ إن الضمة دليلُ تقييدٍ وضيقٍ، كما أن الباء دليلُ انغلاقٍ، بسببِ انغلاقِ الفمِ حالَ النطقِ بها، وهذا لا يتناسب مع انفعال الانطلاق والسعادة(٥) هذا المعنى أشار إليه ابن هشام(ت ٧٦١هـ) بقوله: " فليس قوله: أشربْ مجزومًا، ولكن حُذفت الضمة للضرورة، أو على تنزيل(رَبْغَ) بالضم، من قوله: (أَشْرَبُ غَيْرَ) منزلة، (عَضُدٌ) بالضم، فإنهم قد يُجرون المنفصل مجرى المتَّصل، فكما يُقال: عَضُد؛ بالضم، يُقال: عَضْدٌ؛ بالسكون، كذلك قيل فى رَبْغَ، بالضم: رَبْغَ، بالإسكان".(٦) فجاءت(رَبْغَ) كتلة مقطعية واحدة تُماثل(عضْد) فى ضبطها، إجراء للمنفصل مجرى المتصل؛ إذ هو هو تحت تأثير انفعال إظهار القوة، قد أبيح له شربُ الخمرِ، بعد الوفاءِ بنذره، وقد شرب معه القومُ من دون دعوةٍ منه إلى الشرابِ.(٧) فأنشأ بنيةً مقطعيةً، تتناسبُ مع قوةِ الانفعالِ، وتتجنبُ استقلالَ توالى مقاطعَ قصيرةٍ مفتوحةٍ متواليةٍ، وهذا ما يمجُّه الحس اللغوى العربى، وهو – فى هذا الأمر – قاصدٌ إهدارَ الحركةِ الإعرابيةِ التى ستكون سببًا فى تفتيت المقطعى الصوتى(رَبْغْ) فى حال الانفصال(ص ح ص ص)، وهو بنية مقطعية طويلة مزدوجة الإغلاق، وقد راغ الشاعر إلى السكون، ليؤكد انفعال ذاته، من دون غيرها بمشاعر السعادة والفخار، وهذا ما لم يكن ليتحقق مع معيارية الأثر الإعرابى، وكأن هذا المقطع مقطع نفسىٌّ جمع بين انفعال السعادة، وزوال ثقل الأمر على نفس الشاعر.

فأراد أن يعبر عن هذا الانفعالِ بتحقيق إيقاع موسيقى يتناغمُ مع تراقصه وفرحه، إذ لو التزم الضبط المعيارى– بأن ضبطها بالضمة القصيرة– لفوَّت حدوث هذا الإيقاع، ولبدت تلك الضمةُ معبرةً عن الضيق، وضعف دلالة الفعل الكلامى، ولأصبحت هيئةُ البيتِ مرتبكةً، ولما انتهت عروضُه بالمقطعِ المتوسطِ المغلقِ، الدالِ على القوةِ الإيقاعيةِ، والتدفُّقِ الدلاليّ، وقوةِ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ.

ويبرزُ أثرُ الانفعالِ فى صدمةِ المؤلفِ لنفسِ المتلقى، رغبة من الأول فى استمالة الثانى بأن تتيقظ نفسه لمشاركته انفعالَ نفسِه بمشاعر السعادة، فى مفاجأته بما هو ضد توقعه، إذ يتوقع حِسُّ المتلقى ضمَّ الباء؛ فإذا ما غلبت هذه الضمة المعيارية(٨)–بوصفها حركة إعراب– تنبَّه المتلقى، وتيقَّظ، وتفاعَلَ مع انفعالِ المؤلفِ، وهذا مقصودُ المؤلفِ من أثره

---

(١) الكتاب، جـ٤: ٢٠٢– ٢٠٤

(٢) انظر: الخصائص، جـ٢: ٢٢٣– ٢٢٨، وانظر: الصاحبى : ٢٠

(٣) المقتصد فى شرح التكملة : ١٨٣ – ١٨٤

(٤) وأورد ابن هشام الأنصارى(ت ٧٦١هـ) نظيرًا له من إسكان المتحرك، من دون دليل نحوى، قول لقيط بن زرارة، من البسيط :

تَلَمَّتْ فُؤَادَكَ لَوْ يَحْزُنُكَ مَا صَنَعَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِى ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا.

انظر: شرح قصيدة بانت سعاد، لجمال الدين محمد بن هشام الأنصارى النحوى، دراسة وتحقيق، د: عبد الله عبد القادر الطويل، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٩٥

(٥) انظر: المقتصد فى شرح التكملة : ٢١٠

(٦) شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب :٢٤٠

(٧) وانظر: خزانة الأدب، جـ٨: ٣٥٨

(٨) ومن أمثلة ذلك، قوله، من الكامل:

وَإِذَا تُطَاوِعُ أَمْرَ سَادَتِنَا	لَا يَثْنِنَا بُخْلٌ وَلَا جُبْنُ.

انظر: باب ذكر علل العربية، أكلامية هى أم فقهية؟ الخصائص، جـ١: ٦٤ وما بعدها.

الإعرابى الموضوعِ فى نهاية كل وحدة تركيبية، كونه مورفيمَ الإعرابِ. يؤيِّد هذا الرأىَ استئناسُ الحِسِّ العربى، وطلبُ المؤلفِ للاستخفاف، والفرار من التثقيل والجفاء، وتجنبًا للمشقَّة، ويكون هذا الإسكانُ ضربًا من **إسكانِ الاستثقالِ**، فعلى الرغم من زوال الحزن والألم " فطريق الحس موضع تتلاقى عليه طباعُ البشر، ويُتحاكم إليه الأسود والأحمر، فى كراهة اجتماع السواكن".(١) بما يُفهم من كلام ابن جنى أنه إذا كانت عين الثلاثى متحركة؛ وتوالت الحركات فى اللام وما بعدها، أصاب الحسَّ ضربٌ من المَلالِ لهذا الأمر، فالحركة تسلب هذا التركيب قوتَه؛ فيلزم المؤلف الاستراحَ إلى السكون، والوقف على الباءِ بها قد جاء لعلةِ أن بعضَ الحروفِ– إذا وقفت عليها–لحقها صويتٌ وقوةٌ، فإذا تغير سكونُها؛ تضاءل الحسُّ بها.

وهناك رأى قد يكون وجيهًا، هو أن يكون امرؤ القيس مريدًا تحميلَ السكون إحاطة دلالية لجميع ما تنفعل به نفسه؛ انفعالًا بما يتضمنه فعل الشرب، إذ هو أقرب الأمور إلى نفسه، إذ حُرم منه، فهو إليه توَّاق متوقِّبٌ، لذا سكَّن الباء؛ لإبراز انفعال التوكيد لفعل الشرب، مستغلًّا القيمةَ الدلاليةَ للسكون فى تقويةِ الكلامِ، أو يكون دعوةً منه لمتلقِّيه لأن يستغلَ دلالةَ السكونِ فى التوقف الذهنى والنفسى(٢) وقطع الحركة أو سلبها، حول مضمون الفعل (أشرب) والتمحور فى دلالته، والتمهُّل حولها، ليتشاركا انفعالَ الشراب، كذلك أراد أن يكثِّف انفعالَه بالمطابقة بين **شدة صامت الباء**، وقوتها، وانغلاقها، وقرة السكون على إحداث تدفُّقٍ تداولى لعامل الانفعال.

يُضاف إلى ذلك أنه" إذا كان الفعلُ المضارعُ يدلُّ – فى حالِ الضمةِ– على الإخبارِ، وفى حالِ الفتحةِ على الإنشاءِ؛ أما السكون– فى هذا الموضع– فقد دلَّ على دمج الوظيفتين، فهو فى صورةِ قطعِ الإعرابِ؛ احتاط امرؤ القيسِ بهذا الانفعالِ، بأن استبدل ضمةَ الباءِ، الدالةَ على الإخبارِ، بفتحةِ الغينِ، الدالةِ على الإنشاءِ، بسكون الباء الدال على الإخبارِ والإنشاءِ، على سبيل الدوام والاستمرار".(٣)

لقد وقعَ امرؤ القيسِ تحتَ تأثيرِ عاملِ انفعالِ التعبير عن القوة، والنشوة، والفرح، والرغبة فى انطلاق نفسه بعد انحباسها؛ لإدراكه ثأر أبيه، وهربًا من الاستثقال؛ بالإضافة إلى نشوته، وانفعاله بعودته إلى شُرْبِ الْخمرِ؛" حيثُ نذر أن لا يشربَ حتى يظفرَ بما يهوى ، فلما ظفر به، وشرب، قال البيت".(٤) **فأراد بإسكان الباء من الفعل (أشربْ) أن تتمركز تتمركز الدلالة النفعالية عند مورفيم الباء**، فمن جهة تتوقف نفسُه هو، انفعالًا، وفرحًا بعودته إلى الشراب، الذى حرَّمه على نفسه، ومن جهة أخرى ليُشير إلى المتلقى أن تتوقف ذهنيته عند الباء الساكنة، وأن لا يُجاوزها، بوصفِ العودةِ إلى الشرابِ الفعلَ الكلاميَّ والعنصرَ الأهمَّ فى عناصرِ الدلالةِ الكليةِ لبيته الشعريِّ.

المطلب الثالث: التحول إلى السكون فى المبنى من الأفعال:

قد يُبالغُ مؤلفُ الكلامِ– لمقصودٍ لديه– فى إهمالِ أثرِ المعياريةِ النحويةِ، فيسكِّن مورفيم الإعراب، أو البناء، **نحو قول العجَّاج:**

- **دَانِى جَنَاحَيْه مِنَ الطَّوِ فَمَرْ**
- **تَقَضِّىَ الْبَازِى(٥) إِذَا الْبَازِى كَسَرْ(٦)**
- **أَبْصَرَ خَرْبَانَ(٧) فَضَاءٍ فَتْكَرْ.(٨)**

---

(١) الخصائص، جـ١: ٩٢

(٢) انظر: دراسات فى علم اللغة : ١٧٣

(٣) انظر: سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إياذة عُمان : ٣٩٥٢

(٤) انظر: خزانة الأدب، جـ٨: ٣٥٧

(٥) ذكر ابن منظور فى هذا الصدد: كسر الطائر جناحيه كسْرًا: وهو إذا ضم منها شيئًا، وهو يُريد الوقوع أو الانقضاض. انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٨٧٢ – ٣٨٧٣، مادة: (ك، س،ر).

(٦) ومثل ذلك : تسكين المتحرك، ما أورده ابن منظور من قول الراجز، من الرجز :

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بِئْسَ الْخَلَفْ
عَبْدًا إِذَا مَا نَاءَ بِالْحِمْلِ خَضَفْ.
أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ حَلَفْ
لَا يُدْخِلُ الْبَوَّابُ إِلَّا مَنْ عَرَفْ

والخَلَف: النسل، والخضف: الضراط، والخَيْضَفُ: الضروط من الرجال والنساء، والبيت لأعرابى، يذمُّ رجلًا اتَّخذ وليمة. انظر: لسان العرب، مادة(خ، ل، ف)، جـ٢: ١٢٣٨، ومادة: (خ، ض، ف)، جـ٢: ١١٨٨–١١٨٩

(٧) والخربان: جمع خَرَب، وهو: ذكر الحُبارى، وقيل: هى الحُبارى كلها، والجمع: خِرابٌ، وأَخْرابٌ، وخربان. انظر: لسان العرب، جـ٢: ١١٢٢، مادة: (خ، ر، ب) .

(٨) انكر يعدو: أسرع بعض الإسراع، أسرع، وانقضَّ. انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٨٣٥، مادة: (ك، د، ر).

- **شَاكُ(١) الْكَلَالِيبِ، إِذَا أَهْوَى، اظْفُرْ.(٢)**

فقد جاء الأفعال الماضية: (مرَّ) و(كَسَرَ)، و(ثَكَرَ)، و(اظْفُرَ) بسكونِ الراءِ فى كليْهما، رغم ما تُوجِبُه القواعدُ النَّحْوِيَّةُ مِنَ ضبْطِهِمَا بالبناء على الفتحةِ المطابقة للمثالية النحوية، وقد نلب السكون عن الحركة المحذوفة، بوصف الفتحةِ دليلَ بِنَاءٍ، فمنح المؤلف تركيبه – بالتحوُّل عن الحركة– إلى السكونِ مزيدًا من البلاغةِ والقوةِ، حيث يُشيرُ السكونُ إلى ضدِّ الحركةِ، ويحملُ دلالةً على سكونِ حركةِ الأشياءِ، وقد يأتى للتخفيفِ، أو الاستراحةِ الصوتيةِ، أو هروبًا من توالى الحركاتِ القصيرةِ؛ فإن العربَ تكرهُ توالىَ أربعِ حركاتٍ قصيرةٍ، لذا سكَّنَتْ الضميرَ المسندَ إلى الفعلِ الماضى الصحيحِ الآخرِ.(٣) ولعل مقصودَ المؤلفِ– منَ التسكينِ– المطابقةَ بين صورةِ السكونِ(o) ودلالتها التعبيرية، التى قد تدل– فى أحد معانيها– على لاشىء(٤) ويجوز – نظرًا لقيمة الصوتية والدلالية للسكون – أن ينوبَ عن سائرِ الحركاتِ(٥)إلَّا أنه مُخْتَصٌّ– بعيدًا عن قوالبِ البناءِ– بالتعبيرعن بالتعبيرعن حالةٍ إعرابيةٍ، هى: الجزمُ، بمعنى: القطعِ، والبتِّ فى الأمورِ.(٦)

ويرى الباحثُ أن العجَّاج قد أسكن الراء من الفعلين: (كَسَرَ)، و(ثَكَرَ) ليس من بابِ إسكانِ القاعدةِ، بل هو إسكانُ الانفعالِ، الذى يتجسد فى رغبةِ المؤلفِ التأثيرَ السمعىَّ، والفكرىَّ، والنفسىَّ فى المتلقى، من خلال نغمةِ القرعِ الواضحةِ الصوتِ، ومن خلالِ صدمةِ الذهنِ، فقد ميَّز السكونُ نهايةَ التركيبِ المقطعىِّ بمورفيمٍ قويٍّ، بل مقطعٌ صوتىٌّ قويٌّ، من جنس(ص، ح، ص، ص) وهذا المقطع تحققه الكتلة الصرفية (سَرْ)، و(ثَرْ)، بالإضافة إلى رغبته فى التأثير النفسى بإيقاظ ذهن متلقيه، وإلهاب نفسه، خاصة و" أن الفتحةَ أقربُ الحركاتِ إلى السكونِ"(٧) وبدا العجَّاجُ راغبًا فى استثمارِ شدةِ الوقبِ، والوضوحِ، والقرعِ، الذى يحققها توالى السكون– **(قَمَرْ، كَسَرْ، فَثَكَرَ، اظْفُرْ)– (كتلة دلالة تتابع تتابع السكون)** فى إظهارِ قوةِ بصرِ البازى، وحدته، وثباتِ أمرِه، وكونه غيرَ مترددٍ فى أمرِ الافتراس والانقضاض على فريسته، والتشدد فى طلبها؛ وأخذه فريستَه بظفره، فى قوةٍ وسرعةٍ، وليجعلَ متلقيه أكثرَ استيعابًا للفكرة وتفاعلًا مع وتيرة الانفعال، وإبرازًا لتفقهما فى نفسه، ونفس متلقيه؛ فجاء الإسكان نتيجة انفعال التعجب الشديد، من مشاهدة هذا الطائرِ القوى، وقد ارتفع ارتفاعًا شديدًا، ثم هوى إلى الأرض، بسرعة لافتة، وبدا منقضًا؛ لما رأى شيئًا، وحمله فريسته بمخالبه التى تشابه الكلاليب؛ ليجسد –بسكون الراء– انفعالًا بما يصنع الطائرُ؛ من إسكان جناحيْه حال السقوط من الأماكن المرتفعة، فانقضاضه، وحمله؛ ويكون من الجيد الإشارة إلى أن حركة الفتحة لا تناسب انفعال المؤلف بما يرى، إذ إن اللسان إذا كثُر تحريكُه رقَّ، ولان؛ وإذا قلت تقليبه، وأطلت إسكانَه جسا وغلظ، فجاء هذا السكونُ متناسبًا مع قوةِ المشهدِ، وقوةِ انفعالِ المؤلفِ به.(٨)

وقد صاغ العجَّاجُ مشهده بعناصر لغوية، وفق ما يدل به على انفعالِ التَّعَجُّبِ، تماشيًا مع سنن العربية؛ أنهم يقدمون ما يدلُّ على انفعالاتِهم، إذ بينون عليه بلاغهم، وهو قوله: تقضى، وهو تفعُّلٌ من الانقضاض، وأصله: تقضض، وبازٍ من حديث العجاج انفعالِه من صنيعِ ممدوحِه، فهو دانى جناحيه من الجبل، وقد أشار إلى ذلك بقوله: الطور، وصور انقضاضةَ عمر بن معمر من الشام، وسرعته فى منازلة فى ميدان التقاتُل بانقضاضة البازى على فريسته، وسرعته؛ يقول: " انقضَّ انقضاضَ البازى، أى: ضمَّ جناحيه، فكأنَّ مجيئَه – سرعته– انقضاضُ بازٍ ؛ إذا البازى كسَرَ ، وإذا كسَرَ البازى، ضمَّ جناحيه".(٩) وتنبغى الإشارة إلى أن سكون الراء من الفعل (كسرْ– فانكسرْ– فاظَّفرْ) جاء معبرًا عن انفعال التعجب، إذ الإنسان حال شدة التعجب، يعمد إلى حبس كلامه، وضم فيه، بإسكان جميع مُسببات الحركة، لتعبر حركات الفم والوجه على انفعال التعجب، وهذا ما لا تناسبه الفتحة المعيارية.

ولعلَّ ذلك راجع إلى رغبة الشاعرِ فى أن تتمركزَ قوةِ التَّلَقِّى الدلالى فى ذهْنِ المتلقى، بتوقفه المتكرر عند السكون فى نهاية القالب النحوى، بل يهدف إلى زيادة الشحنة التداولية التى يحملها الفعل الكلامى:(كسرْ)؛ حين يقرع نفسُه وأذنه صوت السكون، هذا السكون الدال على القوة الناجمة عن المقطع الصوتى:(ص، ح، ص) والتى تحمل

---

(١) هكذا كُتبت فى الديوان؛ بضم الكاف ضمة واحدة، مع جر الكلاليب، وهو من : رجل شاكى السلاح: وشاكُ السلاح، يقول: سلاحه ذو شوكة، يقل: شديد، ويُقال للرجل إذا كان شجاعًا: إنه لذو شوكةٍ، كأن مخالبه كلاليب، أو فيها شوك، والأصل فى اظَّفر : اظتفر ، أى: أخذه بظفره. انظر : ديوان العجاج: ٨٣

(٢) وهو منسوب للعجَّاج، وفى ديوانه، **ومن الرجز**، يمدح به عمر بن عبيد الله بن معمر التيمىَّ، واصفًا إيَّاه – فى عودته من الشام– بالبازى فى سرعة الانقضاض، وفى شدة افتراسه، وحدَّةِ بصره؛ حيث كان مرسلًا إلى أبى فديك الخارجى، فقتله، وقتل أصحابه. انظر : ديوان العجَّاج: ٨٣، وانظر : الكشاف، لجار الله الزمخشرى، ضبط وشرح ومراجعة: يوسف الحمادى، ط١، مكتبة مصر، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٤: ٦٠٤

(٣) انظر : الدلالة المعنوية للحركات العربية : ٢٥٢

(٤) انظر : دراسات فى علم اللغة : ١٤١– ١٤٢

(٥) انظر : سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إياذة عُمان : ٣٩٥١

(٦) انظر : دراسات فى علم اللغة :١٤٣

(٧) انظر : دراسات فى علم اللغة : ١٤٧

(٨) انظر : تاريخ آداب العرب، جـ٣: ٢٠

(٩) ديوان العجَّاج: ٨٣

دلالته السكوت، والتعجب، والقوة، والتدفُّق؛ فتتوقف ذهنية المتلقى عند توقف الحركة، إذ يعنى عدم وجود حركة، صوتية، وكذلك نفسية، بذلك صار السكون جزءًا من البناء المقطعى للفعلين:(كسر)، و(انكسر)؛ وصار له وظيفة تعبيرية، ذات أبعاد لغوية ونفسية، يتأتَّى ذلك فى قوة الكل الصوتية، وتحقق الأثَر لنفس المتلقى، وقد جسَّد هذا السكون حالة الشاعر النفسية، وتقيُّده بالمنظر، فقد أسكت منظرُ الانقضاضِ وسرعته كلَّ شىءٍ؛ فسكنت قوالبُه التركيبيةُ، بعد أن كانت الفتحةُ تغمر المشهدَ بالحركةِ، والحياةِ؛ لكنها حركة ضعيفة، هشة، لا تناسب قوة المشهد؛ ولو أتى هذا الشاهدُ الشِّعْرِىُّ بالأثر الإعرابى المعيارى، وهو: (كَسَرَ) بثلاث فتحات، آخرها فتحة بناء، مُشَكِّلًا متتابعًا من المقطع القصير المفتوح(ص،ح) لَمَا وصلَنا إحساسٌ بقوةِ دلالتِه، ولما حملت الوحدات الصرفية ما أراده من التكثيف والمبالغة، والتسارع والتتابع، لذا فإن التحول إلى السكون سقوط لفتحة البناء من باب الحذف الانفعالى للحركة، ويكون من المحتمل أن يوازن المؤلف بين خفة البازى وسرعته فى الانقضاض، وخفة السكون، إذ إن" السكون أخفُّ من الحركة".([1])

بشكّل تحولُ الشاعر فى ضبْط (راء الفعل) (كسر) من الفتحة إلى السكون حالة انفعالية، ربط فيها العجَّاج بين الوحدات التفعيلية لبحر الرجز (مستفعلن، تتكرر ثلاث مرات)، وما تُحدثُه من تناغمٍ، ومن إيقاعٍ موسيقىٍّ؛ اعتمد على قرْع الأصوات المتوالية، والحالة الانفعالية الذات الداخلية للشاعر، فمعلوم أن الرجز" مما يوطئ للشعر، ويأخذُ النفسَ، وهو أخصُّ فى التعبيرِ عن حركاتِ البدنِ، وحركاتِ النفسِ"([2]) وكأن السكونَ صار مركزَ الدلالةِ، ليصل بالمتلقى إلى عمق المعنى وإدراك لُنته. فربط سقوط فتحة البناء وإسكان الراء الراء بين المؤلف ومتلقيه برباط نفسى، نلسب فيه بين سقوط البازى منقضًّا على ذكر الحبارى بسقوط فتحة البناء وإبدالها سكونًا؛ وقوى هذا الأمر من انفعاله، وتعجبه، وسكوته، واستمتاعه بذلك المنظرِ المُشَاهَدِ، ونجح فى أن يجعل الإيقاع الموسيقى للوحداتِ العروضيةِ صدًى لانفعالِ لنفسِه، وردةً صوتيةً لها، وإيقاعًا لنبضاتِها، لاسيما فى تفعيلةِ العروض من هذا البيت الشعرى، لتتناسبَ مع تفعيلةِ الضربِ منه، والتى سكنت راؤُها– على غيرِ توقعٍ من ذهنيةِ المتلقى ولا وجدانِه– فسقطت الفتحةُ، التى شكلت– بسقوطِها– نمطًا للانزياحِ بالحذفِ؛ لتصدِمَ نفسَه، فتتمركز ذهنيتُه حولَ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ، وترتفعَ درجةُ الإعلاميةِ النصيةِ التصاعديةِ، حيث توافرت فى البيت الشعرى عناصرالقوة من قوة الألفاظ وقوة المعنى، واستثمار الكوْلف لطاقات المجاز، مع البديع من المحسنات الكلامية، وتكثيف التشبيهات، بالإضافة إلى ما أداه توالى السكون؛ تناسبًا مع حركة الإيقاع الكلى للقصيدة، والذى يُدرك بحاسة الأذن، وتوحدها مع رغبةِ النفس، تكثيفًا للإيقاع الموسيقى، ولتتعاضدَ مع العروض فى إضفاء جَوٍّ من الإيقاعِ والتَّاغُمِ، التى تريدهما نفسُ الشَّاعِرِ، للتعبير عن انفعالٍ نفسيّ، وهو عرضُ حالةِ التَّصَدُّعِ، والانفسام، ويُمكن توضيح هذا الأمر خلال الكتابة العروضية، على النحو الآتى:

(نَقَضْ ضِيَلْ) // (بازِيئِنْ لْ) // (بَزِيكَسَرْ) (//*//* ..../*/*//* ..../*/*//*).

مُتَفْعِلُنْ..... مُسْتَفْعِلُنْ..... مُسْتَفْعِلُنْ .

ولِيس بخافٍ أن هذا الإيقاعَ الموسيقىَّ– الذى نتج عن تحول العجاج من فتح الراء إلى سكونها؛ من دون مبالاةٍ للنسق الشكلى المعيارى– كان وَمْضَةً انفعاليةً، عبَّرت عن شعورٍ نفسيّ، واعتمدت–فى تسليط الضوء عليه– على المفارقةِ وانتهاكِ التوقعِ الذهنى، فأيقظت– فى نفسِ المتلقى– مشاعرَ الاندهاش، وجسَّدت – بإيقاعها– صورة لتدخُّلِ النفسِ وعاملِ الانفعالِ فى تكوينِ النسقِ الكلاميّ والعروضيّ، فقد أجادَ العجاجُ– باستثمارِ طاقاتِ بحرِ الرجزِ، وقدرتِه على التَّغنّى، وإطرابِ النفسِ– فى أن يجعلَ المتلقىَ حريصًا على المشاركةِ الانفعاليةِ معه، بل يكون جزءًا فى تشكيلها، وهذا الأمرُ غيرُ متحقّقٍ– بصورةٍ ولو جزئيةٍ– فى التزامِ الشاعرِ بالنسقِ النحويّ المعياريّ، فوضع فتحة على الراء من الفعل: (كسر)، والفعل: (انكسر)، يؤدى إلى انكسار الوزن العروضى، وملال الأذن والنفس، وانصرافها عن التفاعل، والمتابعة، ويمكن توضيح هذا الأمر من خلال الكتابة العروضية الآتية:

(نَقَضْ ضِيَلْ)// (بازِيئِنْ لْ)//(بَزِيكَسَرَ) (//*//* ..../*/*//* ..../*/*///).

مُتَفْعِلُنْ..... مُسْتَفْعِلُنْ..... مُسْتَفْعِلُنْ.

يُلاحَظُ انكسارُ الوزنِ العروضى، وإبدالُ السكونِ الأخيرِ من مستفعلن حركةً، وتحوُّلَ الوتدِ المجموعِ فيها إلى هيكلٍ من حركاتٍ ثلاث، مما يؤدى إلى اختلال الوزن العروضى، وهنا يقال: إن المؤلفَ أراد– بإسقاطِ الفتحةِ، وإبدالِها سكونًا– قوةَ التعبيرِ عن انفعالِه.

([1]) الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٢: ٣٢

([2]) تاريخ آداب العرب، جـ٣: ٢٠

المطلب الرابع: التحوُّل إلى إبطال عمل الجازم:

- **ومنه قوله:**

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي	بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ(١) بَنِي زِيَادِ؟(٢)

يُلاحَظُ أن الشاعرَ يستدعى جولاتِه مع بنى زياد، وما وقع عليه من غبنٍ، ومن بنى بدر؛ بين تحسُّرٍ وتأمُّل؛ ومحل الاستشهاد فى قوله: (ألم يأتيك)؛ ويُقال: إنه أراد: ألم يأتِك، بكسر التاء، من غير إشباع؛ فأشبع الكسرة، فنشأت الياء (الكسرة الطويلة)، ومحلُ الانتهاكِ للقاعدةِ النحويَّةِ فى رفع الفعل المضارع: (يأتيك)، رغم كونه مسبوقًا بجازمٍ قويٍّ، أصيلٌ فى الجزم، وكان حقُّه– من غرض نكتة– أن يحذفَ الياءَ، وأن تُختصر الكمية الصوتية والصرفية المشكلة للفعل المضارع: (ألم يأتيك)، وتأتى على (يأْتِكَ)؛ إلَّا أن الشاعر قد انزاح إلى ما يُوهِمُ وقوعَه فى المخالفةِ النحويةِ.

فأثبت حرفَ العلةِ، الياء فى (يأتيك)، ويمكن أن يُقال: إنه قد مطَّ الكسرةَ القصيرة، وهى فى موضع جزم(٣) وحقها حذف الحرف المعلل(الياء)، إعمالًا لسطوة عامل الجزم(لم).(٤) فأبطل الشاعر عمل الجازم ، وأثبت حرفَ اللِّينِ؛ لأن حركة حرف اللين (الياء الطويلة)– بما فيها من شدة انفراج الشفتين، التى تبرز السعة الشديدة وشيوع الأمل(٥)– تُعين النَّفْسَ والنَّفَسَ على التخلص من الثقل، إذ يصيب الوحدة النحوية العروضية الصرفية (لَمْ يَأْتِكَ) ثقل من ثلاثة أنواع، على النحو الآتى:

الأول: عروضى، يتمثل فى كسر الوزن العروضى:

فتتحول(لَمْيَأْتِكَ) . (//*/*/*) مفاعيلن إلى (لَمْيَأْتِكَ) . (//*/*//) إلى مَفَاعِيلُ+ حركة.

ممَّا يتسببُ فى اضطرابِ التفعيلةِ الثانيةِ، وكسرِ الوزنِ فى التفعيلة الأولى من الوافر، إذ تحول السبب الخفيف(/o) فى التفعيلة الأولى إلى سبب ثقيل(//)، فصارت الياءُ الطويلةُ البيتَ من الكسرِ فى التفعيلةِ الثانيةِ.

والثانى: نحوى، فى تحول: (أَلَمْ يَأْتِكَ) إلى (أَلَمْ يَأْتِيـكَ)، فتتج ثقل فى البناء المقطعى(٦) وهذا مخالف للرواية اللغوية.

أما الثالثُ: فيتمثلُ فى العامل الدلالى المرتبط بالفعل النفس، ورغبة المؤلفِ فى التأثير فى متلقيه:

ويتحققُ هذا البعد بالموازنةِ الدلاليةِ والتداوليةِ بين طولِ الياءِ، وطولِ زمنِ النطقِ بها وامتدادِه من جهةٍ، ودلالتِها على سَعَةِ الزمانِ، وتكريرِ حدوثِ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ المشتملِ على الياءِ الطويلةِ، فى ضوء العلاقة بين الحياة الذهنية لأطراف الخطاب، ومحتوى الدلالات الاجتماعات، وإطار الافتراضات المسبقة، بوصفها من ضروبِ حوكمةِ الخطابِ التداوليّ.(٧) وتنطقُ الياء الطويلة بأن " ترتفع مقدمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى، بحيث يكون الفراغُ بينهما كافيًا لمرورِ الهواءِ، دون أن يحدثَ– فى مرورِه بهذا الموضعِ– أىُّ نوعٍ من الاحتكاكِ، مع اهتزازِ الأوتارِ الصوتيةِ، أثناءَ مرورِ الهواءِ بها".(٨)

---

(١) اللَّبُون، هى: الإبل من ذوات اللبن. أو التى نزل اللبنُ فى ضرعها، أو صارت ذاتَ لبنٍ فى كلِّ أحايينِها، وبنو زياد، هم : الربيعُ، وقيسُ، وعمارةُ، وأنسُ، وبنو زياد بن سفيان بن عبد الله العبسى. لسان العرب، جـ٥: ٣٩٩٣، مادة: (ل، ب، ن)، وانظر: المفصَّل فى علم العربية: ٤١٠

(٢) البيت لقيس بن زهير بن جذيمة لن رواحة العبسى، ومنسوبٌ له فى المفصَّل، وفى الصاحبى، وفى اللسان، وهو شاعر جاهلى فارسى، ضُربت له السيادةُ فى قومه؛ وكان له رأى، ومشورة فى حروب العرب، وأيامها، ومنها: **حرب داحس والغبراء**، والبيت من الوافر، وهو بلا نسبة فى رواية السيوطى، قاله يذكر حادثة الدروع مع بنى زياد، ويتطرق إلى مقدمات حربه مع بنى ذبيان، وفى رواية: ألم يبْلُغك؟. وهو الشاهد رقم: ٦٣٦من شواهد الخزانة، وقد نسبه البغدادى إلى عُفيف بن المنذر فى رواية، وفى الأخرى لقيس بن زهير بن جذيمة العبسى، وهو برواية: بما لاقت سُراة بنى تميم انظر: الأغانى، للأصفهانى، تحقيق: إحسان عباس، وآخرين، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، جـ١٧– ١٤٣، وانظر: المفصل فى علم العربية: ٤١٠، وانظر: الصاحبى: ٤٦٨، والأشباه والنظائر فى النحو، جـ٣: ١٩٩، وانظر: لسان العرب، جـ١: ٢٢، مادة: (أ، ت،ى) وانظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القاهر بن عمر البغدادى، ١٠٣٠–١٠٩٣، تحقيق: وشرح: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، جـ٨: ٣٦١، وانظر: شعر قيس بن زهير: ٣٠

(٣) انظر: دراسات فى معانى القرآن للفراء: ٤٦

(٤) انظر: معانى القرآن، للفراء، جـ٢: ١٨٨، جـ١: ١٦١

(٥) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا : ١٩٤

(٦) ومن سنن العربية أنها قد تستغنى عن الضبط النحوى؛ تخلُّصًا من الثقل، على نحو ما نرى من حذف نون التوكيد الخفيفة فى قوله: تُهِين، لأنه قد لقيها ساكن، والأصل: لا تُهِينَنْ ، وذلك من قول الأضبط بن قُرَيع، من المنسرح:

لَا تُهِينَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ	تَرْكَعَ وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ.

انظر: المفصل فى علم العربية : ٣٣٩

(٧) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا : ١٩٤–١٩٥

(٨) الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية: ١٨

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِى ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِىِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

ليس من الصحة فى شىء أن يُعزا الأمرُ إلى حرية الشعراءِ المطلقة فى أن يأتوا بهيئةٍ كلاميَّةٍ خاصة، من باب التعليلِ بالاضطرار، حيث إن السليقةَ العربيةَ لم تَقُمْ على أن يلحَنَ أصحابُها فى إعرابٍ، أو يزيلوا كلمةً عن صوابٍ، فليس لهم ذلك، وابنى – فى ضوءِ ذلك– الحكمُ بقبولِ الرواية اللغوية؛ التى استخلص منها اللغويون والنحاة أمثلتَهم وشواهدَهم؛ التى احتجوا بها فى الاستعمال أو ردّها؛ وصار مدارُ الأمرِ أن يُقبَلَ ما صحَّ من شعرهم، ويُرَدَّ ما أبته العربيةُ وأصولُها، ولا معنى لقولِ القائلِ: إن للشاعر – عند الضرورة– أن يأتىَ– فى شعرِهِ– بما لا يجوز([1]) إذ إن أولَ ما يلفتُ النظرَ أن الشاعرَ قد دار ضمنَ دائرةِ ضروراتِ التخلُّصِ من كسرِ الوزنِ، أو كان الاضطرارُ حرصًا منه على استقامةِ وزنِ البيتِ الشعرىِّ.

وهنا تنبغى الإشارة إلى أن البيت محل الاستشهاد، من بحر الوافر، وتفعيلته:(//*///*) (مفاعلتن) ثلاث مرات فى كل شطر، وهذا لن يتحقق إذا ما قطع الشاعر الياء، إذ ستتحول:

- **أَلَمْيَأْتِىْ: //*/*/* (مُفَاعَلَتُنْ) ــ كَوَلْأَنَّنَا: //*/*/*(مُفَاعَلَتُنْ)(مَفَاعِيلُنْ) ــ عُتَمِى: //*/* (مَفَاعِى)(فَعُولُنْ).**
- إلى:
- **أَلَمْيَأْتِ: //*/*/ (مُفَاعَلَتِ) ــ كَوَلْأَنَّنَا: //*/*/*(مُفَاعَلَتُنْ)(مَفَاعِيلُنْ) ــ عُتَمِى: //*/* (مَفَاعِى)(فَعُولُنْ).**

فتحولت: مُفَاعَلَتُنْ إلى **مُفَاعَلَتِ**، واجْتُزِأَ **لسببٍ الخفيفُ** من التفعيلة الأولى إلى **حركة واحدة**، وهذا فيه انكسارٌ لاستقامة الوزن الشعرى، وقد صانه مطلُ الحركة من هذا الانكسارِ؛ من جهة. **ومن جهة أخرى** أراد الشاعر – بوازعٍ من داخل نفسِه– أن يحقق نَوعًا من الإيقاع المقطعى، رغبة منه فى إحداثِ مناسبةٍ بين الصورتي الموسيقيةِ والنفسيةِ، فزاوج بين البناء المقطعى، فصار المقطع الرابع من التفعيلة الأولى من نوع المقطع القصير المفتوح، ص، ح، والذى يدلّ على الضعف والتقطع، فى حين أنه مع مطل الكسرة قد تحول المقطع القصير المفتوح إلى مقطع متوسطٍ مفتوح، يجدُ فيه المتكلم امتدادًا وانطلاقًا، ولن يتأتى له ذلك مع إعمال الجازم، ويُمكنُ توضيحُ هذا الأمرِ على النحو الآتى:

	المقطع الأول	المقطع الثانى	المقطع الثالث	المقطع الرابع	عدد المقاطع	ملاحظات
الصورة المعيارية	أَ	لَمْ	يَأْ	تِ	٤	فى حالة الوقف
البناء المقطعى	ص،ح	ص،ح،ص	ص،ح،ص	ص،ح		
الصورة النغمية	أَ	لَمْ	يَأْ	تِى	٤	فى حالة الوقف
البناء المقطعى	ص،ح	ص،ح،ص	ص،ح،ص	ص،ح،ح		

يلفت الجدولُ السابقُ النظرَ إلى أن الشاعر راغ إلى هذه الهيئة التركيبية، وأحدث عدولًا بإثبات الياء الطويلة، التى تدل على جزم الحدث وقطعه، مما يُعَدُّ انزياحًا بالحضور، للتعبير عن انفعالِ نفسِه ونشاطِها، من طولِ مُدةِ الفعلِ الكلامىّ، وامتدادِ أثرِه التداوليّ، إذ إن وجود الياء الطويلة وطول مساحتها الصوتية يدل على الأملِ، واتساعِ الأفقِ، والسَعة النفسية، وتلك من خصائص الياء الطويلة، إذ لا يوجد ما يعوق امتدادها الصوتى أثناء النطق بها، بالإضافة إلى دلالتِها على طولِ انفعالِ التحسُّرِ والتذكرِ، فاستثمر الشاعرُ طاقةَ المقطعِ الصوتيّ المتوسطِ المفتوحِ: (ص،ح،ح) الحامل لدلالات الانطلاق، ورغبة النفس فى مدِّ الصوتِ؛ إخراجًا لانفعالاتها، والتخلُّص من انفعال الألم، وقد أجاد– باستخدام المقطع المتوسط المفتوح– فى إقناعِ المتلقى بأن هذا الانفعالَ هو ما يعتملُ داخلَ نفسِه، ولم يَعْبَأْ بكسر القاعدة، التى يحققها المقطع المتوسط المغلق:(ص، ح، ص) الدال على الكبْت، وانحباس الذات الانفعالية وانغلاقها.

حيث إن الشاعر واقع ضمن سياق الافتخار والسعادة، وقد شكَّلت مقاطعُه المفتوحةُ – وفقًا لقصدية التقطيع الكلامى– أداءً غنائيًّا، عكس تغنىَ النفسِ بسياقِ الحدثِ؛ لأن الشاعرَ – فى رغبته إطالةَ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ، وتركيزه على إبراز انفعال ذاته، انفعالًا إيجابيًّا أو سلبيًّا– راغ إلى العناصر الصوتية من أحرف اللين أو المد، وأنهى تفعيلته العروضية بحرف من أحرفها، وهو: الياء الطويلة، ليدلَّ بطولِها على التوترِ، هذا التوتر جراءَ توارد المتناقضاتِ الانفعاليةِ بين الأملِ والتحسرِ، أو النسيانِ، والتذكرِ؛ أو الحدَّةِ والمرونةِ، أو بين الانطلاقِ وسيطرةِ انفعالِ بالظلمِ.([2])

([1]) انظر: الصاحبى فى فقه اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، (د.ط)، طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، (د.ت)، القاهرة:٤٦٨، وانظر: الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه :١٠٢– ١٠٣

([2]) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا : ١٩٥

ولعل المؤلفَ– بإنشاء حركة الياء المكسورة، وما صحبه من مطل الحركة، وما يتبعها من امتداد الصوت– قد أدّى إلى امتداد النَّفَس عند النطق بصوت اللين، وهذا يتناسب مع انفعاله، ورغبتِه فى الفرار من الاستقالِ، أو يكون هذا التصرف رغبةً منه فى إبراز طولِ نَفَسِه أمامَ صروفِ الحياةِ، وتصبُّرِه، وجَلَدِه مع امتداد الحدث، ويكون هذا الامتداد الصوتى فى الفعل(يأتيك) نتيجة لانفعال النفْس، ورغبة منه فى التخفيف عنها، مما يلحقها من أحداثٍ، وشدائد، وهذا المدُّ مما يُعطى المتلقى شعورًا بعظم الأمر، ويجعله منفعلًا مع المؤلف أقصى حدود الانفعال.(١) فهو راغب فى إبراز انفعاله بكثرة ما أصابه من بنى زياد؛ وأن ما أصابه من ظلم بنى زياد؛ قد أصابه مثلُه من قبل بنى بدر، فقد أنكروا سبقَ جوادِه.(٢)

ويتضمن كلامُ سيبويه إقرارَه بمعيارية إشباع الحركات فى مثل هذا الموضع، قال:" وربما مدُّوا مثل: مساجد، ومنابر؛ فيقولون: مساجيد، ومنابير، شبَّهوه بما جُمع على غير واحده فى الكلام".(٣) فيكون التحويلُ الصيَغى بقصديةِ إضفاءِ لمسةٍ جماليةٍ، أو التعبير عن بُعدٍ نفسيّ، أو لصيانة المعنى المُراد من التغيير، أو الاختلاط، أو الإشكال؛ أو لصيانةِ البيت من الانكسار العروضى.(٤)

ويبدو المؤلفُ مستثمرًا هذا الامتدادَ الصوتيَّ فى دعوةِ المتلقى إلى التَّشَارُكَ الوجدانيّ معه، والقربِّ منه؛ وجذْبِ ذهنيته، بما يسمى: **الإحساسَ المصاحبَ للحركة طولًا وقصرًا**، ليتفاعلَ معه، ويقنعَه بما يُوصف به من سماتٍ نفسيةٍ من طولِ التَّصَبُّرِ، وسَعْةِ الصدرِ، والقوةِ، والجَلَدِ، ومن السنن اللغوية أن امتدادَ الصوتِ يدفعُ ذهنيةَ المتلقى إلى التفكُّرِ والتأمُّلِ، ويحثُّ النفسَ على الاستحضارِ، والتشاركِ، والاستدعاءِ، وإلهابِ النفسِ، ومن ثَمَّ التفاعُلِ، إذ إن هذه المعانى الانفعاليةَ تستوجب رفعَ الصوتِ، واستمراريته، وهذا ما لا يتناسب معه حبْسُ الصوتِ، بإعمال الجازمِ.

فقد أسهم هذا الامتدادُ الصوتيُّ فى قوله: (يأتيك)(٥) فى عرضِ بُعْدٍ نفسيٍّ قد تملَّك نفسَ الشاعرِ، فأراد– من متلقيه– المشاركةَ، والمتابعةَ؛ بأن تتوحد ذاتُه مع استدعاء صورتين والموازنة بينهما:

إحداهما: استكار المؤلف على المتلقى عدم معرفته الأخبار المتوالية والمتزايدة.

والأخرى: تعجبه مما لاقته بنى زياد من أحداث.

فأراد لهاتين الصورتين أن تقرَّا فى ذهن المتلقى ونفسه، وقد أضافت هذه الزيادة الصرفية والصوتية قوةً لفظيةً ودلاليةً لقوله: يأتيك، فأتبع ذلك قوة فى الفعل الكلامى المُراد– من باب قوة اللفظ لقوة المعنى، والعكس– والذى حققه مطلُ الحركة، ولم تكنْ نفسُ المتلقى لتقتنع به، حال نقص البنية الصرفية واختزال هذا البعد التداولى الناتج عن الامتداد الصوتى.

وينبغى الإشارة– فى هذا الموضع– إلى أن لأصوات المد واللين جانبًا شعوريًّا مهمًّا، وشريكًا فى تكوين المعنى واستنباطه، لا نستطيع أن نُهمله؛ وإن كان غامضًا، أو خفيًّا، مع التسليم بما له من مزيدِ الأثرِ فى نفسِ المتلقى، وفى تحسين تَلَقِّيه للفعل الكلامى، وهذا الجانبُ يُعد جُزْءًا من حركةِ المعنى، **وهو أن المكونات الصوتية والتركيبية والسياقية لا يُمكن– بحالٍ– أن تنفصل عن المكونات الانفعالية، التى تضبط قوة المعنى، وثقافته، ووضوحه وتعقيده.(٦)** كما أنه قد يُقال: إن هذا الامتداد الصوتى فى قول الشاعر:(يأتيك) عبر عن انفعالاته وأحاسيسه بشكل واضح، فقد يستغرق النطق به وقتًا أطول، وجهدًا أكثر؛ حيثُ يُشيرُ إلى حالةٍ نفسيةٍ من الحيرة والأسى والاندهاش من كثرة ما لاقته بنو زياد؛ فهو آسٍ متأملٌ، فقد حمَّل هذا الامتداد الصوتى الثقيل التعبير عن انفعال الحزن والاضطراب الشديد، والغليان، والتأثُّر، مع تعلقه بانزياح هذه الانفعالات، باستحضار الأمل، والتفاؤل؛ دلَّ على ذلك: تمكُّن الشاعر– بإطالة الصوت– من الدلالة على انفعالاته هذه، ومن إيصال مكوناته الداخلية من مشاعر وأحاسيس إلى متلقيه، وكأنه يُعايشُ صراعًا نفسيًّا، وكأنه بهذا الامتداد يُبْرِزُ انفعالاتِه هذه، فيُستدْعَى المعنى– ويتكررُ تأكيدُ الانفعالِ– المرةَ بعدَ الأخرى، بصورة تتابعية، بامتدادِ الصوتِ، وتكثيفِ دلالتِه، فنشأ بينه وبين متلقيه نوعٌ من التوحد، والمشاركة الوجدانية.(٧)

---

(١) انظر: أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية: ١٤

(٢) انظر: شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البيَّاتى، (د.ط) مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د.ت) : ٣٢

(٣) الكتاب، جـ١: ٢٨

(٤) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة نحوية دلالية : ٢٤٠

(٥) ونحوه : ما قاله الفراء: وأنشدنى بعض بنى حنيفة، من الرجز :

قَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِهَا وَمَا اسْتَوَى	هُرِّى إليك الجذع يجنيك الجنى.

وكان ينبغى أن يُقال: يَجْنِكَ الجنى. بحذف حرف الياء المعتل، من الفعل : يجنيك. انظر: معانى القرآن، للفراء، جـ٢: ١٨٨، جـ١: ١٦٢

(٦) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية: ٢٤١

(٧) انظر: النظام الصوتى ودلالته فى سيفيات المتنبى وكافورياته، أروى خالد مصطفى عجولى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤م :٤٦–٤٧

المطلب الخامس: التَّحَوُّلُ إلى وجوبية مورفيمِ الجزمِ:

- **ومنه قوله:**

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِرًا	مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو ولَمْ تَدَعِ([1]).([2])

ذكر البغدادى هذا الشاهد فى: ما كان لامُه من الأفعال حرفَ علَّةٍ، وقد أثبت الشاعرُ لامَ الكلمة فيه، وهى: الواو والياء، فى :(تهجو)؛ بإثبات الواو، وإشباع الضمة، و(تدعى)؛ بإثبات الياء، وإشباع الكسرة.([3]) وهما يَسقطان بالاعتلال والجزم سقوط الحركة([4]) إلَّا أنه أُجرى الفعل المعتل مجرى الفعل الصحيح، فأبطل عمل الجازم، بترك حذف الواو، والياء، وكأنَّ الجازمَ لم يسقطْ حرفَ العلةِ، وهما ممَّا يجب حذفه، بعامل الجزم، لِمَا تدل عليه تلك الزيادة من التثقيل، والتفخيم، والتهويل، والتشنيعِ بارتكابِ مضمون الفعل الكلامى([5]) الكلامى([6]) هذه الزيادةُ هى من أبوابِ الانزياحِ؛ فقد زاد المؤلفُ كتلةَ الفعلِ المضارعِ بالضمةِ الطويلةِ؛ التى تُنطقُ" بارتفاع أقصى اللسان نحو سقفِ الحنكِ ارتفاعًا لا يؤدّى إلى احتكاكِ الهواءِ بهذا الموضعِ؛ مع اهتزازِ الأوتارِ الصوتيةِ أثناءَ مرورِ الهواءِ بها"([7]) إضافة إلى ما تُشيرُ إليه الحركات الرخوة من دلالةٍ على عدمِ الوضوحِ، مما يُرهِقُ ذهنَ المتلقى المتلقى فى التعرُّفِ على المَقاصدِ.

وقد تُرِكَتْ أحرُفُ العلَّةِ – لكونِها ساكنةً– على سكونِهَا([8]) من بابِ الإبقاءِ على التثقيلِ اللفظيّ، بإثباتِ حرفِ اللينِ، وهو: الواوُ من الفعلِ(يهجو)، وقد زادها المؤلف فى البِنيةِ النحويةِ؛ لتدلَ على انفعالاتِ اليأسِ، والانغلاقِ، والإفراطِ فى التثقيل، والشعور بالضيقِ، والانعزالِ؛ تلك الدلالاتُ مأخوذةٌ من صفةِ الانغلاقِ التى يتسم بها صامتُ الواو، والأصل فيه: (يَهْجُ)؛ بحذف الواو بإعمال العامل النحوى؛ حيث إن النقص فى المبنى يدل على نقص فى مقومات النفس التى أخرجه، فالاقتطاع يدل على ضيق النفس وامتعاضها، تأثرها بالفعال سلبى، يُقال– فى هذا الموضع– انفعال استكار لصنيع المخاطَب. **ويُقال الكلامُ نفسُه، فى ما يخصُّ حذف الياء**، من الفعل: (تدعى)، والأصل فيه: (تَدْعِ)، للجزم المعيارى فى كليهما، فقى الفعل: (يدْعى) قامت الياء بمساندة النظير القصير لها، وهو الكسرة، فى دلالته على الثقل والضيق.([9]) وقد أعان التغيُّرُ النحويَّ الإعرابيَّ– الإعرابيَّ– فى التعبير عن هذا الثقل– تغيُّرٌ صرفيٌّ فى بنية الفعلين: (تهجو)، و(تدعى).([10])هذه المعاونةُ الدلاليةُ تمثَّلتْ فى زيادةٍ صرفيةٍ غيرِ معياريةٍ، تشابهت فيها الأصولُ الصرفيةُ، وهى: صامت الواو فى الفعل(تهجو) مع حركة الضمة القصيرة، وصامت الياء القصيرة فى الفعل(يدعى) مع حركة الياء القصيرة، والتى يُمكن زيادة وظيفتهما التعبيرية، بالقول بالتشابه بينهما وبين حركة الضمة الطويلة وحركة الياء الطويلة، وأنهما اختلفتا فى زمن النطق والتعبير عن الثقل، وكميته، ومدته([11])ويكون القصدُ من إثباتهما– إبرازَ قوةِ انفعالِ التهديدِ، والتحذيرِ، الناتج عن انفعالِ الضيقِ، وإن زيادة المبنى حملت إشارة إلى انفعال عنيف، وتقويته.

إن حضور الواو والياء– وتزاجعَ إسقاطِهما، واستمرارَ التقاربِ بين حركتىْ الضمةِ والواوِ الطويلةِ من جهةٍ، والكسرة، والياء الطويلة من جهة أخرى– يؤكِّد كونَهما ذوىْ قمةِ إسماعٍ مرتفعةٍ، ويتصفان بوضوحٍ سمعيٍّ قويٍّ([12]) وفيهما إشارةٌ إلى الحدَّة الانفعاليةِ، لما فى الحركاتِ الطوالِ المعدولِ إليها من دلالةٍ على مزيدٍ من التثقيل، والتنافض، وانتهاك الافتراضات المسبقة بين طرفىْ الاستعمال، ووجودهما تثقيلٌ انفعاليٌّ داخليٌّ، وتعبيرٌ عن انغلاقٍ نفسيٍّ، أخرجه الشاعرُ من الأنا الداخلية إلى حيز الواقع اللفظى، ويُعد صورةً من

([1]) أى: لم تترك الهجاء.

([2]) والبيت من البسيط، وهو لأبى عمرو زبَّان بن العلاء، قاله معتذرًا للفرزدق، بعد أن جاءه يعتذر إليه، من هجو من الفرزدق بلغه عنه، فقال له أبو عمرو هذا البيت، ولم أجد– قدر الجهد– ديوانًا يجمع شعر أبى عمرو ابن العلاء، وفى رواية ابن الأنبارى، ولم تَدَعُ، بضم العين، وإسقاط الواو الأصلية، وهو من دون نسبة فى رواية البغدادى،. انظر: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموى(ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، جـ٣: ١٣١٧، وانظر: معانى القرآن، للفراء، جـ٢: ١٨٨، وانظر: خزانة الأدب، جـ٨: ٣٥٩ ، وانظر: نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لأبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبرهيم، (د. ط)، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م :٣٢

([3]) انظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى: ١٦٨

([4]) انظر: المفصَّل فى علم العربية، تصنيف: أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، المتوفى سنة ٥٣٨هجرية، دراسة وتحقيق، د: فخر صالح قدارة، ط١، دار عمار،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، عمان ، الأردن : ٤١٠

([5]) انظر: المحتسب، جـ٢: ١٣٤–١٣٥

([6]) الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية: ١٨

([7]) انظر: دراسات فى معانى القرآن للفراء : ١٤٤

([8]) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا : ٢٦٠

([9]) انظر: التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية: ١٠٤

([10]) انظر: دراسات فى علم اللغة: ٩٦

([11]) انظر: نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوى: ٦٣

صور الانفعال من جانبه، عكس به ثِقَلًا نفسيًّا وانفعالًا أصابَ ذاتَه، فدفعه إلى هذا التثقيل؛ ليناسبَ بين ثقلِ هجائِه، وثقلِ البنيةِ اللفظيةِ، وإبرازِ استكارِه، ولدهاشِه من فعلِ المتلقى على نفسِه، أو للفتِ انتباهِ المتلقى إلى ثقلِ ما صنعَ من الهجاءِ، ثم التماسِ الاعتذارِ، كأنَّه يدركُ أن فى الياءِ الطويلةِ إشارةً إلى الامتدادِ الانفعاليِّ مع حدَّته، واضطرابًا ممتدًّا فى نفس من هجا، ثم اعتذر؛ وقد أخَّر الشاعر هذه الياء الطويلة، وختم بها تركيبه فى القصد الشعرى رغبة منه فى تقوية ذاته، وأنه لم يعبأ بهجاء الفرزدق، وسواء لديه هجاؤهأم تركه الهجاءَ، ويقصد بالتثقيل تحقيق زيادة فى قوة اللفظ وتمكين معناه، وهومن القصدية التأثيرية للفعل الكلامى، بحسب موقعيته التركيبية؛ وزيادة البنية بالمورفيمات – التى تعد من اللواحق المقيّدة فى هذا الموضع– تؤدى إلى مزيدٍ من الضغط الدلالى للفعل الكلامى، فينفعل الإنسان به، وتتحرك نفسه نحو مضمونه.([1])

وحتى يُحقق المؤلفُ هذا التناسبَ استثمرَ دلالةَ الواوِ – من صورتِها، وطريقةِ النطقِ بها– على الضيقِ والانغلاقِ، مع طولِها الصوتيّ، وانحرافِ الياءِ، وانكسارِها، وما تؤديه من دَوْرٍ فى التعبيرِ عن انفعالِ الضيقِ النفسيّ، وقد عمَّق الشاعر هذا الانفعال بالمتواليات اللغوية؛ فمطل أحرفَ العلةِ؛ وسبقَها بحركاتٍ تدلُّ على الزيادةِ فى هذا الشعورِ وتكثيفِه، فأتبعَ الضمةَ الواوَ، ليُشيرَ إلى انفعالِ الضيقِ، وأردف الكسرةَ ياءً، ليبالغَ فى وصفِ شعورِ الانكسارِ واستحضارِه، وجعل من الطول– فى الموضعين– دليلَ انفعالٍ، لا دليلَ قياسٍ.

وقد يكونُ هذا التصرُّفُ– بالزيادةِ، وقصديةِ التثقيلِ– انفعالًا بالضيقِ من جانبِ المؤلفِ، أراد إيصالَه إلى المستمعِ، فزاد فى البنيةِ النحويةِ؛ ليَقرعَ سمعَه، ويَهزَّ نفسَه، وهو ما تسميه التداوليةُ: **انتهاك مرتكز الافتراضات المسبقة بين المؤلف والمتلقى**، ويكون انفعاله بالضيق هو السبب فى زيادة البنية النحوية، بغية التأثير فى نفسه، وأن يتوقف ذهنُه ورؤيتُه عند صورة الفعل الكلامى، ومن ثَمَّ حمْله على التمركز النفسى والانفعالى حول مضمون الفعل الكلامى، وهنا تتضاءلُ القاعدةُ، ويبزرُ ما يُمكنُ أن نُطلقَ عليه: **الزيادة الانفعالية، للواو والياء.**

ويكون تركُ الحذفِ لحرفِ العلةِ بابًا لانفعالاتٍ متعددةٍ، فإن شئتَ كنتَ مستأنفًا، مع وجودِ حرفِ العلةِ، وإن شئتَ أشرتَ إلى القطعِ أو التضييق، مع وجودِ المعلِ، أو بحذفِه، وقد سرت على سمْتِ كلامِ العربِ، بإثباتِ أحرفِ العلةِ؛ لأن العرب تكلمت به، وجعلته فى موضع الجزم، وإن شئت أصلت لما يسمى اللهجات المحلية للجغرافيات اللسانية، بإبقاء الهيكل البنيوى كاملًا بحرف العلة، مبالغة فى تأكيد مضمون الفعل الكلامى وتثقيل دلالته.

- **ومنه قوله:**

لَوْلَا الْفَوَارِسُ مِنْ نِعْمٍ وَأُسْرَتِهِمْ	يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالْجَارِ.([2])

- **ومنه: قوله:**

وَتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ	كَأَنْ لَمْ تَرَى(تَرَا) قَبْلِى أَسِيرًا يَمَانِيَا. ([3])

- **ومنه : قوله:**

إِذَا غَضِبَتْ عَجُوزٌ فَطَلِّقِ	وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلَّقِ.([4])

ولعل إثباتَ أحرف الجزم، وإبطال عمل الحازم من الأفعال(لم يُوفون، لم ترى) فى المثالين السابقين مردُّه إلى علةٍ نفسيةٍ انفعاليةٍ من لدن المؤلف، أراد بالصورةِ التركيبيةِ تحقيق وظيفة تعبيرية تأثيرية، فكأنه أراد أن يؤثر – فى نفس متلقيه– مزيد تأثيرٍ؛ فلا يكتفى بإيراد البنية الصرفية كما هى فى معيارتها؛ بل يوردها، وكأنه قد أضاف إليها حرفًا آخر، ليزيد

([1]) القرينة الصوتية وأثرها فى توجيه المعنى عند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) : ٨٤

([2]) البيت من البسيط، والصليفاء: المجاورة، وقُصد به هنا: قلة نزول الطعام والماء، وقد نسبه ابن جنى إلى سعد بن قرظ، وحمله على أنه لغة، مع ثبات علامة الرفع، وهو النون فى حالة الجزم، أو يكون من باب حمل لم على لا النافية، ولم أعثر على ديوان سعد بن قرظ. انظر: المحتسب، جـ٢: ٤٢ ونسبه ابن مالك إلى عامر بن الطفيل، وقد حمله على إلغاء(لم) حملًا على (لا) النافية، فيرفع المضارع بعدها، ولم أجده فى ديوان عامر بن الطفيل، قافية الراء، وهو بلا نسبة فى لسان العرب، انظر: لسان العرب، جـ٤: ٢٤٨٤، مادة: (ص، ل،ف)، انظر: ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى، عن أبى العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ٥٩– ٨٠، وانظر: شرح التسهيل، جـ١: ٣٣، وجـ٣: ٣٨٥، وهو من شواهد المغنى رقم: ٤١١، ومن دون نسبة إلى قائل عين، استشهد به ابن هشام على ترك نون التوكيد، وإثبات نون الرفع مع الجازم. انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب:٢٢٨، ٢٧٦

([3]) البيت من الطويل، ومن دون نسبة فى رواية ابن هشام، وهو الشاهد رقم: ٤١٣ من شواهد المغنى، جعله المحقق من قول عبد يغوث الحارثى، وقال ابن هشام بجزمه؛ بالحمل على أن أصله(لم ترأى)؛ بهمزة بعدها ألف، ثم حُذفت الألف للجازم، ثم أُبدلت الهمزة ألفًا، ولكن لم تحرّك الألف فيها، لعدم التقاء الساكنين. انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٢٨–٢٢٩، وانظر: مطالعات فى اللغة والأدب: ١٠

([4]) وصدره: إِذَا العَجُوزَ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ، وهو لرؤبة، من الرجز، وهو فى ملحقات ديوان رؤبة، وهو الشاهد رقم: ٦٣٥ من شواهد الخزانة، ومن دون نسبة إلى قائل معين، انظر: المفصّل فى علم العربية : ٤١١، وانظر: خزانة الأدب، ج٨: ٣٥٩

سِيَاقُ الْانْفِعَالِ وَمُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ النَّحْوِيِّ (قِرَاءَةٌ مُغَايِرَةٌ فِي ضَوْءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ بِيئَةِ التَّرْكِيبِ وَتَدَاوُلِيَّةِ الْأَثَرِ الْإِعْرَابِيِّ).

د/ حمدى على بدوى أحمد

فى المعنى، استئناسًا بأن زيادة المبنى تؤدى– فى الغالب– إلى حدوثِ زيادةٍ فى المعنى، أو حدوث تغيُّرٍ فيه، وقد أبقى المؤلف أحرف الجزم، ولم يحذفها، ليحقق زيادةً تداولية، لتأثير مضمون الفعل الكلامى فى نفس المتلقى.(١) فتستخدم هذه الزيادة على البنية النحوية فى الضغطِ على نفسِ المتلقى، وتقويةِ مضمونِ الفعلِ الكلاميّ فى ذهنيته، وتكثيفِ حجمِه الدلالى لديه، والتشديد على استدعاءِ نفسِ المتلقى لمفرداتِه، فتوصف الوحدةُ الصرفيةُ بشحنةٍ دلاليةٍ تداوليةٍ أكبر.

فى المثالين السابقين(٢) أراد المؤلفُ تشويهَ دلالةِ الفعلِ الكلاميّ، والتشويشَ فى مضمونِه، وتقبيحَ صنيعِ مُنجزِه، من أجل ذلك؛ وازن المؤلف بين نقلِ البنيةِ الصرفيةِ على لسانِه، ونقلِ استكارِه عدمَ وفاءِ الخصومِ بحقّ الجارِ، يومَ الصُّلَيْفَاءِ، فى المثال الأول، وبين نقلِ البنيةِ الصرفيةِ فى موقعِها التركيبى، ونقلِ تصرُّفِ الشيخةِ العبشميةِ، وتعجُّبِه من ضَحِكِهَا، إذ إنها – غالبًا– ما تكون أسيرةً، فكيفَ يعتريها الضَّحِكُ، عندما ترى أسيرًا يَمَانِيًا؟!، فتحقَّقَ بالمخالفةِ النحويةِ سببٌ نفسيٌّ، يقصدُه المؤلفُ.

المطلب السادس: التحول إلى السكون فى المضارع الصحيح فى نسق الشرط:

يكادُ إجماعُ اللغويين والنحاةِ ينعقدُ على أن (إذا) أداةٌ (من السوابق) للشرطِ غيرِ الجازمِ، إلَّا للضرورةِ، وقد ورد فى شعرِ الفرزدقِ ما يدلُّ الأثرُ الإعرابىُّ فيه إلى مخالفةِ القاعدةِ النحويةِ، كما فى انزياحِ مؤلفِ الكلامِ إلى جزمِ المضارعِ الصحيحِ الآخرِ بالسكونِ؛ على الرغمِ من كَوْنِهِ غيرَ مسبوقٍ بجازمٍ ؛ أو واقعٍ فى سياق طلب محضٍ، حقيقيٍّ أو تقديريّ:

ومنه قوله:

وَكُنْتُ إِذَا تُنْكَرْ نَوَارٌ، فَإِنَّهَا	لَمُنْتَمِلَاتِ(٣) النَّفْسِ تَهْيَاضُ(٤) دَقِّهَا.(٥)

يُلاحظُ مجيءُ الفعلِ المضارعِ : (تُنْكَرْ) مجزومًا بالسكون، من دون أن يُسبق بجازم معيارى، ومحل المخالفة النحوية فى أن جملة: وَكُنْتُ إِذَا تُنْكَرْ نَوَارٌ، بسكون الراءِ من (تنكرْ)، وتنوينها فى (نوار)، تشغل موقعَ فعل شرط لجازم غير عامل(٦) لذا حُقَّ لفعلِ الشرطِ (تُنْكَرْ) الرفعُ بالضمةِ الظاهرةِ، ويبرزُ سياقُ عاملِ الانفعالِ على الأثرِ الإعرابىِّ، الإعرابيّ، ليعبرَ– بسكون الراءِ من الفعل المضارع– عن رغبته الداخليةِ فى إضفاءِ حالةٍ من السكوتِ Silence والتوقُّفِ عن كلِّ تحرُّكٍ، والبرءِ بعد الألم، حتى أن جروحه وألامه قد تشفى، وتبرأ، ويُكسر صوتها؛ فتسكُت عن الصُّراخ، وكذلك أوجاعُه تسكُن؛ رغم شدتها، ومثل ذلك نفسه، فإنها تصلح، ويسكت أنينُها، فإنه – بسكونِ الراءِ– قد أشار إلى توقُّفِ ذهنيتِه قبلَ أن يذكرَها، فإذا ما جاورَها؛ بالغَ فى الصمتِ والسكوتِ، انفعالًا بها، وتقديرًا لشأنها، فيتحقق السكونُ فى نفسِه وعقلِه، قبل أن تسكنَ قوالبُه اللغويةُ فى تراكيبها النحويةِ" إذ إن فى السكون دلالةً على حظرِ الحركةِ، وكأنه يحظرُ كلَّ نفسٍ عن فعلِ أيِّ شيءٍ؛ حين تُنكرُ(نوار)، إذ فى السكون إسقاطُ الحركةِ برمتِها، فهو يأمرُ كلَّ متلقٍّ بالتوقف عن ذكر نوار، وإن كان ذكرًا داخليًّا؛ لذا فهو يبالغُ فى تصويرِ شدةِ ما به من شوقٍ لـ: (نوار)، وهو يَجْتَزُّ تلك المواضعَ المُقْتَرَةَ، العسيرةَ الارتيادِ".(٧) فجاء سكونُ الراءِ من

---

(١) انظر: قانون المخالفة الصوتية وأثره فى نمو الثروة اللفظية للعربية الفصحى، د: سامر زهير بحرة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية– سلسة العلوم الإنسانية، المجلد(٣٢) العدد (٣)، سورية ، ٢٠١٠م : ٣١

(٢) ويتصل بالمخالفة النحوية إبطال عامل النصب، والإبقاء على علامة الرفع فى الفعل المضارع؛ ونصب المعطوف عليه من باب التوهم، كما فى قول عمرو بن شأس:

نذودُ الملوك عنكم وتذودنا ولا صلحَ حتى تضبعونَ ونضبعا.

أى: لا صلح بيننا؛ حتى تمدُّوا أضباعكم إلينا، بالسيوف، ونمدَّ أضباعَنا إليكم، وقال أبو عمرو: أى: تضبعون للصلح والمُصَافحة؛ وقد رفع الشاعر الفعل المضارع، بعد حتى الناصبة، وأُشْكِلَ على نصْبه بما عُطف عليه، من الفعل المضارع المنصوب بحذف النون، على التوهُّم لنصب المضارع قبله. انظر: مجالس ثعلب: ٤١، وانظر: لسان العرب، جـ٤: ٢٥٥٠، مادة: (ضـ ب ع).

(٣) يُفهم من كلام ابن منظور أن : المندمل، أى: التماثل، أو الصلاح، والإصلاح، من قولهم: دَمَلَ بين القوم: أصلح، وتداملوا: تصالحوا؛ واندمل جرحه، برئَ، والتحم، وتماثل، والاندمال: التماثل بين المرض والجرح. انظر: لسان العرب، جـ٢: ١٤٢٥، مادة: (د، م ل).

(٤) هيض الشيء: كسَرَهُ، بعد الجبور، أو بعدما كاد يجبُر؛ والهيضُ: أشد ما يكون من الكسْر، وهو اللين، والمقصود بالداء: الوجع والألم. انظر : لسان العرب، جـ٦: ٤٧٣٦– ٤٧٣٧، مادة: (هـ ي ض).

(٥) البيت للفرزدق، وفى ديوانه، من الطويل، وهو من قصيدة، بعنوان: أرحنى أبا عبد المليك، يمدح بها أبا عبد الملك بن عبد الأعلى، بن أبى عمرة الشاعر الشيبانى، والمندمل، هو: الجرح الذى برئ ظاهره، وبقى داخله فاسدًا، والتهياض: هيجان الداء، وعودته. انظر: ديوان الفرزدق، شرحه، وضبطه، وقدَّم له: الأستاذ على فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، باب الهمزة، جـ١: ١١

(٦) ذكر ثعلب أن الجزم بإذا يجوز فى الشعر، وأجاز قول القائل: إذا تزرْنِى أزرْك، وأنشد، من الكامل:

وإذا تُطاوعُ أمرَ سادتنا لا يَشْنَا بُخلٌ ولا جُبُنُ. انظر: مجالس ثعلب، جـ٢: ٧٤

(٧) انظر: المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية: ٢٥٤

من قوله :(تذكرْ) سكونَ بيانٍ وانفعالٍ، وهو الذى يكون لبيان المعنى ، ولإبرازِ ما يختلجُ فى النفسِ من دوافعَ وانفعالاتٍ([1]) ويكون الوقفُ بيانًا لمعنى نفسى قبل أن يكون فعلًا كلاميًّا مُتلَفَّظًا به، وهو تقدير المؤلف لنوار وانفعاله بوجودها، ويوحى ذلك بالتوبيخ امن يذكر اسم نوار ، والتعريض لمن يُحدث صوتًا حيث تُذكر نوار . وقد أشار الزمخشرى إلى هذا المعنى، فى تعليقه على قراءة عيسى بن عمر وحمزة؛ من قوله – تعالى:"وَإِذَا كَالُوْهُم أَوْ وَزَنُوْهُم يُخْسِرُونَ" ([2]): بسكون الواوين من (كالوْهم) و(وزنوْهم) فنبّه إلى ضرورة أن يُطابق المؤلف بين دلاله ومدلوله بأن تكون الكتلة الكلامية معبرة عن معناها، وموحية به، فتعكس انفعال النفس، فإن كان الانفعال إيجابيًّا بعدت الهيئة التركيبية عن التضاد والتنافر ، والعكس صحيح، ففى حالة الانفعال السلبى، الذى يدل على الانفعال الحقيقى الداخلى تتنافر العناصر اللغوية فى هيئاتها التركيبية، أنهما كانا يقفان عند الواوين بالسكون وُقَيْفة؛ يبيّنان بها ما أرادا، من أن تتوقف ذهنية المتلقى عند حال المطففين ، وإبرازًا لصنيعهم، حيث كان المطففون لا يأخذون ما يُكال ويوزن إلَّا بالمكاييل دون الموازين؛ لتُمَكِّنَهُم– بالاكتيال– من الاستيفاء والسرقة؛ لأنهم يحتالون فى الملء، وإذا أُعطوا كالوا أو وزنوا ؛ لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعًا".([3])

وقد يكون إسقاط حركة الضمة فى الفعل المضارع: (تُذْكَرْ نَوَارٌ) تعبيرًا عن انفعال نفسى يتصل بالتخلص من كثرة الحركات المعيارية، التى فى : (تُذْكَرُ نَوَارٌ)، فأسكن الراء تخفيفًا؛ وجعل من ذلك التصرفِ رغبةَ مؤلفِ الكلامِ فى تحقيقِ دينامية التواصلِ مع متلقيه.([4]) وذلك دليل توسُّع من جانب المؤلف فى حال الانتخاب، بالإضافة إلى ما حققه السكونُ من التخلص من الكسر الوزن العروضى، المتحقق من إبدال السكون الأخير من مفاعيلن إلى حركة، فينتج عنها ثقل تمجُّه الأذن، ويُمكن توضيح ذلك بالكتابة العروضية التالية:

وَكَثُـــ//*/(فَعُولُ) إِذَا تُذْكَرْ//*/*/(مَفَاعِيلُنْ) نَوَارُنْ//*/*(فَعُولُن) فَإِنَّهَا//*//*(مَفَاعِلُنْ). الكتابة الانفعالية.

وَكَثُـــ//*/(فَعُولُ) إِذَا تُذْكَرْ//*/*//(مَفَاعِيلُ+ حركة) نَوَارُنْ//*/*(فَعُولُن) فَإِنَّهَا//*//*(مَفَاعِلُنْ). الكتابة النحوية.

المطلب السابع: التحوُّل إلى عدمية نون الرفع فى الفعل المضارع فى الأمثلة الخمسة:

- **نحو قوله:**
- **يَا لَكِ مِنْ قُبُّرَةٍ([5]) بِمَعْمَرِ**
- **لَا تَرْهَبِى خَوْفًا وَلَا تَسْتَنْكِرِى**
- **قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْكِ فَأَبْشِرِى**
- **وَرُفِعَ الْفَخُّ ، فَمَاذَا تَحْذَرِى؟!**
- **خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِى وَاصْفِرِى**
- **وَنَقِّرِى مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِى**
- **فَأَنْتِ جَارِى مِنْ صُرُوفِ الْحَذَرِ**
- **إِلَى بُلُوغِ يَوْمِكِ الْمُقَدَّرِ**
- **لَابُدَّ مِنْ أَخْذِكِ يَوْمًا، فَاصْبِرِى.([6])**

([1]) انظر : الوقف الصرفى، ما يوقف عليه وما لا يُوقف عليه: ٢٤٩

([2]) سورة المطففين، الآية: ٣

([3]) انظر : الكشاف، جـ٤: ٦١٤– ٦١٥

([4]) انظر : المحتسب، جـ٢: ٢٣٩

([5]) ذكر ابن منظور أن القنبرة: مأخوذ من دجاجة قنبرانيّة، وهى التى على رأسها قنبرة، أى: فضلُ ريشٍ قائمةٌ؛ مثل ما على رأس القنبر، والجمع القنابر، وأشار فى موضع آخر إلى أن : القَبْر، والقَبْرَةُ؛ والقُنْبُر، والقُبَّرَاءُ، والقُنْبَرَةُ: طائر يُشبه الحُمْرَةَ، والقُبَّرَةُ: واحدة القُبَّر، وهو ضربٌ من الطير، انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٧٤٧، مادة: (ق، ن، ب، ر).

([6]) والأبيات من الرجز ، وهو منسوب لطرفه بن العبد، وفى ديوانه، من قصيدة له، بعنوان: **لابد يومًا أن تُصادى**، قاله فى صيد له فى صباه، ونسبه ابن برّى –كما فى رواية اللسان– إلى كُلَيْب بن ربيعة ربيعة التَّغْلَبِيّ. ومَعْمَر: مكانٌ نَصَبَ فيه الشاعرُ فخًّا لصيد الطيور، لكنه لم يُفلح؛ لأن قُبَّرة واحدة لم تحط على الفخ، ولما سحب فخَّه؛ حطَّت الطيور على الحب، الذى وُضع عند الفخ، فقال عندها هذه الأبيات. انظر : ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدى محمد نصر الدين، من منشورات محمد على بيضون، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٤٩، وانظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٥١٠، مادة: (ق، ب، ر)، وانظر: مطالعات فى اللغة و الأدب: ١٠

ذكر الميدانى (ت٥١٨هـ) أن أول من قال هذا المثل هو: الشاعرُ طَرَفَةُ بن العبد، حيث كان وعمّه في سَفَرٍ، وهو فى صباه، فنزلوا على ماءٍ، فذهب طَرَفَةُ بفخٍّ له، ليصطادَ القَنابِرَ، إلَّا أنه طوالَ يَوْمِهِ، لمْ يَصْطَدْ شَيْئًا، فنزعَ فخَّهُ، ورَجَعَ، ورحل مع عمّه من ذلك المكانِ(١) ومحل المخالفة النحوية فى قوله: فماذا تحذرى؟، حيثُ الأصلُ أن يُقالَ: فماذا تحذرين؟ إلَّا أن الشاعرَ قد حذفَ نونَ الرفعِ من المضارعِ، من دونِ جازمٍ(٢) ويُحتملُ أن يكونَ هذا الحذفُ بسببِ رغبةِ المؤلفِ فى الجنوحِ إلى الخفةِ، والتحلُّلِ من الثِّقَلِ، الناجمِ عن النونِ المنغلقةِ، بعد الحركة الطويلة، فكلاهما يقتضى سكونًا، أو هربًا من التقاء الساكنين، فى حالة الوقف، أحدهما: السكون الطويل، وهو: الياء الطويلة، ضمير ياء المخاطبة المسند إلى المضارع– حيثُ تعدُّ هذه الياءُ كسرةً طويلةً، بالإضافة إلى كونها علامةَ إعرابٍ، تشغلُ مَوْقِعًا نَحْوِيًّا، هو موقع الفاعلية– والآخر: السكون القصير، فى حالة الوقف، وهو الأثر الإعرابىُّ المجتلبُ للرفعِ، وهو صامتُ النُّونِ؛ وهى علامةُ رفعِ المضارعِ، كون الفعل من الأمثلة الخمسة.(٣) وهذه" الأفعالُ ترفعُ بثبوتِ النونِ، وتُجزمُ، وتُنصبُ بحذفِها".(٤) ومن اللافت للنظر أن بناءَ التركيبِ الاستفهامى: فَمَاذَا تَحْذَرِي؟ بناءٌ يدلُّ على الخوفِ، والتوتُّر(٥) فى مُطابقةٍ لمعناه المقصود، فقد عبَّر انتقاصُ البنيةِ النحويةِ عن انتقاصِ الأمنِ والاستقرارِ فى نفس القبّرةِ، فانعكس هذا الانفعالُ على نفسِ الشاعرِ، وانتقل إليها عاملُ الانفعالِ الدالِ على الاضطرابِ، واختلالِ التوازنِ، حيث يحصلُ النونُ على قيمتِه الدلاليةِ من صفاتِه، فيدلُ على الاستقرارِ، ارتكازًا على أن نطقَه لا يتحقق؛ حتى يستقر طرفُ اللسانِ أعلى لثة الثنايا العليا، هذا من جهةٍ(٦) ويدلُّ– من من جهةٍ أخرى– على الانطلاقِ، والمُضِيِّ، والنهوضِ، وهذا لا يتناسب مع الحالة الانفعالية للقبرة، فكان فى تغييبه إجادة، وصدقُ مناسبةٍ.(٧)

ويبدو أن ذلك الحذفَ المقصودَ للنون المعيارية قد جاء مراعاةً للتناسبِ بين عروضِ البيتِ الشعريّ وضربِه، ولتحقيقِ الانسجامِ مع الإيقاعِ الموسيقى؛ ورغبةً من الشاعرِ فى استخدامِ هذا الإيقاعِ النغميّ الموسيقيّ فى التأثيرِ على انفعالاتِ المتلقى، بالإضافةِ إلى مجيءِ المضارعِ فى آخرِ البيتِ الشعريّ، وما فيه من عنايةٍ بالفواصلِ الشعريةِ، هذا من جهة النظر إلى البنية السطحية. ومن جهة ما يتصلُ بأبعادِ البنيةِ العميقةِ؛ فإنه تنبغى الإشارةُ إلى أن صوتَ النونِ هو صوتٌ لثويٌّ، خيشوميُّ النطقِ، أنفيُّ المُخرجِ، فيه دلالةٌ على الهدوءِ والاستقرارِ، القائمَيْن على صفتىْ الهمسِ والاحتكاكِ، وفيه مزيدٌ من الضغطِ والقوةِ، إذ يستمدُ قوتَه من خلالِ غُنَّتِه، وتُخرجُه النفسُ حين تشعرُ بالهدوءِ، واليقين، والطمأنينة، فيزداد اعتزازُ النفسِ بذاتِها؛ لذا يعد صامتُ النونِ من صوامتِ القوةِ؛ ويدلُّ وضوحُه السمعىُّ على قوةِ النفسِ وإيجابيتِها، وأن لها– أى: للنفس– بيئةً تأثيريَّةً، تُشيرُ فيها إلى حضورِ الثنائياتِ الضديةِ، والدلالةِ على المتناقضاتِ الانفعالية؛ فقد تجمع بين الخوفِ، والأمنِ، والفرِّ، والإقدام، وغير ذلك من الانفعالاتِ المختلطةِ ، والمتأرجحةِ، والمترددةِ، نحو انفعاليْ الخوفِ والتعجبِ، كما يدلُّ مخرجُه الأنفيُّ على أن انفعالاتِ النفس كانت ردةٌ مباشرةٌ لأمرٍ خارجيّ، وأن المشهدَ الانفعاليَّ يقعُ خارجَ حدودِ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ، فيُصبحُ من الضروريّ الإشارةُ إلى أن مورفيمَ النونِ– بوصفِه صامتًا زائدًا عن بنية الكلمة، ومورفيمَ رفعٍ للفعلِ المضارعِ من الأمثلةِ الخمسةِ– يحتاجُ إلى طاقةٍ أكبرَ فى النطقِ به، وجَهْدًا نفسيًّا أكبر ؛ وهذان الجهدان العضوى والنفسى، يُصيبان الجهازين النطقى والعصبى بالكدِّ والمكابدة، وهذا ما لا تستطيعُه القبرةُ تحتَ وطأةِ انفعالِ الخوفِ من الفخِّ، والصيَّادِ.(٨) لهذا؛ فنى غيابِ مورفيمِ النونِ من الفعلِ المضارعِ المسندِ إلى ياءِ المخاطبةِ: (تحذرين) فى قولِ طرفةَ: قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي؟!، دليلٌ على رغبةِ الشاعرِ فى إبرازِ انفعالِه القويّ بخوفِ القبرةِ الشديدِ، وضعفِها أمامَ آلةِ الصيدِ، وترصُّدِ الصيَّادِ، فأراد أن يجسدَ انفعالَها، ومشاركتَه إيَّاهَا، وقد تزك قرينة لفظية تدل على هذا الانفعال، وهو ذلك الفخ، أداة الصيد، وهذا الصيَّاد، الذيْن تخشاهما، ونحو التوالب اللفظية الدالة على الحذر، والرهب، والخوف، والاستكار؛ فلا يُمكنها أن تبيض، أو تصفر، مادامت ترى الفخ والصياد، إذ يسيطر

---

(١) انظر: مجمع الأمثال، للميدانى، مكتبة مشكاة الإسلام، نسخة مبدأة:٣٦١– ٣٦٢

(٢) ونظيره: قول القائل من الجزم على التوهم، من الرجز:

أَبِيتُ أَسْرِى وَتَبِيتِى تَنْكِى	وَجْهَكِ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الذَّكِى.

البيت بلا نسبة إلى قائل معين فى شرح التسهيل، والشاهد: حذف نون الرفع مفردة، من دون عامل نصب، أو جزم، والأصل فيه: (تبيتين، وتنكين)، ومثله: قولُ أبى طالب، من الطويل:

فإن يكُ قومٌ سرَّهم ما صنعتمُ (سيحتلبوها) لاقحًا غيرَ هابلِ.

والأصل: (سيحتلبونها). انظر: شرح التسهيل، جـ٢: ٥٦، وانظر: مطالعات فى اللغة والأدب: ١٠

(٣) أثر المشاكلة فى مخالفة بنيتىْ الكلمة والجملة للقياس، دراسة نحوية وصرفية: ٢٣١٦–٢٣١٧

(٤) الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية، د: حازم على كمال الدين، ط٢، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، القاهرة: ١١٨

(٥) روى ابن منظور أن كُليب بن ربيعة التغلبى خرج يومًا فى حِماهُ، فإذا هو بقبَّرةٍ على بيضها، أو بحمرةٍ على بيضها؛ فلما نظرت إليه صرصرت، وخفقت بجناحيها، فقال لها: أمن روعك، أنت وبيضك وبيضك فى ذمتى؟!، ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى، فكسرت البيض، فرماها كُليب فى ضرعها، والبسوس إمرأة، وهى خالة جسَّاس بن مُرَّة الشَّيْبَانِى؛ فوثب جسَّاس على كُليب، فقتله، فهاجت حرب بكر وتغلب ابنىْ وائل بسببها أربعين سنة. انظر: لسان العرب، جـ٥: ٣٥١٠، مادة: (ق، ب، ر)

(٦) انظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية تطبيقية:١٢٧

(٧) انظر: القيم الدلالية لأصوات الحروف فى العربية، عود على بدء: ٢٨٠٧

(٨) انظر: الصوت والدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا: ١٧٨–١٧٩

عليها لفعال الخوف، والرهبة، والاستكار، فى قوله: (قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ)، وقوله: (قَدْ رَجَعَ الصَّيْدُ عَنْكِ فَأَبْشِرِي)، وهى من القرائن اللفظية الدالة على لفعال الخوف؛ فهى لا تشعر بالطمأنية، ولا الأمن، ولا القوة؛ ممَّا يُشير إليه حضور صوت النون.

بل الأمر على خلاف ذلك؛ فإن غياب صوت النون يُعد امرًا مستحسنًا فى البعد التداولى، فغيابه يشير إلى حالة الضعف، التى عليها القنبرة، وكفاحها، ومنازعتها لفعال الخوف الشديد، لما فى النون من خصائص الهمس والاحتكاك؛ بالإضافة إلى قرينة لفظية أخرى تدل على لفعال الحيرة والاستكار، هى التركيب الاستفهامى: (فَمَاذَا تَحْذَرِي؟)، وهذه الأمور لم يكنْ حضورُ صوتِ النونِ ليحقّقها، بل العكس، يُضاف– إلى ذلك – ما فى صوت النون من دلالةٍ على الانفتاحِ، وقوةِ الجهرِ، وهذا الوصفان لا تملكهما القبَّرة، إذ يتملكها شعورُ الاحتباسِ والضعفِ، وهذا ما يجسده صلمتُ الراءِ، الدالّ على الخوفِ والضعفِ، وانعدامِ الحيلةِ، وهذه الانفعالات مُستفادةٌ من وجودِ صلمتِ الراءِ، الدالِ على التكريرِ وديمومةِ الحدثِ.([1])

يُلاحظ– بالنظر إلى بيئة التركيب النحوى– أن الشاعرَ راغبٌ فى إبراز مشاركته القنبرة لفعالَ الخوف، والتَّرقُّب، والحذرِ، وجميعها دلائلُ ضعفٍ، لا يُناسبُها إبرازُ الشاعرِ لصلمتِ النونِ، بوصفه متممًّا للبنية الكلية للتركيب النحوى، وليس من شك فى أن لفعال الخوف انتقاص من قوة الشيء، أى : النفس، ويُحسّن من تصرف الشاعر بحذف النون أن النون من الأصواتِ الأكثرِ خفةً فى وقعِها، والأذِ فى سماعها، وأسلسها جريًا على الألسنة؛ لأن مخرجها من ذولق اللسان، وهو طرفه، لذا يكثرُ استعمالُه فى الكلامِ؛ لخفةِ مجراه، وطيبِ نغمتِه، وسهولتِه فى النطقِ، فدخولُه الأبنيةِ يكونُ من أجل ترقيقها، وتلطيفها، وتحسينها فى المسموع، وجميع هذه الصفات لا تتناسبُ لفعالَ الخوفِ، والحذرِ، الذيْن تعايشهما القنبرةُ، بل الأمرُ على العكسِ من ذلك.([2]) فإن لفعالَ الخوفِ، والحذرِ لدى القنبرة – التى تعايش لفعالاتٍ مختلطةً– لا يناسبهما صوتُ النونِ، الدالّ على القوةِ والاستقرارِ، والذى يتميَّز بوضوحٍ سمعيٍ قويٍ؛ إذ تأتى الأصواتُ الأنفيةُ– الميم، والنون– فى الدرجةِ الرابعةِ من درجاتِ الوضوحِ السمعيّ للأصوات، فى ما يخصُّ قوةَ الخطلبِ اللغويّ([3]) وتتحقَّقُ –فى اجتماع الذال، والراء، والنون– مفارقةٌ تداوليةٌ؛ إذ إن فى اجتماع الذال والنون دلالةً على الانكسارِ والتفرقِ، والإصابةِ بالأذى؛ وإطالةِ مضمونِ الحدثِ، فى حين أن النونَ تدلُّ على القوةِ، والظهورِ، والشدةِ فى أيِّ موقعٍ من مواقعِ الكلمةِ([4]) لذا كان انتقاصُه– من البنيةِ النحويةِ– مقصودًا من جانبِ الشاعرِ، وقد ترك القبَّرةِ بنيةً صرفيةً ونحويةً: (تحذرى) مبتورةَ النونِ؛ لتدل على لفعالها، وعلى تجدّدِ خوفِها الشديدِ، بأصولها الثلاثة: (الحاء، والذال، والراء)؛ إذ إن الياء الطويلة ليس لها حيز صوتى، وليست من الأصول الجذرية للبنية الصرفية، أو التركيب الفعلى(تحذري) حيث إن مورفيم الراء، وهو آخر مورفيمات البنية الأصلية– وهو موصوف بالتوسُّطِ، والجهرِ، والتكريرِ، لتكرره على اللسان أثناء النطق به– قد دلَّ على الارتعادِ، وتجدد الخوف؛ وقد طابق الشاعر بين الانفعال وتصرفه اللغوى بحذف النون، ليؤكد أن انفعال الارتعاد إنما هو مُتَجَدِّدٌ فى تكرير الراء، لذا أنهى البنية الانفعالية به، ليطابق بين الانفعال، وبين صفات صوت الراء، وطبيعة مخرجه، ودلالته، وهذا المعنى مأخوذ من الطبيعة الذاتية لصوت الراء([5]) ضمن ضمن عناصر قالب الفعل، لا الاسم، وهذا ما ولَّد تلك الدلالة بالإضافة إلى دلالة الصيغة الفعلية: **(تحذرى)** على الحدث مع تجدّدِ الزمنِ، وكأنَّ ارتعاد القبرة وخوفها الشديدين، يماثلان ارتعاد اللسان فى النطق بالراء، وتكريره، يُضاف إلى ذلك أن **صلمت النون** لا يتناسبُ مع سياقِ الانفعالِ بالخوفِ، فلو أورد الشاعرُ البنيةُ الصرفيةُ (تحذرين) على صورتها التامة؛ لانتقضَ مقتضى الحالِ، ولتولَّد عن النون قوةٌ، وعنفٌ، واستطاعةٌ، ولتحققت مفارقة دلالية تداولية، بين قوةِ النونِ، وارتعادِ الراءِ المجاورةِ لها.

ومثله، قوله:

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ([6]) وَالشَّعَرَ الأَسْـ (م)	وَدَ مَا لَمْ يُعَصَ([7]) كَانَ جُنُونَا.([8])

فى مطلعةٍ لقصيدةِ حسان بن ثابت(ت ٥٤هـ) ما يُوحى بتحسُّره وألمه على أنه يشعرُ بالعَجَزِ فى مَشيبه، وعدمِ قدرتِهِ على المرحِ والتَّصَابِى، وكأن امتلاكه نواصىَ اللهوِ مثلُ من

([1]) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ١٤٣ – ١٥٠

([2]) انظر: الطراز، جـ١: ١٠٥ –١٠٧

([3]) انظر: نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوى : ٦٢

([4]) انظر: الدلالة الصوتية فى اللغة العربية : ١٥٣ – ١٥٥

([5]) انظر: تاريخ آداب العرب، جـ١: ١٠٠

([6]) شرخ الشباب: أوله.

([7]) المراد: ما لم يجتمعا؛ مأخوذ من قول العرب: عصَوْتُ القوم أعصوهم، إذا جمعتهم على خيرٍ أوشرٍ. انظر: لسان العرب، جـ٤: ٢٩٨٠، مادة: (ع، ص، ا).

([8]) البيت من قصيدة لحسَّان بن ثابت، وفى ديوانه، عنوانها: شرخ الشباب، وهو من الخفيف، انظر: ديوان حسَّان بن ثابت الأنصارى، شرحه، وكتب هوامشه، وقدَّم له، الأستاذ: عبدا مهنَّا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م :٢٤٥

يَجْنِى جنيًا شهيًّا من اللذةِ، والشبعِ، من دون طعامٍ؛ تلك اللذةُ المتمثلةُ فى حديثِ الخلَّانِ، وكيف كان خلُّه حافظًا للسرِّ، كتومًا له، كما يُشيرُ إلى تنزُّهِهِ عن الخيانةِ.(١) قال الشاعر: لم يُعاصَ، والتقدير:" يُعَاصان، فأفرد الضمير، وإن كان لاثنين، ولو كان متحدثًا عن مفرد، لقال: لم يُعَصْ، والذى قوّى القولَ بأن المتحدثَ عنهما اثنان؛ متمثِّلٌ فى القرينة اللفظية، بإيراد كلمتى: شرخِ الشبابِ، والشعرِ الأسودِ، وفى حالة التسليم بأن حسَّان قد اكتفى فى تعبيره بالفعل : (لم يعاص) بالواحد، تعبيرًا عن اثنين، لاتفاقهما فى المعنى والقرب من نفسه؛ تكون المخالفة النحوية أنه لم يقل: يُعصْ، وتكون الألف بعد العين مجتلبة لإظهار الاستعطاف، والحسرة، والأسى، على أيام التصابى وشرخ الشباب، والشعر الأسود، ويكون الأصل فى (يعاص) من الفعل (ع، و، ص) والذى يدلُّ على عدمِ الإمكانِ، وعلى صعوبةِ الشيءِ، وغموضِه، وشدتِه.(٢)

أو أن يكون الفعل من مادة: (ع، ي، ص) التى تُشير إلى، أصلِ الشيءِ، والاختلاطِ، والتلاظُرِ، والانتماءِ، والاجتماعِ، والتداخُلِ، والتدانِى.(٣) وذلك لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر، فجريًا مَجرى الواحدِ، ألا ترى أن شرخَ الشبابِ هو اسودادُ الشعرِ؛ ولولا أنهما– لاصطحابهما– صارا بمنزلة المفرد، لكان حق الكلام أن يُقال: يُعاصا".(٤) والأصل فى الفعل المضارع– بالنظر إلى خطاب الفعل الكلامى لدى حسَّان بن ثابت الأنصارى، أنه يتوجَّه بحديثه إلى مفرد– أن يكونَ محذوفَ العينِ، من يُعَاصْ(٥) تخلُّصًا من التقاء ساكنين، الأصلى، والعارض؛ وفى هذه الحالة يتمركز السياق الانفعالى حَوْلَ جَعْلِ حسان بن ثابت شرخَ الشبابِ واسودادَ الشَّعْرِ أمرًا واحدًا، ويكون تحسُّرُهُ لفقدهما مجتمعيْن، إذ من دونهما يكون من الجنون التصابى والمرحُ.

أما فى حالةِ المطابقة بين صورةِ الفعلِ، وما يُسند إليه، يكون الأصل فى المضارع: يُعْاصيان، بإسناد علامتى التثنية والرفع إلى الفعل، إلَّا أنه قد حذف اللاحقة: (ان)، وجاء حذفُ النونِ لعاملِ الجزمِ: (لم)، ويكونُ حذفُ الألفِ مَأْتِيًّا به؛ ليجسّد انفعالَ الضيق النفسى، إذ الإنسان– فى حالات الضيق– لا يستطيع مدَّ الصوت، بقدر ما يكون خطابُه لُهاثًا، على هيئةٍ تقطيعيةٍ، وبنيةٍ ممزقةٍ، فيخرجُ خطابُه على هيئةِ مقاطعَ صوتيةٍ قصيرةٍ، وفى أغلبها مُغلقةٍ، فى إشارةٍ منه إلى سيطرةِ نمطٍ من الانفعالاتِ الحادةِ على نفسِه، من مثلِ: انفعالِ الضيقِ، والاحتباسِ، والكبْتِ؛ لذا حذفَ الألفَ الاسترواحيةَ إلى جانبِ نونِ الرفعِ، ووضعَ الفتحةَ القصيرةَ، لتدلَّ على الاقتضابِ النفسيّ، فيصيرُ المضارعُ– فى محل الجزمِ، وتحتَ تأثيرِ الانفعالِ– على تلكَ الهيئةِ المقطعيَّةِ:

(يُ: ص ح، وهو مقطع قصير مفتوح). (عَا: ص ح ح، وهو مقطع متوسط مفتوح)(صَ: ص ح، وهو مقطع قصير مفتوح). ويكون سياقُ عاملِ الانفعال بالتحسُّرِ، والشعورِ بالضعفِ هو المتسببَ فى هذا اللُّهَاثِ الصوتيّ، المُعَبِّرِ عن دلالةِ التَّوَتُّرِ، والتسارُعِ الصوتيّ، مع التقطيعِ الدلاليّ، وكأنَّ تحسُّرَه بدا فى زَفَرَاتِه المقطعيةِ ذاتِ المرجعيَّةِ النفسيَّةِ، فيتوقفُ بين معنى ومقطعٍ، بصورةٍ تصاعديةٍ ومتكررةٍ، تتناسبُ معَ ألمِه وتَحَسُّرِه، من أجلِ هذا المعنى المقصودِ، تَغَافَلَ عن السيرِ على سَمْتِ المعياريةِ النحويةِ.(٦)

---

(١) انظر: ديوان حسان بن ثابت: ٢٤٥ – ٢٤٦

(٢) لسان العرب، جـ٤: ٣١٧٠ ، مادة: (ع، و،ص).

(٣) لسان العرب، جـ٤: ٣١٩٠ ، مادة: (ع، ي،ص).

(٤) تأويل مشكل القرآن الكريم: ٢٨٨

(٥) نحو قول عمرو بن أحمر الباهلى، من قلب الواو ألفًا، فقال، من الوافر:

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رَآهُ	أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا.

وفى رواية: رُبَّتَ سَائِلٍ عَيَّة خَفِيّ. انظر: المفصل فى علم العربية: ٣٩٨، وانظر: المقتصد فى شرح التكملة: ١٤١٧– ١٤١٨

(٦) ومن أمثلة ذلك: قول أيمن بن خريم الأسدى، من المنقارب:

وَإِذْ يُغْضِبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ	إِذَا مَلَكُوهُمْ وَلَمْ يَغْضَبُوا.

لم أجد هذا البيت فى ديوان أيمن لم خريم الأسدى، فى قافية الباء المنصولة ، من المنقارب، انظر: ديوان أيمن بن خريم الأسدى، (القرن الأول الهجرى)، صنعة وتحقيق: الطيب العشَّاش، ط١، مؤسسة دار المواهب للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢٥ وقوله ، من السريع:

وَالْأَرْضُ أَوْرَثَتْ بَنِى آدَمَا	مَا يَغْرِسُوهَا شَجَرًا أَيِّمَا.

وقد حُذفت من الفعلين(وإذ يُغضبوا، وما يغرسوها) نون الرفع، من غير علة نحوية، لفظية أو معنوية؛ وقد يكون هذا الحذف لانفعال المؤلف بضرورة مراعاة حال متلقيه، فيسوق له مفارقة لفظية، بين الإغضاب والغضب، لتقويه المعنى وتوكيده، فساوى بين الأمرين، لذا حذف النون الأولى ما باب التسوية اللفظية، تبعًا للتسوية الدلالية، أوللتخفيف من حدة الغضب، أو يكون الأمر من باب المجانسة والازدواج؛ ومن تصارع الإنسان، طلبًا لكثرة الغرس، رغبة من المؤلف فى أن يقدم نصحًا له، بأن يسعى قدر طاقته.

(تعقيب):

ينبغى الإشارة إلى أن التسليم بحجية التبادل بين عناصر الأثر الإعرابى؛ الضمة، أو الفتحة، أو الكسرة لأمر مبناه على واقعية الاستعمال والتسهيل؛ مما يُناسب قصديةَ المتلقى، أو مراعاة للاقتراضات المسبقة بين المؤلف والمتلقى، فإن العرب لم تُلزم نفسها بأمر تركيبى مُعَين؛ بل أعطت لنفسها المرونة والحرية فى نطق كلماتها، واعتبارها مرة من مُستلزمات الرفع، وأخرى من مُستلزمات النصب ، وثالثة من مستلزمات الجر، لأن جميع الأنماط تكاد تكون– فى العمق التركيبى– نمطًا واحدًا، متقاربَ المكانة، إن لم تكن جميعها متساوية.(١) من أجل ذلك؛ لم يؤيّدِ الأستاذ الدكتور محمود عبد السلام شرف الدين إيغالَ النُّحَاةِ فى التقدير، والتأويل، والمجاز، والقول بالمهجورمن الصيغ والأوزان، والاستعمالات التركيبية؛ لما خالف ما استقرت عليه أقيستُهم، ويرى أن ذلك الأمر هو قمةُ الشكليةِ الخالصةِ، التى لا تتفق مع ما قال العربُ أنفسُهم، واصِفًا إيَّاهم بالنَّحْوِيِّينَ الشَّكْلِيِّينَ.(٢) لذا بدت قصدية المؤلف فى إخراج هيئة تركيبية نوعية، نتجت عن وقوع المؤلف تحت تأثير الانفعال الداخلى، فشكَّلت معنى طارئًا، تسبب فى انفصال بعض عناصر الهيئة التركيبية عن سياق القياس، إعرابًا لا معنى؛ تكوَّنتْ فيها تراكيبُ جديدةٌ، ذاتُ معنى محتملٍ، وإعرابٍ مُغايرٍ، هذه القصدية تُغاير القولَ باعتباطية الأثر الإعرابى– رغم كونه قولًا واسعَ الانتشارِ– مثلما تُغاير القول باعتباطية الهيئة التركيبية؛ إذ صار استباطُ الدلالةِ هو العاملَ الحاسمَ.

ما يهمنا فى هذا الأمر هو: الإشارةُ إلى أن العربى لم يكنْ لينطقَ بالتراكيبِ غُفْلًا، وهو ربيبُ اللغةِ، والمالكُ لزمامِها، لذا وجدناهم يتصرفون فى لغتِهم وتراكيبها؛ مُقَدِّمِين ما هو أقربَ لإدراكِهم، وانفعالاتِهم، من مستوى الأسماءِ والأفعالِ، إذ عاملُ الانفعالِ– فى عقيدتِهم التواصليةِ– مُقَدَّمٌ على العمليةِ التواصليَّةِ نفسِها، على نحو ما نرى فى أبوابِ الاشتغالِ، والتخصيصِ، والتقديمِ والتأخيرِ بين المسند والمسند إليه، والمتعلقات، والمكملات الكلامية؛ والنداء، وبابىْ المدح والذَّمّ، وبابىْ الإغراءِ والتحذيرِ، وغيرِ ذلك من الأبوابِ النحويةِ، والتصرفاتِ اللغويةِ، والظواهرِ الصوتيةِ والصرفيةِ، وفى ذلك دليلٌ على أنهم كانُوا يقصدون– بذلك– معانىَ أكثرَ عمقًا، من تلك المعانى السطحيةِ التى تضبطُها القواعدُ الموضوعةُ.

---

(١) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية : ٣٢٣

(٢) انظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية: ٤٦٥

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيَّات:

أولًا: النتائج، ومن أهمها:

- إن تزاكيب المخالفة النحوية فى سياق الانفعال ليست بالعبثية، ولا تشكل دليل عجز من مؤلف الكلام،وإنما عكست قصديته؛ وإن بدت مفتقدةً للمطابقة المعيارية، من حيث الشكل، فقد راعت أفق انتظار المتلقى، وأبرزت رغبته فى التعبير عن بُعد دلالى، فقيها احتفاء بالمتلقى إلى حدٍّ كبير.
- بدا أثر سياق عامل الانفعال واضحًا على تداولية الأثر الإعرابى.
- ثبت أن سياق الانفعال سياق تركيبى، يرتبط لصورة جوهرية بالحالة النفسية للمؤلف، بمعنى أنه يصلح لتفسير دلالة الوحدات الكلامية داخل التركيب، وليس خارجه.
- شكَّل سياق الانفعال– نسبيًّا– بُعدًا إيجابيًّا فى إزالة الاختلافات النفسيرية، والتجادُل حول العلاقة بين الواقعة اللغوية ومعناها، فانحاز عامل الانفعال إلى المعنى أكثر من انحيازه إلى الرسالة اللغوية.
- أكَّد البحث أن سياق الانفعال وسطوته على الأثر الإعرابى، عكس بُعدًا تداوليًّا، قامت آلية الاتصال فيه على التبادل بين الذوات المنفعلة فى بنيتها الحوارية، كما أثبت وجود دلالات انفعالية للآثار الإعرابية.
- أدَّى إهمال المتلقى لمعونة سياق الانفعال، ونزْع الصفة النفسية فى إنشاء الفعل الكلامى إلى غياب وظيفة الاقناع من عناصر الفعل الكلامى الملتفظ به.
- ثبت أن عزو مثل تلك التزاكيب إلى سياق الانفعال قد يحسن القول بكونه سببًا فى تصويبها.
- نبَّه تركيب الانفعال إلى كونه من عوامل شغف المتلقى لعملية التلقى، ومتابعة عملية القراءة.
- تشكَّلت آلية الاتصال بين المؤلف والمتلقى من تضافُر لغتين، هما: اللغة اللفظية، واللغة الانفعالية.
- جسَّد عدول المؤلف إلى تركيب الانفعال حالة من الانتقاء، للتعبير عن انفعال النفس.
- أدت الهيئة الكلامية لتزكيب الانفعال دور الفعل المساعد فى تأكيد الفعل الكلامى المركزى، فحمل التركيب دلالة نفسية؛ إذ كررت هيئته مضمون الفعل الكلامى، وأعادت مفرداته.
- بدت تحويلات الأثر الإعرابى إلى الكسرة استراتيجية خطابية، قصد بها المؤلف تقوية مضمون تركيبه فى مجمله.
- جاء تفسيرُ الدلالة التركيبية فى ضوء سياق الانفعال واضحًا فى الإتناح اللغوى للمتكلم؛ متوافقًا مع المنطق اللغوى، وموجِّهًا دلاليًّا وتداوليًّا للمخالفة الإعرابية، وشكَّل صورةً من صور الاتساع فى الفكر النحو ورحابته.
- بدا أن تقيد الذهنية التواصلية بالنموذج المعيارى– وإلزام طرفى التخاطب بالقوانين والأحكام والقواعد المثالية، الموضوعة بناء على الأكثر، أو الأشهر– فيه تقييد للاستعمال، وتحجيم لضروب الإبداع والجمال.
- شكَّل سياق الانفعال مفتاحًا، يهيئ للكشف عن المعنى المستبطن، مع كسر الأثر الإعرابى.
- أثبت البحث إمكانية إضافة بعض التعديلات التى تحقق الربط بين سياق الانفعال والمخالفة لقواعد اللغة العربية.
- شكلت تزاكيب المخالفة النحوية، فى ضوء الانفعال، مستوى من المستويات الكلامية، فى تداخل بين مستويىْ الكلام المقيس، والكلام اليومى، فى صورة من صور الانزياح التزكيبى الإعرابى.
- جاء الأثر الإعرابى المجسِّد لعامل الانفعال قالبًا مركزيًّا كاشفًا لقوة الانفعال أو ضعفه، معبرًا عن التكرير والإطالة.
- أتى تصرف التغيير فى الترتيب النظْمى للهيئة الكلامية– تقديمًا، أو تأخيرًا، أو تغييرًا فى الأثر الإعرابى– معبِّرًا عن سياق الانفعال، وأن للأثر الإعرابى قيمة دلالية لانفعالية، وبعدًا تداوليًّا.
- أثبت البحث تبادلية الأثر الإعرابى بين حركة وأخرى، من دون تأثير على المعنى السطحى المراعى لأفق الانتظار.
- جاءت آلية التحويل فى عناصر التركيب العربى بسبب الانفعال ردة لخصائص الاتِّساع والمرونة التى تمتاز بها لغتا العربية، وسببًا من أسباب قوة التزاكيب.
- بدت المخالفة النحوية فى العلامات بصورة أشدُّ وضوحًا من الحركات، ولعل السبب فى ذلك راجع إلى التفرقة بين المكتوب والمنطوق.
- أثبت البحث أن الحركات الإعرابية متفاوتة فى قوة التعبير عن الانفعالات الداخلية، أو التعبيرات العاطفية، أن الكسرة هى أقوى الحركات الإعرابية فى التعبير عن عامل الانفعال.
- أضاف الأثر الإعرابى – المقصود من جانب المؤلف– فى التزاكيب النحوية دلالات إضافية أعمق، جعلت الأثر المعيارىَّ أقربَ إلى السَّطْحِيَّةِ أو السَّذَاجَةِ.
- أضافَ الانزياحُ فى الأثر الإعرابى– من حركة إلى أخرى– معانى إضافية، وُصفت بالعمق، والصدق التداولى.

- برز للكسرة القصيرة الدور الحاسم فى الربط بين عناصر التركيب النحوى، وشكَّلت مشهدًا تداوليًّا مُقْنِعًا، وأمدت ذهنية المتلقى بمعانى بدت مقبولة، وموصوفة باللذة والإمتاع.
- تناسبت الآثار الإعرابية فى بيئة التركيب طرديًّا مع قوة التركيب لقوة المعنى، والعكس صحيح.
- حققت الآثار الإعرابية فى بيئة التركيب الانفعالية تداولية نوعية، فوصفت الاستعمال فى ضوء نمط المتلقى وسياق القراءة.
- بدت الكسرة القصيرة أكثر الحركات تأثيرًا فى البعد التداولى، إذ أضافت إلى المعنى معانى دلت على الانكسار والضعف، وأخرى كشفت عن قوة تركيبية تداولية. وكأنها حركة مراوغة.
- عبرت الفتحة القصيرة عن انفعال إيجابى، تحقق بين المؤلف والمتلقى، تمثل فى الانزياح نحو التخفيف، ومراعاة المرتكزات التداولية.
- جاءت الضمة القصيرة أقل الحركات الإعرابية تأثيرًا فى التراكيب النحوية المستشهد به، إذ الحس اللغوى يمج الضيق والثقل.
- شكلت الحركات الطوال رافدًا عاون الانفعال فى الكشف عن المعنى، و تشكيل صورة غير لغوية له.

ثانيًا: التوصيات:

- إجراء بحوث ودراسات حول آلية عمل الجهاز العصبى، فى ضوء آلية النطق بالصور اللغوية من جهة، وارتباط ذلك بالمعانى النفسية وانفعالاتها من جهة أخرى، التى تستجيب فيها القواعد النحوية لجميع صور التراكيب العربية الفصيحة.
- استبدال بعبارة تركيب خالف القياس، تركيب خالفه القياس؛ انْتِصارًا للرواية اللغوية على القاعدة النحوية.
- النظر إلى تراكيب الانفعال بوصفه حُجَّةً لغوية مستنبطة، ومُعتبرة فى تقعيد القواعد، فى ضوء القواعد الكلية للنظام اللغوى.
- إعادة النظر فى بعض قواعد القياس لدى اللغويين والنحاة.
- مراجعة مصطلح الضرورة بين القياس النحوى والاستعمال.
- اعتماد سياق الانفعال من وسائل أمن اللبس، وكونها من محددات المعنى.
- إجراء دراسات تطبيقية حول النحو التواصلى.
- تكثيف البحوث حول خطابات العولمة.

وبعـدُ؛؛؛؛؛؛؛؛

فقد أراد الباحثُ– من خلالِ بحثِه– تسليطَ الضَّوْءِ على أَثَرِ الانفعالِ فى التراكيبِ اللغويةِ للمتكلمِ، ذلك الأثرُ هو الذى يجعل لها ما يبرر وجودها، و يبرهن على أنها تراكيب مقصودة، خاصة فى ما يُحدثُه العامل من الآثار الإعرابية، التى لا يُمكن وصفها بالاعتباطية، ولا وصف مستعملها بالفاقد لتركيزه مطلقًا، ولا الحكم على أثرها الإعرابى بمخالفته القواعد النحوية الموضوعة؛ إلَّا أنْ مُؤَلِّفَهَا قدْ قَصَدَ بها قَصْدًا نَوْعِيًّا، وأضاف إلى معانيها معنى جديدًا، أكثرَ إمتاعًا لذائقةِ المتلقى، وأشدَّ عمقًا فى معيار التفاوت فى القيمة الدلالية للبنيتين السطحية والعميقة؛ أوجد فيه التشارك الانفعالى، أو للحالة الشعورية مَكانًا فى تفسيرِ هذه التراكيبِ المقصودة، وأوعز للمتلقى بأن العامل فى هذه التراكيب ليس عاملًا نحويًّا؛ إنما ينحصر فى عامل الانفعال، وهو لا يقل قوَّةً – فى سلطته الشكلية والمضمونية على التراكيب– عن العامل النحوى المؤثر، بالإضافة إلى كونِهِ مُحَقِّقًا لِعَوَامِلِ اللَّذَّةِ، والتَّوَحُّدِ، والتَّفَاعُلِ بينَ شَرِيكَىْ الاستلزام التَّحَاوُرِيّ.

(ثبت المصادر والمراجع)

آراء القراء النحوية فى خزانة الأدب، عرض، ودراسة، وتقديم، على محمد على عبد الله صالح، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ/١٤٣٢هـ.

أبو عمرو ابن العلاء ناقدًا، د:أحمد أحمد مجاهد مجاهد، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، العدد(٣٤)، الإصدار الثانى– أكتوبر (١٤٤٢هـ –٢٠٢١م).

اتِّجاهات حديثة فى اللغويات التطبيقية، مباحث لغوية (٤١)، د: غسان بن حسن الشاطر وآخرين، ط١، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولى، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

اتْحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، المسمَّى: منتهى الأمانى والمسرَّات فى علوم القراءات، للعلامة الشيخ: أحمد بن نحمد البنَّا، المتوفى سنة: ١١١٧هـ/١٧٠٥م، حقَّقه وقدَّم له: د: شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

أثر أداء الحرف فى انحراف الدلالة ، دراسة نحوية دلالية، د: سعيد بن محمد بن عبد الله آل يزيد، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (١١٥)، أكتوبر (٢٠١٨م).

أثر الحالة الانفعالية على المتكلم فى التراكيب اللغوية، إعداد الباحثة: تسنيم محمود شفيق عطية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، ٢٠٢٣م.

أثر المشاكلة فى مخالفة بنيتىْ الكلمة و الجملة للقياس، دراسة نحوية و صرفية، د: عبير دربير محمد أبو السعود، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد(٢٣) للعام: ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

أحكام التوجيه والتقويم النحوى عند القراء، شادى محمد عيسى الغول، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠١٧م.

الإحكام فى أصول الأحكام، لعلى بن محمد الآمدى، علَّق عليه، الشيخ : عبد الرازق عفيفى، ط١، دار الأصمعى للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الأساليب الانفعالية فى خطب العرب(دراسة وصفية إحصائية)، د: عاطف فضل، مجلة مقاربات، العدد الثانى– المجلد الأول – خريف: ٢٠٠٨م.

أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيس، أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسَّان الطيَّان، ويحيى مير علمِ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الأشباه والنظائر فى النحو، للسيوطى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

أصول النحو، دراسة فى فكر الأنبارى، د: محمد سالم صالح، ط١، دار السلام، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، القاهرة.

الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيرية)، د: محمود عبد السلام شرف الدين، ط١، دار مرجان للطباعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، القاهرة.

الإعراب والمعنى وعلاقتهما بظاهرة تعدد الاحتمالات فى التوجيه النحوى، عمر مفتاح سعد، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد(٢٦)، السنة(١٣).

إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، للإمام محمد بن أبى بكر بن قيِّم الجوزية، ط١، دار ابن الجوزى، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

الأغانى، للأصفهانى، تحقيق: إحسان عباس، وآخرين، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

الانزياح التركيبى فى شعر محمد بن بشير الخارجى، د: فهد بن حمَّاد التميمى، مجلة كلية دار العلوم، العدد: ١٤٣، يناير: ٢٠٢٣م.

الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية)، د: مختار عطية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.ط).

بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، د: عبد العالى قادا، ط١، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

البنية السردية لحكايات الأولياء فى محافظة سوهاج، إيمان كمال محمد عبد الحليم، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد(٤٤)، الجزء(١)، يناير (٢٠١٧م).

تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

تأويل مُشكل القرآن الكريم، لأبى محمد ، عبد الله بن مسلم، بن قُتيبة(ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

تُحْفة الأقران فى ما قُرئ بالتثليث من حروف القرآن، للرعينى، تحقيق، د: على حسين البواب، ط٢، كنوز إشبيليا ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، الرياض.

تجاور الأساليب النحوية فى ديوان الملك الأمجد بهرام شاه الأيوبى، دراسة دلالية، ريهام حسن عمرو عطا الله، مجلة كلية الآداب، بقنا، العدد (٥٨)، يناير (٢٠٢٣م).

تجديد المنهج فى تقويم التراث، د: طه عبد الرحمن، المركز الثقافى العربى، بيروت، ٢٠٠٥م.

التطور النحوى للغة العربية، برجشتراسر، محاضرات ألقاها فى الجامعة المصرية، عام ١٩٢٩م، أخرجه، وصحَّحه، وعلَّق عليه، د: رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

التوجيه البلاغى للقراءات القرآني، د: أحمد سعد محمد، ط٤، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م.

التوجيه اللغوى والنحوى للقراءات القرآنية فى تفسير الزمخشرى، عبد الله سليمان محمد أديب، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٢م.

جغرافية الفكر، ريتشارد إى. نيسبت، ترجمة: شوقى جلال، سلسلة عالم المعرفة، الرسالة: ٣١٢، فبراير: ٢٠٠٥م، المجلس الوطنى للثقافة و الفنون والآداب، الكويت.

جماليات التشكيل بالحرف، الشعر العربى فى العصر العباسى أنموذجًا، د: رضا محمد أحمد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم– جامعة المنيا: journal.ekb.eg.artic١٩١٦.

الجملة الاسمية، د: على أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية، د: محمد سالم الرجوبى، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، السنة: (١١)، العدد(٢٠)، الجمهورية الليبية، ٢٠١٤م.

الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية، د: حازم على كمال الدين، ط٢، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، القاهرة.

الحركة وأهميتها فى دلالة البنية الصرفية، دراسة على وفق الاستعمال اللغوى، د: خديجة زبار الحمدانى، ود: نافع علوان بُهلول الجبورى، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد: ٧، العدد: ٣، لسنة: ٢٠١٢م

الحمل على الجوار فى القرآن الكريم، د: عبد الفتاح أحمد الحموز، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٥خ/١٩٨٥م.

الخروج عن القياس فى بعض التراكيب اللغوية فى القرآن الكريم، باسم يونس البديرات، وحسين محمد البطاينة، كتاب المجمع، العدد(٨)، (٢٠١٤م).

خزانة الأدب ولب لباب لسن العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادى، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القاهر بن عمر البغدادى، ١٠٣٠–١٠٩٣، تحقيق: وشرح: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الخصائص، إمام العربية، أبى الفتح، عثمان بن جنى، تحقيق: هبد الحكيم بن محمد، (د. ط)، المكتبة التوفيقية، العراق.

الخلاف النحوى بين مدرستئ البصرة والكوفة، فى موقفهما من السماع فى اللغة، د: سلمى عوض، وخالد عبد الرحيم، ضمن بحوث مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، م(٣٣)، ع(٢)، سورية، ٢٠١١م.

دراسات فى علم اللغة، د: كمال بشر، (د. ط)، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.

دراسات فى معانى القرآن للفراء، د: حمدى الجبالى، ط١، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى، د: فاضل صالح السامرائى، (د.ط) مطبعة الرشاد، دار النذير، بغداد، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانى، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، (د.ط)، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٤م.

الدلالات التسويرية للتنكير فى العربية، د: عادل الباهى، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٩م.

دلالات المطلع النفسية ومظاهر القيم الخلقية فى معلقة الحارث بن حلزة، د: أبو هداية محمد إسماعيل، ود: يوسف محمد توتو محمد، المجلة العربية مداد، المجلد الخامس، العدد (١٤)، يوليو (٢٠٢١م)، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر.

دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، د: بتول ناصر قاسم، سلسلة رسائل جامعية، ط١، مكتبة لسان العرب، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٩م.

الدلالة الصوتية فى اللغة العربية، د: صالح سليم عبد القادر الفاخورى، (د.ط)، المكتب العربى الحديث، الإسكندرية، (د.ت).

الدلالة المعنوية للحركات العربية، د: محبوب الرحمن صافى، ود: مشتاق حقيار، مجلة ريحان للنشر العلمى،www.rjsp. org، بتاريخ: ٢٨–٠٣–٢٠٢٣

ديوان الأخطل، شرحه، وصنَّف قوافيه، وقدَّم له: مهدى محمد ناصر الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ديوان أيمن بن خريم الأسدى، (القرن الأول الهجرى)، صنعة وتحقيق: الطيب العشَّاش، ط١، مؤسسة دار المواهب للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب(٢٤)، القاهرة.

ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق، د: نعمان محمد أمين طه، سلسلة: ذخائر العرب، رقم: ٤٣، ط٣، دار المعارف المصرية، ٢٠٠٩م.

ديوان حسَّان بن ثابت الأنصارى، شرحه، وكتب هوامشه، وقدَّم له، الأستاذ: عبدا مهنَّا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، ١٨٦-٢٤٦هـ، دراسة وتبويب، د: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ديوان زهير بن أبى سلمى، شرحه وقدَّم له: حسن على فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوى، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المكتب الإسلامى،١٩٦٤م.

ديوان ذى الرُّمَّة، قدَّم له، وشرحه: أحمد على بَسَج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ديوان ذى الرمة، اعتنى به، وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوى، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ديوان شعر المتلمس الضُّبَعى، رواية الأثرم، ولأبى عبيدةَ عن الأصمعى، عُنى بتحقيقه، وشرحه، والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفى، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدى محمد ناصر الدين، من منشورات محمد على بيضون، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى، عن أبى العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ديوان العجَّاج، رواية: عبد الملك بن قريب الأصمعى، وشرحه، تحقيق، د:عزة حسن، دار الشرق العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ديوان العجَّاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعى وشرحه، تحقيق، د: عبد الحفيظ السطلى، (د.ط) مكتبة أطلس، دمشق، (د.ت)،الجزء الثانى.

ديوان عمر بن أبى ربيعة، قدَّم له، ووضع هوامشه وفهارسه، د: فايز محمد، ط٢، دار الكتاب العربى، سلسلة: شعراؤنا، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ديوان عمر بن أبى ربيعة، سلسلة كتاب التراث، ط/ دار القلم، بيروت، لبنان،(د.ت).

ديوان الفرزدق، شرحه، وضبطه، وقدم له، الأستاذ: على فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ديوان مُهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمة، (د.ط)، (د.ت).

ديوان النابغة الذبيانى، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ديوان الهذليين، تحقيق: محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، الدار القومية للطباعة و النشر، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

رثاء الأخ، عند دُريد بن الصمة والخنساء(دراسة موازنة)، د: سؤدد يوسف عبد الرضا على الحميرى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: ١١-١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى.

الرد بالجسد وخطابات أخرى، د: محمد كريم الساعدى، ط١، مكتبة دراسات فكرية، دار نينوى، دار الفنون والآداب، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، البصرة- الجزائر.

السلوك الانفعالى فى أسلوب الاستفهام، دراسة لغوية تحليلية نفسية، د: على محمد نور المدنى، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد(١٧)، العدد(١)، المملكة العربية السعودية،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

السلوك الانفعالى ودلالات الأبنية والتراكيب، د: إبراهيم سند إبراهيم أحمد، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد(٥٦)، يوليو ٢٠٢٢م.

السياق وأثره فى توجيه المعنى من خلال التفسير البسيط للواحدى(ت٤٦٨هـ) من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة الفرقان، إيمان طه صميده محمد، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة، ٢٠٢٢م.

سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة، دراسة فى مبادئ البحث اللغوى النفسى، د: عزيز كغواش، مجلة الباحث فى العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١١٢١-٢١٧٠;ISSN-١٣ (٠٢)/٢٠٢١).

سيمياء العلامة الإعرابية فى الدرس اللغوى الحديث، دراسة تحليلية تطبيقية على قصيدة إيلاذة عُمان، د: أحمد على على لقم، حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، العدد الثالث والثلاثون، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه، د: خديجة الحديثى، مطبوعات جامعة الكويت، رقم: (٣٧)، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لقاضى القضاة، بهاء الدين، عبد الله بن عقيل العقيلى الهمذانى المصرى، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محى الدين عبد الحميد، (د.ط)، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

شرح التسهيل-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد- لابن مالك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحى السيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه، وشرحها، وأكملها: إيليًا الحاوى، ضمن منشورات دار الكتاب اللبنانى، ط١، مكتبة المدرسة، ١٩٨٣م.

شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصارى، ومعه كتاب: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، محمد محمى الدين عبد الحميد،(د، ط)، دار الطلائع، القاهرة، ومكتبة الساعى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م

شرح قصيدة بانت سعاد، لجمال الدين محمد بن هشام الأنصارى النحوى، دراسة وتحقيق، د: عبد الله عبد القادر الطويل، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن على بن يعيش، المتوفى سنة ٦٣٤هـ، إدارة المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، (د.ت).

الشعر الجاهلى، مراحله، واتجاهاته الفنية، دراسة نصية، د: سيد حفنى حسنين، (د.ط)، دار الثقافة، ١٩٨١م، القاهرة.

شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البيَّاتى، (د.ط) مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د.ت).

الصاحبى فى فقه اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، (د.ط)، طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، (د.ت)، القاهرة.

صحيح الإمام مسلم، بشرح النووى، للإمام يحيى الدين أبى زكريا بن شرف النووى، خرَّج أحاديثه: محمد بن عيَّادى بن عبد الحليم، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الصوت و الدلالة فى شعر الصعاليك، تائية الشَّنفرى أنموذجًا، عادل محلو، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر –باتنة، الجزائر، ٢٠٠٦م–٢٠٠٧م.

الطاقة الحجاجية للغة فى الإقناع عبر شبكات التواصل الاجتماعى– الفيسبوك أنموذجًا، د: عرابى أحمد، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى.

طبقات النحويين واللغويين، لأبى بكر محمد الزبيدى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف المصرية، القاهرة، (د.ت).

الطراز، لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

ظاهرة المجاورة فى الدراسات النحوية ومواقعها فى القرآن الكريم، فتحى حسن النمر، (د.ط)، دار الثقافة،١٩٨٥م، القاهرة.

ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى، د: أحمد عبد المجيد هريدى، (د. ط)، توزيع مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ظواهر أسلوبية فى شعر المتنبى، عبده بدوى، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد(٢)، ١٩٨٤م العهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

العدول عن المطابقة فى الجملة العربية، دراسة نحوية تحليلية، يوسف محمد العزى، ورائد سعد الشلاحى، مجلة دراسات، للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م ٤١، ع٢، الكويت، ٢٠١٤م.

العربية فى الدَّال اللِّسانى للصورة الإشهارية، بنيات التركيب والتدليل، د: كريمة القبلى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى.

العربية فى ظل وسائل التواصل الاجتماعى، دراسة ميدانية لدى طلبة الجامعة، د: ريم بلال، ود: نورية سوالمية؛ ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من: ١١–١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى.

العلامة الإعرابية بين القدماء والمحدثين(دراسة فى أساليب: النداء، والتعجب، والمدح والذم، والإغراء والتحذير) د: ابتهال محمد على البار، وهند على محمد الغامدى، بحث على شبكة الألوكة، قسم الكتب، نسخة مبدأفة.

على مخالفة الأصل فى الإعراب، د: أحمد علوان، ط١، بيلومانيا للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م، القاهرة.

على مخالفة القياس فى الدرس الصرفى، د: محمود عباس

Kocaeli University. Ilahiyat.Dergisi ، Kocaeli .The ology journal.Volume;٤.Say١.Issue;١.Sayfa/Pages;١٢٣–١٦٠;١٢٤

علم اللغة النفسى، د: عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى، ط١، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فهرسة مكتبة جامعة الملك فهد الوطنية، عمادة البحث العلمى، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

علم اللغة النفسى فى التراث العربى، د: جاسم على جاسم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:(١٥٤)

علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(القضايا) د: جلال شمس الدين، (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

علم اللغة النفسى، مناهجه، ونظرياته، وقضاياه(المناهج والنظريات)، د: جلال شمس الدين، (د. ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

فاعلية برنامج تربوى متعدد الأنشطة لتوعية طفل الروضة بفهم وإدارة المشاعر والانفعالات لديه، د: مها أحمد الرزّاز ، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال، جامعة المنصورة، المجلد الرابع– العدد الثانى، اكتوبر (٢٠١٧م).

الفضاءات السردية البينية وإعادة تأسيس حدِّ المجاز ، د: أيمن إبراهيم تعيلب، أبحاث المؤتمر الدولى الرابع للسرديات(السرد والشعر) ٣–٥ مايو (٢٠١١م)،الجمعية المصرية للدراسات السردية، مؤسسة جائزة عبد العزيز للإبداع الشعرى، الكويت.

الفكر النحوى لدى القراء، دراسة وصفية تحليلية، محمد عبد الله سليمان، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين،١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

قانون المخالفة الصوتية وأثره فى نمو الثروة اللفظية للعربية الفصحى، د: سامر زهير بحرة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية– سلسة العلوم الإنسانية، المجلد(٣٢) العدد (٣)، سورية ، ٢٠١٠م.

القرينة الصوتية وأثرها فى توجيه المعنى عند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) ، د: فراس فهرى ميران، ود: قصى سمير عيس، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد/١٨، بابل، كانون أول/٢٠١٤م.

قرينة المخالفة وتطبيقاتها فى النحو العربى، د: موفق مجيد ليلو الحيَّاوى، بحوث المؤتمر العلمى الدولى الحادى عشر، نيسان(٢٠١٩م)(٣)، مارس(٢٠٢٠م)، كلية التربية، وزارة التربية، جامعة واسط، تربية محافظة ميسان.

القضايا اللغوية فى سورة الفاتحة، دراسة وصفية تحليلية، إعداد: سليمان محمد سليمان الملاحة، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر – غزة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

قواعد التوجيه فى النحو العربى، حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، فارس على مسلم السعود، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، العراق، ٢٠٠٨م/٢٠٠٩م

قواعد التوجيه النحوى وأثرها فى الخلاف بين النحاة، دراسة فى كتاب الإنصاف، إعداد: حميدة مصمودى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

قيمة الحركة الإعرابية، على ضوء جدل اللفظ والمعنى، أ: ملّاوى صلاح الدين، مجلة المخبر ، أبحاث فى اللغة والأدب الجزائرى، قسم الأدب العربى، جامعة بسكرة، الجزائر ، العدد الثالث، (٢٠٠٦م).

القيم الدلالية لأصوات الحروف فى العربية، عود على بدء، منال نجار ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، مجلد : ٢٤، (٩)، ٢٠١٠م.

الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الكشاف، لجار الله الزمخشرى، ضبط وشرح ومراجعة: يوسف الحمادى، ط١، مكتبة مصر ، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

لسان العرب، لابن منظور ، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، (د. ط)، دار المعارف المصرية، (د.ت)، القاهرة.

اللغة العربية معناها ومبناها، د: تمام حسان، دار الثقافة، (د. ط)، الدار البيضاء، المغرب،١٩٩٤م.

اللغة والسلطة language and power – 2nd Edition، نورمان فيركلف، ترجمة: د، محمد عنانى، المركز القومى للترجمة، ط١، العدد: (٢٥٥٥)، ٢٠١٦م، القاهرة

اللغة الانفعالية بين التعبير القرآنى والنص الشعرى، د: عطية سليمان أحمد، ط١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ٢٠١٧م، القاهرة.

لغة المتنبى، دراسة تحليلية، د: إبراهيم عوض، (د.ط) ، (د.ت)، ١٩٨٧م.

اللفظ والمعنى فى شعر جرير والفرزدق، دراسة بلاغية، د: مشى نعيم حمادى، مجلة الجامعة العراقية، العدد(٣/٣٦)، العراق، ٢٠٢٠م.

ما خالف القياس فى عقود الزبرجد للسيوطى(ت٩١١هـ)، دراسة نحوية، د: زهراء سعد الدين شيت، مجلة آداب الكوفة، العدد(٥٧)، صفر ١٤٤٥هـ/أيلول ٢٠٢٣م.

المثل المخالف القاعدة فى كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح للجرجانى: دراسة وتحليل، محمد أحمد العمرى، AQU Journal.of ArabicLanguage and Literature. Vol.٢.No.١, pp.١٦١–١٩٤(june٢٠٢٣)DOI; ١٠.٥٢٧٤٧/aqujall.٢.١٢٢١، مجلة الجامعة القاسمية، م٢، ع١، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

مجالس ثعلب، لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ٢٠٠– ٢٩١هـ ، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، القسم الأول، النشرة الثانية، دار المعارف، مصر ، سلسلة: ذخائر مصر (١) ، (د.ت).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظيْن الجليليْن، العراقى، وابن حجر،(د.ط) دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، (د.ت).

المحتسب، فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى، تحقيق: على النجدى ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

مخالفة الترتيب وأثره فى العلاقات النحوية، د:عبده مروعى حسن هبه، مجلة كلية اللغة العربية، بإيتاى البارود، العدد: (٣٦)، الإصدار الثالث، أغسطس ٢٠٢٣م

المخالفة، دراسة صرفية صوتية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د: هيام فهمى إبراهيم، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

مخالفة القياس الإعرابى فى باب العطف بين الغلط والتأويل، د: سيف الدين طه سالم، مجمع اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى، مجـ٣٨، ع ٨٦، شعبان/ حزيران، ٢٠١٤م.

مخالفة القياس الصرفى عند ابن سنان فى سر الفصاحة بين معيارية اللغة وشعريتها(دراسة جمالية)، د: نجلاء محمود حسين أحمد، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٣٨، ٢٠١٩م

المخالفات الصرفية والنحوية فى شعر الفرزدق، دراسة دلالية، د: أحمد عبد الكاظم على هونى الجبورى، مجلة آداب الكوفة، العدد(٤٦)، ربيع الثانى ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م، العراق.

المخالفات النحوية فى الأمثال والأقوال، د: مختار عبد الرحيم عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، بقنا، العدد(١٠)، ٢٠٠٨م.

مخالفة القواعد النحوية المشهورة فى بعض لغات العرب، د: رمضان خميس عباس قسطاوى، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد (٢٤)، ٢٠٠٥م

مخالفة القياس بين المعيار اللغوى والذوق البلاغى، د: على بن خليفة بن على السلطان، مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع(٧)، تبوك، المملكة العربية السعودية، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

المختصر فى أصول اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية، د: محمد حسن حسن جبل، ط٢، مطبعة دار الصحابة، طنطا، ٢٠٠١م.

المدخل إلى دراسة النحو العربى، د: على أبو المكارم، المكتبة النحوية، دراسات، (١٠).

المدرسة التوليدية التحويلية، مبادئها، وتطبيقاتها فى النحو العربى، د: حليمة الخيرونى، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من ١١- ١٣ نوفمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى

المدرسة النحوية فى البصرة والكوفة، عمر منشور الهيئة العربية الدولية للتربية والتعليم-E ٤٨١٣. ISSN; ٢٩٤٥- iJATL. VOL.٠٢. No.٠٢.Juny- des ٢٠١٨

Universitas . Nurul jaded. (UNUJA) .Paiton. ISSN;٢٥٤٩-٣٦٨X;٥٣

مرويات أبى الجراح العقيلى فى التراث اللغوى، جمعًا، و دراسة، وتحقيقًا، د: سلامة عمر محمد عبد الرحيم، مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد(١٨)، يناير (٢٠٢١م).

المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ومعجم إنجليزى-عربى(أدبيات)، د: محمد عنانى، ط٣، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣م

معانى القرآن، للفراء، تحقيق، د: عبد الفتاح شلبى، سلسلة، تراثنا

معانى القرآن، للفراء، ط ٣، عالم الكتب ، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموى(ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان.

المعجم الكبير، للحافظ أبى القسم سليمان بن أحمد الطبرانى، حقَّقه، وخرَّج أحاديثه: حمدى عبد المجيد السَّلفى، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة(عرض، وتقديم، وترجمة)، د: سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، ومؤسسة سوشبريس، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، وبهامشه: مختصر شرح شواهد المغنى، للعلامة السيوطى، تدقيق، د: صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

مفتاح العلوم، للسكاكى، ضبطه، وكتب هوامشه، وعلَّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

المفصَّل فى علم العربية، تصنيف: أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، المتوفى سنة ٥٣٨هجرية، دراسة وتحقيق، د: فخر صالح قدارة، ط١، دار عمار،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، عمان ، الأردن.

مفهوم المخالفة،(حقيقته– انواعه– حجيّته)، وليد بن إبراهيم بن عبد الله الخليفة، المجلة العربية للنشر العلمى، AJSP، العدد العشرون، حُزيران–٢٠٢٠م.

المقتصد العلى فى زوائد أبى يعلى الموصلى، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، المتوفى سنة ٨٠٧هجرية، تحقيق: سيد كسروي حسن، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

المقتصد فى شرح التكملة، لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق، د: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدويش، ط١، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العبية السعودية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

المنصف، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنّى النحوى لكتاب التصريف للإمام أبى عثمانى المازنى النحوى البصرى، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة الثقافة العامة، إدارة إحياء التزاث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

من مظاهر الأثر الصوتى فى توجيه المخالفة النحوية، د: بلسم يونس أرشيد، حوليات آداب عين شمس، المجلد (٤٦) ، يناير – مارس، ٢٠١٨م.

منهج الاستشهاد النحوى بكلام العرب، دراسة تحليلية نقدية، د: حسب الدائم آدم جرَّام، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد(٤٥) العدد: (٣)، ج(٢)، يوليو: ٢٠٢٣م.

موت النص، جدلية التحقيق والتخييل فى النص الشعرى، فى ضوء النقد الأدبى القديم والشعراء النَّقَدَة، د: محمد أبو الفضل بدران، حولية الآداب و العلوم الاجتماعية، الرسالة رقم: (٢١٦)، الحولية الرابعة والعشرون، مجلس النشر العلمى، الكويت، ١٤٢٤هـ/١٤٢٥هـ، ٢٠٠٣م/٢٠٠٤م.

نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لأبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبرهيم، (د. ط)، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

النظام الصوتى ودلالاته فى سيفيات المتنبى وكافورياته، أروى خالد مصطفى عجولى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤م.

نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمى، ط٢، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م .

النظرية الدلالية عند سيبويه، من المفهوم إلى السياق، أ.د/سليمان عباس عبد، ضمن بحوث المؤتمر العلمى الخامس، العربية والدراسات الإنسانية والاجتماعية، من ١١–١٣ نوفمبر، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، ٢٠١٧م.

نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوى، د: حازم على كمال الدين، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

نظرية النحو الكُلّيّ والتراكيب اللغوية العربية(دراسة تطبيقية)،د: حسام البهنساوى، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، القاهرة .

النواسخ فى معانى القرآن للفراء، أمل بنت رشاد بن على سروجى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

الوساطة بين المتنبى وخصومه، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى، ط عيسى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٢م.

الوقف الصرفى، ما يوقف عليه وما لا يُوقف عليه، د: محمد خليل الزَّرُّوق، ط١، ١٩٩٩م (افرنجى)، منشورات جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية، بنغازى، ليبيا، ٢٠١٧م.

فهرس المحتويات:

سلط الباحثُ الضوءَ على بعضِ الصورِ اللغويةِ والهيئاتِ التركيبيةِ من صورِ الانحرافاتِ المخالفةِ للمقاييسِ الموحدةِ Standard فى المثاليةِ النحويةِ، فى محاولة لتحليلها؛ وتقديم تفسيرٍ لما ورد فيها من العللِ والأسبابِ، والأدلةِ التى تكونُ سببًا فى عدمِ وصفِها بالمخالَفةِ النحويةِ ؛ اتِّصالًا بفعلِ الانفعالِ؛ إذ يُقالُ: لا يُتْرَكُ القياسُ إلَّا لعلَّة، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتيَ فى أربعةِ مباحثَ، جاءتْ على النحوِ الآتى:

م	الموضوع	الصفحات
*	**المبحث الأول، بعنوان: أساسيات البحث:**	٤٠٩
١	**تعرض فيه الباحث للنقاط التالية:** موضوعِ البحث، وإشكاليتِه، وتساؤلاتِه البحثيةِ، ومرتكزاتِه، وأسبابِ اختيارِه ودوافعِه، وأهدافِه، وأهميتِه، وملامتِه البحثيةِ وحدودِه، ومنهجِه، وفرضياتِه، والدراساتِ السابقةِ ذاتِ الصلةِ بموضوعِه.	٤٠٩
*	**المبحث الثانى، بعنوان: الإطار النظرى للبحث:**	٤١٥
*	**المطلب الأول: عامل الانفعال فى ضوء نظرية الأفعال الكلامية**	٤١٥
٢	– مقدمة	٤١٥
٣	– ماهية اللغة وآلية الانتقاء فى فعل التواصل التداولى.	٤١٥
٤	– سياق الانفعال وأثره التداولى فى الفكر اللغوى:	٤٢٠
٥	– سياق الانفعال والأفعال الكلامية:	٤٢٣
٦	– مفهوم الانفعال:	٤٢٣
٧	– عامل الانفعال فعل كلامى:	٤٢٥
٨	– من الآثار التداولية لعامل الانفعال:	٤٢٨
٩	– السلطة التداولية لعامل الانفعال:	٤٣١
١٠	– أنماط الكلام الانفعالى:	٤٣٥
١١	– الصواب الانفعالى:	٤٣٦
*	**المطلب الثانى: بين السماع والقياس فى ضوء عامل الانفعال**	٤٣٨
١٢	– دليل السماع:	٤٣٨
١٣	– القياس النحوى:	٤٣٩
١٤	– العلل القياسية:	٤٤٢
١٥	– أدوات القياس النحوى:	٤٤٣
١٦	– الإعراب وأثره:	٤٤٥
١٧	– حد الإعراب:	٤٤٦
١٨	– الإعراب المشوش:	٤٤٨
١٦	– الأثر الإعرابى (الحركة أو العلامة الإعرابية):	٤٤٩
١٧	– الحالة الإعرابية(الموقعية النحوية):	٤٥١

١٨	– قرينة الإعراب بين ثنائية الخطورة والكسر فى التواصل التداولى:	٤٥٢
١٩	– عامل الانفعال وتداولية التراكيب النحوية:	٤٥٤
٢٠	– عامل الانفعال والمخالفة النحوية:	٤٥٥
*	**المبحث الثالث، بعنوان: صور من الاستعمالات النحوية المخالفة للقياس النحوى فى الأسماء:**	٤٦٣
٢١	– المطلب الأول: التحوُّل من الضمة إلى الكسرة:	٤٦٣
٢٢	– المطلب الثانى: التحوُّل من الفتحة إلى الضمة:	٤٧٠
٢٣	– المطلب الثالث: التحوُّل من الضمة إلى الفتحة:	٤٧٣
٢٤	– المطلب الرابع: التحوُّل من الفتحة إلى الكسرة:	٤٨٣
٢٥	– المطلب الخامس: التحوُّل من الكسرة إلى الفتحة:	٤٨٨
٢٦	– المطلب السادس: التحول إلى التنوين:	٤٨٩
٢٧	– المطلب السابع: التحول من النصب بالياء إلى الألف:	٤٩٣
٢٨	– المطلب الثامن: التحول عن الترتيب الأصلى للتركيب النحوى:	٤٩٦
٢٩	– المطلب التاسع : تحوُّل الضبط الإعرابى فى نَسَقِ الحَكْى(التركيبُ المَحْكِىُّ):	٤٩٩
*	**المبحث الرابع، بعنوان: صور من الاستعمالات النحوية المخالفة للقياس النحوى فى الأفعال:**	٥٠٣
٣٠	– المطلب الأول: التحول إلى السكون فى المعتل المعرب من الأفعال:	٥٠٣
٣١	– المطلب الثانى: التحول إلى السكون فى الصحيح المعرب من الأفعال:	٥٠٤
٣٢	– المطلب الثالث: التحول إلى السكون فى المبنى من الأفعال:	٥٠٦
٣٣	– المطلب الرابع: التحوُّل إلى إبطال عمل الجازم :	٥٠٩
٣٤	– المطلب الخامس: التحول إلى وجودية مورفيم الجزم:	٥١٢
٣٥	– المطلب السادس : التحول إلى السكون فى المضارع الصحيح فى نسق الشرط:	٥١٤
٣٦	– المطلب السابع: التحوُّل من إلى عدمية نون الرفع فى الفعل المضارع فى الأمثلة الخمسة:	٥١٥
٣٧	– تعقيب:	٥١٩
٣٨	– الخاتمة:	٥٢٠
٣٩	– فهرس المصادر والمراجع:	٥٢٢